

دین کونتز

DEAN KOONTZ

# المدينة

## The City

رواية

[t.me/read4lead](https://t.me/read4lead)

الدار العربية للعلوم تاشرون  
Arab Scientific Publishers, Inc.

**المدينة**

The City

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنجليزي

## THE CITY

حقوق الترجمة العربية محفوظ بها قانونياً من الناشر

Bantam Books-New York

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2014 by Dean Koontz

All rights reserved

Arabic Copyright © 2017 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: أيلول/سبتمبر 2017 م - 1439 هـ

---

ردمك 1-2232-614-978

---

جميع الحقوق محفوظة للناشر

-  [facebook.com/ASPArabic](https://facebook.com/ASPArabic)
-  [twitter.com/ASPArabic](https://twitter.com/ASPArabic)
-  [www.aspbooks.com](http://www.aspbooks.com)
-  [@asparabic](https://asparabic)

**الدار العربية للعلوم ناشرون** شمال  
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



عين التينة، شارع المفتى توفيق خالد، بناية الريم  
هاتف: 785108 - 786233 (+961-1) - ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان  
فاكس: 786230 (+961-1) - البريد الإلكتروني: [asp@asp.com.lb](mailto:asp@asp.com.lb) - الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www.asp.com.lb>

# المدينة

The City

دين كونتز

DEAN KOONTZ

ترجمة

ماجد حامد

Telegram @read4lead

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة



## مقدمة

ناولني مالكوم المسجلة وقال لي:

- أروي قصة حياتك.

- إنني أُفضل أن أحيا يومي على أن أتبجح بسرد أمور مرّ عليها الزمن.

قال مالكوم:

- لا يجدر بك الحديث عن كل شيء. بل ما يجب إخباره وأنت تعرفه جيداً.

- أقصد أن أروي تلك الحادثة؟

- صحيح فلا يجوز أن تبقى طي الكتمان، فلنناس حق المعرفة.

- أي ناس؟

- جميعهم. لقد كانت أو قاتاً حزينة.

- لا يمكننا تغيير الزمن فما فات مات.

- إن العالم حزين بما فيه الكفاية، لذا ابذل جهداً لتلمع صورته قليلاً.

- أتريدني أن أتجاهل كل الأمور المحزنة وأطمسها؟

- لا، أنت بحاجة إلى الإفصاح عن الأمور المحزنة.

- لا، لست بحاجة.

- الأمور المحزنة هي التي تجعلنا ندرك مدى بهجة الأمور المفرحة.

- وعندما أنتهي من الحديث عن تلك الحادثة ما المطلوب مني.

قال مالكوم:

- حول ما أفصحت عنه إلى كتاب.

قال مالكوم:

- غالباً... ولكنني أشعر أنني لن أتمكن من رؤية بعض مقاطعه بوضوح كافٍ لأقرأها.
- وماذا لو قرأت لك تلك الأجزاء؟
- إن استطعت رؤية الكلمات فأنا على أتم الاستعداد للإنصات إليك.
- حينها سأكون قادرًا على القراءة لكن الحديث عنها للمرة الأولى هو ما يفطر قلبي.

أدعى جونة إلينغتون باسي هاينس ألدريدج ويلسون هامتون آرمسترونغ  
كيرك. إنكم محقون؛ يا له من اسم طويل. قبل أن أشب عن الطوق نشأت  
قصة حب متبادلة بيني وبين المدينة، تلك المدينة التي تخفي تحت غلالة  
الحياة اليومية قصص فقدان والأمل والانكسار والغرابة والتآلف، وكم هو  
غريب وغير متناهٍ سبر أغوار الأعماق؟!

لم تكن شوارع مدتيتي المحبوبة مفروشة بالذهب، بخلاف القصص  
التي تُخبر المهاجرين من نصف الكرة الآخر وتؤملهم بذلك. هذا دأب الدنيا  
ودينهَا، فليس كل الممثلين والمعنّين يصبحون مشاهير وأغنياء ما إن تطا  
أقدامهم أرض المدينة وتسلط عليهم أصواتها. فالموت يسكن المدينة كما  
يسكن القرى وكما يسكن كل شبر من هذه الدنيا، ومعدلات الجريمة تفوق  
فيها مثيلاتها في القرى الوداعة، ولحظات الرعب والترويع لا نظير لها في  
الريف. ولكن للحق والإنصاف إن هذه المدينة هي مدينة الروعة والسحر وقد  
اختبرتهما كثيراً في حياتي ولا سيما ليلة موتي وانبعاث الروح فيـ.

في الثامنة من عمري التقيت المرأة التي حاولت إقناعي أنها المدينة، بالرغم من أنها لم تؤكِّد ذلك طيلة سنتين. مع أنها شددت، وأوْكَد لكم أنها شددت، على أن أكثر الصفات التصافاً بالمدن هم الناس وليس أي شيء آخر.

لا أنفي ولا نية لي بذلك، المدينة كما يعرفها الجميع هي مبانٍ ونوادي ومتاحف ومكاتب، ولكن ما يجعل من أي مدينة عظيمة هم الناس، فهم نبضها وبناؤها حضارتها وليس العمران ما يجعلها عظيمة أبداً. فروح المدينة المنسوجة من خيوط أرواح ملائين الناس، الذين عاشوا ويعيشون وسيعيشون فيها، هي التي تجعل منها عظيمة.

أخبرتني المرأة أن هذه المدينة ذات روح حساسة وأنها تسأل منذ زمن عن نوعية الناس الذين عاشوا فيها حياتهم. فروح المدينة تسأل بقلق: هل يظن الناس، بالرغم من كل ما تقدمه لهم أنها تخذل كثيرين منهم، فهي أدرى بحالها وتعرف كل مناظرها وروائعها وأصواتها وتركيتها وأسرارها. وحسبما تقول إن روح المدينة اتخذت شكلاً إنسانياً لتعيش بين أهلها.

غيرت تلك المرأة التي كانت تدعى أنها المدينة حياتي، وأظهرت لي أن العالم أكثر غموضاً مما أتخيل إن كان مصدر معلوماتي عنه الصحف والمجلات والتلفاز، أو في هذا العصر الإنترنت. وأرى أن من واجبي إخباركم عنها وعن بعض الأمور الفظيعة والأمور الرائعة والأمور المذهلة التي حصلت والتي لا تزال تلاحقني.

الحياة ليست قصة واحدة وإنما آلاف القصص، ولهذا حين أحاول أن أروي إحدى قصصي فأنا أعبر زقاقاً ضيقاً بينما يجدر بي سلوك جادة؛ أو بتعبير آخر، لو شبهنا القصة بجادة من أربع عشرة نقطة، فأنا أنطلق من النقطة الرابعة عشرة قبل أن أعود إلى النقطة الأولى بعدما اكتشفت أن هناك خللاً في التسلسل المنطقي لمنطق قصتي.

ويمكنتني القول إن أسلوبي مفكّك كما تلاحظون، وإن كنت أعرض هذه القصة شفاهة وليس كتابة فأنا أسجلها على آلة تسجيل. لقد طلب مني صديقي مالكوم أن لا أصف هذه الرواية بالمفككة بل بالرواية المسرودة شفاهة؛ ولكن أخذني بما طلبه مني يجعلني أبدو كمن يعيش داخل طبل؛ صوتٌ عالٌ ومضمون فارغ، ولكن بالرغم من الحقيقة المرة التي أنا مقتنع بها أشد الاقتناع، إلا أنني لم أجد وصفاً أفضل منه.

أياً يكن الأمر أنا الآن أتكلّم وأسجل، وعندما يقوم أحدهم بتدوين ما سجلته فسأقوم بتحريره لأخفف عن القارئ جميع تنهاتي وكلماتي التي لا تحمل معنى، وأفسر جملتي غير المكتملة، ولا أبدو أذكي مما أنا عليه. ولكن لم أسجل وأكتب؟ سؤال منطقي وفي مكانه، وجوابه أنني مصاب بأولى مراحل التهاب المفاصل في أصابعِي، وبما أنني عازف بيانو محترف أتكسب من عزفي، لذا عليَّ المحافظة على براجمي من أجل العزف ولا أهدُر طاقتها في الكتابة.

يصنفي مالكوم - وهو الصديق الصدوق - بأنني متفائل في أعمالي لأنني أردد على الدوام "ما من شيء خطير بعد" فإن شعرت بألم طفيف في إحدى ساقّي، وسألني صديقي عن سبب تدليكي لعضلة ساقٍ فمن المتوقع أن أجبيه بعبارة الأثيرة "ما من شيء خطير بعد". إنه يظن أنني مقتنع أنها خثرة دموية في أحد الأوردة العميقه وستنتقل وتدمّر رئتي أو دماغي في وقت لاحق،

لكتني أكتفي بقول تلك العبارة لأطمئن أصدقائي والناس الذين ألقى عليهم حين يصابون بالإنفلونزا أو الدوار أو الألم في الساق، لأنني سأشعر بالارتياح في حال طمأنوني بقول عبارة "ما من شيء خطير بعد".

وللحقيقة لا يمكنكم وصفي بالمتفائل في العمق، فأنا متفائل على الدوام إذ ما من سبب لأتوقع الأسوأ من هذه الحياة، وطالما أني أحببت المدينة كما أذكر فهذا دليل أكثر من كافٍ على أنني متفائل.

كما قلت لكم كنت متفائلاً عندما أصبحت بالتهاب المفاصل، ولكن لا بد من الحديث عن خلفية الأحداث لتكونوا على بينة من أمري، فهذه القصة بدأت عام 1967 حين كنت في العاشرة من عمري، أي في العام الذي قالت فيه المرأة أنها المدينة. وبحلول حزيران من ذلك العام انتقلت مع أمي إلى بيت جدي.

أمي مغنية وتدعى سيلفيا، أما جدي فهو تيدي بلدسو، وهو عازف بيانو ومثلي الأعلى ومصدر إلهامي. يتكون منزل جدي من طابقين يتالف كل منهما من أربع غرف بالإضافة إلى حمامين إلا ربع. كان جدي يعزف يومياً على البيانو الذي يحتل جزءاً من البهو. بالرغم من أنه كان يعزف أربع ليالٍ أسبوعياً في أحد الفنادق، وظهريرة ثلاثة أيام في الجناح الفخم لأحد المتاجر الذي قد يعادل ثمن الفستان فيه ما يجنيه جدي شهرياً من العملين معاً. أما معطف الفرو فقد يعادل سعر سيارة شيفروليه منأحدث طراز. لم يعزف جدي إلا ليستمتع بالدرجة الأولى، فقد عزف في الفندق والنادي ليستمتع ويجني قوتة، أما في المنزل فكان عزفه للاستمتاع الممحض.

طالما حثني جدي على العزف يومياً، لتبقى الأنغام تسرى في جسدي، ولا يمكنني تذكر عدد المرات التي أخبرني فيها أن الاستمتاع في العزف ينعكس على جودة المقطوعة المعزوفة، وهذا ما لا يدركه إلا الخبراء وكبار

السميعة.

أمام البيت كان هناك مصطبة إسمانية، تحيط بها فسحة من النيات التي تفصلها عن شرفة تطل بدورها على حديقة غناه تتوسطها شجرة قيق قرمذية الأوراق، يخيل للناظر إلى أوراقها المتساقطة أنها جمرات مشتعلة على الأرض.

سكن جدي في حي يتممي قاطنه للطبقة الوسطى اجتماعياً، ولكتني وجدي لم يرق لنا وصفه بهذه الصفة، لأننا لم نكن نجد تصنيف الناس اجتماعياً.

بالرغم من أن العالم دائم التغير، إلا أنه عام 1967 كان على وشك التغير حقاً، فقد بدأ سكان الحي يتتحولون من يهود إلى بولنديين كاثوليك. اكتري جدي منزله هذا عام 1963 من عائلة ستين اليهودية، ولم يلبث أن اشتراه بعد ذلك بأربع سنوات. وكان المنزل الوحيد في الحي الذي يمتلكه سود. ويمكنكم تخيل المضايقات التي يتعرض لها سود يقطنون حيّاً للبيض البولنديين الكاثوليك. ولكن الأمر لم يصل إلى الحد الذي يحمل جدي على المغادرة، ويعزو جدي سبب ذلك إلى أنه لم يكن يتدخل في أمور الآخرين، وإلى عزفه مجاناً في قاعة سانت لويس المجاورة للكنيسة، إضافة إلى عمل الجدة أنيتا سكرتيرة للمونسنيور مكارثي.

كان جدي قمة في التواضع، ولكتني لم أرث منه هذه الصفة، وبالإضافة إلى تواضعه كان يبدو بطوله الفارع كنبيل دمث الأخلاق، وكان سلوكه مع جدتي محط أنظار الجميع، فكانا ذلك الثنائي الذي يفتح الزوج لزوجته باب البيت، ويساعدها في وضع المعطف على كتفيها والتي لا تنسى زوجته شكره على الملا. ويمكننا وصف جدي بالمتأنق الدائم فلم يرتد أثناء عمله إلا بنಡلات كاملة، أما في المنزل فكان البنطال والقميص لباسه الدائم، بالإضافة إلى أحزمة البنطال الكتفية. ولا أذكر أني رأيته يعزف أو يتناول الطعام من دون أن يطوق عنقه بربطة.

بالرغم من معاملة جدي لي بمنتهى الحنان واللطف، إلا أنهما لم يكونا يتصرفان عندما أكون عندهما كما لو أنني أحد أفراد البيت.

في نيسان من العام 1967، توفيت جدتي بشكل مفاجئ عن عمر 52 سنة نتيجة جلطة دماغية. شكل موت تلك المرأة التي تصبح بالحياة صدمة لكل معارفها، إلى حد جعلهم يحزنون بصمت، وخيّل إليهم أن موتها بمثابة نهاية العالم. فآثروا الحزن بصمت، علّ تجاهلهم لموتها يلغي هذه الحقيقة، وبذلك تستمر حياتهم وكأن أنيتا لا تزال بينهم ومعهم كذابها.

عند وفاة جدتي كنت وأمي نعيش في شقة في الطابق الرابع، لغرفة الجلوس فيها نافذتان تطلان على الشارع، أما غرفة النوم والمطبخ فكانت نافذتاهما تطلان على الجدران الإسمانية للأبنية المجاورة. كانت أمي تغنى البلوز ثلاث ليالٍ في أحد التوادي، وتعمل نادلة في أحد المطاعم خمسة أيام في الأسبوع وقت الغداء. وكانت تنتظر فرصة العمل المناسبة، كنت في العاشرة من العمر، ذكياً وقد أدركت مقدار السعادة التي ستشعر بها أمي سواءحظيت بفرصة الغناء أو العمل نادلة في مكان أفضل.

بعد وفاة جدتي انتقلنا إلى منزل جدي خلال فترة العزاء والأيام القليلة التالية كي لا يبقى بمفرده. قبل ذلك لم أز جدي يبكي، فقد توقف لأسبوع عن العمل، وظل حبيس غرفته، وكانت أراه في بعض الأحيان جالساً في نهاية الممر في الطابق الثاني يحدق إلى الشارع، وأراه في أحياناً أخرى جالساً في غرفة الجلوس وإلى جانبه صحيفة لم يفتح أي صفحة من صفحاتها، وعندما أقترب منه لأحاديثه، كان يضعني في حضنه، ويطلب مني السكوت قائلاً: "سيكون أمامنا سنوات طويلة نتكلم فيها عن كل ما تريد". أنا فتى نحيل مقارنة بعمري، وجدي رجل ضخم. أشعر، وأنا في حضنه، بمعنى آخر للحنان والهدوء، هدوء عميق ورائع وإن كان حزينأً.

وكم من مرة غفوت، وأنا في حضنه مستنداً إلى صدره أستمع إلى نبضات قلبه، بالرغم من أنني كنت أكبر من العمر الذي يغفو فيه الأطفال في أحضان ذويهم. في ذلك الأسبوع شاهدته يبكي بصمت عندما يعزف، سواء عزف عشر دقائق أم ساعة، كان بكاء صامتاً يعبر عن نفس أبيه ترفض أن يذلها البكاء المسموع.

وبيما أنني لا أزال أخبركم عن خلفيات حياتي، يجب أن أخبركم عن الموسيقى في حياة جدي. فقد كان صاحب ذائقه موسيقية ومميزةً، وامتلك أفضل يد يسرى عزفت. في الفندق الذي عزف فيه جدي قاعتنا، إحداهما فرن西سية الطراز يعزف فيها على الكمان ويختتم عليها شعور بالرفاهية، ولكن في الوقت نفسه يشعر الزبون فيها بالإعياء لشدة الترتيب والنظام. أما القاعة الأخرى فكان ديكورها أزرق وفضياً بالإضافة إلى الغرانيت وكان الطعام فيها أميركياً. عزف جدي في هذه القاعة معزوفات خفيفة بين الساعة السابعة والتاسعة، بينما عزف بين التاسعة ومتتصف الليل مقطوعات راقصة لكون بولتر. في بعض الأحيان، رافقه ثلاثة عازفين لعزف مقطوعات تعود لفترة الثلاثينيات والأربعينيات.

بعد وفاة الجدة عزف الجد معزوفات لم أسمعها من قبل، وحتى الآن لا أعرف أسماء أصحابها، كانت تحملني على البكاء. عندما كان الجد يعزف هذه المقطوعات الحزينة كنت أغادر القاعة إلى غرفة مجاورة، ولكن بالرغم من الطابع الحزين لم أكن أستطيع التوقف عن سماعها بسبب براعة الجد. بعد أسبوع عاد الجد إلى العمل، وعدت مع أمي إلى منزلنا، إلا أنها في حزيران وبعد مرور شهرين عدنا لنعيش مع جدي نهائياً، بعدما زللت حياة أمي.

كانت أمي سيلفيا كيرك في التاسعة والعشرين من عمرها حين زلزلت حياتها، لم تكن المرة الأولى التي تعصف المشاكل ب حياتها. سيلفيا كانت جميلة، ووقتها كنت أنظر إلى كل من هو فوق العشرين على أنه كبير، ولكنها في حقيقة الأمر كانت صغيرة لكي تُزلزل حياتها أربع مرات قبل أن تبلغ الثلاثين؛ فعلاً إنه أمر منهنك. ومنذ ذلك الحين لم تستطع استعادة ثقتها بنفسها. لقد مر على بدء العطلة المدرسية عدة أسابيع. كنت أمضي فترة بعد ظهر ذلك الأحد في منزل السيدة لورانزو، فهو النهار الوحيد الذي لا توجد فيه نشاطات في مجمع المدينة. لذا، لم يكن هناك من خيار أمام أمي إلا تركي في منزلها، الكائن في الطابق الثاني من بنايتنا. وقد اشتهرت السيدة لورانزو بطبعها المميز. في العادة كانت أمي تضعني عندها في الأيام الثلاثة التي تذهب فيها للغناء في سلينكز، ولكن هذا الأحد كان استثناءً فقد غادرت لتوقع عقداً تغنى بموجبه خمسة أيام أسبوعياً في أحد أرقى الملاهي الذي تعود ملكيته للسيد ويليام ملكار特 الذي يملك علاقات واسعة ومتشعبة في مجال الفن، وكان هناك حديث بينهما عن إحضار ثلاث فتيات لي Rafقنها بالغناء والإعداد لأغنية جديدة؛ لقد بدا للجميع أن الفرصة المنتظرة قد أتت.

كان من المتظر أن تأتي أمي قرابة الحادية عشرة لتصطحبني من منزل السيدة لورانزو، ولكن جرس الباب رن تمام السابعة وظهرت أمي، فأدركتنا أن خطباً ما قد حدث، وسمعتها تقول إنها لا تحب غسل ملابسها في مكان عام، فلم أفهم ما تقصده، وهي التي تغسل في ملجاً البناء حيث يغسل الجميع ملابسهم، ولم يكن وفقاً لفهمي المحدود مكان أكثر عمومية للغسيل سوى

الشارع، لا بد أنها كانت تستعمل الاستعارة للتعبير عن شيء آخر.

قالت إنها لم تستطع البقاء على العشاء مع السيد ويليام لأنها كانت تعاني من داء الشقيقة وكادت تسقط أرضاً من شدة الألم، تفاجأت فلم يكن لدي علم بإصابتها بهذا الداء، ولاحظتها تزم شفتتها وهي تدفع للسيدة لورانزو بدل عنايتها بي، وبدت عيناهَا قاسيتين والشرر يتطاير منها إلى حد أدنى ظننتها قادرة على إشعال أي شيء تحدق إليه فترة طويلة.

عندما وصلنا شقتنا، قالت إنه يجب علينا جمع حاجياتنا لأن والدها سيأتي ليأخذنا ليعيش معه وسألتني: "ألا تحب العيش معه؟". صحيح أن منزل جدي كان أجمل وهذا ما قلته، لكنني كنت ابن عشرة أعوام ولم أكن أفقه ما أقوله، وسألتها إن كنا ذاهبين ليعيش معه لأنه أصبح وحيداً، وسألتها إن كانت تعاني من داء الشقيقة حقاً أم تدعى ذلك وحسب. فاكتفت بأن قالت: "لنجمع الآن حاجياتنا ونحرض على عدم ترك أي شيء خلفنا".

جمعت كل أشيائي في حقيبة سفر خضراء اللون، واضطررنا للاستعانة بكيس من النايلون بعدما أصبحت الحقيقة عاجزة عن الاستيعاب، وبينما كنا نوضب حاجياتنا قالت لي أمي: "عندما تكبر كن رجلاً كاملاً، كن كجدى".  
"بالطبع، هذا ما أريد أن أكونه".

لم أستطع التعبير صراحة بما أقصده، فأنا لم أرد أن أكون مثل والدي الذي تركنا عندما كنت في الشهر الثامن من عمري، ولم يعد قبل بلوغي عامي الثامن. ولكنه لم يلبث أن غادر مجدداً قبل حلول ذكري مولدي التاسعة. لا يمكننا وصفه بغير الملزوم لأنني على ثقة أنه لم يكن يدرك معنى هذه الكلمة. وأنا الآن قلق من عودته، فمشاكله كثيرة ولم يكن يعرف أن يحب أحداً سوى نفسه.

بالرغم من كل ما تقدم كان أبي نقطة ضعف أمي، وما كانت لتتردد بالعودة إليه إن عاد إلى البيت، لذا اعتصمت بحبل الصمت ولم أفتح عن

كل ما يعتمل في قلبي.

عندما قالت:

ـ لقد التقيت بهارمن جاسب، أتذكره؟

فأجبتها:

ـ أليس هو مالك المكان الذي تغنين فيه؟

ـ صحيح، ولكنني تركت العمل معه. ولكن لا تحسبني شخصاً لا يمكن الاعتماد عليه.

ـ من المؤكد أنك لست كذلك، لماذا تظنين أنني سأفكر على هذا النحو.

وبينما كانت مستمرة في توضيب بلوزاتها ووضعها في الكيس قالت:

ـ لقد حاول هارمن الاقتراب مني ولم يرد أن أغنى فقط بل أرادأشياء أخرى. أياً يكن الأمر لقد وفقت بالانتقال إلى عمل أفضل من كل النواحي. أتمنى أن أكون قد وفقت بإيصال الفكرة إليك.

ـ أعتقد ذلك.

ـ أظن أنك فهمت، ويؤسفني أن تسمع هذا، ولكن ثق أنه ما كان ليدعني أستمر بالعمل ما لم ينل مبتغاه مني.

ـ ما إن بلغت كلماتها مسامعي حتى انتابتني فورة غضب، ولا أظن أنني غضبت طيلة حياتي كغضبي يومها. ييدو أن حصتي من جينات أمي كانت أكبر من حصتي من جينات أبي، فهو أصلاً لم يكن يمتلك شيئاً ليكون لي منه حصة. وبعدها عندما دخلت غرفتي قلت:

ـ لو كنت أكبر سناً وأصلب عوداً للاقتنائه درساً لن ينساه، وربما ما تركت له بقية حياة ليذكر فيها.

ـ فقالت أمي:

ـ لا، ما أنت فاعل ذلك.

بلى، كنت سأطلق عليه النار أو أفصل رأسه عن جسده.  
اقتربت مني أمي ونظرت إليّ من علو، وأدركت حينها أنها تفكّر بالعقاب  
الذي يمكنها أن تنزله بي، فهي سليلة عائلة لا تتقبل أن يتفوه أحد أفرادها  
بتهديّدات أو كلمات ناية. كان جدي يقول دائمًا: "في البدء كانت الكلمة".  
فالناس يتكلّمون باعتبار أن لكلماتهم قيمة وتأثيراً وهي كذلك، أيًّا يكن الأمر،  
وقفت أمي وعبست قليلاً وتغيّرت ملامح وجهها، ثم ما لبثت أن عادت  
لاماحها لسابق عهدها عندما جثّت على ركبتيها وضمّتني. فكلانا يعرف عدم  
جدية ما أتفوه به، فلو ذهبت إلى ذلك المدعو هارمن لجعلني أطير كفّشة في  
مهب الريح بمجرد أن يقف ويضحك بوجهي. ولكنني شعرت بالخجل أمامها  
لقلة حيلتي فلم يكن هناك أحد سوائي ليذود عنها.

عندما نظرت مباشرة إلى عيني وسألتني:

- ماذا سيقول الإخوة والأخوات في دار العبادة إن سمعوا ما تهدد به عن إطلاق الرصاص وفصل الرأس عن الجسد.

وبما أن جدتي كانت تعمل في مكتب المونسنيور مكارثي، فقد كنت محظوظاً كفاية لأنتحق بمدرسة سانت سكولاستكا، وتكون رسوم تعليمي ثلث ما يدفعه باقي الطلاب. وهناك كانت الأخوات قاسيات بما فيه الكفاية ليضعن حداً لتصرفات هارمن ويلقنه درساً لا ينساه، ولا سيما الأختان أغنتس أو كاثرين.

عندما تذكرت هذه الحقيقة سألتها متولاً:

- لن تقولي لهن شيئاً مما قلته أليس كذلك؟

فأجابتني:

- يجدر بي إخبارهن وكذلك جدك.

في الحقيقة، كان والد جدي ووالدته يعملان على التوالي حلاقاً واختصاصية تجميل، ولديهما مجموعة من الأنظمة يفترض بأولادهما

الخضوع لها والتزام تطبيقها، وعندما كان أولادهما يعتبرونها أنظمة اختيارية وليس إلزامية كان والد جدي يعمد لاستخدام شاحذ الموسى لغرض غير الذي أعد له. ولكن جدي بخلاف أبيه لم يلجأ يوماً إلى العقوبات الجسدية، فهو يمتلك نظرة كفيلة ببعث الرعب في نفس أي من أفراد عائلته الذي يتجرأ و يجعله يشعر بالإحباط.

قبلت أمي جبيني، وتوجهنا معاً إلى غرفتها، لنحزم ما بقي لنا من متعة. كنا نسكن في شقة مفروشة حيث كانت هناك خزانة لها أبواب ثلاثة بمرايا ثلاثة. كلفتني أمي بجمع كل الأشياء الصغيرة من الأدراج ووضعها في حقيبة مربعة الشكل، بينما حزمت أمتعتها في حقيبتي سفر كبيرتين وثلاثة أكياس من النايلون.

لم تخبرني لم توجب علينا مغادرة شقتنا، ولكني أدركت بعد سنوات أنها كانت تجد نفسها مضطرة لتبرير تصرفاتها تجاهي. في الحقيقة لم تكن مضطرة لتبرير أي شيء، فقد كنت على ثقة تامة بحسن سلوکها وأخلاقها وصوابية تصرفاتها، حتى إنني في لياليٍ كثيرة كنت أنتظرها عندما تكون في الخارج والقلق يساورني عليها.

قالت أمي:

- أياً يكن الأمر لا تظن يوماً أن نوعاً من الناس أفضل من الآخر، فهارمن جاسب غني مقارنة بي، ولكنه يعتبر فقيراً مقارنة بويليام ملكارات. وبالإضافة إلى الملهمي الذي كانت أغنى فيه خمس ليالٍ في الأسبوع كان يمتلك العديد من الأمكنة الأخرى. وتابعت قائلة: "هارمن أسود بينما ملكارات أبيض، هارمن قذر ويغتر بقدارته، بينما تلقى تعليماً في كبرى الجامعات، هارمن قذر ويغتر بقدارته، بينما ملكارات متزوج ورب أسرة وحسن السمعة، ولكن بالرغم من كل الاختلافات الآنفة الذكر ما من فرق بينهما عملياً، فكلاهما ينطبق

عليه وصف أشباء الرجال، وإياك أن تكون يوماً شبه رجل يابني".

أجبتها:

- بالتأكيد لن أكون شبه رجل.
  - كن صادقاً مع الناس.
  - هذا ما سأكون عليه.
  - مغريات الحياة كثيرة، وقد تقودك لتكون مثلهما.
  - بالتأكيد لن أكون.
  - بلـى، ستكون فالناس يضعفون أمام المغريات ويتحولون لأعوان الشيطان.
  - ليس كل الناس وأنت خير مثال على ما أقول.
  - كنت ولا أزال تحت ضغط هذه المغريات.
- عندما انتهينا من توضيب أمتعتنا سألتها:
- نحن ذاهبان للإقامة مع جدي لأنك فقدت عملك.
- أجابتنـي:
- لا يا حبيبي ما زلت أعمل في ولورث (حيث كانت تعمل نادلة).
  - أعرف أنها لطالما بكت عندما تكون بمفردها وإن لم تبك يوماً أمامي، ولكنها اليوم كانت ذات نظرة مفعمة بالثقة، كنظرة الأخت أغنتـس. في الحقيقة، كان الشـبه بين أمي وأغـنتـس كبيراً، إلا أن أمي كانت أكثر جمالاً وتمتلك صوتاً عذباً.

وتابعت أمي قائلة: "لا يزال لدى عملي في ولورث وصوتي والأهم وجودك، وهذا كل ما أنا بحاجة إليه".

عندـها فكرت بأبي وبترـكه لنا وخذـلـانا، وفـكرـتـكـمـ كانـ وـضـعـناـ أـفـضلـ لوـ أـنـهـ وـفـىـ بـنـصـفـ وـعـودـهـ لـأـكـثـرـ، وـلـكـنـتـيـ لـمـ أـسـتـطـعـ التـبـيـرـ عـمـاـ أـفـكـرـ فـيـهـ، فـأـمـيـ لـمـ تـكـنـ يـوـمـاـ قـاسـيـةـ مـعـيـ، وـلـمـ تـعـاقـبـنـيـ يـوـمـاـ إـلـاـ عـنـدـمـاـ صـرـحـتـ لـهـاـ إـنـيـ

أكره أبي، مع أنني لم أظن أنني أذنبت بما قلته، ولكنها جعلتنيأشعر بالذنب وقتها، وسيأتي يوم أُعبر فيه عن كرهي له. لم يمض وقت طويل على فراغنا من توضيب أمتعتنا، قبل أن يرن الجرس وإذا بجدي هو القادم لاصطحابنا إلى بيته.

عندما علمت أمي بحملها بي كانت المرة الأولى التي زلزلت فيها حياتها، فقد كانت قد قُبّلت للتو ببرنامج الموسيقى في جامعة أوبيرلن بمنحة شبه كاملة، وقبل أن تبدأ عامها الأول في الجامعة اكتشفت حملها، وقالت إنها لم تكن متحمسة للذهاب إلى أوبيرلن، وأن الأمر برمته لا يعدو رغبة أهلها، وأنها تريد أن تعمل على تنمية موهبتها أما في الجامعة فسيقتصر الأمر على نظريات مملة لن تساعدها في ما تسعى إليه، فهي تسعى للعمل في ملاهٍ صغيرة وتدرج لتصعد السلم درجة درجة وتصقل موهبتها، وكانت تقول إن معرفتها بحملها بي كان خيراً لها لأنه أنقذها من الالتحاق بتلك الجامعة.

عندما كنت صغيراً كنت أصدق ادعاءاتها. لقد توقفت والدتي لستة بعدما أنهت المرحلة الثانوية، واستعن والدها بمعارفه ليتيح لها العمل عازفة بيانو في أحد الأمكنة بالرغم من عدم بلوغها السن القانونية. وبالرغم من مهارتها على البيانو كانت موهوبة بالعزف على الساكسوفون، وكانت تتقن بسرعة العزف على الغيتار، لقد جباهـ الله بموهبة كبيرة.

التقت في ذلك المكان بطـاه يدعـى تيلتون كـيرك، وكان في الرابعة والعشرين، ويـكبرـها بـستـ سـنـواتـ، وكلـما كانـ العملـ قـليـلاـ كانتـ تـجـدهـ بـجـانـبـهاـ بكلـ ماـ فيـهـ منـ سـحرـ وجـاذـيـةـ، كانـ وـسـيـماـ وـعـذـبـ اللـسانـ، وـوـاثـقاـ كـلـ الثـقةـ بـأـنـهـ سيـصـلـ فيـ يـوـمـ منـ الأـيـامـ إـلـىـ مـرـكـزـ مـرـمـوقـ يـيـتـغـيهـ، وـلـمـ يـكـنـ أـيـ شـخـصـ بـحـاجـةـ لأـكـثـرـ مـنـ إـلـقاءـ التـحـيـةـ عـلـيـهـ لـيـدـأـ بـسـرـدـ مـاـ يـطـمـحـ إـلـيـهـ، وـبـأـنـهـ سـيـتـقـلـ مـنـ طـاهـ إـلـىـ شـيفـ إـلـىـ صـاحـبـ مـطـعـمـ مـعـ بـلـوـغـ عـامـهـ الـثـلـاثـيـنـ، وـسـيـصـبـحـ صـاحـبـ سـلـسلـةـ مـطـاعـمـ مـعـ بـلـوـغـهـ الـأـرـبـعـيـنـ. لمـ يـخـلـ تـيلـتونـ كـيرـكـ عـلـىـ سـيـلـفـياـ بـوـصـفـاتـهـ وـطـرـيقـتـهـ

بالطهي، كما أنه منحها إياي، ولكن اتضح لاحقاً أن الاهتمام بالأطفال لم يكن ميزة من ميزاته، ولكن منصفين فقد كان على يقين أن حملها منه سيجبره على الزواج منها فعائتها لم تكن لتقبل بإجهاضها وكذلك هي. وبالرغم من ذلك تزوجها، ولكن كل ما تلى ذلك كان تخبيصاً منه.

ولدت في الخامس عشر من حزيران 1957، عندما كانت فرقة كاونت بيزى أول فرقة زنجية تعزف في ستار لايت روم في قاعة أوتيل أستوريا في نيويورك. وفي 6 تموز من العام نفسه كانت لاعبة التنس إليسا غيرسن الزنجية الأولى التي تفوز ببطولة ويمبلدون، وفي 29 آب صوت الكونغرس على قانون الحقوق المدنية الذي اقترحه الرئيس أيزنهاور للمساواة في العمل، ولم يمض وقت طويل قبل أن يستعين أيزنهاور بالحرس الوطني للجمع بين مدارس البيض والسود. وإذا أردنا أن نكون صريحين لم يعن قدومي إلى هذا العالم شيئاً إلا لي ولأمي نظراً لازدحام العالم بالأحداث المهمة.

في محاولة من أبي للتقارب من عائلة أمي التي يدرك مقدار حبها للموسيقى أسماني جونة ألينغتون باسي هاينز ألدريج ويلسن هامبتون كيرك، وبعد كل هذه السنين لا تزال شهرة ألينغتون وباسي تشقاً الأفق ولكن قلة من غير عاشقي الموسيقى يعرفون من هو ألدريج، مع أنه كان من أعظم عازفي البويق في فرقة جان كرويه الأسطورية، في بدايات الحرب عندما كانت أنيتا أوداي تسعى لتغيير نظرة المجتمع للفنانة.

أما ويلسن الذي يشكل جزءاً من اسمي، فقد كان بمثابة تقدير للفنان تدي ويلسن الذي وصفهبني غودمن بأنه أعظم من عزف موسيقى راقصة حتى يومنا هذا. لقد بدأ ويلسن العزف مع فرقة غودمن قبل أن يؤسس فرقته الخاصة ويتهي به المطاف ليعزف مع ستة موسيقيين. ومن يستطيع الحصول على تسجيل لمعزوفاته يمكنه معرفة أهميته. كل الأسماء التي يتكون منها اسمي حملتني أكثر من طاقتى لأحيى أسماءها، وكم تمنيت أن يقتصر اسمي

على جونة كيرك، وكم قارني الجميع بجدي وعلقوا علي آمالاً عرضاً.  
يوم مولدي أتى جدي تيدي وجدتي أنتا لرؤيتي أولأ في حضانة  
المستشفى ثم بين يدي أمي، وكان أبي في غاية الحماسة لإخبار جدي عن  
الاسم الذي اختاره لي، ولا أخفكم سراً أتني لا أذكر شيئاً من ذلك اليوم،  
ربما لأنني كنت في غاية الحماسة للبدء بدراسة عزف البيانو كسائر أفراد  
عائلتي، وعندما أبلغ أبي جدي باسمي وأخذ يسرد الأسماء التي يتكون منها  
لم يجد عليه السرور وإنما اكتفى بهز رأسه.

يمتلك جدي ابتسامة دافئة قادرة على إذابة الثلج وجعل الماء يتبعثر،  
حتى إن أكثر الأطفال خجلاً كانوا يقتربون من ذلك العملاق الدمش الأخلاق.  
ولكنه عندما كان يغضب ويعرف من غضب منه أنه السبب كانوا يتذكرون يوم  
البعث، ويسعون بكل ما أوتوا من جهد للتکفير عن غلطهم تجاهه، وبالرغم  
من ذلك قلة هم من رأوه غاضباً. إن من يسبب غضب جدي وإحباطه كان  
يدرك بسرعة كم هو بحاجة إلى رضاه ك حاجته إلى الماء والطعام والهواء.

بالرغم من أن جدي لم يقلها يوماً إلا أنني تعلمت منه أن حب الناس  
يمنحك قوة أكثر من خوفهم منك، أيًّا يكن الأمر فقد عبس جدي فترة طويلة،  
في الوقت الذي أمسك أبي بيد أمي بينما كانت تحملني بيدها الأخرى، في  
النهاية نظر جدي إلى زوج ابنته وقال له: "هناك الكثير من الفرق العظيمة،  
ولكن أي منها لا تشبه الأخرى، وهناك من يقول إن الموسيقى الراقصة هي  
التي تركت البلد متلامساً خلال فترة الحرب، كما تعرف كنت أعزف مع أكبر  
فرقة في البلد ولكنني في الوقت عينه كنت أعزف مع فرق جيدة ولكنها أقل  
شهرة، وهذا ما ترك لدى الكثير من الذكريات مع أشخاص مروا في حياتي.  
لا أخفي إعجابي بالأسماء التي ذكرتها بين اسمي جونة وكيرك؛ ولكن هناك  
أسماء كثيرة كانت عظيمة، ولكنك أغفلتها، وكانت ستجعل ابنك يحتاج إلى  
ورقة كاملة ليكتب اسمه". فهمت أمي قصد والدها بخلاف أبي.

قال أبي:

- ولكنها أسماء نرحب بسماعها جميعاً.
- فرد جدي:
- أنت محق ولكنها ليست أسماء مرتبطة بعملنا في المطاعم. أعمالهم رفعت من أمزجة كثيرين ودفعتهم للقدوم إلى المطاعم للاحتفال. ولكنهم، بالرغم من ذلك، موسقيون نجدهم أليس كذلك يا أبيتا.

أجابته جدتي:

- صحيح إنني أحب الموسيقيين وقد تزوجت أحدهم، وابتني واحدة منهم، وبيدو أنك نسيت ذكر الإخوة دورثي.

فأجابها جدي:

- كلام أنسهم، ولكن ريفي جف من كثرة الأسماء التي ذكرتها، ولا يجوز أن ننسى فردي مارتن أيضاً.

أجابته جدتي:

- كانت طريقة عزفه على الساكسوفون آسراً.

فأجابها:

- وأيضاً كلود ثورنهل.

قالت جدتي:

- وفرقته كانت من أفضل الفرق العازفة، وكان شخصاً خفيف الظل. عندها وصلت الرسالة إلى والدي، ولكن لم يرغب بالاستمرار بالإصغاء، فقد كانت لديه أسباب كافية للحقد على البيض، ولكن وبهدف التناغم الأسري، كان يمكنه إضافة ثورنهل وغودمن إلى اسميه، ولكنه لم يستطع الإقدام على هذه الخطوة.

قال أبي:

- لقد حان موعد الذهاب إلى المطعم.

و قبلني وأمي و حضن جدتي وأوّماً لجدي و غادر .  
يمكّنا القول مما تقدّم أن التشنّج كان سمة أوّل لقاء أسرى بعد مولدي .  
زلزلت حياة أمي للمرة الثانية عندما تركنا والدي وأنا ابن ثمانية أشهر ،  
يوم صرّح بضرورة تركيزه على عمله ، وبما أنني كنت دائم البكاء لم يكن  
يستطيع النوم في الغرفة الأخرى . وقال إن هناك شخصاً مؤمناً بموهبيه عرض  
عليه العمل في مطعمه كشيف بدلاً من طاهٍ ، وأنه بالرغم من أنه سيبعده عنّا إلا  
أنه سيشكّل نقلة نوعية في حياته المهنية .

ولذلك ، ول حاجته للتركيز ، وجب عليه تركنا ، وقال إنه سيعود إلينا لأنّه  
يحبنا ، ولكنه لم يقل متى سيعود ، كم كان غريباً أن يقول إنه يحبنا ثم يتركنا  
ويعدنا بأن يرسل إلينا المال ، ولكنه نكث بوعده بعد أربعة أسابيع . وقتها كانت  
أمّي قد وجدت عملاً في ولورث ، وبدأت بالغناء في مكان دون المستوى  
يدعى جزكيه ، وقتها كانت الأيام عصيبة ولكنها لم تكن خطيرة .

لن أستطيع أن أسرد لكم تفاصيل حياتي شهرياً وسنويأً، لذا سأستعين باللة التسجيل هذه، وأعتبرها بمثابة آلة للزمن أتقدم وأتأخر عبرها، ربما أستطيع بذلك أن أخبركم عن كيفية ترابط الأمور الغريبة في حياتي، وهذا الترابط لم يكن جلياً بالنسبة إليّ عندما كنت في صلب الأحداث. وأعتقد أن الوقت قد حان للحديث عن المرأة التي بدأت تظهر في حياتي في الأوقات المهمة، دائماً تكون موجودة، أو تظهر كأشعة الشمس التي تخترق السماء الملبدة بالغيوم.

ظهرت أول مرة في نisan عام 1966 عندما بدأت محاولة كره البيانو، لأنني ظنت أنني لن أحترف العزف يوماً. كنت في التاسعة من عمري، وكان ذلك قبل عام من وفاة جدتي أنيتا. وفي كانون الأول السابق عاد أبي ليمكث معنا مرة أخرى. لم تفك أبي يوماً بطلب الطلاق فهي بالرغم من اعتبارها أن الزواج رباط مقدس إلا أنها لم ترفض طلب الطلاق لهذا السبب، فقد فكرت أنها ستستطيع إبعاد الشبان والرجال الذين يرغبون بالتودد إليها في الأماكن التي تعمل فيها عندما تخبرهم أنها متزوجة وأم، وأنها مسيحية متدينة وليس بحاجة لرجل آخر في حياتها. ووفقاً لما اعتقدته أن كل واحد من الأشياء الآنفة الذكرة لم يكن كافياً لإبعاد المتوددين إليها، فهي بحاجة إلى الثلاثة معاً لدعم حجتها.

خلال السنوات الشهانبي التي ابتعد فيها أبي عن أسرته لم يتمكن من إيجاد الشخص الذي يدعمه لافتتاح مطعمه الخاص، ولكنه تمكّن من ارتقاء السلم الوظيفي وتحول من طاهٍ إلى شيف. كان دخله أقل من السابق لأن صاحب المطعم الذي كان يعمل لديه كان يقتطع من راتبه حتى يتمكن من شراء 35

بالمئة من أسهم المطعم، وبعدها يصبح هدف الحصول على الأسهم الباقية وفقاً لسعر اتفقا عليه سلفاً.

بعثت عودة أبي البهجة في نفس أمري، ولكنني لم أكن مثلها فهذا الرجل لم يكن يعرف التصرف كأب، ففي أوقات غضبه كان مفرطاً في عقوباته، وعندما يكون في مزاج جيد ويُسعى للتصرف كأب صالح لم يكن يعرف الأشياء التي يجب على الآباء القيام بها؛ فالتجول في قسم الأدوات المنزلية في السوبر ماركت ليس نزهة تبهج طفلاً، كذلك هي حال شرب البيسي، بينما الأب يتجرع الشراب مع أترابه ويطلق النكات. وما زاد الأمر سوءاً رفضه أن أتلقي دروساً بالعزف على البيانو، ففي ذلك الحين كنت كلما زرت منزل جدي أجلس إلى البيانو وأتأمله وكانت لدى معرفة لا بأس بها بكيفية العزف، لكن والدي رفض، وعندما أظهرت أمري وقوفها إلى جانبي وافق على مضمض ولكنه أجل الأمر بحجة أن لا أموال لديه لذلك الآن. وعندما عرض جدي أن يصطحبني إلى منزله عدة مرات في الأسبوع لأنّي لا أتعلم العزف، رفض بحجة أن المسافة التي تفصل البيتين بعيدة ومتعبة لفتى صغير بعمري، وأعلن أنه عندما سيشتري بيتاً سيشترره بالقرب من منزل جدي، وبذلك يمكنني حينها الذهاب للتعلم في منزل جدي. هكذا رأى منطقية الأمور.

"أيا يكن الأمر تعرفيين رأي أبيك في فأنا لست أحب الناس إلى قلبه، وأنا لاأشعر بأن الأمر مناسب أن أرسل ابني إليه لكي يخشوا رأسه الصغير بأفكار ضد أبيه، أعرف أن والدك لن يقوم بذلك عمداً فهو ليس شخصاً لئيناً، ولكنه سيسمم أفكاره من دون قصد، وعما قريب نشتري منزلاً وتصبح الأمور أكثر منطقية". هذا ما قاله أبي.

بعد ذلك خرجت وجلست على مصطبة درج البناء، وضعـت رأسي بين يدي، وكان جلياً لكل من يمر بي مقدار التجهم لدرجة أن من مرروا بي أشاحوا بوجوههم عنـي. أذكر أن ذلك اليوم النيساني كان شديد الحر والرطوبة حتى

إن الهواء كان راكداً، لدرجة أن ريشة عصفور سقطت منه بشكل مباشر وكأنها حجر يُلقي في بركة مياه، وبعد ذلك، هبت نسمات جعلت الريشة على الأرض تحلق وتلتتصق بشفتي، عندها فركت عيني وعطست وسمعت امرأة تقول: "مرحباً داكس كيف أحوال الدنيا معك؟". أعرف أن معارف أمي بين الفنانين والراقصين كثرة، ولكن تلك المرأة الطويلة النحيلة ذات الساقان النحيلة والبشرة السمراء والتي تعتصر قبعة زهرية اللون وتحمل مروحة من الريش الرمادي اللون لم تكن واحدة منهم. صعدت المرأة الدرج برشاقة وليونة وثبات حتى يخيل إليك أنها لا تصعد الدرج بل تقف على درج كهربائي. بدت لي بذلتها الوردية وقميصها الأبيض وقبعتها الزهرية ومروحة الريش الرمادية التي تحملها بيدها وكأنها قاصدة أحد المطاعم الراقية والمرموقه التي يرتدي فيها الندل بدلات رسمية. وبالرغم من أناقتها المفرطة اقتربت مني وجلست إلى جنبي على الدرج وخاطبني قائلة:

- أتعلم أن من الوقاحة ألا يرد المرء عندما يخاطبه أحدهم. وأنت أيها الشاب لا تبدو لي وقحاً.
- العالم مرف.
- هناك أمور مقرفة في العالم يا داكس ولكن القرف لا يعم العالم بأكمله. فهناك أشياء جميلة وذات رائحة عذبة مثلك تماماً، فأنت برائحة الملح والحامض التي تذكرني بالمارغريتا. أحببت رائحة عطري إنه فرنسي باهظ الثمن.
- كان عطرها خفيفاً برائحة الورد.
- لا بأس به.
- حسناً، داكس إن لم يعجبك عندما أعود إلى المنزل سألهي به عن الشرفة.
- أنا لست داكس.

- كنت سأتفاجأ لو كنت داكس، فالناس يطلقون على أبنائهم أسماء الأبطال وليس أسماء حيوانات مائية كالبطة (داكس).
- عندما سأله: ما اسمك؟
- ماذا تظنه.
- ألا تعرفينه.
- بلـى، ولـكـتـنـيـ أـسـأـلـ النـاسـ عـادـةـ ماـذـاـ يـظـنـونـنـيـ أـدـعـىـ فـيـ الـمـرـةـ الـأـوـلـىـ التيـ يـرـوـنـيـ فـيـهـاـ.
- كـانـتـ اـمـرـأـ جـمـيـلـةـ عـذـبةـ الرـائـحةـ صـدـقـونـيـ حتـىـ الـأـطـفـالـ، مـمـنـ هـمـ بـسـنـيـ يـعـرـفـونـ وـيـقـدـرـونـ الـجـمـالـ.
- قالـ جـوـنـةـ:
- ذاتـ مـرـةـ كـنـتـ أـشـاهـدـ فـيـلـمـاـ عنـ مـجـمـوعـةـ منـ الشـبـابـ يـبـحـثـونـ عـنـ كـنـزـ فـيـ الـبـحـرـ الـكـارـيـبيـ، أحـدـاثـ الـفـيلـمـ تـنـاـولـ فـتـرـةـ الـقـراـصـنـةـ. كـانـ الشـبـانـ يـبـحـثـونـ عـنـ لـؤـلـؤـةـ مـمـيـزـةـ وـكـانـ تـمـيـزـهـاـ يـعـزـىـ لـثـلـاثـةـ أـسـبـابـ: حـجمـهـاـ؛ فـقـدـ كـانـتـ كـبـيرـةـ بـحـجـمـ خـوـخـةـ. وـلـونـهـاـ؛ فـهـيـ لـمـ تـكـنـ يـضـاءـ أوـ وـرـدـيةـ بلـ كـانـتـ سـوـدـاءـ لـامـعـةـ، وـكـانـتـ عـمـيقـةـ. كـانـ أـجـمـلـ بـيـرـلـ رـأـتـهاـ عـيـنـايـ لـذـاـ أـعـتـقـدـ أـنـكـ تـدـعـيـنـ بـيـرـلـ.
- خـفـضـتـ رـأـسـهـاـ وـابـتـسـمـتـ لـهـ، وـفـكـرـتـ إـنـ كـانـ لـطـيفـاـ وـدـمـثـاـ مـعـ الـجـنـسـ النـاعـمـ بـمـثـلـ هـذـاـ السـنـ فـهـيـ تـتـوـقـعـ أـنـ يـكـوـنـ رـجـلـاـ خـطـيرـاـ عـنـدـمـاـ يـكـبـرـ. وـقـالـتـ:
- مـنـذـ الـآنـ أـنـاـ أـدـعـىـ بـيـرـلـ، فـمـاـ مـنـ اـسـمـ أـحـبـ أـنـ أـدـعـىـ بـهـ سـوـىـ بـيـرـلـ يـاـ جـوـنـةـ.

بعد مضي ساعات انتبه أنه لم يخبرها أنه يدعى جونة.

تابعت السيدة وسألته: قلت إن ما يميز البيرل ثلاثة أشياء الحجم واللون وماذا أيضاً.

- إنها تمنع صاحبها الخلود.  
- سوداء وكبيرة وعميقة.. أنا أحب أن أكون بيرل.  
مررت ستة على هذه المحادثة قبل أن تخبرني بيرل أنها روح المدينة  
التي تسكن جسد إنسان.

"تبعد حزيناً ومتشائماً يا جونة وكأنك تقبع في ظلمات بطن حوت،  
ولكن انتبه وانظر حولك، شاهد كم هو جميل هذا اليوم الريعي، وبما أن  
معدة الحوت لم تهضمك فأنت لست بحاجة لشمعة تنير لك الدرب على  
الحياة الرحبة، احرص على عدم إهدار يوم ربيعي جميل، فحياتك لن يمر بها  
أيام كثيرة بمثل هذا الجمال. هيا أخبرني ما الذي يزعجك".

كان الحديث معها سهلاً ربما لطريقتها السلسة في الكلام. فقلت لها:

- أريد أن أصبح عازف بيانو ولكن لا يبدو أن ذلك سيحدث.  
- إذا كنت ت يريد أن تصبح عازفاً فلم أنت هنا؟ يجدر بك أن تكون  
بالقرب من بيانو.  
- لا أملك بيانو.

- يوجد بيانو في مركز المدينة تستطيع الذهاب عندما تكون أمك في  
العمل ولا تكون السيدة دوناتا متاحة. (دوناتا هو اسم السيدة لورانزو  
التي كانت أمي تضعني عندها عندما تذهب إلى العمل). إذاً السيدة  
بيرل هي صديقة للسيدة لورانزو وربما أنت لزيارتتها.

- لا يوجد بيانو في المركز.  
- أنا متأكدة من وجود بيانو. كان المسؤول السابق عن المجمع  
يغمس صوت البيانو وزقزقة الطيور والرقم تسعة واللون الأزرق  
والكرسمس. تخيل أنه كان يضع الشجرة يوم الرابع والعشرين  
وبيزيلها صبيحة السادس والعشرين، ولا يسمح بتزيينها سوى بدمية  
لسانتا توضع عند أعلىها وتعلق من عنقها، تخيل أنه أزال الرقم 9

من لوحة العقار وترك فراغاً بين الرقمين 4 و8 كما أنه غير طلاء كل الغرف الزرق وبلغ به الأمر أن وضع البيانو في المستودع، وقد بلغ استياء الناس منه أنهم يتداولون شائعة أنه قتل الببغاء والتهمه. ولكن الوضع الآن تغير فقد دهسته حافلة عندما اجتاز الشارع والإشارة الضوئية حمراء. ولكن المدة القصيرة التي أمضتها مديرأً للمركز ألحقت أضراراً بالغة. يمكنهم إخراج البيانو عبر المصعد عندما تريده. في تلك الأثناء مرت حافلة ونفثت دخاناً كثيفاً فتساءلت إن كانت هي الحافلة نفسها التي دهست المدير.

- لن يخرجو البيانو من أجل فتى مثلبي، كما أنه لا حاجة للبيانو ما لم يكن هناك معلم.

- سيكون هناك معلم، ثق بي. كل ما يجدر بك فعله هو التوجه في الغد إلى هناك بعد وقت قصير من فتح المركز أبوابه وسترى. أياً يكن الأمر يجب عليَّ أن أمضي في حال سبيلي الآن. نزلت الدرج ولم يصدر كعب حذائها صوتاً وأخذت تبعد شيئاً فشيئاً.

تبعتها ووقفت على الرصيف لأشاهدها، لقد بدت بثيابها كالعصفور. لم تكن تشبه الببغاء بل طائر فلامينغو أنيق.

كنت أظن أنها ستستدير وتلقي على نظرة، لكنها لم تفعل بل انعطفت شمالاً وغابت عن ناظري.

قربت يدي من أنفي، وشممت رائحتهما، كانت رائحة الحامض واضحة، فلقد كنت أساعد أمي في تحضير الليمونة قبل أن تأتي. لقد مر وقت طويل على مكوثي في الشمس وتعزقت، وعندما تذوقت يدي تذوقت طعم الملح ولكن لم يكن هناك أثر لرائحته.

على مدى السنوات التالية التقيت بالأنسة بيرل عدة مرات في عدة مناسبات وها أنا في السابعة والخمسين من العمر وكلّي ثقة أن حياتي كانت

لتبدو مختلفة وربما أقصر لولا اهتمامها بي.

في اليوم التالي قصدت مركز المدينة ووجدت بيانو في قاعة أبيغل لويس توماس. لقد سُميت هذه القاعة على اسم رجل صالح ساهم في تطوير المركز، في فترة سبقت وجودي ولو كفكرة في ذهن والدي، كان بيانو لاماً من ماركت ستين واي. كان البيانو أكثر جمالاً من السيدة بيرل وكانت السيدة ماري أوتول تعزف عليه معزوفة ستاردس لهوغو كارل ميشال، وكان عزفها أعزب عزف سمعته في حياتي.

كانت ماري خفيفة الظل، مرحة زرقاء العينين، والنمش يغطي وجهها، أما شعرها الأحمر الذي تخلله بعض الشعرات البيضاء فكان مقصوصاً قصيراً، وبدا الخلل في التسريحة واضحاً لأن من قصته لم تكن إلا صديقة ماري التي لم تكن مختصة، فماري كانت تكره الحلاقين وصالوناتهم، ابتسمت لي السيدة ماري وأومنأت برأسها لأدنو منها، وهذا ما فعلته، وعندما فرغت من العزف قالت:

- هذا البيانو جديد، أحدهم أخذ القديم وجلب هذا سراً.
- أليس هو نفسه البيانو القديم.
- كلا، فالقديم كان غطاوه مختلفاً، وقماشه مليء بالبعث، ودعسته معطلة. أحدهم حسن الخلق والأخلاق جلبه، كم أود معرفته لأشكره. وكم وددت لو قلت لها إن السيدة بيرل هي من قامت بذلك لكنني أحجمت.

في ذلك اليوم كان درسي الأول في البيانو.

في الليلة ذاتها أتى أحدهم غرفة نومي الصغيرة، وجلس على طرف السرير ما جعل الفراش يتحرك، حتى إن النابض المعدني أسفل السرير أصدر صوتاً. لا يمكنني أن أحدد أكنت مستيقظاً أم نائماً أحلم، ولكنني تساءلت لم تأتي أمي إلى غرفتي في مثل هذا الوقت المتأخر، ولكن قبل أن أتمكن من الاستيقاظ سمعت صوتاً مألاًوفاً يقول: "نم يا داكس، إنك تملك اسمًا ووجهاً وحلاًماً. الاسم هو لوکاس دراكمان وهذا وجهه".

نظراً لغرابة الأمر وضعت رأسِي على الوسادة، وأغمضت عيني، وغرقت في أعماقِ الحلم. فرأيت وجه شاب يأتي من مكان بعيد، بدا الوجه مضاءً بطريقة غريبة وهناك ظل على الوجه.

بدا الشاب في السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمره. شعره أشعث وجيئنه عريض، وعييناه عميقتان ومتقدتان بما ينم عن شخصية جامحة، وكان أنفه صقرياً بخلاف فمه الذي بدا أنثوياً، أما بشأن البشرة فقد كانت شاحبة ومتعرقة. بعد ذلك تتابع الحلم ولكنني لم أر وجهه مجدداً بهذا الوضوح.

هالة من الغضب والتجلُّ أحاطت بلوکاس ولكنني في تلك المرحلة لم أعتبر الحلم كابوساً. مصدر الضوء الذي يضيء وجهه كان مصباحاً يدوياً يضعه بين ذقنه ورقبته، في تلك الأثناء تناول مجوهرات ولولؤاً وسلالسلي كانت موضوعة في كيس قماشي، ربما كان غطاء وسادة من قبل. تماماً كما يحدث في الأحلام عندما ينتقل شخص من حلم إلى آخر، انتقل لوکاس إلى خزانة كبيرة أشبه بغرفة، وانتشر نقوداً وبطاقات مصرافية من حقيبة، بالإضافة إلى بطاقة تعريف شخصية مكتوب عليها روبرت دراكمان.

بعد ذلك وجدت لوکاس يسلط ضوء المصباح على جسد ممدد على السرير وقد بدا لي الجسد متالماً، فقد أطلق عليه الرصاص في وقت سابق، في تلك الأثناء لم أكن خائفاً بقدر ما كنت حزيناً.

عندما قال لوکاس: "كيف حالك يا بوب ما أخبار جهنم، أدركت الآن أن إرسالي إلى الأكاديمية الحربية كان تصرفًا غبياً، يا لك من جاهل معтен بنفسه". وأنهى حديثه بشتمه.

عند ذلك سلط ضوء المصباح تجاه امرأة في العقد الرابع من العمر، لا شك أنها أم لوکاس نظراً للشبه الكبير بينهما، يبدو أنها استيقظت ما إن بدأ بإطلاق النار. أطلق النار على صدرها وعنقها بينما كانت تبعد غطاء السرير عنها، فارتطم رأسها بحافة السرير الخلفية. وبدت عيناهما الزرقاواني عاجزتين عن رؤية المشهد المهول، أما فمها المفتوح فكان عاجزاً عن إطلاق صرخة لأنها فارقت الحياة. في تلك الأثناء شتمها لوکاس بكلام أربأ بنفسه عن قوله هنا..

عندما بدأ النور بالتللاشي مع مغادرة لوکاس باتجاه الردهة قبل أن يحل الظلام، وانتابتي حالة من الحزن الشديد ترافق مع تلاؤ عيني بالدموع.

عاد صوت المرأة التي جلبت البيانو ووضعته في صالة أبيغل تو ماس وقال: "تذكرة يا داكس وجه الشاب وكلامه المفعم بالكرابية، احتفظ بما شاهدته لفسرك، ولا تخسر به أحداً يمكن أن يشكك بما حلمت به، أو يهزأ بك، كل ما هو مطلوب منك هو تذكرة الحلم".

أعتقد أنني كنت مستيقظاً عندما دخلت تلك المرأة غرفتي، ولكن لا يمكنني الجزم بذلك، ربما حلمت بها وربما حلمت بلوکاس، وفي الظلام أحست بيد تلمس جبيني بكل حنان وسمعت صوتاً يقول لي: "نم يا طفلي". وعندما لم أستطع أيضاً أن أجزم أكنت مستيقظاً ونمت أم كنت نائماً في الأصل.

استيقظت وقد تسلل نور الفجر عبر النافذة، وأحسست أن الحلم لم يكن محض خيال بل ربما تجربة وقعت فعلاً في مكان ما في وقت مضى.

بينما كنت مستلقياً، ومع اقتراب الوقت من الصباح، وبين شك ويقين، انتهى بي المطاف متشككاً، ولكنني بعد كل ذلك عندما هممت بالنهوض شممت في الغرفة رائحة شبيهة بعطر السيدة بيرل، وبعد ثلاث استنشاقات اختفت الرائحة.

الجزء الثاني من قصتي لا يعدو كونه نقلًا أميناً لما حصل في حياتي. كانت أمي تكذب لتحافظ على براءاتي ولكنني لم أظن أن تبلغ هذا القدر من الإتقان.

قبل بلوغي عامي التاسع بأسبوع وقبل موت الجدة أنيتا بعشرة أشهر باشرت دروس الموسيقى بفضل السيدة بيرل، وكان قد مضى على عودة أبي إلى المنزل ستة شهور قبل أن يبالغ في إفساد الأمور.

كنا نعيش في شقة في الطابق الرابع، ولم يكن أبي يجلب نقوداً كافية لنتفق منها لأن راتبه كان عرضة للإقطاع من أجل شراء أسهم له في المطعم الذي يعمل فيه. السيدة لورانزو التي تقيم أيضاً في الطابق الرابع والتي لم يكن زوجها قد توفي، كانت نحيلة وجميلة بمقدار جمال آنا ماريا ألبيرغتي، تلك المغنية الموهوبة والتي مثلت أفلاماً عديدة قبل أن تنتقل إلى برودواي. "كارنفال" كان أشهر أفلامها وفازت فيه بجائزة قبل أن تلعب دور ماريا في فيلم وست سايد ستوري، وبالرغم من كل ذلك لم تكن مشهورة كالنجمات ذوات الأصول الإيطالية، وفي كل مرة أرادت أمي أن تصف مقدار جمال امرأة إيطالية كانت تشبهها بآنا ماريا ألبيرغتي.

ما سأقوله الآن حصل في ظهيرة أول ثلاثة من شهر حزيران، المصادر لليوم الأخير من سنتي الدراسية في مدرسة سانت سكولاستكا. وقتها كنت أحلم بالعزف والموسيقى والشهرة بينما الأخوات يتحدثن عن العلم والتعليم. يومها غادرت أمي في العاشرة إلى عملها في مطعم ولورث لتكتشف من العاملين الصباخين أن حريقاً شب في المطبخ وسيقفل المطعم اليوم

لإجراء الإصلاحات الضرورية، فعادت أدراجها إلى البيت قبل أربع ساعات من موعدها المعتاد. وتوقت أن تجد أبي في المنزل، فهو يأتي من عمله الثالثة فجراً وينام إلى العادية عشرة قبل أن يستيقظ ويستحم ولكنها وجدت أنه غادر.

وبينما كانت ترتب السرير وتغير ملابس العمل سمعت صوت السيدة ديلفайн وهي تتمرن على الروديو. يا لها من سيدة جميلة تنشر مقالات في الصحف على حسابها، وهي تكتب رواية عن الروديو. وقد سكنت الشقة فوق شقتنا منذ ثلاث سنوات، وغالباً ما كنت أسمع من شقتها أصواتاً تشبه وقع سنابك الأحصنة، وكان الصوت الإيقاعي يزداد تدريجياً قبل أن يخبو في النهاية ولكنه لم يكن مصحوباً بكلام. عندما أتت السيدة ديلفайн وسكنت في الشقة فوق شقتنا كنت في الخامسة، وكانت أمي تخبرني عندما أسألها عن مصدر الأصوات أن السيدة ديلفайн جلبت حساناً آلياً لتدريب على الروديو، لتدخل أجواء الرواية التي تكتبها. بالرغم من عدم اقتناعي بشرح أمي إلا أنني قبلتها، وعندما كنت أستفسر عن الأصوات المصاحبة لصوت وقع السنابك كانت تقول لي إنها أصوات منبعثة من تسجيل لصوت ثور.

كانت لدى أسئلة كثيرة لأطربها على السيدة ديلفайн، لكنني لم أطربها لأن أمي قالت لي إنها بائسة ويستغرقها تعلم امتطاء الحصان وقتاً طويلاً. عاشت ديلفайн في الشقة التي فوق شقتنا بين عامي 63-66 في تلك الفترة وبالرغم من أهمية الجنس في حياة البشر، إلا أن الناس كانوا يتجنبون الحديث عنه أمام أولادهم لحمايتهم، في ذلك الوقت لم يكن لدى الأولاد قدرة بلوغ الإنترنت من خلال كبسة زر وتعلم كل ما يريدونه.

في السنوات التي لم يعش فيها أبي معي كانت أمي تلتقيه بين حين وآخر، وكانت تتيح له لقاءات في البيت. وقتها أرادت أن تقنع نفسها أن ما تقدم عليه

ليس خطأ، وأرادت أن تقنع نفسها أن أصوات الرجال متشابهة عندما يلعبون دور الثور.

عندما سمعت أمي ما يجري في شقة ديلفاین، جمعت ملابس وحاجيات أبي ووضعتها في حقيتي سفر ووضعتها على الدرج الخلفي للبناء. لماذا الدرج الخلفي؟ لأن للبناء الذي كنا نسكنه درجين أحدهما أمامي والآخر خلفي، ولكنه أضيق وأكثر عتمة. ومن خلال معرفة أمي بأبي كانت على يقين أنه عندما سيغادر شقة ديلفاین سينزل عبر الدرج الخلفي، يا لها من امرأة ذكية كيف تورطت مع هذا الغبي؟ في تلك الأثناء كان حكمها المبرم قد صدر بحق أبي، فهو زوج جبان وكاذب وزير نساء ولا مستقبل له بخلاف ما يعتقد هو شخصياً. رجل بهذه المواصفات لم تكن أمي بحاجة إليه. أبي رجل يخشى مواجهة العقبات التي تضعها الحياة في طريقه، وكان يحاول على الدوام خداع نفسه قبل خداع الآخرين عن حقيقة الحياة، فقد ظنها أكثر سهولة مما تبدو عليه. لقد كان بخلاف أمي التي لم تظن يوماً أنها بطلة بالرغم من أنها كانت بطلة في الحقيقة، إلا أنها كانت على ثقة حد اليقين أنها ليست جبانة، ولن تكون كذلك يوماً، ولن تعيش مع شخص جبان.

أخرجت أمي الحقيتين وضعتها على الفسحة الفاصلة بين درجي الطابقين الرابع والخامس، وجلست بهدوء وسكتة على بعد درجتين منها وأولتهما ظهرها. ومع مرور الوقت كانت وتيرة توترها تزداد، إلا أنها في النهاية سمعت باباً يفتح ثم يغلق، خرج من ذلك الباب رجل يصفر نغمة أغنية لقد خسرت الإحساس بالحب التي كانت الأغنية الأكثر شهرة في ذلك الوقت لبرايت برادر. كان تيلتون يحب تلك الأغنية، ويصفر نغمتها من دون أن يحسن بسخرية القدر، فهو لم يتتبه أن هذه الأغنية لم تكن مناسبة لهذا الجزء من فيلم حياته، وما إن وقع نظره على حقيتيه حتى توقف عن الصفير.

لقد كان تيلتون آلة لصنع الأعذار، فدائماً لديه عذر لكل ما يقدم عليه،

ويمكنني تخيل أنه أول ما رأها أطلق ثلاثة أعذار، بينما كان يحتفظ بذرينة من الأعذار الأخرى في رأسه للوقت الذي يحتاج إليها. من المؤكد أنه عندما رأى أمي تجلس على الدرج، توقف عن النزول، وأسقط بيده ماذا يفعل، تிளتون شخص سريع البديهة وحاضر الذهن على الدوام لتبرير تصرفاته، لكنه لم يكن كذلك في ذلك اليوم.

لقد أشعره جلوسها الهادئ بالتوتر، ربما لو هاجمته لعمد إلى الكذب والتبرير وادعاء البراءة، ولكن هدوءها حمله على الظن أنها تخفي سكيناً أو ما شابه، وأنها على وشك الهجوم عليه والثأر لكرامتها بمجرد مروره بالقرب منها حاملاً حقيقتيه. لذا، حمل حقيقتيه ووجهه يتقصد عرقاً، وبدل أن ينزل الدرج صعد إلى الطابق الخامس، عندها نهضت سيلفيا وتبعته، وعندما رأها تبعه بكل هدوء، أجهل وهوى وألقى بالحقيقتين على إطار أحد الأبواب وضرب قدمه به. لقد كان تிளتون شبيهاً بما تصوره الأفلام القديمة عندما يحاول لوريل وهاردي المترنحان إدخال شيء كبير وثقيل في مكان ضيق. تابعت أمي لحاقها به، وعندما وصل إلى الدرج الأمامي، أفلت إحدى الحقيقتين، فانزلقت على الدرج، وكاد ينزلق خلفها في محاولة منه للإمساك بها. ولكن أمي ووجهها الخالي من التعبير وبعينيها اللتين لا تبارحان التحديق إلى زوجها، لحقت به درجةً تلو الآخر وطابقاً تلو الآخر. ولأنه كان خائفاً من سكين لم يكن له وجود، كان ينظر إلى الخلف ويتعثر في خطواته كالسكر، ويدو أن الخوف فعل فعله معه، فقد تعرقت يداه بدليل أن الحقيقتين كانتا تنزلقان من يديه وترتطميان بالجدران.

عند الدرجين الفاصلين بين الطابقين الثاني والثالث شاهد السيد يوشيوكا ذلك الخياط المحترم والأنيق والخجول في آن معاً المطاردة؛ يوشيوكا يعيش في الطابق الخامس ويظن الجميع أنه يخفي سراً كبيراً ومساوياً، وبلغ الظن بالجميع أن السيد يوشيوكا قد خسر عائلته في هيروشيمما. عندما رأى يوشيوكا

نزول والدي المترنح الذي لا يراعي فيه قانون الجاذبية ورأى وجه أمي وهي تتبعه بوجهها الحالى من التعبير قال: "لينجنا الله". واستدار ونزل الدرج متخطياً درجتين في كل خطوة، وعندما وصل المدخل الذي ظن أنه سيكون مسرحاً لجريمة قتل، أنسد ظهره إلى صناديق البريد مبعداً نفسه عن جريمة ظنها واقعة لا محال، لا ناقة له فيها ولا جمل.

خرج تيلتون من الباب الأمامي، وبدا كما لو أن البناء تقأه ورمى به خارجاً، فانفتحت إحدى الحقيبتين وألقت ما بداخلها في الشارع، فما كان منه إلى أن جمعها كيما اتفق وأغلق الحقيقة.

من نافذة صغيرة في باب المدخل شاهدت أمي زوجها يجمع أشياءه ويبعد، عندها ردت بصوت مرتفع كلمات الأغنية التي كان يصفرها، وأتبعتها بشتيمة من العيار الثقيل. وعندما استدارت لتصعد إلى البيت تفاجأت بالسيد يوشيوكا لا يزال في مكانه فقال لها: "سأصعد الآن إلى بيتي". فقالت له: "آسفه لما شاهدته وسمعته". فرد عليها قائلاً: "بل أنا المتأسف لما تمررين به". بعدها صعد الدرج كما نزله متخطياً كل درجتين معاً.

إن ما ذكرته للتو هو ما أخبرتني به سيلفيا بعد سنوات عديدة. في ذلك اليوم وبعد انتهاء الدوام المدرسي قصدت مركز المدينة لأتدرب على البيانو، وعندما عدت لم تقل لي أمي شيئاً، سوى أن أبي لن يعود للعيش معنا في المنزل، لأنه قصد منزل السيدة ديلفابين وشاركتها قصة الروديو وأنها لا تقبل بذلك بتاتاً.

في ذلك الوقت كنت صغيراً ويرثياً جداً لأفهم ما رمت إليه أمي، ولكنني كنت مبهوراً بالحصان الآلي، وكم تمنيت لو تتاح لي الفرصة لامتطائه (يا للبراءة ويا لمصيتك يا سيلفيا؛ الأب وابنه!).

ما أخبرتني به أمي عن سبب رحيل أبي لم يكن مقنعاً ولم يشبع فضولي. في الحقيقة، لقد تواردت إلى ذهني عشرات الأسئلة ولكنني كتمتها. لم

أستطيع إخفاء بالغ سروري برحيل أبي، فذلك سيريحني من سماع قصصه التي تشبه ثرثرة النساء. وعندما أخبرت أمي بسريري، ذلك السر الذي لم يكن بوسعي البوح به بوجود أبي، لقد أخبرتها أنني أتلقي دروس بيانو مع السيدة أوتوول منذ شهرين في مجمع المدينة. عندما احتضنتني واعتذررت لي، ولم أفهم وقتها سبب اعتذارها، وقالت لي: "ليس مهمًا أن تعرف سبب اعتذاري ولكن المهم أن تعرف أنني لن أدع شيئاً يحول بينك وبين عزف البيانو، أو بينك وبين أي من أحلامك".

بعدها أردفت قائلة: "هيا بنا نشرب الكوكاكولا احتفالاً بتحررنا".

وبالفعل قصدنا المطبخ وشربنا الكولا وأكلنا الكيك بالشوكولا، ولا تزال تلك الليلة ماثلة أمامي بالرغم من مضي كل تلك السنين. في ذلك الحين بدأت أمي العمل في سلينكز، ولكن تلك الليلة لم يكن لديها عمل، وهذا يعني أنها ستمضي الليلة معي. في تلك الليلة تحدثنا عن كل ما جال في بالنا عن فرقة البيتلز وتصدر أغانيها. كانت أمي تحب البيتلز، ولكنها كانت تقول إنها تفضل الجاز وأخبرتني عن أهم الفرق. كانت سيلفيانا تحفظ أعمالاً لفرق عديدة، وتجيد أدائهما إلى الحد الذي لم أظن أنها هي من تؤديها بل أن المغنين أنفسهم أتوا إلى مطبخنا وهم من يغنون لنا. بعد ذلك، أرتبني كتاباً يحتوي صوراً لأشهر مغنيات الجاز، ورأيت صور كاي ديفز وماريا ألينغتون اللتين كانتا تغنين مع فرقة دوك، وكان هناك صورة لبيلي داي التي كانت عضواً بفرقة ديزى، كانت صاحبات الصور جميلات حتى إن بعضهن كان باهرات الجمال، ربما كانت ديل أفلز أجملهن وكانت في الصور في عقدها الثاني، ولكنها بالرغم من جمالها لم تبلغ جمال ست الحبابيب سيلفيانا.

بالإضافة إلى ذلك استطاعت أمي تقليد إيلا بإتقان، إلى الحد الذي يجعل المستمع مضطراً لفرك عينيه للتأكد من أنهما لا تخدعنه. في تلك الليلة، حضرنا حسأ الطماطم وحمصنا شطائر الجبنة ولعبنا بورق اللعب.

بعد مرور سنوات على تلك الليلة وتلك الحادثة أعتقد أنها كانت الزلزال الثالث الذي زلزل حياة أمي، ولكنني في ذلك الحين لم أرّ الموضوع من هذا المنظور، وعندما خلدت إلى فراشي ظنت أن هذه الليلة كانت الأكثر جمالاً في حياتي إلى ذلك الحين.

اليوم الذي تلى تلك الليلة يمكنني أن أطلق عليه حسب تعبير صديقي مالكوم اليوم الذي تكون فيه الزبدة في الأعلى. صحيح أن المصائب كانت ستأتي لاحقاً، من يفكر بطريقة صحيحة يعلم أن المصائب آتية أياً يكن الأمر، فلماذا لا يت héج المرء ويستغل كل لحظة فرح.

اليوم الذي تكون فيه الزبدة في الأعلى.

لنغير الحديث ونتكلم عن مالكوم بوميرانتز؛ مالكوم موسيقى موهوب من الطراز الأول، يعزف على الساكسوفون حتى إنه بعمر التاسعة والخمسين يستطيع أن يعزف مقاماً كاملاً على الساكسوفون. إنه مجنون قليلاً، أو لنقل بمعنى أدق إنه متظير؛ فهو قد يفضل كسر ظهره على كسر مرآة. مالكوم ليس معقداً، ولكنه بحاجة إلى تمضية عدة ساعات أسبوعياً مستقلياً على الكتبة. ولمالكوم روتين حياتي إن لم تحبه فتحتماً أنت المجنون وليس هو.

في البدء، يغسل مالكوم يديه خمس مرات قبل العزف وبعد الغسل لا يلمس شيئاً سوى الساكسوفون، وإن حدث ولمس شيئاً فسيعيد غسل يديه. لاحظ لم أقل أربع مرات أو ست مرات بل خمس بالتحديد. ومالكوم لا يعنيه بنظافة يديه أثناء التمرن بل فقط أثناء العزف أمام الجمهور. شخصياً أكاد أجزم بأنه لو لم يكن يتمتع بموهبة خارقة، لم يكن ليحظى بعمل مع أي فرقة بسبب وسواسه هذا. تطير مالكوم لا يقف عند هذا الحد فهو قارئ نهم للجرائد، ولكنه نهار الثلاثاء يعتكف عن شراء الجريدة وعن قراءتها وعن سماع أخبار الراديو أو مشاهدة أخبار التلفاز لاعتقاده أن تلقيه أي أخبار يوم الثلاثاء سيتحول قلبه إلى رماد! إنني أفهم استغرابكم ولكن هذا هو مالكوم. ومالكوم بالرغم من حبه للفتر إلا أنه لا يتناوله مطبوكاً أو شيئاً كما أنه لا يقترب في السوبر ماركت من قسم الخضار الطازجة أو قسم المعلبات لوجود الفطر هناك. ولكن الأمر الأكثر غرابة هو ما سأحدّثكم عنه الآن، فمالكوم يحضر كل يوم قطعة توست بالزبدة زيادة عن حاجته، وبينما هو جالس إلى

الطاولة يلقي بها عمداً إلى الأرض فإن وقعت وكانت جهة الزبدة إلى الأعلى يلتقطها ويتناولها بشهية وتفاعل يومه، أما إذا حدث العكس فيلتقط القطعة ويرميها وينظر الزبدة عن الأرض ويتضرر أن يحمل له هذا اليوم أخباراً غير سارة.

ومن جملة الأشياء الغريبة التي يقوم بها مالكوم أنه يضيء في ليلة اكتمال القمر 17 شمعة في كنيسة كاثوليكية، ويضع 17 دولاراً في صندوق النذورات، وإذا سأله عن السبب فلا إجابة لديه، كما لا إجابة لديه عن سبب كل الأشياء الغريبة التي يقوم بها، ولكنني أظنه يقوم بذلك ليقي الأحزان راكدة. وأعتقد إن فكر هو بسبب قيامه بكل هذا فسيفقد كل الوسائل التي تساعده على التخفيف من آلامه ومعاناته وأحزانه. معظمنا يشفون رويداً رويداً من جراح الحياة، ولكن بالنسبة إلى مالكوم المفرط في الحساسية فلا رغبة لديه باندماج جراحه بالكامل، ربما ما يقوم به ونراه غريباً هو بمثابة ضمادات الجراح التي توقف نزف الجرح وتبيحه معقماً ونظيفاً.

إنني لا أستطيع تفسير كل الأمور التي يقوم بها، بالرغم من أنني أعرف سبب غسيل يديه وعدم أكله للفطر وعدم قراءة الجريدة نهار الثلاثاء وغيرها، فنحن صديقان منذ كنا في العاشرة من العمر، في ذلك الحين لم يكن مهوساً كحاله الآن، فجنونه المحبب تطور مع الأيام. مالكوم أبيض وأنا أسود صحيح أننا لسنا أخوين بيولوجيين ولكتنا متقاربان أكثر من معظم الإخوة. تجمعنا الأحداث الأليمة التي حدثت لنا. لذا، أحترم طريقة في التعامل مع الألم بالرغم من أنني أراها غريبة، ولن أفسر له يوماً سبب هوسه هذا، لأنني لا أريد حرمانه من مصدر راحته الوحيد في الحياة، فما يقوم به من أمور غريبة هو ما يبعث الراحة والطمأنينة في نفسه.

كلانا خسر شخصاً مهماً في حياته، كنا نعتبره بمثابة الحياة بعد ذاتها، وعدنا وخسرنا شخصاً آخر بعد عدة سنوات وبالتاريخ نفسه. أنا متفائل

بالحياة بخلاف مالكوم، ولكنني قلق من أن توافيني المنية قبله، لأنه عندها سيبالغ بكل الأمور الغريبة التي يقوم بها. وعندما بالرغم من كل ما يتمتع به من موهبة لن يستطيع العزف، فالعمل هو الخلاص بالنسبة إليه، لأنه كلما عزف أغنية فإنه يعزفها لشخص أحبه وخسره.

بسبب الحرير الذي شب في مطبخ ولوirth، لم يكن لدى أمي عمل ريشما يتم إزالة آثار الحرير، لذا رافقني إلى مركز المدينة لتستمع لعزفي وترى مقدار التقدم الذي أحرزته جراء الدروس التي أتلقاها مع السيدة أوتول. في الواقع خشيت أن لا يرضي عزفي شخصاً مثل أمي تغنى بكل مهارة وأريحية أغاني إيلا.

مهما وصفتها فلن أعطيها حقها، فقد تألفت وكأنها ذاهبة لحضور حفل يحتشد له ألف شخص، ارتدت فستانًا أصفر طُرز كماء بالأسود وانتعلت حذاء أسود، وفي طريقنا إلى المجمع الذي يبعد شارعين ونصف عن منزلنا لفتت أمي أنظار كل من شاهدها رجالاً ونساءً، بدت كأفرو迪ت إلهة الجمال ولم يجد أحد تفسيراً لمرافقتها لي.

ما إن وصلنا حتى عزفت أمي إلى السيدة أوتول، وهنا تبين لي أن هناك شيئاً يجمعهما ألا وهو جدي تيدي، فقد قالت السيدة أوتول إن زوجها الأول كان يعزف على الساكسوفون مع فرقة تشاك بيلز سنة 1941 بالإضافة إلى عدة عازفي ساكسوفون، ووقفها كان تيدي بلدسو عازف البيانو الوحيد في الفرقة قبل انتقاله إلى فرقة غودمن. عندما عرفت السيدة أوتول أنني حفيد تيدي تغيرت نظرتها إلى: وقالت: "ليبارك الله، الآن أستطيع فهم سرعتك في التعلم". في الحقيقة، كنت قد حققت تقدماً كبيراً في العزف، فقد كنت بمجرد أن أسمع مقطوعة لمرة واحدة أجلس إلى البيانو وأعزفها بكل دقة، لقد كانت لدى ذاكرة يمكن وصفها بالبصرية؛ أي ما يشبه قراءة رواية والقدرة على حفظها كلمة كلمة ومن مرة واحدة. وبذلك لم يكن هناك مقطوعة تستعصي

على، ولكنني بالطبع لم أكن أعزف بمهارة تيدي، وبالرغم من ذلك كان من يسمع عزفي يستطيع أن يعرف بجلاء المقطوعة التي أعزفها.

ولكي أعزف بشكل جيد لم أكن أقبل أن يجلس أحد بجانبي على المقعد، لأنني ابتكرت تقنية خاصة بي تمثلت بتحركي نحو اليسار واليمين بما يتبع ليدي القصيرتين الوصول إلى كل مفاتيح البيانو.

عندما عزفت وقفت أمي واستمعت، ولكنني لم أشأ النظر إليها كي لا تحملني نظراتها الداعمة على العزف أفضل مما أعزف عادة، وربما خشيت النظر إليها كي لا أراها تغمض عينيها وتغلق أذنها بيدها استثناء من عزفي.

بعدما انتهيت من عزف المقطوعة الأولى عزفت أغنية وتدفق الدموع كالنبيذ لأنني أودي وهي الأغنية المفضلة لدى أمي، وبعد المقطع الثالث رافقني أمي غناً، وصدقوني لو جمعتم أصوات كل المغنين في مركز المدينة لما استطاعوا بلوغ كمال أمي في الغناء، ربما يمكننا تشبيه جودة العزف والغناء بما يمكن للحاضرين أن يسمعوه في مسرح بارامنت أوتيل بنسلفانيا عندما تؤدي أودي هذه الأغنية بنفسها.

في تلك الأثناء، انتبهت إلى تجمع الناس في قاعة أبيغل توماس حيث كنت أعزف وترافقني أمي غناً لانجذابهم لصوتها وطريقة أدائها، كنت فخوراً بأمي وخجلاً بنفسي ولأجل أمي، لأنه لم يرافق غناءها عازف أفضل مني. وعندما أوشكنا على الانتهاء، ومع بلوغ أمي مستوى في الغناء أفضل من الرائع شاهدت السيدة بيرل بين الحشد، وأشارت نحوي بإصبعها، وكانت ترتدي الملابس الوردية التي كانت ترتديها يوم التقى بها للمرة الأولى قبل ثلاثة أشهر وجلست إلى جنبي على الدرج وأسممتني داكس.

لم أكن أطيق صبراً على تعريف السيدة أوتول إلى السيدة بيرل التي جلبت البيانو إلى المركز، وعندها تذكرت أنه مضى على وجود البيانو مدة هنا وبدأ يظهر شبيهاً بذلك الذي كان في المستودع. إليكم كيف يفكر ابن الثمانيني

سنوات: كنت أعتقد أن المعجزات تحصل ويمكن التراجع عنها خلال فترة وجيزة، ولكن إن مرت أيام وأسابيع وأشهر فإنها تصبح ثابتة ولا يستطيع أي كان التراجع عنها، وللصدق لا أزال أعتقد بهذا الأمر بعد أن تخطيت مرحلة الطفولة وبلغت الكهولة.

أياً يكن الأمر، أوشكت الأغنية على الانتهاء ولكنني بغباء قل نظيره أضفت مقطعاً للأغنية، ولكن لحسن حظي كان الحاضرون يعرفون الأغنية جيداً، وما إن انتهت أمي من الغناء حتى شرعوا بالتصفيق ولم ينصت أحد لما أضفته. فمعظم رواد المركز هم من عمر جدي وربما أكبر، لذلك كانوا يعرفون تلك الأغاني القديمة، وكان بمقدورهم مشاركة أمي الغناء لو لم يريدوا الاستماع إلى غنائها الآسر. ما إن انتهوا من التصفيق حتى طالبواها بأداء أغنية أخرى، وعندما نظرت إليها لاستشاف رأيها هزت رأسها إشارة إلى أنها لا تمانع.

في المركز كان هناك جناح خاص بالأسطوانات القديمة، وكانت قد استمعت منذ أيام لأغنية كل شيء يبدأ وينتهي معك التي غتها ملدرد بيلي ورفاقها بالعزف ريد نرفو ومن دون أن أسأل أمي بدأت بعزف موسيقى تلك الأغنية ورافقتني أمي بالغناء ما أظهر عزفها أفضل مما هو عليه، وعندما لاحظت الدموع في عيون العجائز، أدركت سبب كون الموسيقى مهمة فهي تذكرنا بأحبتنا، وبمن نحن، ومن أين أتينا وبكل الأوقات السعيدة والحزينة التي مررنا بها.

عندما انتهينا كان الجميع يريدون التحدث معنا، ولكن لم يكن لدى ما أقوله لهم سوى شكرأ. ويجب ألا أخفي عنكم حقيقة أن اهتمامهم كان منصبأ على أمي أكثر مني، وأرادوا أن يعرفوا أين تغنى، عندما أخبرتهم عن سلينكز لم يكن معظمهم سمع به بينما الآخرون الذين يعرفونه شعروا بالأسى والخيبة لأجلها. في غمرة احتشاد الناس على أمي، كنت أبحث عن السيدة

بيرل، وسألت الجميع تقريراً، إن رأوا امرأة نحيفة فارعة الطول ترتدي زياً وردياً لكنهم نفوا ذلك.

غادرنا مركز المدينة إلى الحديقة. في الواقع لم تكن حديقة بكل ما تعنيه الكلمة بل بعض أشجار متناثرة حول بضعة مقاعد يتوسطها تمثال برونزي لحاكم أو شريف المدينة، ولكنني أعتقد يقيناً أن صاحب التمثال كان ليشعر بالخجل لوضع تمثاليه في هذه الحديقة لو كان حياً الآن. لم يكن صاحب التمثال معروفاً بالنسبة إليَّ، على الأقل لأن المخربين انتزعوا اللوحة التذكارية الرخامية من أسفله. من مكاني لاحظت مقدار المساحات الخالية من العشب في الحديقة واصمأزرت من منظر السلال الطافحة بالزباله والأشجار المشدبة كييفما اتفق. حتى إن أكشاك بيع الجرائد والطعام كانت مهجورة. يا للهول أهي حديقة أم أطلال؟!

في تلك الأثناء قالت أمي:

- لم لا؟

سألتها:

- عم تتحدثين؟

فأجابتي:

- لم لا نقوم بشيء مميز اليوم؟

سألتها مجدداً:

- مثل ماذَا؟

قالت:

- أي شيء تريده. ولكن في البدء دعنا نغادر هذه الحديقة إلى أخرى أفضل منها.

بالفعل، غادرنا الحديقة، ووقفنا بانتظار سيارة تاكسي، أغلنا سائق يدعى ألبرت سولومون غليغ، إلى حديقة ريفر سايد كومنز. في تلك الأيام لم يكن

العازل الزجاجي بين السائق والركاب قد استعمل بعد، لأن أحداً لم يكن يظن أن السائقين قد يتعرضون لاعتداءات من قبل الركاب.

أدخل السيد غليغ البهجة إلى نفسينا من خلال تقليله لجاكى غليسن وفرد فلنسن الذي كانت شهرته قد بلغت الأفق بسبب ظهوره على التلفاز. وأخبرنا السيد غليغ أنه يستطيع تقليد لوسيل بول، ولكنه عندما قلدتها بدأ صوته أشبه بصوت بورنغناني، وهذا ما أضحكنا ملء شدقينا.

كان غليغ يحب العمل في التلفاز. وهذا ما جعلني أطلب من أمي أن تدون اسمه على ورقة حتى أتذكر عندما يصبح مشهوراً أنني التقى به يوماً. في الواقع، بعد سنوات كانت لدى أسباب وجيهة للبحث عنه وإيجاده، ولكنه لم يكن قد أصاب الشهرة التي يريدها. ولا تزال ذكرى المرتين اللتين التقى بهما محفورة في مكان عميق من ذاكرتي.

عندما وصلنا حديقة ريفر سايد، وقبل أن تدفع له أمي الإجرة، ترجل من السيارة، واتجه نحو بابها وفتحه بطريقة مسرحية وهو يشير نحو مدخل الحديقة. كان السيد غليغ سميناً وكث الحاجبين وذا خدين هلاميين، وكان كل شيء فيه يدعو إلى المرح، ولكنني أنا الفتى الشديد الملاحظة ضبطت فيه نقيصة تمثل بقبضه أظفار يديه.

عندما أصبحنا على الرصيف دفعت له أمي الأجرة مع إكرامية، فأخذ حقه ورفض الإكرامية وقال لها: "في بعض الأحيان يكون الركاب هم الإكرامية بحد ذاتها". وأردف قائلاً: "لدي شيء أريدك وابنك أن تأخذاه". وأخرج من جيبه قلادة معلقة بسلسلة. وعندما رفضت أمي أخذهما قال إنه سيصرخ بأعلى صوته ويستدعي الشرطة ويتهما زوراً بأمور لم تقدم عليهما، وريثما تثبت براءتها في القسم يكون النهار قد انتهى، وفات علينا تمضيته في الحديقة. فضحك سيلفيا، وأومأت برأسها وقالت: "لا أستطيع قبولهما". وقبل أن تنهي كلامها قال لها: "منذ ستة أشهر أفللت امرأة وطلبت مني إعطاءهما لشخص،

وعندما سألتها من يكون هذا الشخص قالت لي عندما تراه ستعرفه من تلقاء نفسك، وأنا أظن أنني وجدته، وأنني لن أقدمهما لشخص بل لشخصين هما أنت وابنك، هذه القلادة تجلب الحظ، وإذا لم أسلمكم إياها فستقلب الآية وتجلب لي حظاً سيئاً، أتريددين أن تدمري حياتي؟ ما الخطأ الذي ارتكبه بحقكم؟ هل كانت نكاتي سيئة. كوني طيبة وخذيهما وجنبيني سوء الحظ قبل أن أستدعي الشرطة".

كان من المستحيل التملص منه، وعدم أخذ القلادة والسلسال، وهذا ما حصل، وعندما غادر وجلسنا على أحد المقاعد أخذنا نتأمل القلادة التي بدت قليلاً مصنوعاً من قطعتين وبحجم الدولار الفضي، وكان بداخل القلب ريشة بيضاء صغيرة، موضوعة بطريقة بارعة لتجعل من ينظر إليها يظنها ثلاثة الأبعاد، حتى يخيل للناظر أنه يمكنها أن تتحرك داخل القلب، إن نفح عليها، وكان القلب مرتبطاً بالسلسال من خلال تعليقة فضية. عندها قلت:

- لا بد أنها قيمة.

فردت أمي:

- صحيح إنها ليست من صنع تيفاني إلا أنها جميلة، أليس كذلك؟  
فسألتها:

- لماذا أعطاك إياها؟

ردت:

- لا أعرف

فقلت لها:

- ربما أحبك؟

بنوع من الرعب أخذت القلادة منها فلم تمانع، فسألتها:

- أمتأكدة أن لا مانع لديك؟

أجابت:

- نعم.

عندما أمسكت بالسلسال وحركت القلب ذات اليمين وذات الشمال  
بدت الريشة وكأنها تطفو على الماء فسألتها:

- هل هي ريشة حمام؟

فأجابت:

- أظنها ريشة طائر أكثر جمالاً. ربما تعود لطائر مفرد، هل توافقني  
رأي؟

فأجبتها:

- لا، وأردفت: برأيك ما يجب علي أن أفعل بهذه القلادة؟ إنها أشبه  
بحلي النساء.

أجابتني:

- وما المشكلة إن كانت للنساء.

فأجبتها:

- الناس يستهزئون بي لنحافي.

فردت علي:

- أنت لست نحيفاً بل مرن - وربت على معصمي - وتابعت: ولئيم  
وآلة موسيقية في الوقت عينه.

دائماً ما سمعت أمي لرفع معنوياتي وجعلني أشعر أنني أفضل مما أنا عليه  
حقيقة. كنت أظن أن الأمهات يستطيعن رفع معنويات أولادهن بالفطرة، ولكن  
بمرور السنين علمت أن ما ظننته حقيقة مسلماً بها لم يكن كذلك، وأدركت  
مقدار الهبة التي منحني إياها الله بأن تكون أمي سيلفيا بليسسو. ومن مكان  
جلوسنا على المقعد في الحديقة قلت لها:

- لقد قال غليغ إن هذه القلادة ستمنحك الحظ.

فأجابت:

- وما الضير في أن يكون للمرء حظ جيد.

قلت:

- لكنه لم يقل إن بإمكاننا أن نطلب منها تحقيق أمانينا.

فأجابت:

- الأمانة هي أن يكون لك حظ جيد، تذكر إن الحظ الذي يأتي بسهولة تخسره بسهوله، ولكنك يا جونة تستحق أن تحظى بحظ جيد ولا تخسره.

قلت:

- لا أظن أن الحظ سيجانبني إن وضعت القلادة في جيبي بدل أن أطوق بها عنقي.

فأجابت:

- صحيح، وحتى لو وضعتها في دولابك لن يجانبك الحظ المهم أن تحافظ عليها، وتذكر عندما يهديك أحد شيئاً غير ثمين وتهتم به كما لو أنه كذلك يصبح بمثابة الكنز.

بعد سنوات علمت من أعطى القلادة للسائق وعندما أدركت أنها كنز بالفعل.

في ذلك اليوم الصيفي، وعندما وضعت القلادة في جيبي أحسست أن السماء الزرقاء الصافية ازدادت زرقة، والطقس ازداد دفناً، ولاحظت أن هذا القسم من المدينة أكثر نظافة من القسم الذي أتينا منه.

عند الظهيرة بدت أشكال ظلال الأشجار تشكل ما يشبه بيت العنكبوت، وتلألأًت أشعة الشمس على مياه البركة فرأينا أسماكاً ملونة تسبح، وهي لا تتوارد في البركة إلا في الربيع والصيف وبعدها تنقل إلى حوض داخلي في الشتاء. اشتربت أمي كيساً من فتات الخبز بـ 25 سنتاً وأخذنا نطعم الأسماك التي فتحت أفواهها لتأكل، وشعرت بشيء من الحب تجاهها وكأنها تجسد حي للموسيقى.

أخذت أمي تشير إلى الأسماك وألوانها، وفجأة شعرت أنني لا أستطيع التكلم عنها دون الشعور بغصة. فقد شعرت أن صوتي سيرتجف بمجرد أن أتحدث عن الأسماك، وربما ستدمع عيناي. وبدأت أسأل نفسي عن سبب ذلك فهي مجرد أسماك، وانتهى بي المطاف صامتاً أطعماً الأسماك بدون حرج. بعد مرور خمسين سنة على ذلك اليوم لا أزالأشعر بنوع من الحنان تجاه كل ما يطير أو يسبح أو يسير على قوائم أربع، ولا أشعر بخجل من هذا الإحساس، فالكائنات الحية يمكن أن تبهرك بطريقة تصرفها.

بعدما شاهدنا الأسماك، سرنا عبر طريق يخترق أشجاراً كثيفة، وتوجهنا إلى ملعب البيسبول، لم يكن مزدحماً، ربما لأنه لم يكن يوم عطلة والناس في أعمالها. وبينما نحن سائران نتحدث عن الغداء سار خلفنا شابان وكانا بين السادسة عشرة والسابعة عشرة من العمر، سارا على مقربة منا وكانا يسرعان

أو يبطئان من سيرهما إن أبطأنا أو أسرعنا، وكانا يتحدثا عن الفتاتين اللتين خرجا معهما بالأمس وما فعلوا معهما، وكان واضحاً أنهما يريدان أن يسمعا أمي حدثهما، لم أفهم غايتهما من ذلك، إلا أنني كنت مدركاً بذاءة كلامهما. مثل هذه الأمور كانت نادرة الحصول وقتها بخلاف اليوم. في تلك الأثناء حدقت إليهما بلؤم، فطلبت مني أمي أن لا أكرر ذلك، وعندما توجهنا نحو المخرج تبعانا. عندها استدارت أمي وطلبت منها الابتعاد، ووضعت يدها في حقيبتها. كان أحد الشابين أبيض البشرة بينما كان الآخر هسبانياً، فابتسمما بغرور بهدف بث الرعب في نفسينا ورفع الشاب الأبيض البشرة حاجبه وقال: "اسمع، تريدنا أن نبتعد عنها. ألسنا في حديقة عامه؟".

فرد عليه الهسباني: "صحيح ما تقوله، لاحظ، تبدو لي من الأمام أجمل من الخلف".

رفعت أمي حقيبتها وقالت: "هل لديكم أي أمنيات قبل أن تنتهي حياتكم".

فابتسم الشاب الأبيض وقال: "أتهديننا؟ ألا تعلمين أن السلاح المرخص بالكاد موجود في المدينة، فما الذي تملكيه لتهديننا به؟ فوطة صحية مثلاً؟". نظرت إليهما أمي وقالت: "اسمعوا ما سأقوله هل تظناني معلمة مدرسة متزمرة بالقانون أم خادمة في فندق مهيضة الجناح، ما أحمله في حقيبتي مسدس لم يسبق لي أن استعملته، ولكن عندما أقتلوكما به سألقى به أرضًا، وأخبر الشرطة عندما تأتي بأنه لكم وأنه وقع منكم وأنني وبهدف الدفاع عن نفسي عندما ظنت أنكم تملكان واحداً آخر، التقطته عن الأرض وأفرغت رصاصاته في جسديكما. لذا اسمعوا نصيحة وابتعدا على أقدامكم قبل أن تبعدكم سيارات الإسعاف وأنتما محمولان على ناقلتين".

بالرغم من تظاهرهما برباطة الجأش إلا أن ملامح أمي وتوجهها أو حيا أنها جدية في ما تهدد به. حتى أنا صدقت بالرغم من ثقتي بأنها لا تحمل

مسدساً بمقدار ثقتي أنني لا أحمل حزاماً أسود بالكاراتيه.

بدأ الشابان بشتمها إنقاذاً لماء وجهيهما، قبل أن يبتعدا في النهاية ويتركاننا  
سلام، إلا أننا بقينا نحدق إليهما حتى تأكينا أنهما غادرا دون نية بالعودة.

عندها قالت لي أمي: "لا يعني أنك رأيتني أشتمن أنه بمقدورك تقليدي".  
صدمت ولم أتفوه بكلمة، ولكن لسبب معاير عن السبب الذي منعني من  
التكلم عند بركة الأسماك.

عندها قالت أمي:

- أسمعت ما قلته يا جونة؟

أجبتها:

- نعم.

- إذاً أعده.

- لقد قلت بأنه لا يجدر بي إطلاق الشتائم وإن سمعتك تطلقينها.

- ولكن هل فهمت لماذا شتمتهما؟

- نعم، لأجل إخافة الشابين.

- أتظنهما خافا.

- بالتأكيد.

عندها ابتسمت وأخرجت يدها من حقيبتها وأغلقتها وسألتني:

- ما رأيك بالذهاب لتناول الغداء؟

- بالطبع لا مانع لدى.

كانت الحديقة محاطة بالمنازل الفخمة وهذا ما جعلنا نسير عشر دقائق  
قبل الوصول إلى السوق حيث المطاعم. وبينما كنا نعبر الشارع سألتها:

- ما هي الفوطة الصحية التي قال الشاب أنك تحملينها بدل المسدس؟  
قطعة من الإسفنج.  
أتشبه إسفنج المطبخ؟

- ليس تماماً.

- أتشبه تلك المستخدمة في مغاسل السيارات؟

- ليست كبيرة إلى هذا الحد.

- لماذا اعتقلا أنك تحملينها؟

- لأن معظم النساء يضعنها في حقائبهن.

- لماذا تضعنها في حقيبتك؟

- لأنني أحب أن أكون مستعدة دائماً.

- مستعدة لماذا؟ مستعدة لتنظيف شيء تدلقينه؟

- صحيح.

- هل استعملتها يوماً؟

- في بعض الأحيان.

- أنت شخص مرتب يا أمي وأنا أحب أن أكون مثلك.

عندما مررنا بالقرب من موقف الحافلات قالت إنه يجب علينا الجلوس،  
وعندها دخلت في نوبة من الضحك، وبالرغم من جلوسي بالقرب منها إلا  
أنني لم أجده ما يحملها على الضحك.

وعندما سألتها ما الذي يضحكك؟ هزت رأسها وأخرجت من حقيبتها  
منديلاً وأخذت تممسح دموعها وفي النهاية قالت:

- كنت أفك في الغبيين عديمي الأخلاق.

- لكنهما لم يكونا يضحكاننا بل يخوفاننا.

- صحيح لكنهما كانوا سخيفين، ربما أضحك لأنه لم يصبا مكروره.  
- معك حق ولكنك أخفتهما.

- وأنت حافظت على رباطة جأشك وبرود أعصابك.

وعندما مسحت دموعها رمت المنديل.

فسألتها:

- هل خافا لأن إسفنجتك تشبه المسدس؟  
فضحكت مجدداً.

عندما ظنت أنها تعاني من حالة عدم القدرة على التوقف عن الضحك، وبينما كانت تصاحك قالت لي لا تعد على ذكر الإسفنج فهيا ليست عيماً ولكن لا يجدر بنا الحديث عنها.

فسألتها:

- لماذا؟

- لأنه لا يجدر بمن هم في سنك التحدث بشأنها.

- وفي أي سن يمكنني التحدث عنها؟

- في سن الخامسة والعشرين.

وعندما ذكرت هذا الرقم تابعت الضحك.

لم نكن نخرج دائماً لتناول الطعام في الخارج لأننا لم نكن نقدر على تحمل تكاليفه، وعندما كنا نخرج كنا نقصد مطعم ولو رث لأن أمي تحصل على حسم فيه. ولكن في ذلك اليوم قصدنا مطعماً فرنسياً، ولا يمكنني أن أخبركم عن مدى سروري وارتيادي عندما علمت أنهم يتكلمون الإنكليزية فيه. كان سقف المطعم شيئاً بالصدفة والمرأيا تغطي جدرانه، أما أرضيته فكانت بيضاء وسوداء كرقعة الشطرنج والكراسي والطاولات سوداء مغطاة بشراشف بيضاء. وكانت المصالح مصنوعة من الكريستال لذا خشيت استعمالها كي لا أكسرها. لائحة الأطعمة كانت تضم خيارات للصغار فاخترت التشيزبرغر والبطاطا، بينما تناولت أمي سلطة مع صدر دجاج. وعندما انهينا وجبتنا تناولت أطيب تحلية حتى تاريخه. وبينما كنا بانتظار التحلية سألتها:

- كيف يمكننا تحمل تكاليف تناول الطعام في مطعم كهذا؟

قالت:

- لن ندفع.

- ولكن ماذا سيفعلون بنا عندما يعلمون أننا لن ندفع؟  
فأجابتنى:

- نحن لن ندفع ولكن والدك سيدفع.

عندما سألتها بخوف:

- هل سيعود إلى البيت

فقالت:

- هل تذكر مرطبان المايونيز الذي كان والدك يضع فيه الفكة؟ عندما جمعت أغراضه لم أضع ذلك المرطبان معها.

- وإن عاد وطالب به؟

- لن يعود.

- أليس من الخطأأخذ نقوده.

- لا، لأنها نقود تركت كتأمين أو احتياط إن صحيحة التعبير.

- كيف؟ لم أفهم.

- مالك الشقة يفرض على المستأجرين الاحتفاظ بمرطبان كهذا لكي يقوم بإصلاح أي أضرار يخلفها المستأجر بعد رحيله. فإذا اعتبرنا أن والدك لم يدفع يوماً إيجار الشقة واكتفى بتجميع أموال التأمين، وبما أنه الحق بالأمس أضراراً كبيرة، فأنا استخدمت هذه الأموال كتعويض عن ضرر الأمس.

أياً يكن الأمر لم يكن هناك شيء أفضل من غداء على حساب والدي وبغيابه.

بعد ظهر ذلك اليوم ذهبنا إلى السينما وشاهدنا فيلماً كوميدياً من بطولة بيتر سلرز. بينما أمضيت المساء في منزل السيد والصيادة لورانزو، وعندما نمت وعادت أمي حملني السيد لورانزو إلى بيتي ولكن أمي غيرت لي ملابسي وتركنتي بالملابس الداخلية. وعندما حاولت أخذ القلادة مني ووضعتها في

الدولاب أبىت وحلمت بطير أبيض كبير بحجم طائرة كنت على ظهره، ولم يهد عليّ أنني كنت أخشى الواقع، وأسفل الطائر كان هناك برق وكنت أشاهد الغابات والأودية والجبال والسفن التي تمخر البحار، وكان الناس في المدينة يشيرون نحوه، ويلوحون للطائر فبادلتهم التلويع، ولكن عندما بدأ الطائر بالتلويق لم يعد بحجم طائرة بل عاد إلى حجمه الصغير، لاكتشاف بعد ذلك أنه لم يكن طائراً بل أمري المرتدية فستانًا أبيض طويلاً من الحرير الأبيض، وكان لها جناحان أحمل من أجنحة الطيور، وكان قلبها الصافي ينبض بيقاع قوي.

الأحد التالي الموافق 12 حزيران قاد جدي وجنتي سيارتهما الكاديلاك السوداء موديل 1946 التي اشتراها جدي منذ 19 سنة وكانت بحالة شبه جديدة نظراً لاعتنائه بها جيداً. كانت سيارة ضخمة ولكنها في الوقت نفسه أنيقة، وكانت مصداتها من الأمام والخلف على شكل رصاصة وكان سقفها منحنياً نحو الخلف. بالنسبة إلى جدي تيدي لم تصنع شركة كاديلاك أجمل وأفضل من سيارته لاحقاً. أقلنا جدائى إلى منزلهما للاحتفال مبكراً بعيد ميلادى وكان يوماً مشهوداً.

تفاجأ جدي من ذاكرتي الموسيقية القوية، وهذا ما اكتشفته منذ بدأت تعلم العزف مع السيدة أوتول. عزف جدي عدة معزوفات لم يسبق لي أن سمعتها، لقد عزف ديب أن دريم التي كتبها هدسون وأدى ديلانغي اللذان شكلا فرقة في ثلثينيات القرن العشرين. لقد عزف جدي بمهارة، وعندما انتهى أعدت عزف المقطوعة ولكن وفقاً لقدراتي ومهاراتي المحدودة بالعزف، وذلك بقدر ما أتاحت لي يدي الوصول إلى مفاتيح البيانو، بالرغم من إدراكي للفرق الكبير بين عزفي وعزفه إلا أنني كنت في غاية السرور، بعد ذلك اختبرني جدي بعدها معزوفات أبليت فيها حسناً قبل أن نجلس متقاربين ونعزف معاً. لقد تولى نصف المفاتيح جهة الشمال والدعسة بينما تولى المفاتيح جهة اليمين وعزفنا معزوفة كنت قد سمعتها قبلًا لهدسون وديلانغي، ولم أرتكب أخطاء في الإيقاع وكان عزفي انسياياً حتى النهاية.

قد تكون أمضينا ساعات في العزف، ولكن ما جرى أنني بدأت أشعر بالفخر، ولم يكن أحد يقبل أن يتحول فخري إلى غرور. لقد علم جدائى أمي

التي علمتني بدورها أنه يجب عند القيام بأمر ما القيام به بإتقان، ليس بهدف الحصول على المديح، بل للشعور بالرضى والسرور الداخليين، والسعى لإظهار أفضل ما لديك.

لقد كنت وقتها صغيراً، واكتشفت مهاراتي، وكنت فخوراً وربما أدى فخري إلى أن أظهر بمظهر المزعج.

فجأة توقف جدي عن العزف ووقف وقال: "يكفي اليوم عزفاً، فالاليوم عطلتي ولا أريد أن أعزف كثيراً، سأذهب وجونة لنسير لبعض الوقت قبل الغداء".

في ذلك اليوم كان الطقس دافئاً ولكنه لم يكن رطباً، وكانت أوراقأشجار القيقب التي تصطف على جانبي الطريق خضراء لأن الفصل صيف وهي التي تحول في الخريف إلى اللون القرمزي. لقد كانت النسمات تحرك الأوراق فخيل إليّ نتيجة تلاعب الظلل والإضاءة وكان الأوراق بدت كالأسماك الداكنة التي كانت تسبح في بركة حديقة ريفسايد كومنز.

كان جدي بطولة كالملة بالنسبة إليّ، وكان صوته العميق يجعل صوتي الناعم يبدو كصوت القردة. لقد شبهت وقفة جدي الثابتة كالسفينة الكبيرة في المحيط بينما بدت أنا مهتزًا كالقارب البخاري. أشعر أنني أنتمي إليه وأنني يجب أن أبقى معه. لقد تحدثنا بأمور كثيرة بينما كنا نسير ولكن يبدو أن السبب الرئيسي للنزة كان الحديث عن أبي وبالفعل قال جدي:

"هل أعطتك أمك المفتاح الجديد للشقة؟".

"نعم، أعطتني إياه". وأخرجته من جيب بنطالي فلمع تحت أشعة الشمس.

"هل تعلم لماذا بدلنا قفل الباب؟".

"بسبب تيلتون".

"لا يفترض بك أن تذكر أباك باسمه فقط بل يجب أن تقول أبي".

"لكنني لا أشعر أنه أبي".

"لا تشعر بماذا؟".

"لاأشعر أنه أبي".

"لكنه كذلك ويجب عليك أن تكون له الاحترام".

"إنني أشعر أنك أنت أبي".

"هذا لطف منك يا جونة وأناأشكر الله كل يوم لأنك موجود في حياتي".

"وأنا أيضاًأشكره لأنك جدي".

"أبوك ليس الشخص الأسهل لتكون في حالة توازن معه، أتعرف ما هي حالة التوازن؟".

"نعم، توازن".

"ليس من السهل أن تكون متوازناً معه، ولكن بالرغم من ذلك يجب عليك أن تحترمه".

ونحن نسير مررنا بالقرب من أناس يجلسون أمام بيوتهم فكانوا يحيون جدي ويبادلهم التحية، وعندما مرت بالقرب منا سيارات كان راكبوها يحيون جدي ويطلقون أصوات أبواب سياراتهم تحيه، وكان جدي يبادلهم التحية بتلويحة، كذلك صادفنا أناساً ينزعون كلايهم وآخرين يتريضون، وجميعهم حيوه وتبادلو معه الحديث، ولكن بالرغم من مقاطعات كل هؤلاء كان جدي يعود إلى الموضوع الرئيسي ألا وهو أبي.

"يجب أن تحترمه يا جونة، ولكن في الوقت نفسه يجب أن تكون حذراً مما سأقوله للتو، ولا يجب أن تقلل من احترامك له، وسأكون متزعجاً إن جعلك حديث تقلل من احترامك له، أكثر من انزعاجي من عدم إخبارك، ولكنني قد أندم إذا لزمت الصمت".

فهمت أن ما سيخبرني إياه يجب أن أتعامل معه بأقصى درجات الجدية، كما لو أنه كلام رجل الدين الذي يقوله في عظه الأسبوعية.  
"جونة، أملك إنسانة رائعة".

"صحيح، إنها مثالية".

"هي أقرب ما تكون للمرأة المثالية، لأن ما من أحد مثالي بالكامل في هذه الدنيا، لقد كانت المسافة التي تفصل بين رأيي ورأي أمك حول أبيك تبلغ أميالاً، لكنها الآن لا تتعدي الإنش أو الإنшин ولكن هذين الإنшин مهمان".  
توقف للحظة ونظر إلى شجرة كنا نقف أسفلها، بينما نظرت إلى الأعلى ولم أر سبب اهتمامه بها فلم يكن عليها طائر أو سنجان ولا أي كائن آخر.  
عندما عاودنا السير قال: "أتمنى أن تكون طريقتي بالحديث صحيحة،  
لطالما قالت أمك عن أبيك أنه شخص جيد وصافي النية، ويحب القيام بالأمور بالطريقة الصحيحة، ولكنه متاثر بأمور حدثت له وهو صغير جعلت منه شخصاً ضعيفاً. شخصياً أوقفها الرأي بأنه ضعيف، ولكن ما من طريقة تجعلنا نتأكد من مزاعمه عن تلك الأمور، وأياً يكن الأمر فالآمور السيئة تحدث مع الجميع وهذا لا يعني أنه يجب أن يجعل منا أشخاصاً مؤذين. أما زلت تفهم ما أقول؟".

"أعتقد ذلك".

"سيطلق والدك والدتك".

كدت أرقص من الفرح وقلت: "هذا خبر جيد".

"لا يا بني، الطلاق ليس بالأمر الجيد، بل هو أمر محزن وإن كان في بعض الأحيان ضرورياً، ولكنه بالرغم من ذلك يبقى غير جيد".

"إن كنت ترى ذلك فقولك هو الصواب".

"صحيح ما أقوله، والطلاق يجب أن لا يكون مبرراً ما لم يكن هناك أموال مشتركة ولا رغبة للوالد باحتضان الولد أو رؤيته، لذا ليس من الضروري أن توافق والدتك على طلب الطلاق".

"ولكن يجب عليها أن توافق".

"عندما ينهاز الزواج يشعر البعض بالغضب والمرارة".

"ولكن أمي ليست من هذا البعض".

"أنا لا أتحدث عن أمك، ولكن الأشخاص عندما يغضبون يقومون بأمور غريبة ومقيدة، في بعض الأحيان يكون النزاع في المحكمة حول الأولاد فيسعى أحد الزوجين من خلاله إلى معاقبة الآخر بحرمانه منهم".

"ولكنك قلت إنه لا يريدني، وبال مقابل أنا لا أريده".

وضع جدي يده على كتفي وقال:

"اطمئن، ما من قاضٍ في هذه المدينة يقبل أن ينزعك من حضانة امرأة كسيلفيا ويعطيك لوالدك".

"أنت متأكد؟".

"طبعاً، صحيح أنه يقول إنه لا يريدك ولكنه من نوعية الرجال الذين يقولون ما لا يعنون، وفي بعض الأحيان يثرون الفوضى من دون التفكير بعواقبها، ولا يتربون الأمر للمحكمة، فيعملون لتغيير الواقع بأيديهم".

"أحقاً يستطيع القيام بذلك، وكيف؟".

كنا قد اقتربنا من الكنيسة فقال جدي: "لنرتح قليلاً على درجاتها".  
جلسنا على الدرجات جنباً إلى جنب وأخرج من جيبه علبة لبان وعرض على قطعة، ولكثني كنت خائفاً مما ي قوله وبالتالي لم يكن لي رغبة بقطعة، حتى أن جدي أعاد العلبة من دون أن يأخذ قطعة لنفسه.

"لنفترض أنك كنت عائداً من مركز المدينة، وأتى والدك بسيارة وعرض عليك أن يأخذك إلى مكان تحبذهاب إليه؟".

"إلى أين ستأخذني؟".

"لنقل إلى السينما مثلاً أو لتناول الميلك شيك".

"مستحيل فهو لم يقم بذلك من قبل".

"لنفترض أنه أراد أن يصلح ذات البين بينكم ويأخذك لتسلى".

"إن كنت تعتقد أنه يمكن أن يقوم بأمر كهذا، فأنا لا أعتقد".

"ربما جلب لك هدية وضعها في السيارة وما أن تصدع يأخذك إلى الأماكن التي ذكرتها لك لتو".

كان الهواء دافئاً والدرج كذلك بفعل أشعة الشمس. ولكن فجأة شعرت بالبريد قبل أن أقول "في البدء لا بد أن أكون له الاحترام كما طلبت".

"ماذا ستفعل إن حصل ما أفترض حصوله؟".  
"أولاً سأسأل أمي".

"ولكن أملك لن تكون معك".

"عندما سأطلب منه العودة في وقت لاحق أكون في غضون ذلك قد سألت أمي، ولكن بالرغم من ذلك إن وافقت فلن أذهب معه لأنني لا أرغب بذلك".

بينما كنا جالسين حطت بالقرب منا ثلاثة غربان وأخذت تتقاذف وتأكل حبوب الأرز المتشور على الأرض. وأخذت تحدق إلينا وتراقبنا بعيونها السوداء. بعد أن نظرنا إلى الطيور لبعض الوقت سالت: "يمكن أن يؤذيني أبي؟". "لا أعتقد ذلك جونة، إنه يعاني من فراغٍ في مكان ما لا يجدر به أنه يكون فارغاً، ولكن بالرغم من ذلك لا أظن أنه قد يؤذيك أو يؤذى أي طفل آخر، ربما قد يؤذى أملك من خلال أخذك منها ولكن لا أعتقد أنه قد يقدم على إيذائك".

"لن أدع ذلك يحصل، مستحيل".

"لأجل هذا أردت التحدث إليك وذلك لكي لا ندع مجالاً لحدوث أمر بهذا".

فجأة تذكرت الشابين عديمي الأخلاق اللذين صادفناهما قبل عدة أيام في حديقة ريفر سايد كمنز وقلت: "دائماً هناك أشياء سيئة في هذه الحياة، أليس كذلك؟".

"هذه هي الحياة فيها السيئ والجيد، وإن كان الجيد أكثر من السيئ، لكن

الحدر واجب دائمًا".

عرض علىّ مرة أخرى قطعة من اللبان. هذه المرة أخذتها و فعل الشيء نفسه، وبعدها جمع غلاف القطعتين ووضعه في جيب قميصه. بعد أن مضينا اللبان لحقيقة أو دقيقتين وشاهدنا الغربان تأكل الأرض فكرت في القلادة التي أعطاني إياها السيد غليغ فأخرجتها من جيبي وأريته إياها.

"أليست قلادة متقنة الصنع؟". أخذها مني وعرضها للشمس وسألني "من أين حصلت عليها؟" وعندما أخبرته قال: "بني إنها قصة كلاسيكية من قصص المدينة. أنت تحمل قطعة يتحدث عنها أناس كثراً".

"برأيك ريشة أي طائر هذه الموجودة في القلادة؟".

أخذ يحرك القلادة ببطء قبل أن يقول: "لست خبيراً بأنواع الريش ولكني أستطيع أن أقول شيئاً واحداً أكيداً".  
"ما هو؟".

"إنها ليست ريشة عادية، لأنها لو كانت هكذا لما تحمل أحدهم عناء وضعها في هذه القلادة التي على شكل قلب". عبس قبل أن يعاود الابتسام  
"إنني أستطيع أن أقول براحة أنها ليست قطعة جوجو".  
"ما هو الجوجو؟".

" إنه دين ينتشر في جنوب أفريقيا يقوم على السحر واللعنات ولديهم آلهة كثيرة منها الجيد ومنها السيئ أما في منطقة الكاريبي فقد خلطوا بين الجوجو والمبادئ الكاثوليكية وسموا الخليط الفودو".

"لقد شاهدت فيلماً قديماً عن الفودو أفرعني فأغلقت التلفاز ولم أتابعه".  
"لا داعي للخوف فلا شيء حقيقي".

"في الفيلم لم يكن الفودو في جزيرة ما بل في المدينة".  
"لا تتعب نفسك بالتفكير في هذه الأمور، إن القلادة التي أعطاك إياها

السائق الحسن النية، أياً تكون الريشة التي بداخلها، فهي مهمة للشخص ليحتفظ بها على هذا النحو لذا عليك الاهتمام بها".

"وهذا ما سأقوم به".

أعاد جدي القلادة لي وقال: "أعرف أنك ستفعل".

عندما همنا بالمعادرة أصدرت الغربان أصواتاً وطارت ووجدنا أن الطعام لم يجهز بعد.

"إن المحادثة التي جرت بيننا لا يجب أن يعلم بها أحد، جونة".

"أكيد، فلا داعي لإثارة قلق أمي".

"أنت ولد جيد".

"لست واثقاً من ذلك".

"إنني على ثقة من أنك جيد، وإذا حافظت على تواضعك، وتذكرت أن الموهبة هي هبة وليس مكتسبة، عندها ستصبح عازف بيانو أفضل. هذا إن كان لديك رغبة في ذلك".

"هذا جل ما أسعى إليه".

تحت شجرة القيقب لم تكن الظلل والأضواء الآن شبيهة بالأسماك الداكنة بل كانت تشبه مفاتيح البيانو الموضوع بطريقة غريبة ومتفرقة وبدت لي وكأنها تعزف موسيقى يسميها مالكوم بالطاردة للشياطين.

عندما كان مالكوم في الثانية والعشرين من العمر، ويسبب الحزن أضاع طريقه، وانزوى على نفسه، واختفى ولم يخبر أحداً بمكانه، ولاحقاً اكتشف أنه غادر المدينة وهذا ما يمكنني اعتباره غلطة كبيرة بالنسبة إلى شاب معاد على المدينة وطرقاتها.

كانت لديه أموال كافية ليستأجر بيته بالقرب من بحيرة خارج المدينة لمدة سنة، حيث تعاطى الكوكايين وكان يجلس محدقاً إلى البحيرة لساعات وعاشر الويسكي والبيرة، ولم يكن يتناول طعاماً صحيحاً، وقرأ كتاباً سياسية فيها عن الانتحار وقرأ روايات مليئة بالعنف والانتقام واليأس من الوجود. وفي أحيان كثيرة كان يتفاجأ وهو نائم أو في غيبة أنه يستيقظ ويلعن النهار الذي ولد فيه والحياة التي وجد نفسه فيها. ذات ليلة استيقظ الواحدة بعد منتصف الليل، وكان يعلم أنه كان يتكلم وهو نائم وكان غاضباً ويشتم، وعندما لاحظ أنه لم يكن بمفرده، وشعر بالاشمئاز من رائحة خفيفة وسمع صرير خشب أرضية الغرفة.

كان هناك شيء يتحرك، وكان مالكوم نائماً ونصف ثمل وقد ترك المصباح بجانب السرير مضاء على المستوى الأخف، عندما شم الرائحة وسمع الصوت نهض وجلس على السرير وشاهد خيالاً في الجانب الآخر من الغرفة، شيئاً يصفه بأن له عينين صفراوين ولم يكن مألوفاً للبشر وفي الوقت نفسه لم يكن خيالياً.

بالرغم من إيمان مالكوم بالخرافات ومعاناته من داء الأعصاب وبالرغم من أنه غريب الأطوار إلا أنه وصف ما رأه بدقة يزيل أي مجال للشك بصحة

ما يقول، وشخصياً لا أعتقد أنني أستطيع أن أنقل لكم بالطريقة نفسها ما أخبرني إياه وبعث القشعريرة في جسدي.

أياً يكن الأمر أدرك مالكوم أن هذا الزائر الغريب شيطاني، وقد جذبه غضبه الداخلي ورأسه الشديد، وعندما أدرك شدة الخطر الذي يحيق به، وأن أقل ما يجب أن يخشاه الآن هو الموت. رفع غطاء السرير ونهض بملابسها الداخلية، وقبل أن يدرك ما يقوم به توجه إلى كرسي قريب وتناول الساكسوفون. يقول مالكوم أنه سمع صوت أخته يتحدث إليه مع أنها لم تكن موجودة معهما، لقد سمع صوتها في رأسه، لا يذكر ما قالت له، ولكن كل ما يتذكره أنها هي من دفعته لعزف أغانٍ مفرحة بشغف.

بينما كان الزائر غير المرحب به يجول في الأرجاء حول مالكوم، عزف لمدة ساعتين. في البدء عزف روك أند رول قبل أن يتنقل إلى عزف أغاني سابقة على الروك أند رول. لقد عزف لإسهام جونز، إت هاد توبى يو (من الضروري أن تكون أنت) وسوينغينغ داون ذا لين (نمسي على الطريق). عزف للويز أن كارل مايكل، هارت أند سول (قلب وروح). وعزف لواتسن أند مونرو، ريسينغ وز ذا مون (سباق القمر) كذلك عزف لمارك أند سيمنز، آل أوف مي (الكل أنا) وعزف لغلين ميلر، أيام إن ذا مود (أنا في المزاج). كان ينظر إلى الكائن ذي العينين الصفراوين بطريقة غير مباشرة، وكان يخاف أن يؤذيه، وبعد ساعة بدأ يختفي تدريجياً قبل أن يختفي بالكامل بعد ساعتين، لكن مالكوم تابع العزف بشغف حتى أنهك ولم يعد يشعر بشفتيه وألمه فكه وبدأ يتعرق وغيشت عيناه بسبب العرق والدموع.

الموسيقى تخنق الشيطان وتمحوه. يا ليت الموسيقى تفعل فعلها مع أبي وكل المقربين منه كما كانت تفعل مع الشيطان أصفر العينين.

سمعنا صوت صفارات إنذار سيارات الشرطة، التي أصبحت لا تغيب عن آذاننا في هذه المدينة، فسيارات الشرطة والإسعاف لا تكف عن الذهاب والإياب. كل عام كان عدد مرات سمعنا للصغارات يزيد عن العام السابق، وكانت أمي تقول إنه لأمر غريب مقارنة بالتحسينات والتطويرات التي تجري، إن أبشع ما يمكن القيام به عند سماع هذه الصغارات هو التوجه لاكتشاف ماهية الأمر والاستفسار.

إنه الاثنين بعد مرور ثمانية أيام على حواري مع جدي تيدي. كنت ألعب مع أمي الشطرنج على طاولة المطبخ عندما سمعنا الصغارات - لم تكن أمي تعمل نهار الاثنين - ولاحظنا أن السيارات توقفت في شارعنا ولكننا لم نعر الأمر كبير اهتمام، فتابعنا اللعب والتحدث في مواضع عده، ولا أدرى كم مر من الوقت قبل أن نسمع طرقاً على باب شققنا - ربما من ثلاثة ساعات - وقتها قد نسينا أمر الصغارات وبالرغم من وجود جرس عند باب الشقة إلا أن الطارق لم يستعمله بل طرق الباب بهدوء، ولو لم تكن شققنا صغيرة لما تمكنا من سماع طرقاته. نظرت أمي من عين الباب السحرية وقالت: "إنها دوناتا".

كانت السيدة لورانزو تقف أمام الباب ويدت جميلة كأنها ماري ألبيرغتي وشاحبة مثل الوندر برد وكان شعرها أشعث ووجهها لامعاً مع أنها كانت في شهر حزيران والطقس معتدل. بدت متشنجة الجسد كما لو أنها تحولت إلى جسد من حجر في اللحظة التي كانت تطرق فيها الباب، وقالت بصوت وكأنه يعود لامرأة خائفة: "لا أدرى إلى أين يجب أن أذهب؟". سألتها أمي: "ما الأمر دوناتا؟".

"لا أعرف إلى أين يجب أن أذهب. ليس لدى مكان آخر".  
 أمسكت أمي بيدي دوناتا وقالت: "عزيزتي تبدين باردة كالثلج". لقد كان العرق على وجهها عرقاً بارداً.

أدخلت أمي دوناتا إلى الشقة، فقالت بصوت فيه كثير من الدهشة والارتباك: "لقد توفي طوني، نهض ليغادر طاولة العشاء، وفجأة ظهرت تعابير غريبة على وجهه قبل أن يسقط ميتاً على أرض المطبخ".

احتضنت أمي السيدة لورانزو فألفت الأخيرة بجسدها عليها ولكن صوتها بقي كما كان وهي تقول: "إنهم ينقلون جثته الآن سياخذونها إلى المشرحة، فهم يقولون إنه يبلغ من العمر السادسة والثلاثين ومن الضروري تشريح جثته لمعرفة سبب الوفاة وهي سكتة قلبية أم شيء آخر. لا يوجد الآن أي مكان أذهب إليه؛ لقد كان كل شيء في حياتي".

لم تكن قد بكت منذ سقوط زوجها حتى وصولها إلى شقتنا، ربما كان للصدمة والخوف تأثير مخدر لمشاعرها، ولكن دموعها الآن بدأت تنهر كالشلال، شأنها شأن أي شخص يعلم أن الموت ليس رحيلًا فقط بل خسارة أيضاً. جعلني نشيجها أشعر بضيائني وعدم أهمية وجودي ولم يسبق لي أن شعرت بشعور كهذا من قبل.

كالعادة، هبت أمي للمساعدة، أدخلتها إلى المطبخ، وأجلستها على الكرسي، وأبعدت رقعة الشطرنج. أصرت أمي أن تشرب السيدة لورانزو شيئاً دافئاً، وبدأت بإعداد الشاي، وأخذت تواسيها ليس بكلمات زائفة إنما بصدق، وهو ما لم أكن أعتقد أنني سأقوم به يوماً. وقد ترافق ذلك مع انهمار دموعها. كانت السيدة لورانزو في غاية اللطف، لذا لم أستطع رويتها تنهار أمامي كما لم أستطع تصديق أنها أصبحت أرملة وهي لا تزال صغيرة، فقصدت النافذة ورأيت سيارة الإسعاف تقف أمام مدخل البناء.

كان يجدر بي مغادرة الشقة، لم أعرف لماذا، ولكنني كنت على ثقة بأنني

إن لم أغادر سأنضم إلى جوقة البكاء. لم أكن لأبكي من أجل السيدة لورانزو وزوجها بل لأجل أبي الذي كان يمتلك ذلك الفراغ الذي لم يكن يجدر به امتلاكه. كنت سأبكي لأجله لأن أبي لن يستطيع أن يكون يوماً أبياً. وقتها كانت أنيتا لا تزال على قيد الحياة، ولم أكن قد اختبرت خسارة شخص قريب. لقد كان السيد لورانزو كاتباً وكان يعود متأخراً إلى شقته، وكانوا يحملني إلى شقتنا عندما كنت أنام وأنا أنتظر أمي عند السيدة دوناتا. كنت فرحاً لرحيل والدي من حياتنا لكن رحيل السيد لورانزو جعلني اختبر رحيلين في الوقت نفسه أولهما موت الجار وثانيهما موت الحلم بإقامة علاقة طبيعية مع والدي، وهو الأمر الذي كنت أنكر رغبتي بحصوله، ولكنني فجأة أدركت أن لي رغبة دفينة بمثل هذه العلاقة. عندئذ نزلت الدرج حتى وصلت أسفله ثم ركضت حتى وصلت إلى الرصيف.

في تلك الأثناء كان المسعفون يدخلون جثة السيد لورانزو السيارة، وكانت مغطاة بملاءة وربما كانت موضوعة بكيس. عند الجهة الأخرى من الرصيف تجمع بين عشرين وثلاثين شخصاً من الجيران يشاهدون ما يجري بالإضافة إلى مجموعة من الأولاد بعمري أو أصغر وكانوا يتصرفون بسخافة، وبدأ ضوء سيارة الإسعاف الواضح شبيهاً بمفرقعات العيد. ربما لو كان الميت شخصاً من بنية أخرى لتصرفت بطريقة سخيفة مثل هؤلاء. قد لا يعدو الفرق بين العيد والخوف والرعب مسافة شارع.

بعمر التسع سنوات كنت أعلم عن الموت ليس بسبب تجربة شخصية بل كنت أعلم أنه يصيب عائلات أخرى، ولكنني لم أقلق منه قبل مرور فترة طويلة، ولكنني الآن بدأتأشعر به عن قرب. وبما أن شخصين فارقاني في غضون أسبوعين فإن ثلاثة سيفارقونني في غضون ثلاثة أسابيع؛ فربما يفارقني جدائي وأمي وربما أصبح كالسيدة لورانزو وحيداً ولا أنتهي لأي مكان. كانت الفكرة هستيرية، هكذا يفكر الصغار، ولكن هذه الفكرة راودتني

عندما أدركت كم نحن البشر ضعفاء. فجأة شعرت بضرورة القيام بشيء لأجل السيد لورانزو، وعندها سيرى الله ما أقوم به، ولن يبعد عني أحداً من أحب، على الأقل حتى أكبر. لو لم أكن خائفاً ربما كنت لأقصد الكنيسة، وأشعل شمعة، وأصلي، ولكني بدلاً من ذلك قررت أن أعزف له على البيانو إحدى أجمل المعزوفات التي كان يحبها ويستمع إليها عبر ستيريرو.

لم يكن مركز المدينة يغل أبوابه نهار الاثنين قبل الساعة العاشرة والنصف لأن الناس كانوا يقصدونه ليلعبوا البينغو مساء. بينما كنت أفكراً أغلق أحد المسعفين بباب السيارة بينما شغل الآخر محركها، فغادرت إلى مركز المدينة. ربما رأيته يسير إلى جانبي وبموازاتي، ولكني طوال حياتي حاولت إقناع نفسي بأنني رأيته صدفة وبمساعدة القلادة التي كنت أحملها في جيبي، لأن من المستحيل أن أراه وأنا على هذه الحالة بطرف عيني. من المؤكد أن والدي كان بين الحشد، وعندما لاحظ أنني رأيته لم ينادني أو يلوح لي. لو قام بأي من هذا لبد خوفي. كنت كلما أسرعت في مشي أسرع، وكلما ركضت ركض. عندما وصلت إلى مركز المدينة ظنته سيدخل خلفي. في المركز لم يكن أحد يعلم عن ظروفنا العائلية وعن طرد والدتي له من الشقة وأن الطلاق على وشك الحصول، فأمي لم تكن ممن يخبرون الناس عن تفاصيل حياتها. كان الناس في المركز يعرفونني ولكنهم لم يكونوا يعرفونه، وكانوا بكل بساطة سيتصلون بأمي إن صرخت وأثرت البلبلة.

لاحظت أنه ينظر إلى جهتي الطريق ليرى إن كان يستطيع العبور في أول فرصة سانحة ليصل إليّ. وبما أن ساقيه كانتا أطول من ساقّي كان من المستحيل أن أدخل قبل أن يصل إليّ. كنت متأكداً أنه لن يؤذيني، فجدي وأبي شخصان لا يمكنهما أن يؤذيانني، ربما كان سيأخذني معه، ولكن من المؤكد أنه ما كان ليؤذيني، ولكنه ليمسك بي ويأخذني معه كان بحاجة إلى سيارة، ولكن لا يحتاج كل الناس إلى سيارة في المدينة، وتيلتون لم يكن يمتلك واحدة، ولكن

ربما امتلك واحدة الآن، وعندها كان سيسحبني ويضعني داخلها، ولكني لم أكن لأدعه يفعل ذلك بل كنت سأتشاجر معه، ربما عندها كان سيؤذيني.

عند ناصية الطريق انعطفت يساراً ودخلت زقاقاً خلف بنايتنا وعندما نظرت إلى الخلف شاهدته يعبر الشارعخلفي ويناور بين السيارات التي أخذ سائقوها يطلقون أبواق سياراتهم وشتائمهم. لقد كان من المستحيل أن أصل الزقاق قبل أن يصل إلي.

كان ضوء الغروب ينير الطرقات وكانت النوافذ تعكس لون الغروب فبدت وكأنها نار مشتعلة، وكانت أشعة الغروب تنير الجدران أيضاً ولكن الظلام كان قد خيم على الزقاق. لم يكن لكل الأبنية مدخل خلفي بل درج حريق. أما الأبنية التي كان لها مدخل خلفي فكانت مصابيح إنارتها محطمة، وكانت مستوعبات النفايات تنتشر على جانبي الزقاق، وبدت أشكالها جلية في العتمة وكان بعضها أغطية بينما الأخرى مكشوفة.

قفزت داخل أحد المستوعبات المكشوفة، وجلست بين النفايات وأغلقت يدي أنفي وفمي ليس بهدف كبح الرائحة بل لأكتم صوت لهائي القوي جراء الركض. ومن مكانني سمعت صوت خطواته على الأرض، وعندما مر بالقرب من المستوعب سمعت لهائه الذي كان أعلى من لهائي، فجأة توقف أمام ما أتوقع أنه باب البناء الخلفي وسمعته يتكلم بغضب، ثم أخذت أسئلة هل قمت بالأمر الصحيح بفراري منه، فهو في النهاية أبي. صحيح أنه لم يكن الأب الذي أريده ولكنه يبقى أبي.

ربما أساءت تقدير نواياء، ولكن عندما بدأ يشتم وانتبهت أنه كان يشتمني، أبعدت تلك الأفكار السخيفة عن رأسي، وعندما حاول فتح الباب الخلفي فشل فركله ربما لأنه لا يملك مفتاح القفل الجديد. وما لبثت وتيرة غضبه أن تصاعدت، وكذلك شتائمه، وعندما ركل مستوعب النفايات الذي أصدر صدى أدركت أنه ثمل. عندئذ خرج أحد الرجال إلى شرفة شقته، فشتمه

تيلتون فما كان من الرجل إلا أن طلب منه البقاء حيث هو لأنه سينزل إليه  
ويلقنه درساً لن ينساه، عندها أطلق تيلتون ساقيه للريح هارباً.

بسبب الارتباك والشك بقيت داخل المستوعب لبعض الوقت، وبما أنني  
لن أستطيع البقاء داخل المستوعب طوال الليل، أخذت قراري وخرجت، وأنا  
أتوقع أن يهاجمني أحد بمجرد أن يظهر رأسى من المستوعب، ولكن الشيء  
الوحيد الذي كان موجوداً هي الجرذان والقوارض ولا شيء سواها.

فوق باب البناء الخلفي كان هناك مصباح محمي وغير محطم وكان  
يعمل ومن خلال نوره تمكنت من رؤية مفتاح قفل الباب الملتوي. من  
الواضح أن أبي قد وضع المفتاح الغلط وعندما لم يفتح الباب ضغط عليه  
وكاد يكسره. حاولت إخراج المفتاح ولكنني لم أستطع. فلم أبال، ففي  
الصبح سيتذر السيد سمولر أمره. توجهت إلى الباب الأمامي لأدخل، في  
تلك الأثناء تحولت العتمة ظلاماً، ولم تكن مصابيح الإنارة العامة قد شُغلت  
بعد. وكانت الظلال تخيم على المدخل، وكانت أنوار السيارات المارة تنير  
السيارات المركونة عند جانبي الطريق وتكشف عما بداخلها، ومع كل خطوة  
خطوتها توقعت أن يفتح أبي باب إحدى السيارات المركونة أو يخرج من  
مخباً بين سيارتين. ولحسن الحظ وصلت ولم أصادفه بطريقي وصعدت  
الدرج وكدت أصدق السيد يوشيوكا لسرعي فسألني:

"أصحح أن الرجل الطيب توفى؟ إنه لا يزال شاباً؟".

لبرهة ظنته يتحدث عن أبي بعدها تذكرت ما حدث وأكدت له وفاة  
السيد لورانزو.

قال: "إنني متأسف لفقدانه لقد كان شخصاً صالحاً". وشكري.

أجبته: "العفو"، ولكنني لم أعلم لماذا شكرني. بعدها صعدت الدرج  
بهدوء لأصل الطابق الرابع، صعدت بهدوء لأنني كنت أخشى أن يكون أبي  
يتظرنى خلف إحدى استدارات الدرج.

عندما عدت إلى الشقة أغلقت قفل الباب. لاحظت أنه لم يمض على غيابي عن الشقة أكثر من عشر دقائق، وكانت أمي والسيدة لورانزو لا تزالان جالستين في المطبخ، وكانت دوناتا لا تزال تبكي وإن بوتيرة أخف، لم تنتبهما لغيابي.

من إحدى نافذتي غرفة الجلوس نظرت إلى الشارع ولاحظت الإضاءة المنبعثة من مصابيح الإنارة العامة المغبضة الزجاج. لقد اهتممت بكل السابلة ولفت نظري كل سائقي السيارات، وبما أن أيّاً من السابلة أو السائقين لم يكن يشبه تيلتون، إلا أنني لم أمل من حراسة النافذة، فطالما أنه أتى مرة فسيعود مرة أخرى. بدا الأمر لي وكأن هناك قطعة نقود معدنية فيها سحر الجوجو موجودة في ذلك المكان الفارغ من أبي، وكانت صورتي منقوشة على وجهها، وكلما قلب قطعة النقود تلك تذكرني وتذكر كيف ستهار أمي حال خسارتها لي.

بعد قليل أتت أمي وسألتني: "هل كل شيء على ما يرام جونة؟". لم يكن الوقت مناسباً لأنخبرها عن تيلتون فالسيدة لورانزو كانت بأمس الحاجة إليها.

"إنني بخير مع أن الوضع المحيط بي ليس بخير، بالمناسبة كيف أصبحت السيدة لورانزو؟".

"ليست بخير، لقد كان طوني مهاجرأ وليس له عائلة هنا، ووالد دوناتا توفي وهي صغيرة ولا إخوة أو أخوات لها، ويدو أن أمها صعبة المزاج وليس من السهل التعامل معها. ليس لديها خيار سوى البقاء هنا والعودة إلى شقتها، ولكنها ليست مستعدة الآن ربما تستطيع ذلك في الغد. لذا طلبت منها البقاء

معنا الليلة يمكنها النوم في سريرك، وتنام أنت إلى جانبي".

نظرت من النافذة وإلى الأريكة وأشارت إليها: "هل يمكنني النوم على الأريكة؟".

"سيكون السرير أكثر راحة".

"النوم مع الوالدين أو أحدهما هو للأطفال الصغار الخائفين".  
"منذ متى؟".

هززت كتفي وقلت: "لا أعلم ربما منذ أسابيع، فأنا الآن ابن تسع سنوات  
ولم أعد صغيراً".

في بعض الأحيان أشعر أن باستطاعة أمي أن تنظر إلى رأسي وتقرأ  
أفكاري، كما لو أن جبيني مصنوع من زجاج ودماغي عبارة عن ورقة مكتوب  
عليها بخط واضح للغاية "هل أنت واثق من أنك بخير حبيبي؟".

لم تكذب أمي يوماً علي، ولكنني لم أكن قادراً على مجاراتها بهذا القدر  
من الصدق، مع أني لم أكن أكذب عليها، بل كل ما كنت أسعى إليه هو  
طمس الحقيقة لبعض ساعات ريثما تغادر السيدة لورانزو في الصباح.

"الأريكة شيء جيد وليس للأولاد الصغار على الإطلاق" شعرت أن  
ما تفوهت به في غاية السخافة، وأن خدي يتوجهان باللون الأحمر، ولكن  
إحدى حسنت أن تكون داكن البشرة هي أنه عندما يحمر وجهك لا ينكشف  
أمريك، سيما إن كان لديك أم تتمتع بموهبة قراءة الأفكار. "الأريكة نوع من  
المغامرة وبالتالي هي صالحة لأنام عليها الليلة".

"حسناً سيد جونة كيرك، يمكنك النوم على الأريكة، وسأمضي الليل أفك  
متى ستقود سيارة وتتواعد الفتيات وتذهب إلى الحرب".

حضرت أمي وقلت: "لن أذهب إلى أي مكان".  
"ذهب وبدل ملاءة السرير وضع ملاءة نظيفة لكي تنام السيدة لورانزو،  
وأنا سأهرع للأسفل لأحضر لها بيجامتها وبعض الأشياء التي طلبتها ففكرة

نزو لها إلى الأسفل ترعبها وإن كنت برفقتها".

لم يسمع أحد من الجهة الأمامية للمبني بالفوضى التي أحدثها تيلتون في الرزاق الخلفي.

"لا يجدر بك الذهاب بمفردك". وعندما نظرت إلى باستغراب قلت مبرراً "أعني في هذا الوقت المتأخر".

"متأخر! إنها التاسعة والثلث وأنا سأنزل إلى الطابق الأسفل، لو كنت أعمل لعدت بمفردي من مكان أبعد وقت متأخر أكثر ولم يكن برفقتي سوى مسدسي الوهمي".

"ولكن السيد لورانزو توفي في الأسفل".

بالرغم من أنها كنا نتكلّم بصوت خفيض إلا أن أمي نظرت ناحية المطبخ وخضخت صوتها أكثر "إنه لم يتم جراء مرض معدٍ ونحن لا نؤمن بالأشباح". لقد التزمت ألا أخبر أمي بما حصل إلا بعد عودة السيدة لورانزو إلى بيتهما، وذلك كي لا أزيد الأمور تعقيداً، في ذلك الوقت بدا تصرف في منطقاً، عندما يكون المرء في التاسعة من العمر تبدو كل الأمور منطقية ولكن بعد عدّة سنوات تبدو منافية للمنطق تماماً، وكتيرير لهذا الأمر يمكنني القول إن صيف العام 1966 كان حافلاً بالأحداث وفيه بدأت أهتم أن أتصرف كرجل للمرة الأولى في حياتي، ومن المؤكد أنني كنت أتصرف بداع غير ظاهر كي لا أصبح يوماً ما رجلاً مراهقاً كأبي.

حينها قالت أمي: "اذهب وبدل ملاءة السرير وسأعود في غضون دقائق". تركت مكاني، واتجهت صوب الباب وسمعت صوت خطواتها وهي تنزل الدرج، وعندما انتهت من نزول أول مجموعة من الدرجات، أغلقت الباب، ودخلت راكضاً إلى غرفتي، وبدلت الملاءة، وعدت بسرعة إلى باب المنزل، ووقفت على رؤوس أصابعي، وبالكاد استطعت الرؤية من خلال العين السحرية للباب، وعندما لم أجد أحداً في الخارج، فتحت الباب قليلاً،

ووقفت أنتظر عودتها.

لم تعد أمي بسرعة، و كنت متيقناً أن ما من شبح في شقة دوناتا وأن لا جثة فيها، وبناء عليه لن يكون هناك زومبي كما في فيلم الفودو الذي شاهدته يوماً ما ولم أستطع إكماله. ولكن ربما تكون السيدة لورانزو قد نسيت في غمرة ارتباكها إغلاق باب شقتها، وربما لسبب ما دخل تيلتون الشقة، وما إن دخلت أمي الشقة حتى بدأ فيلم رعب حقيقي. ربما يكون أفضل ما يشير إلى أنني أصبحت رجلاً أن أدخل إلى المطبخ وأجلب السكين الكبيرة، وألحق بأمي إلى شقة دوناتا، ولكن كيف يمكنني تبرير الأمر لدوناتا، فإن رأته على هذه الحال ستظن أنني فقدت عقلي، وستظن أنني أفكّر بقتلها، وربما تصاب بأزمة قلبية، وأدخل الإصلاحية جراء ذلك.

سمعت وقع خطوات أمي وهي تصعد الدرج، ولم يبدُ أنها كانت تحت التهديد، عندها عدت إلى داخل الشقة، وتوجهت نحو النافذة ورأيتها تدخل وتحمل حقيبة سفر صغيرة فيها حاجيات السيدة لورانزو. أغلقت الباب خلفها وقالت: "ذهب وارتد بيجامتك ونظف أسنانك فالوقت لم يعد مبكراً".

"حسناً أمي".

"أنت بحاجة إلى ملاءة".

"الطقس دافئ لا حاجة لي بها".

"لحماية الأريكة".

"حسناً فهمت".

بعد دقائق كنت مستلقياً على الأريكة مرتدياً بيجامتي وأضع رأسى على إحدى وسائل سرير أمي، تركنا النافذة مفتوحة لأنه لم يكن لدينا مكيف هواء، واستطعت سمع ضجيج الشارع، و كنت أسمع أيضاً حديث أمي ودوناتا في المطبخ، ولكن ليس بوضوح ولم أفهم عما تحدثان. وقد أزعجني طول مكوثهما مستيقظتين في المطبخ، لأن ذلك حال دون تمكني من النهوض

وحراسة النافذة والتأكد أن أبي لم يأتِ. وقد علمت أن أمي أعطت السيدة لورانزو بعض حبات من بینادرل وأصرت عليها لشرب كأس نبيذ أحمر وهو أفضل ما يمكن أن تقدمه لأرملة إيطالية.

عندما غادرتا المطبخ ظهرت بالنوم خاصة عندما اقتربت مني أمي وقبلت وجنتي وتمنت لي ليلة سعيدة.

قبل أن تطفئ الأنوار قالت لي: "يا ملاكي". وهذا ما جعلنيأشعر بالدนาة وبأنني من نسل تيلتون كيرك ولكنني كنت أعرف في قراره نفسي أن دوافعي حسنة.

بينما كنت مستلقياً في الظل والضوء قادم من الخارج يرسم أشكالاً غريبة انتظرت حتى نامتا قبل أن أنهض وأقصد النافذة، كان ضغط السير والناس قد أصبحوا أقل، ولم أر شخصاً يشبه أبي ولكنني تخيلت كل السابلة أبي. كنت قد شاهدت ثلاثي فيلم قديم قبل أن أطفئ التلفاز. في ذلك الفيلم حل بدلاً من الرومي أشرار قدموا من عالم آخر، وصنعوا نسخة من الناس الحقيقيين وأخذوهم معهم ولم يكن من السهل التمييز بين الناس الحقيقيين ونسخهم إلا من خلال المشاعر والأحاسيس.

**Telegram @read4lead**

أخيراً، عدت إلى الأريكة و كنت منهاكاً و نمت نوماً عميقاً، و حلمت أنني موجود في مكان أسود و حولي ماء يجري كما لو أنني على قارب في نهر والسماء تمطر.

استلقيت على جنبي الأيسر بوضعية الجنين على سطح غير مريح، و كنت أمسك بأصابع يدي اليمنى شيئاً و كنت خائفاً لدرجة أنني كنت أسمع نبضات قلبي التي بدت كفرع الطلبل، و تبين لي أن ما كنت أحمله مصباح بطارية. لاحقاً لاحظت أنه لم يسبق أن شممت رائحة أو تذوقت نكهة في أي من أحلامي السابقة بخلاف هذا الحلم الذي شممت و تذوقت فيه رائحة الدم. كانت شفتي السفلية متورمة وألمتني عندما مررت لسانى عليها فقد كانت مجرورة.

لم أكن أعرف سبب حملني مصباح بطارية فأنا لم يسبق لي أن امتلكت واحداً. لقد كشف ضوء المصباح وجهها لا يبعد عنى أكثر من قدم، كان وجه فتاة في بداية العشرينات من عمرها ذات شعر غامق و مبتل بالمطر وكانت عينها جاحظتين وتتدلى مشنوقة من ربطه عنق.

فجأة استيقظت من سواد الحلم إلى سواد أقل وهو ظلمة غرفة الجلوس. نهضت و كنت لثانية مقطوع النفس بعد ذلك و ضعت يدي على فمي و توقعت أن تكون شفتي مجرورة ولكن لم يكن ذلك حقيقياً.

ولأن ساقين كانتا ضعيفتين جلست و شكرت الله أنني لم أكن أبكي في الحلم لأنني كنت سأوقف أمي والأرملة.

بحالي كنت أستطيع أن أرى بوضوح وجه الفتاة المشنوقة كما لو أنني

لا أزال نائماً تماماً كما حصل في حلم لو كاس دراكمان منذ أشهر عدة. لم أكن أتخيلها شبحاً بل على العكس كنت أستطيع رؤية كل تفاصيلها وكأنها لوحة من رسم نورمان روكيول. لا أزال أتذكر شعرها اللامع بفعل المياه، وعيونها الزرقاء المائلتين إلى البنفسجي، وبؤريها الواسعين لأنها ميتة، وأنفها المثالي الذي بدا وكأنه مصنوع من البورسلين، وفمه الناعم، وبشرتها القشدية الخالية من الشوائب باستثناء خالٍ صغير أعلى خدها الأيسر.

عندما استيقظت من حلم لو كاس كنت أعلم أنه قتل والديه في الماضي، ولكن في هذا الحلم أدركت أنه ينبع بما سيحصل في المستقبل؛ بمعنى أنه سيأتي يوم وأجد نفسي بمواجهة جثة هذه الفتاة.

وبينما كنت أجلس على الأريكة شمت رائحة ورد، فوقفت، واستدرت ورأيت صورة ظلية لامرأة تقف أمام إحدى النافذتين وكانت ظاهرة من خلال الضوء القادم من الخارج، كانت أطول من أمي ومن دوناتا وسمعت صوتاً ناعماً يقول فيونا كاسيدي وأدركت فوراً أنه اسم الفتاة التي رأيتها مشنوقة في الحلم.

ابتعدت عن النافذة واختفت في الظل وعندما أنارت الأضواء وجدت نفسي وحيداً في غرفة الجلوس، لقد كانت في الغرفة فكيف غادرت بهذه السرعة؟ كنت متأكداً من رؤيتها وسماعها ولم أشك للحظة بوجودها ولكن بأي طريقة كانت موجودة؟ هذا ما لم أستطع حسمه. لم تكن شبحاً، ولكنها كانت تشبه المرة الأولى التي رأيتها فيها يوم كانت ترتدي ملابس وردية.

كان يجدر بي إخبار أمي عن تيلتون، وكيف لاحقني في الزقاق، ولكن في اليومين التاليين كانت منهنكة جداً في تقديم المساعدة للسيدة لورانزو، فقد ساعدتها في تحضير مراسم الدفن والعزاء ومخاطبة شركة التأمين بخصوص وصية السيد طوني، الأمر الذي سيمنح الأرملة بضع سنوات من الأمان، قبل أن تضطر لتدبر أمورها، كذلك ساعدتها في توضيب ملابس المرحوم لأنها لم تكن قادرة على القيام بذلك وحدها، وفي نهاية النهار كنت أرى أمي حزينة ومهمومة ولم يكن لدى رغبة بزيادة متابعتها.

في الوقت الذي عادت فيه الحياة إلى طبيعتها، وجدت نفسي في غاية التردد لأنخبرها عما قام به تيلتون. من خلال التأجيل كنت أخدعها نوعاً ما، وهذا ما لم يكن لي سابق عهد فيه أو لنقل لم أقم بذلك من قبل في ما يتعلق بأمر جدي كهذا، وبالرغم من أن تأجيلي يعزى لسبب وجيه، فقد خشيت أن تقلق مستقبلاً من إخفائي أموراً أخرى عنها، وأمر كهذا يمكنه أن يغير حياتنا إلى الأبد.

بالطبع، كنت أخفي عنها سراً آخر، سرّ السيدة بيرل التي كانت تخبرني في أحلامي عن أمور حصلت وستحصل، وقد أعلمني بشكل واضح لا ليأس فيه ألا أخبر أحداً عن حلم لو كاس دراكمان وفهمت تلقائياً أن الأمر عينه ينطبق على حلم فيونا كاسيدي. وهذا إن عنى شيئاً فهو بالتأكيد كتم هذه الأخبار. وإن كان الكتم لا يصل إلى مرتبة الكذب إلا أنه لا يجدر بالمؤمنين من أمثالنا القيام به. صحيح أن السيدة بيرل منحتني بيانو لكن بالمقابل أمي منحتني الحياة، لقد كنت أحب أمي حباً جماً وتمنيت أن تبقى ثقتها بي مدى

بعد أن أجلت إخبارها عما قام به أبي، ارتكبت خطئتي الكبيرة عندما قررت عدم إخبارها عن الأمر. إن معظم الفتياً ممن هم بعمر التاسعة يسعون لكي يبيدوا أكبر من سنهم الحقيقي، وبما أنني أصبحت رجل البيت، لذا أقنعت نفسي أنني يجب أن أكون الوحيدة الذي يتعامل مع تيلتون إن عاد مرة أخرى إلى هنا، وقد كنت واثقاً من قدرتي على التعامل معه، ففي ظل الأوقات العصبية التي نمر بها يجب عليَّ ألا أزيد قلق أمي بشأن أمور غير ضرورية.

على الصعيد الوطني، كانت الأزمات الدولية تتواتي، فال ihtilal المظاهرات المناهضة لحرب فيتنام لا توقف، وقد أحترقت امرأة سبعينية تدعى أليس هزر نفسها احتجاجاً، وفي العام السابق وخلال مسيرة مارتن لوثر كينغ من سالمي إلى مونتغمري ألاباما تعرض المشاركون لهجوم من فرقة الخيالة وقد شاهد الشعب المذهول ما حدث عبر شاشات التلفاز، وبعدها اغتيل مالكوم أكس من قبل مسلمين سود أمريكيين وهذا ما أثار موجة من السخط والغضب. تراجع احترام الناس للسلطة وبالمقابل ارتفع معدل الجريمة وانتشرت المخدرات على نطاق واسع غير مسبوق، وحصلت في مناطق من المدينة مظاهرات مناهضة للعنصرية، وحصلت مذبحة في مدينة الزنوج واتس في لوس أنجلوس ذهب ضحيتها 34 شخصاً ودمرت منازلهم ومحلاتهم وسوبر ماركت بالأرض، ولم يكن هذا الصيف أقل عنفاً من سابقه. وقد سمعت أمي تتحدث مع جدي في عدة مناسبات بشأن المستقبل - ليس مستقبلها كمفينة - بل مستقبل الحرب وما يتضمنه الجميع. ولما قارنت ما يجري في العالم وما يجري في عائلتنا فلم يكن تيلتون سوى إزعاج بسيط لا يستحق الذكر ولا يرقى لمستوى التهديد.

هذا الصيف كان مميزاً من ناحية الحرارة والرطوبة والأحداث أيضاً فقد حصلت عمليات كثيرة في ميكونونغ دلتا فيتنام الأمر الذي رفع عدد القتلى بشكل دراماتيكي وهذا ما أشارت إليه الأخبار كل ليلة.

في تموز ذبح ريتشارد سبارك في شيكاغو ثماني طالبات تمريض داخل غرفهن في الجامعة، وفي الأول من آب أقدم طالب مجتهد يدعى تشارلز ويتمن على قتل وجراحته 30 طالباً عندما صعد إلى الطابق السابع والعشرين في جامعة تكساس وأطلق النار واعتبر عمله هذا مجرة غير مسبوقة وأنذرته ببداية مرحلة جديدة غير واضحة المعالم.

ذات يوم عادت أمي من عملها في لورث ووجدتني أشاهد الأخبار بتركيز حيث كانوا يتحدثون عن الحرب والمظاهرات، في ذلك الحين كنت لا أزال في التاسعة ولكني كنت قد بدأت بمتابعة الأخبار منذ وقت طويل، وبدأت أكون معرفة عن هذا العالم غير الثابت، والذي ربما كان عدم توازنه يرتبط بذهني بعدم توازن قرارات أبي، بالإضافة إلى العقبات التي تقف في طريق نجاح أمي المهني. الحرائق في لوس أنجلوس والتفجيرات في فيتنام والقنص في أكثر من مكان والجثث في الطرقات وجريمة لوکاس وجريمة فيونا وموت السيد لورانزو ومراهقي سايد ريفر كومنز كل ذلك تجمع وكان بمثابة النسمات التي تتجمع لتشكل فيما بعد اعصاراً مدمراً. بينما كان الدمار والخراب في التلفاز يجذبني قلت لأمي: "الناس يقتلون بعضهم بعضاً".

تابعت أمي مشاهدة التلفاز قبل أن تغلقه وتجلس إلى جانبي وتسألني: "هل من خطب؟".

"لا، كل شيء بخير".

"أتأكد أنت؟".

"لا شيء شخصي إنما الأحداث العالمية المحيطة بنا".

"الأخبار سيئة".

"سيئة جداً".

"إذا لا تشاهدها".

"إذا لم أشاهدها فهذا لا يعني أنها غير موجودة".  
"ولكن ما باليد حيلة".  
"ماذا تعنين؟".

"الحرب والمظاهرات وما إلى ذلك".  
"أنا مجرد طفل".

"ولكنتني لست طفلاً، وبالرغم من ذلك لا يسعني القيام بشيء سوى الجلوس ومشاهدة الأخبار".  
"ولكذلك أطفيت التلفاز".

"لأن هناك أموراً أخرى يسعني القيام بشيء حيالها".  
"ماذا؟".

"السيدة لورانزو تجلس بمفردها لذا دعوتها لتناول العشاء معنا".  
هززت كتفي وقلت: "أمر جيد".

أعادت تشغيل التلفاز ولكن على الوضعية الصامتة. كان الخبر الآن عن سرقة محل للإلكترونيات.

"مقابل كل شخص يقوم بأعمال شغب، هناك ثلاثة أو أربعة أشخاص قد يكونون في الشارع نفسه ولا يريدون أن يكونوا جزءاً من الشغب".  
"ولكن هذا لا يظهر في التلفاز".

"لأن التلفاز يظهر الأمور السيئة، فالأخبار لا تتحدث عن كل شيء يا جونة، بل ما تريده وسائل الإعلام ولكن بالمقابل هناك أمور خيرة كثيرة لا يتم الحديث عنها".

استبدل التلفاز الصامت صور المظاهرات بوجه مذيع.  
"ولكنتني لست واثقاً مما قلته أمي".  
"أنا واثقة".

استبدل المذيع بصور عواصف تجتاح مدينة وشاهدنا منزلًا يدمر في

غضون ثوانٍ.

"الأخبار تتحدث عن الأعاصير والعواصف ولكن 99 بالمئة من الأوقات لا تكون الطبيعة هائجة وبالتالي لا تكون موضوعاً لنشرات الأخبار". عندها أغلقت التلفاز وسألتني "ماذا تريد أن تكون عندما تصبح رجلاً؟". "أعتقد أني أريد أن أكون رجلاً صالحًا".

ابتسمت وجذبتي إليها وضمتني وقبلت رأسني "إذا ساعدني لتحضير العشاء للسيدة لورانزو. يمكنك البدء بتحضير الطاولة".

بعد دقائق عدة وبينما كنت أضع الأطباق على الطاولة سألتها: "أنتين أن أبي سيكون جزءاً من الأخبار؟".

لقد فهمت ما كنت أرمي إليه وقالت: "كن محترماً يا جونة". أعتقد أنها كانت تمتلك جواباً عما سألت ولكنها لم تبح به.

في الصباح بعد أن غادرت أمي إلى ولورث، أنزلت كيس النفايات إلى المستوّعب في الزقاق، وكانت السماء رمادية وملبدة بالغيوم، وبدت السماء كما لو أنها سقف للمدينة بأبعاد خيالية، وكان الهواء راكداً. ولكن عندما أقيمت بالنفايات في المستوّعب، أحسست بحركة الهواء في الزقاق الذي كان مليئاً بالأوراق والنفايات، ولكن حركة الهواء كانت طفيفة، والشيء الذي تحرك كان كرة بحجم كرة الغولف تدحرجت واستقرت أمامي، عندها لاحظت أنها عين وليس كرة. لم تكن عيناً حقيقة بل عين دمية.

حدقت العين إلى ولا أذكر أنني انحنيت لأنقطها، ولكنني لاحظت أنها أصبحت في يدي اليمنى، عين قماشية ممحوشة بالإسفنج قشدية اللون ملصق في وسطها دائرة قماشية بيضاء وداخلها دائرة زرقاء كما كانت تحتوي على خيوط قشدية في الخلف افترضت أنها كانت تربط العين بالدمية التي أخذت منها. ربما بسبب الأحداث والأحلام الغريبة لم أفكر بهذه العين على أنها نفاية وجدتها بالطريق، بل كنتير شئ، وبينما كانت تحدق إلي، خفت أصوات المدينة، وخيم السكون على الزقاق بشكل تام، لبرهة ظنت أنني أصبحت بالصمم، ولكنني سمعت صوتي وأنا أسأل: "ما الذي حصل؟". كان السكون حقيقياً ولم يكن له علاقة بحاسة السمع لدىي، بدت المدينة وكأنها حالية من الناس أو كساعة كبيرة ولكن بعد سنوات من العمل المتواصل توقفت مستناتها عن العمل.

في البدء، نظرت إلى نهاية الزقاق قبل أن أنظر إلى نهايته الأخرى، وتساءلت عن سبب غياب الضجيج لا سيما ضجيج السيارات، أضف إلى

ذلك أنه في صباحات آب الحارة عادة ما تكون نوافذ الشقق مفتوحة ولكني لم أسمع أصواتاً منبعثة منها، لا أصوات ناس ولا موسيقى ولا شيء من هذا القبيل، حتى السماء لم يكن يسمع منها هدير الطائرات أو مروحيات الشرطة. عندما أعدت النظر إلى العين لم أستطع إبعاد الفكرة الغريبة التي كانت مسيطرة عليَّ بأنه هذه الكرة تستطيع رؤيتي بالرغم من أنها مصنوعة من قماش وإسفنج، لم تكن العين تحدق إليَّ فقط بل تحللني وتنتقدني. وشعرت في تلك اللحظة أنني الوحيد الذي يقيم في هذه المدينة التي يخيم عليها السكون. عندما أستعيد بالذاكرة ما حصل معي وأنا الآن في السابعة والخمسين لا يزال فضول الأطفال يعتريني وأتوقع أن أستيقظ كل يوم وأرى معجزات قد حصلت. عندما كنت في التاسعة لم أكنأشعر بالحب الرومانسي ولم أكن مؤمناً كالاليوم ولكنني كنت طفلاً أُعجب بأمور وأصحاب بالرعب من أخرى، وهذا ما جعلني الشخص الذي أنا عليه اليوم.

أقسم إنني عندما أغفلت قبضة يدي على تلك العين تحركت بين أصابع في محاولة منها لإيجاد مخرج لها من بين أصابع ما يتبع لها منفذًا صغيراً لتراني وتحدق إليَّ. وبذا لأن السائل في عمودي الفقري استبدل بسائل مبرد بعث القشريرية في فقرات ظهري وصولاً إلى جمجمتي.

دونت من المستوى بالأقرب إلى ونويت رميها، ولكنني تذكرت ما قاله لي جدي عن الجوجو، وقبل أن أرميها فكرت أن أفضل ما يمكنني القيام به هو الإبقاء عليها معي، كي أضعها في وعاء وأحكم الإغلاق عليها، وأتأكد أنها لن تستطيع تبعي ومراتبتي. وإن لم تخني الذاكرة لم تكن هذه فكري بل يبدو أن أحداً همس لي بها في أذني. لم يكن صوتاً واضحًا بقدر ما كان مألوفاً والأرجح أنه صوت امرأة.

بين النفايات المبعثرة على أرض الزقاق كان هناك زجاجة ويسكي

موضوعة داخل كيس ورقي بني اللون، وكان نصفها ظاهراً خارج الكيس. فما كان مني إلا أن أخرجتها من الكيس ووضعت العين فيه وأحکمت إغلاقه، وشيئاً فشيئاً عادت الأصوات. في البدء كانت هادئة ولكن في غضون ثوانٍ عادت إلى سابق عهدها.

أصغيت لدقيقة وتساءلت عما حصل وإذا بالقشعريرة تزول ولكن الحذر والدهشة لازماني.

فتحت باب المدخل الخلفي بالمفتاح، إلا أنني قررت عدم استعمال الدرج الخلفي، لأنني توقعت أن يكون تيلتون يتظاروني على الدرج أو بالأحرى حيث تركت له أمي حقائبه يوم طردته من الشقة، توقعت أن يكون معه قطعة قماشية مرسوش عليها مادة مخدرة وما أن أستنشقها حتى أشعر بالدوار وعندها يحملني وينقلني إلى صندوق سيارة ويأخذني إلى الأبد.

صعدت درج الطابق الأول قبل أن أشاهد امرأة تقف وسط درج الطابق الثالث مسرولة بالسوداد، كانت طويلة وسوداء الشعر وتضع يدها على الدرابزين وبدت يدها باهتة اللون وكأنها مصنوعة من البورسلين.

سمعت وقع خطواتي فالتفت ونظرت إلى بعينيها الزرقاويين المائلتين إلى البنفسجي. كان أنفها خالياً من العيوب، وفمهما دقيقاً، وبشرتها قشدية لا تشوبها شائبة، باستثناء خالٍ صغير أعلى خدتها الأيسر. لقد كانت الفتاة التي رأيتها مشنونة في الحلم ولكنها حية الآن؛ إنها فيونا كاسيدي. فغرت فاهي دهشة، وأنا أنظر إليها وأحمل الكيس الورقي بيدي وبدا الأمر وكأنني أريد إعطاءها الكيس رغمما عنني، وما من شك أنني بدت شخصاً ساذجاً. لم تبتسم ولم تعبس بل أكملت صعودها الدرج.

تمنيت لو أنها لم تتتبه أو تشكي باهتمامي الزائد بها. وقفـت عند الطابق الثاني وأصغيت السمع لوقع خطواتها وعندما تأكدت أنها اجتازت الطابق الثالث تبعتها محاولاً ألا تشعر بتبعي لها.

تجاوزت فيونا الطابق الرابع حيث كنت أقيم مع أمي، ووصلت الطابق الخامس حيث كانت تقيم الآنسة ديلفافين وحيث يقيم السيد يوشيوكا في الشقة 5 ثم تابعت الصعود حتى بلغت الطابق السادس والأخير.

كل طابق في بنايتا يتالف من ثلاثة شقق. شقتان بمقاس شقتنا والأخرى كانت تساوي حجم الشققين معاً، وكانت تناسب العائلات التي لديها أكثر من ولد واحد، بالرغم من أنه لا يمكن اعتبارها رحبة. وكان المشرف على البناء السيد سمولر يسكن الطابق الأرضي أما الشقق الباقيه فكانت مؤجرة.

بما أن البناء لم يكن مزوداً بمصعد ولم تكن له إطلالة جميلة، فإن بدل إيجار الطابق السادس كان أدنى من بدل إيجار الطابق الخامس وهكذا دواليك. في تلك الأيام لم تكن هناك إعانة إيجار حكومية كما هي الحال اليوم. وأمي لم تكن ولم ترد تلقي مثل تلك الإعانة. لو كانت الحكومة تقدم مثل هذه الإعانة لما شغررت شقق الطابق السادس ولكن بما أن المستأجر هو من يدفع بدل الإيجار فلا مصلحة لها باستئجار شقة في بناء لا مصعد فيه وبالتالي تصل المياه دافتها إلى طوابقه العليا، لأنها تبرد في طريقها عبر الأنابيب من الملجأ وريشما تصل الشقق في الطوابق العليا. هذا ما جعل شقق الطابق السادس شاغرة معظم الوقت ومن النادر ما كنا نرى شقة مؤجرة أو اثنتين.

لم يكن معظم القاطنين يتعاطون بعضهم مع بعض، وبالتالي كانوا يلقون التحية بل كانوا يمتنعون في الغالب من النظر إلى الجار المار بالقرب منهم. أما أنا فكنت أعرف أسماء معظمهم. لم أكن أقل فضولية مما أنا عليه الآن بل كان لدى خيال واسع. في آب تلك السنة كنت أعلم أن أربع عشرة شقة فقط

مؤجرة وأن كامل شقق الطابق السادس شاغرة.

لقد كان لكل طابق من الطوابق الستة باب مدخل (من جهة الدرج) وكان لذلك الباب نافذة تتيح لك رؤية إذا كان هناك شخص خلف الباب قبل أن تفتحه، وعندما وصلت إلى الطابق السادس، وقفت على رؤوس أصابعي ونظرت من خلال النافذة لاحظت أن فيونا كاسيدي دخلت الشقة ٦.

فكرت أنها ربما كانت تبحث عن شقة لتأجرها وأن السيد سمولر قد أعطاها المفتاح لتلقي نظرة، ولكن سرعان ما أجهضت هذه الفكرة عندما تذكرت أن سمولر لا يعطي المفتاح لأي كان قبل أن يدفع بدل إيجار الشهر الأول. كان السيد سمولر متعدد المهن وكان يستطيع إصلاح أي عطل قد يحصل في البناء. ولكنه كان في الوقت نفسه غريب الأطوار ويؤمن باحتشاد العالم بالمؤامرات، وذات يوم قال لي أنه لا يجدر به الوثوق بأي كان.....

سرت بهدوء وأنا أحمل عين الجوجو في الكيس حتى وصلت الشقة ٦ وكان الباب نصف مغلق، كنت على دراية بوجوب توخي الحذر والعودة بسرعة إلى شقتنا.

لقد رأيت فيونا في الحلم ميتة ومشنوقة ولكنها أمامي حية ولم تكن شيئاً، لذلك شعرت أنه يتوجب علي تحذيرها بالرغم من أنني توقعت أن لا تغير تحذيري أي اهتمام فأنا لا أعدو كوني طفلاً غريباً.

نظرت من خلال فتحة الباب لاحظت أن ورق الجدران في الردهة متهدل وأصفر أمام الردهة، كما لاحظت غرفة غير مؤثثة ويفطي أرضيتها مشمع، وكانت جدرانها رمادية وكان عليها شيء شبيه بالصدأ. لم يخيم السكون على المدينة وظللت الأصوات تتواجد على أذني من المبني والشارع أيضاً، ولكن لم يصدر صوت من داخل الشقة، لا وقع أقدام أو صوت إنسان غريب! أليس كذلك؟

أنا لست شخصاً متهوراً، ولكنني تهورت اليوم واجتزت عتبة الباب

ودخلت الشقة، لم يكن ذلك لأنني شجاع بل لأنني شعرت بنفسي مدفوعاً للدخول، وكأنني كنت مسحوراً والفضول يتهشّبني للدخول. كانت السماء ملبدة بالغيوم الداكنة ولكنني أحسست أنها أصبحت أكثر دكناً وذلك في غضون الوقت الذي استغرقه وصولي إلى الشقة، وكان الضوء الداخل عبر النافذة قاتماً وكأنه ينذر بقدوم عاصفة.

على اليسار كان هناك غرفة طعام ومن بابها المفتوح رأيت جزءاً من المطبخ، وإلى اليمين كانت هناك ظلال خفيفة في ردهة خالية من النوافذ. ربما، ولأنه لم تكن هناك نافذة واحدة مفتوحة في الشقة، كان الجو حاراً ورائحة العفن منتشرة في الأرجاء بالإضافة إلى رائحة دخان السجائر وبيول القطط.

بدا المشمع هشاً وكأنه سيتفسخ، ولكن بمجرد أن خطوت عليه وجدته كالإسفنج، ربما بسبب العفن الذي يفصل بينه وبين الأرضية، لم أر أحداً في المطبخ.

في الجهة المقابلة لغرفة الجلوس كان هناك حمام وأربع غرف نوم غير مؤثثة إلا أنني وجدت في إحداها كيس نوم وحقيقة كبيرة. كانت أبواب خزائن غرف النوم مفتوحة، ربما تركها المالك هكذا منعاً لتعفن داخلها.

لا أظن أنني تركت مكاناً لم أبحث فيه عن فيونا، وبدا لي أن نافذة إحدى غرف النوم مفتوحة إلى الأعلى ولم يكن الهواء الداخل منها قادراً على تحريك الستائر. من المؤكد أن فيونا لم تتم بالأمس هنا لتتتحرّر اليوم. وبينما كان الخوف يغمرني تقدمت نحو النافذة ونظرت خارجها إلى الطريق ولم أر جثة في الأسفل.

إن كان حلمي صحيحاً وصادقاً ففيونا لن تموت منتحرة بل مقتولة. وأنا عائد من النافذة توقعت أن أجد فيونا خلفي، ولكن ظنوني وتوقعاتي

خابت، وهذا ما جعلني أتساءل وأناأشعر بجفاف في الفم وأستمع لضربات قلبی، كيف تجرأت ودخلت الشقة.

بعدها توجهت نحو الباب وخرجت من الغرفة إلى ممر الطابق السادس ولم أر أحداً، مع أنني لم أتوقع أن أدخل وأخرج دون أن يراني أحد. فلا بد أن هناك ثمناً يجب عليّ دفعه لتتبعي فيونا ودخولي شقتها.

ما إن وصلت الدرج وقبل أن أبدأ بالنزول حتى سمعت صوت باب الشقة ٦٥ يغلق، وعندما نظرت لم أر أحداً ربما كان الهواء هو من أغلق الباب وربما هو شيء لا أعرفه.

أتظنون أنه كان يجدر بي التفكير أن فيونا طارت من النافذة المفتوحة كي توهمني أنها غير موجودة، ولكنها عادت ما إن غادرت؟ حتى خيالي الواسع لم يصل إلى هذا المدى، لأنه بكل بساطة بعيد كل البعد عن الواقع.

عندما وصلت إلى شقتنا أخرجت العين (الكرة) ووضعتها وسط السرير ووضعت البؤبؤ جهة الأسفل، وأخذت أنظر إلى العين وأنحرك ذهاباً وإياباً، ولكنها لم تتحرك وتتبعني.

عابت نفسي لأنني خفت من شيء طفولي إلى هذا الحد، ووصفت نفسي بالأحمق. قصدت المطبخ وأخرجت زجاجة عصير ليمون وسكتت لنفسي كوباً وجلست إلى الطاولة أشربه. أخذت أفكر بالذهاب إلى مركز المدينة والعزف مع السيدة أوتول لأربع ساعات، لأنه وفي غضون أسبوعين ستفتح المدرسة أبوابها ولن أستطيع الذهاب لأكثر من ساعتين أسبوعياً بعد الظهر. في الأيام العادبة لم أكن أطيق صبراً على الذهاب ولقاء السيدة أوتول والبدء بالعزف، ولكني اليوم شعرت بشيء غريب، ربما هو شيء قريب أو شبيه بفيلم الفودو الذي سبق لي أن شاهدته ولم أكمله. ولكن ما أحسست به لم يكن إيقافه ممكناً كما في الفيلم فقد كان حقيقةً.

وأنا أجلس إلى الطاولة لاحظت أن قطرات من الماء تكونت على الكوب بسبب البرودة، وبدت لي قطرات في الأعلى صافية نقية ولا معة كاللمس، بينما تخيلت قطرات التي في الأسفل والتي بدت خضراء وكأنها حبات زمرد. ولكنها في الحقيقة لم تكن الماساً ولا زمراً بل مجرد قطرات ماء، ولم أكن أستطيع مقاومة الرغبة بالنظر إليها والتفكير بالمجوهرات والثراء، وكيف يحل الثراء الكثير من المشاكل. فلو كنا أثرياء لما اضطررت أمي للعمل في ولورث، وربما كنا نملك ملهمي خاصاً بنا تغنى فيه أمي ساعة تشاء، ولربما امتلكنا شركة تسجيلات مهدت طريق المجد والشهرة لموهبة أمي، ولو كنا

أغنياء لما خشينا من أبي وكنا وكلنا أفضل المحامين ووظفنا أقوى الحراس، وكنا نعيش في منزل كبير مسيح في أعلى تلة بعيدين عن الناس وبعيدين عن الحرب والمظاهرات والمراهقين المتحرشين بالنساء.

بعد كل هذه السنين لا أزال أذكر كوب العصير، والقلق من كوني طفلاً يستطيع توقع أو معرفة الأمور السيئة التي ستحدث لاحقاً. وهذا كان ولا يزال يفوق قدرة طفل صغير على التحمل.

إن أجمل ما يرافق النمو هو التعلم من التجربة، لتصل في النهاية إلى أن هناك أمرين مهمين في هذه الحياة: أولهما الحقيقة وثانيهما أيضاً الحقيقة. لنقل أن المقصود بالحقيقة الأولى الحقيقة الكبرى، وبالثانية الحقيقة الصغرى. فعليك أن تقول الحقيقة، وتسعى في طلبها من الناس، وتعرف الكذب وتواجهه. وعليك أن ترى العالم على حقيقته وليس كما تريده أن يكون أو كما يريده الآخرون. وعندما تتأقلم مع هذه الحقيقة تحرر نفسك من التوقعات الخاطئة المتمثلة بالركض وراء شيء مستحيل.

أما الحقيقة الثانية أو الصغرى فهي أن للحياة معنى وهي مصدر السعادة الأكيد لأنها تجعلك تعرف قيمتك وقدراتك وتشجعك على التألف مع الناس وهذا ما يجلب السلام الداخلي والخارجي العام والخاص. إن الحقيقة الصغرى تجعلك تحب الناس لذاتهم وليس لما يقدمونه لك من منفعة. وهذا النوع من العلاقات هو ما يمنحك لحظات نادرة من السعادة الحقيقية التي تبقى في ذاكرتك وتبقى وامضة على الدوام.

بعد شهرين من عيد ميلادي التاسع كنت في غاية البعد عن فهم ما سبق لأن فهمه مرتبط بالتجربة الحياتية. في المطبخ كنت أحلم بالألماس والزمرد، وكانت آمل أن تزول كل أنواع التهديدات. وما أن انتهيت من العصير حتى غسلت الكوب وجفنته وأعدته مكانه وجففت الماء المتراطر منه إلى الطاولة، وتوجهت إلى غرفة الجلوس وأخذت أحدق إلى التلفاز من دون أن أشغله

فقد كنت أعتقد أن عدم تشغيل التلفاز هو الخطوة الأولى في رحلة الألف ميل نحو النصف.

وعندما دخلت غرفة نومي رأيت الكرة أو العين في مكانها وكان البؤبؤ لا يزال ناحية الأسفل، وكان من الغباء التفكير أن هذه الكرة تحتوي على الجوجو فما من شيء غريب فيها، فهي لا تعدو كونها نفاية. بالرغم من ذلك أعدتها إلى كيس الورق ولم أرمها، وبعد تردد حملتها وفتحت الدرج وأخرجت علبة حديدية.

لقد احتوت هذه العلبة ذات يوم حلوى، وكان السيد والسيدة لورانزو قد جلباهما لي بمناسبة الكرسمس العام الماضي. وكان يزين العلبة صورة امرأة إيطالية ترتدي زياً تقليدياً وقد كتب على العلبة بخط أحمر مذهب لافلورانتين وأسفلها تورون، وكانت تحتوي سابقاً على أوقية ونصف من الحلوى الممحشة باللوز وهي حلوى إيطالية بنكهات ثلاثة: الليمون والحامض والفانيлиاء، وكانت لذذة جداً، ولكن إن كان لا بد من مقارنة بين العلبة ومحتوها فالعلبة هي من سيفوز حتماً لجمالها.

لقد خبأت في هذه العلبة الأشياء القيمة بالنسبة إلىي أو التي كنت أراها جميلة لأسباب لا يمكن أن يفهمها إلا الأطفال الذين من عمري.

ضمت هذه العلبة أشياء متفاوتة القيمة والأهمية من بلية زرقاء وذهبية إلى فاتورة المطعم الذي تناولت فيه الطعام مع أمي يوم طردت أبي بالإضافة إلى قطعة معدنية من الدولار مر عليها دولاب القطار وحولها إلى نصف دولار، وكذلك نصف دولار فضي أعطتني إياه الجدة أينتا يوم تعلمت الصلاة.

لم أضع القلادة ذات الريشة في العلبة لأنني كنت لا أزال أحملها في جيبي وأخذها أينما ذهبت.

لقد ترددت كثيراً قبل وضع العين داخل العلبة فإن كانت تحتوي سحراً مع أن ذلك أصبح فرضية بعيدة فيمكنها أن تؤثر على الأشياء الأخرى. ومع

ذلك وضعتها في العلبة وأغلقتها ووضعتها في الدرج ونهضت إلى السرير  
وعندما نظرت إلى الخلف احجزروا من وجدت؟ نعم إنها فيونا كاسيدي هي  
من كانت تقف عند باب غرفتي.

كنت على يقين من أنني أغلقت باب الشقة، كانت هناك نافذتان مفتوحتان، ولكنها لن تستطع الوصول إليهما لا من الطابق السادس ولا من الشارع. لم تقل شيئاً، حدقـت إلـيـ، دون أي تعـبـير على وجهـهاـ. كان وجهـهاـ جـميـلاًـ، ولكـنهـ يـشـبـهـ وجـهـ الـرـوـبـوـتـ، كـماـ لـوـ كـانـ ماـ سـتـفـعـلـهـ بـعـدـ ذـلـكـ سـيـتـمـ تـقـرـيرـهـ منـ خـلـالـ تـطـبـيقـ بـعـضـ الـخـواـرـزـمـيـاتـ وـتـشـغـيلـ الـعـلـمـيـاتـ الـحـسـابـيـةـ عـلـىـ لـوـحـاتـ دـوـاـئـرـ مـطـبـوـعـةـ، وـبـدـتـ عـيـنـاهـاـ ذـوـاتـاـ اللـوـنـ الأـزـرـقـ الـمـائـلـ إـلـىـ الـبـنـفـسـجـيـ لـامـعـيـنـ.

أود القول إنـيـ كـنـتـ قـلـقاًـ وـإـنـماـ غـيرـ خـائـفـ، ولكـنـهاـ فـيـ الـحـقـيقـةـ كـانـتـ قدـ أـرـعـبـتـنـيـ بـالـطـرـيـقـةـ التـيـ تـجـسـدـتـ بـهـاـ كـالـشـبـحـ، وـالـطـرـيـقـةـ التـيـ وـقـفتـ بـهـاـ لـلـتوـ، وـهـيـ تـحـدـقـ.

بـإـحـسـاسـ غـرـيزـيـ، أـحـسـسـتـ أـنـهـ لـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـكـلـمـ أـوـلـاًـ، بلـ أـنـ أـرـدـ لـهـ التـحـدـيقـ بـتـحـدـيقـ وـالـصـمـتـ بـصـمـتـ لـأـثـيـرـ أـعـصـابـهـ. ولكـنـيـ لـمـ أـسـتـطـعـ كـبـحـ جـمـاحـ نـفـسـيـ فـسـأـلـتـهـ: "مـاـذـاـ تـفـعـلـيـنـ هـنـاـ؟ـ"ـ عـنـدـهـاـ تـخـطـتـ عـتـبـةـ الـبـابـ، وـدـخـلـتـ غـرـفـةـ نـوـمـيـ فـسـأـلـتـهـ: "كـيـفـ أـمـكـنـكـ الدـخـولـ؟ـ".

دونـ أـنـ تـنـازـلـ وـتـرـدـ عـلـيـ، جـالـتـ بـيـصـرـهـاـ فـيـ أـرـجـاءـ الـغـرـفـةـ الصـغـيرـةـ مـبـدـيـةـ اـهـتـمـاماًـ خـاصـاًـ بـمـلـصـقـ لـصـورـةـ دـيـوكـ الـبـنـغـتوـنـ فـيـ إـحـدـىـ السـهـرـاتـ ثـمـ بـصـورـةـ مؤـطـرـةـ - لـرـسـمـ لـلـجـدـ تـيـديـ معـ بـيـنـيـ غـوـدـمنـ، ثـمـ بـمـلـصـقـ لـصـورـةـ نـجمـيـ التـلـفـزـيـونـيـ المـفـضـلـ، رـيـدـ سـكـيـلـتوـنـ، وـهـوـ يـرـتـديـ زـيـ شـخـصـيـةـ فـرـيـديـ الـمـسـتـغـلـ لـأـنـيـ لـمـ أـسـتـطـعـ الـحـصـولـ عـلـىـ مـلـصـقـ لـهـ وـهـوـ بـشـخـصـيـةـ كـلـيمـ كـادـيدـلـيـهـوـبرـ، الشـخـصـيـةـ التـيـ أـضـحـكـتـنـيـ كـثـيرـاًـ.

أغلقت الباب خلفها، مثيرة قلقى، فقلت لها: "من الأفضل لك أن تخرجى من هنا".

معيدة انتباها إلى، ولا يزال وجهها حالياً من التعبير سألتني قائلة: "إلا ماذا؟". كان صوتها ناعماً وهادئاً. "من الأفضل أن أخرج من هنا، إلا ماذا؟".

"أنت لا تنتمرين إلى هنا".

أصرت سائلة: "إلا ماذا؟".

"ستكونين في ورطة كبيرة".

عدم تغيير نبرة صوتها أرعد أوصالى أكثر مما يمكن لأى نوع آخر من التهديد أن يفعل. "ما الذي تنوى فعله؟ هل ستصرخ مثل فتاة صغيرة؟".

"لا أحتج إلى الصراخ".

"لأنك صلب جداً".

"لا. لأن أمي ستكون في المنزل خلال لحظات".

"لا أعتقد ذلك".

"حسناً، بل ستفعل. سترىن".

"كاذب".

"سترلين".

**Telegram @read4lead**

بدأت أفكر أن سلوكها القاسي لم يكن يعبر عن حقيقتها، وأن ثمة بركاناً كامناً تحت هذا المظهر الهدائى.

"هل تعرف ماذا يحدث للمتطفين الصغار؟" سألت.

"أنا لست متطفلاً".

"تحدث لهم أشياء سيئة".

في النهار الرمادي خلف النافذة، ومضض ضوء، ثم ومض مرة أخرى، حتى أن البناء المجاورة التي تبعد ست أقدام، بدت وكأنها قفزت إلى مسافة أقرب، كما لو أنها تنهار باتجاهنا، وفي أعقاب تلك الومضات، توالي الرعد

بدأت تقترب من السرير، وفَكَرْت في القفز فوقه والاندفاع بقوّة عبره،  
لكنني كنت أعرف أنها ستلتحق بي قبل أن أصل إلى الباب.  
"أنت لا تخيفيني". قلت لها.

"إذاً أنت غبي. متطفِل، صغير، كاذب وغبي".  
متراجعاً إلى الزاوية، ومدركاً تماماً ضعفي وإمكانية تعرضي للأذى، قلت  
لها: "سأعضك".  
"وأنا سأعضك".

كنت أقصر منها بكثير. شعرت أنني قزم، إذا أردت أن تعرف شعوري.  
وعندما اقتربت قدماً من السرير، بدأت ومضات البرق تلمع عبر الحائط خلف  
النافذة، قلت لها: "لقد سبق ورأيتكم في حلم".

هذه المرة عندما طارد الرعد البرق، بدا لي وكأنها قد استدعت العاصفة  
معها.

"كم عمرك، أيها المتطفِل".

"لماذا تسألين؟".

"من الأفضل لك أن تجيئني".

استهجنت "أقارب العشر سنوات".

"إذاً أنت أتممت التاسعة فقط".

"ليس فقط".

توقفت ونظرت إليّ من أعلى، على بعد حوالي ذراع مني. "أنت تحلم  
بالفتيات، أليس كذلك؟".

"لم أحلم بأحد سواك، ولمرة واحدة فقط".

"ولد مريع لحلم رطب".

متفاجئاً سألهما: "كيف علمت أنه كان هناك ماء في الحلم؟ لقد كان

صوت الماء في كل الأرجاء".

بدل أن تجibني، قالت: "لماذا بتعنني إلى الطابق السادس، أيها الكاذب؟".  
"كما قلت سابقاً. لقد تعرفت إليك من الحلم. هذه هي الحقيقة".  
أخيراً قالت: "أنا لا أحبك، أيها المتطرف. إنني لأحب أن أهشم وجه  
القرد هذا، لا تدفعني لأفعل ذلك. لا تتعنني مجدداً".

"لن أفعل. ولماذا أفعل ذلك؟ فأنت لست بالشخص المثير للاهتمام".  
"يمكنني التحول إلى شخص مثير للاهتمام في غضون لحظات، أيها  
المتطرف، مثيرة للاهتمام بشكل لن ترغب أبداً بمعرفته. أبق بعيداً عن الطابق  
السادس".

"لست بحاجة إلى الصعود إلى هناك".

"ولا تريد ذلك أيضاً، إلا إذا كنت مغفلًا أكثر مما أظن. ولا تريد أن  
تححدث عني لأي شخص، ولا أي شخص. أنت لم ترني. ولم نقم بهذه  
المحادثة القصيرة. هل فهمت، أيها المتطرف؟".

"نعم. تماماً. حسناً فليكن. يا إلهي".

حدقت إلي طويلاً، ثم نظرت إلى صندوق اللافلورانتين بجانب السرير.  
"ما الذي فيه؟".

"لا شيء. أشياء".

"أي أشياء؟".

"أسيائي".

"هل من بينها أشياء أخذتها من حقيتي أو من كيس النوم؟".

"لم أمس أشياءك. لقد ألقيت نظرة فقط".

"هذا ما تقوله أيها الكاذب. افتحه".

التقطت العلبة ولكنني أبقيتها أمام صدرني.

أرادت صراع تحدي آخر، وبدلت جهدي بالرغم من عينيها المزعجتين،

المليتتين بالوحشية.

قالت: "ما هو الشيء الأسود من الخارج والأحمر من الداخل؟".

لم أكن أعرف ما قصدت، وما أرادت. هزّت رأسي.

من جيب سترتها خفيفة الوزن، أخذت سكيناً مطوية. مدينة. سبع بوصات من الفولاذ الحاد بربت من المقبض الأصفر. "أنا جادة تماماً، يا ولد". أوّلأت.

"أحب أن أجرح. أعتقد أنني أحب أن أجرح؟".

"نعم".

"افتح العلبة".

بواسطة نصل السكين، أخذت تبحث في محتويات العلبـة، بينما كنت أحملها وقالـت: "لا يوجد فيها إلا سقط متاع".  
قلـت: "كلـها أشيـائـيـه".

"ماذـا، أنت تتدرب لتكون جـرـذاً مـخـبـولاً تـافـهاً في مـجـمـوعـةـ الجـرـذاـنـ؟ ماـ الذي وـضـعـتـهـ هناـ عـنـدـمـاـ كـنـتـ أـرـاقـبـكـ منـ الـبـابـ؟".  
"الـعـيـنـ".  
"أـيـ عـيـنـ؟".

"الـتـيـ وـجـدـتـهاـ فـيـ الزـقـاقـ. إـنـهـاـ عـيـنـ دـمـيـةـ". أـمـسـكـتـ بـهـاـ بـسـبـابـتهاـ وـإـبـاهـامـهاـ.  
"لـمـ هـذـهـ؟".  
"لـأـعـلـمـ. أـنـهـاـ مـثـيـرـةـ لـلـاهـتـمـامـ".  
"مـثـيـرـةـ لـلـاهـتـمـامـ؟ لـمـاـذـاـ؟".  
"لـأـعـلـمـ. أـنـهـاـ فـقـطـ كـذـلـكـ".

وـأخذـتـ تـجـولـ بـعـيـنـهاـ فـيـ عـيـنـيـ، ثـمـ وـضـعـتـ رـأـسـ نـصـلـ السـكـينـ عـلـىـ طـرـفـ أـنـفـيـ. "لـمـاـذـاـ؟".

كان ظـهـريـ لـلـحـائـطـ، وـلـاـ مـكـانـ أـهـرـبـ إـلـيـهـ. خـوـفـيـ مـنـ السـكـينـ أـعـجـزـنيـ عـنـ الـكـلامـ.

ثم زـلـقـتـ نـصـلـ السـكـينـ فـيـ فـتـحةـ أـنـفـيـ الـيـسـرىـ. عـلـيـكـ أـنـ تـبـقـىـ سـاكـناـ جـداـ، أـيـهـاـ الـمـتـنـفـلـ. إـذـاـ تـحـرـكـتـ فـجـأـةـ، سـتـجـرـحـ نـفـسـكـ. لـمـ عـيـنـ الدـمـيـةـ هـذـهـ مـثـيـرـةـ لـلـاهـتـمـامـ إـلـىـ هـذـاـ الحـدـ؟".  
"اعـتـقـدـتـ أـنـهـاـ مـسـحـورـةـ".

"مسحورة!".

"نعم. السحر هو...".

"أعلم ما هو. عين السحر؟ أنت مسخ حقيقي صغير في صنع الأشياء، ألسنت كذلك؟".

ثم أسقطت العين القماشية داخل العلبة. مبقية رأس النصل داخل أنفي، حركت المحتويات بنصل السكين مرة أخرى، ولكن سرعان ما فقدت الاهتمام. "ضعها جانباً".

بعد أن وضعت العلبة بجانب السرير، لم أستطع أن أشيخ بنظري عن نصل السكين.

ربما لم تقل شيئاً، لنصف دقيقة، وبدورني لم أنس بنت شفة. أخيراً، أبعدت السكين. "من الجيد أنك كذبت بشأن مجيء أمك إلى البيت. فلو دخلت ورأتهني أحمل السكين وأهددك بها، لكنت استعملتها عليكم. أنت تحب أمك أيها المتطرف أليس كذلك؟".

"بالطبع".

"لا يحب كل الأولاد أمهاتهم، فأمي على سبيل المثال كانت أنانية وساقطة".

ثم حولت انتباهي إلى النافذة، لأرى إن كان المطر سيهطل، وبذلك أتجنب النظر إليها.

"إذا كنت تحب أمك، فكر بما قلته لك. فأنا أهوى استعمال السكين، ويمكنتني أن أغير لها معالم وجهها في أقل من دقيقة. انظر إليّ، أيها الولد".

لا مطر بعد.

"لا تشر غضبي، أيها الولد".

نظرت إليها.

"أنت تفهموني، وتفهم الأمور، وتفهم كيف يجب أن يكون؟".

"نعم، لقد فهمتُ ما قلته، فهو ليس بالعسير".

استدارت بعيداً عني، عبرت الغرفة، وفتحت الباب. لا أدرى لم احتجت أن أوضح شيئاً بعد، ما عدا أنني كنت ولدًا صغيراً، مشوشًا، ولا يفكر بوضوح. "في الكابوس، كنت ميتة، وكنت حزيناً جداً عليك".

على العتبة، التفت ورمقني كما لو أنها ظهرت للمرة الأولى، ولكن ليس بتلك اللامبالاة الروبوتية، كما بدت بها سابقاً، ولكن بازدراء ذكاء الآلة التي تحقر المخلوقات الضعيفة المكونة من لحم ودم.

"ما الذي تحاول أن تقوله من خلال قصتك التافهة هذه؟".

"لا شيء. شعرت بالأسف، وهذا كل ما في الأمر".

"هل يفترض بي أن أكون خائفة؟ هل هذا خطر أو شيء من هذا القبيل؟".  
"لا، إنه فقط... كابوس".

"ربما من الأفضل لك ألا تحلم بعد الآن".

كدت على وشك قول اسمها، فربما تصدقني بخصوص الكابوس ولكن شيئاً ما أوقفني، ربما هو الملائكة الحارس أو الغريرة! لا يمكنني الجزم.  
"ماذا؟".

"ماذا هناك؟" سألت، وكأنها تستطيع أن تقرأ أفكاري.

"لا شيء".

كان وجهها جميلاً وقاسياً في الوقت نفسه، ولكن كما سأتعلم في الوقت المناسب، أن القسوة كانت حقيقة فيونا كاسيدى. حدقت إلى وجهي، وبدورى حدقت إلى وجهها لأنى فكرت أننى إذا أشحت نظري بعيداً عنها فسوف تعود حول السرير مرة أخرى وتؤذيني. أخيراً، خطت نحو الممر، تاركة الباب مفتوحاً، وتحركت بعيداً عن الأنوار باتجاه الجزء الأمامي من الشقة.

في تلك اللحظة، كما لو أنها أرادت أن تضفي بعض الدراما على خروجها، فقد فكت السماء كل ما بجعبتها من مسامير البرق، وتبعه رعد

كارثي وصوت طقطقة من زجاج النوافذ، وصوت دوي عبر الجدران كما لو أن البناء طبل، ثم تجمعت الأمطار وتدفقت سيلًا.

وقفت هناك، أرتجف وأشعر بالخزي، وقد خنث الصورة التي كنت قد رسمتها لنفسي واعتززت بها. صورة رجل العائلة. كم يبدو ذلك سخيفاً الآن. فقد كنت وقتها ولداً، لم أكن رجلاً بعد، مجرد شخصية ولد.

غالباً ما قال جدي إن موهبتي الموسيقية هبة غير مكتسبة، وعلى شكر الله عليها يومياً، ويجب علي الاستفادة من هذه الموهبة التي شرفت بها. في لحظة وقوفي تحت تهديد فيونا وددت لو كان باستطاعتي استبدال موهبتي بعضلات قوية ومتولدة، وكانت اليوم لأستبدل الكهولة بالشباب، متمنياً نفسي رجلاً ناضجاً، ذا رقبة ثخينة وصدر واسع.

على الرغم من أنني نويت منح فيونا كاسيدى متسعًا من الوقت لمعادرة الشقة، غير أن إحساسى بالخزي وال الحاجة إلى الخلاص اضطرنى للهراق بها في أقرب وقت. أسرعت عبر الممر، إلى غرفة الجلوس، ولكنها لم تكن هناك. كان باب الشقة مغلقاً، ومزلاج الباب مقفلأ، ما يعني أنها لا تزال موجودة في واحدة من غرف الشقة.

تساقط مطر الصيف مائلاً تحت إطار كل نافذة أمامية، وتسرب إلى الشقة. فتحت أبواب الغرفة واحدة تلو أخرى ومع خوف كبير، فتشت الغرف والخزائن، حتى إنتي بحشت تحت سرير أمي، ثم تحت سريري. شعرت بالراحة عندما وجدت نفسي وحدي، ولكنى كنت مندهشاً أيضاً.

عندما امتنع السيد سمولر، المشرف وصاحب نظرية المؤامرة، عن الإجابة على جرسه، بحثت عنه في موضع آخر. قد يكون في أي شقة، لربما كان يصلح شيئاً، ولكنني ذهبت أولاً إلى الملجم حيث يتواجد هناك غالباً.

استخدمت السالالم الداخلية بدلاً من الخروج والدخول مجدداً من الباب الخلفي، وبينما كنت أنزل تلك الدرجات الخشبية المنحدرة، سمعت سمولر وهو يتحدث إلى نفسه من مكان ما في متاهة الأنظمة الميكانيكية الملحة بالبنية.

كانت الظلال في كل مكان، وتدللت مثل رايات الجنائز على طول ممرات العمل. في الملجم كان هناك براميل عديدة غير مرقمة بالإضافة إلى صناديق غير مرقمة ومحظوظة المحتوى، ما ساهم أكثر في إضفاء الغموض على هذا الملجم.

ومع تصاعد الاضطراب المكبوت للعاصفة المتشربة عبر الفتحات التي تقود الطريق إلى السطح، ومع المطر الذي تثيره الرياح بعنف في نوافذ الطابق الأرضي الضيقة والقدرة قرب السقف، أصبح الملجم عالماً يحمل على الاشمئزاز أكثر من العادة.

على الأرض، هرع عنكبوت بحجم ربع دولار خارجاً من الظلال وعلى طول حزمة من الضوء. وقف متجمداً على مرأى منه. لم أكن أحب العناكب، ولكن بغضي لهذا العنكبوت كان كبيراً بشكل لا يمكن تفسيره. اللقاء مع فيونا كاسيدي كان يخيّبني أكثر من أي فيلم عن الفضائيين أو الفودو. كانت أعصابي مشدودة، وبدلاً من سحق العنكبوت، فقد راقبته بقلق وهو يعبر الممر الذي

أقف فيه، مقتنعاً بأن كل لحظة من هذا الصباح الغريب كانت محفوفة بالخطر والمعانى الخفية، وفكرت في نفسي "إنني أسوأ حظاً من القط الأسود".  
عندما اختفى العنكبوت في الظلام، أكملت تبعي لصوت سمولر وهو يتذمر. وجدته في أسفل ضوء قادم من مصباح العمل المحمول الذي كان متصلًا بأنابيب المياه العلوية، يقوم بالصيانة الروتينية للمرافق الثلاثة الكبيرة؛ الرجل هو الجهاز الذي يسخن الماء الذي يرسل عبر شبكة أنابيب ممتدة في كل أرجاء البناء لتدفئة الشقق. هنا في الأيام الأخيرة من فصل الصيف، عندما لا يكون أحد بحاجة إلى الماء الساخن، يزيل السيد سمولر الرواسب من أسفل الخزان الكبير، والرواسب عادة ما تكون طينيةوها هو يملأ الدلو الثاني منها.

سمولر قصير القامة عريض البطن، قال ذات مرة أن جدته هي من ربته، وقد كانت كطائر وقواق عجوز ولثيم، وعندما كان يغضبها في صغره كانت تجرده من ملابسه وصولاً إلى سرواله الداخلي ثم تدفع به إلى الشارع ليشعر بالإهانة. وهو يصر أنه لا يوجد شيء أسوأ من أن تكون دون ملابس داخلية أمام الناس، لا سيما إذا كان لديك ساقان مقوستان وركبتان عقديتان تجعل الناس يشيرون إليها ويضحكون. في حالة السيد سمولر أنا أعتقد أن ارتداءه قميصاً قطنياً داخلياً وهو يعمل له نفس تأثير عدم ارتدائه وظهوره عارياً، لأن صدره وظهره وذراعيه كانت مغطاة بشعر أشعث مجعد، سواد لامع مقابل بشرة بيضاء، مثل دب في حالة متقدمة من الجرب.

عندما جئت إليه صباح ذلك اليوم، كان جائياً على ركبتيه بجانب الرجل الثقيل، يدمدم كما لو كان هناك شخصان في نقاش حامٍ، ولكن عندما رأني، ابتسם وقال: "أليس هذا سامي ديفيس جونيور نفسه. هلاً غنيت، أغنية (أي مغفل أنا) من أجلي، سامي؟".

"أنت تعرف أني لا أغنى، سيد سمولر".

"هيا، لا تنكر، سامي. أنت تغنى طوال الوقت في فيغاس، عندما يدفعون لك الأموال الطائلة".

"ربما كنت سأغني لو دفعوا أموالاً طائلة".

عندما قال: "حالما أفرغ هذا الوحل المقرف" مشيراً إلى أشياء سائلة تخرج من خرطوم المرجل، "سأهرع إلى الأعلى لأجلب بضعة آلاف من جرة الحلوى الخاصة. هل سيكون هذا كافياً لاغنيمة واحدة؟".

"تبعدوا ساذجاً في بعض الأحيان، سيد سمولر".

"نعم، اعتقدت أنك لن تغنى أغنية بثمن بخس لا يتعدى الآلاف. كم يدفعون لك كي تبدأ في "أوشن إليفن"؟"

"حوالى مئة مليون".

تظهر بالإعجاب. "ما دام الأمر هكذا لماذا تقصد في مقلب النفايات هذا؟".

"لأن حياة الأضواء لا تستهويوني".

"أعتقد أنها ليست كذلك". اندلقت آخر كمية من الرواسب والوحل خارج المرجل في الدلو، فالتف لإغلاق الصنبور وقال: "كم أتمنى لو كنت حقاً سامي دافيس لكنت حينها تعرف ذاك الممثل بيتر لاوفورد. أود بالتأكيد أن أتكلم مع بيتر لاوفورد. فهو يعلم شيئاً عن الذين قتلوا الرئيس بالفعل.

"هل تعني الرئيس كندي؟".

"لا أعني آب لينكولن. لاوفورد، فهو متزوج من باتريسيتا كندي تلك. سأخبرك شيئاً واحداً، لم يكن لي هارفي أوسوولد هو من ضغط على الزناد. لكاسترو علاقة بذلك. لو كان لدى المئة مليون التي لديك، لراهنت أن كل الطرق تؤدي إلى روزوويل تموز 47".

"من هو روزوويل؟".

"ليس من هو. بل ما هو، لأن روزوويل مكان. في نيو مكسيكو. تحطم

الصحن الطائر هناك في تموز 47 وتمت استعادة بعض الفضائيين القتلى، وربما ما زال أحدهم حياً. والحكومة تكذب حول هذا الموضوع من حينها".

"واو".

ساحجاً الخرطوم القصير من مصرف المرجل، قال السيد سمولر: "بالتأكيد تحطم الصحن 62 في نيسان/أبريل قرب فيغاس هو جزء من ذلك، لأن هذا تماماً ما حدث، جاك روبي كان في فيغاس حينها".

وعندما سألت من هو جاك روبي، قال السيد سمولر: "لقد قتل لي هارفي أوسوولد تماماً بعد رفض أوسوولد قتل كندي. السفلة بيلدريرغرز لهم علاقة بذلك أيضاً".

من المحادثات السابقة، كنت أعرف أن بيلدريرغرز هي جمعية سرية دولية مقرها جنيف، سويسرا، شُكِّلت لتكون حكومة العالم السرية المتحالفه مع الأجانب من الكواكب الأخرى الذين يعيشون بيننا.

وكوني ولدأً بعمر التاسعة فقط، لم أكن أعرف ما إذا كان بيلدريرغرز حقيقيين أم أن السيد سمولر قد اخترعهم. اعتقدت أنه مجنون نوعاً ما، لكن في الغالب بطريقة لطيفة، وكانت بعض قصصه ممتعة، لأنه كان أكبر سنًا مني بكثير، استحق مني الاحترام.

أياً يكن الأمر، فقد أربعتنني فيينا كاسيدي ذلك الصباح، والتي كانت دون شك حقيقة، وشُكِّلت تهديداً مباشراً أكثر من بيلدريرغرز هناك في جنيف. كنت أتمنى أن يبدو أكثر الأمور طبيعية في العالم عندما غيرت الموضوع: "السيدة الجديدة جميلة".

قال السيد سمولر وهو يقف على قدميه: "كل شيء يسير بشكل خاطئ هذه الأيام، الحروب وأعمال الشغب، كل هذا من لعنة بيلدريرغرز". التقط دلواً من الوحل في كل يد، وسار نحو الباب الخارجي للملجأ، حيث هناك منحدر خدمة قصير. كل تلك الأشياء من أعاصر العام الماضي، ومائتي

قتيل، والممرضات اللواتي قتلن في شيكاغو، وتلك الأشياء الجديدة الخطيرة مثل لوح التزلج ذاك، وموت نات كينغ كول بسرطان الرئة، عن عمر خمسة وأربعين عاماً فقط".

وأنا أتبعه، قلت: "عيناها جميльтان، كيف تكونان زرقاوين وبنفسجيتين في الوقت نفسه".

حين وضع الدلوين في الأسفل وصعد المنحدر لفتح الباب، قلت: "أعتقد أنها مستأجرة في الطابق السادس".

فاتحاً المزلاج، وفاتحاً الباب، بدت عليه المفاجأة من المطر، قال: "لا جدوى من ذلك في هذا الطقس. يمكن للوحل أن يتظاهر. إنه مجرد وحل". وهو يغلق الباب ويقفله، ملتفتاً قال: "سرطان الرئة أكل إدوارد ر. مورو أيضاً، ولكن عفواً من الجحيم إن لم أكن حزيناً على ذلك، لأن كل الصحفيين الكبار مثله لم يكونوا سوى دمى بأيدي البيلدر...".

توقف في وسط الكلمة، أمال رأسه، ونظر إلى وكان ما أقوله كان قد وصل إليه من خلال بث متاخر.

"عنمن تتكلّم، جونة؟".

"عن السيدة الجميلة في الشقة ٦-٥".

عندما رأيت كيس النوم والحقيقة خاصتها، لا أثاث أو غيره من الأمتعة، فكّرت أنها ربما استولت على الشقة استيلاً، وأنها كسرت القفل واستقرت إلى أن يأتي شخص ويطردها. تبدو جيدة جداً لتكون محتجلة، ولكن لا يمكنك أن تعرف، فعندما هددتني بأن تؤذني إذا تحدثت عنها لأحد، بدت شوكوي وكأنها نصف مؤكدة.

"الآن أثبتت السيد سمولر أنني كنت على خطأ. أظنها جميلة؟".

"حسناً، طبعاً، لأنها فعلاً كذلك".

"هي ليست كذلك بالنسبة إليّ. الجمال الحقيقي يكمن في أكثر مما يبدو".

لديها ثنيات حادة وباردة، لا يمكن أن تكون جميلة. قطعة فنية، هكذا هي".  
كنت أعرف ما الذي كان يقصده. ولكنني الآن كنت في حيرة فسألته: "لما  
أجرتها إذا؟".

"بني، أنا لا أؤجر أحداً. وكلاء التأجير الذين يعملون وسط المدينة حيث  
يحصل السفلة المشتركون على الأجر الكبير فقط لتنظيف أنوفهم". توقف عند  
الدلويين، نظر إليهما، وقرر أن يتركهما حيث هما. سار عائداً نحو المراجل  
"شركة القلب الأسود" تمتلك ربما مائة مقلب قمامنة مثل هذا. أنا مجرد رجل  
يحصل على سكن مجاني، وراتب ضئيل جداً، مقابل حفاظي على هذا المكان  
دون أن يقع على رؤوسنا".

وأنا أتبعه، قلت: "ما اسمها؟".  
"إيف آدامز".

"هل أنت متأكد؟".

"هذا ما قيل لي. يمكن أن يكون الاسم فرانكنشتاين، الأمر لا يعنيني.  
ليس لديها عمل معي. ليست مستأجرة. لقد حصلت على سكن مجاني، ولكن  
لشهرين فقط، حتى تكسنط كل ورق الجدران المتقدش في الشقة 6-6 وتستمر  
في تفتت المشمع، وترسم على الجدران. تذهب من مكان إلى آخر وتفعل  
شيء نفسه. كل شخص لديه وسيلة ليتدبر رزقه في هذا العالم القاسي".  
وهو يلتقط صندوق الأدوات من جانب الرجل، قلت له: "لا يبدو عليها  
أنها إيف آدامز (حواء آدم)".

"حقاً؟ وكيف تبدو إيف آدامز؟".

"لا مثيل لها. لا بد أن يكون لها اسم أجمل".  
حدق إلى للحظة، ثم وضع صندوق الأدوات أرضاً. جلس القرفصاء،  
فكانت عينيه بعيني "الأولاد الصغار يفتنون أحياناً". حصل ذلك مع معلمتي  
في الصف الثاني. لا يتعلّق الأمر بكيف بدت، وإنما بالطريقة التي بدت

فيها. حسبت أنها ستنظرني حتى أكبر، وحينها سنكون معاً إلى الأبد. اللعنة، ولكنني لم أكتشف أنها متزوجة. فحطمت قلبي المغفل. ولكن عندما تطلقت وتزوجت بشخص آخر. أدركت أنها لا تعلم — أو تهتم — كم أحبها. ولذا فقد كرهتها بقدر ما أحببها، لكن ذلك آلمني ولم يؤلمها. عندما تكبر، جونة، ستحطم المرأة قلبك في كثير من الأحيان، ولن تستطيع إحصاء عدد المرات. هل تريد أفضل نصيحة؟ لا تدعهن يبدأن بذلك معك وأنت في مثل هذه السن الصغيرة".

لم أفن بفيونا كاسيدي، الملقبة بإيف آدامز، والتي حسب تجربتي قد تكون مجونة أو حتى ساحرة. ولكن لسبعين، اخترت ألا أفصح عن الكثير للسيد سمولر. السبب الأول لكونه لطيفاً لاهتمامه بشأن ما يحدث لقلبي، وقد يكون من العرج أن أبلغه أن نصيحته قد وُجهت للشخص الخطأ. أما السبب الثاني والأهم، فهو أن المرأة يجب ألا تعلم أبداً أن أحداً يسأل عنها. إنها تحب الجرح، وأنا لم أكن أحب أن أُجرح. تخمينه أنني مفتون بها أعطاني سبباً لأنتمس منه عدم إذالي بإعلامها أنني مفتون بها.

أقسم أن يحافظ على سري، وأنا وعدته بدوري أن آخذ بنصيحته. بمصافحة أبربمنا اتفاقنا: رجلان من هذا العالم، من جيلين مختلفين، ومع ذلك اتحدنا اعترافاً منهما أن الرومانسية محفوفة بالمخاطر، ولا يوجد حزن أكبر من حزن الحب من طرف واحد.

وأقفاً تحول السيد سمولر من ناصح أبي إلى دوره المعتاد كشخص متذمر مصاب بجنون العظمة. قصف الرعد عبر المدينة واضطراب ضوء العاصفة من خلال نوافذ الملجأ المرتفعة، فقال: "حصلت على عمل لأقوم به، على الرغم من أنه ليس من المنطقي أن نفعل ذلك إذا أردنا أن نقوم بهجوم نووي على الروس، وهم سيقومون بالأمر نفسه معنا. حرب هنا، حرب هناك، والجريمة في كل مكان، ومع ذلك لا أحد يهتم لأي شيء فهناك فرقة البيتلز،

والرجل الذي يرسم على علب حسأء عملاقة ويبيعها على أنها فن، وهذا النجم السينمائي، وذاك النجم السينمائي، بـلاه - بـلاه - بـلاه. العالم مصححة مجانيـن. إنه مجـنون. إنه مخـيف إنه...".

"هـؤلاء الـبـيلـدـرـيـرـغـرـزـ". اقتـرـحتـ أناـ.

"إـنـهـاـ أـصـدـقـ ماـ تـفـوـهـتـ بـهـ حـتـىـ الـآنـ".

لأنني لم أشعر برغبة في شق طريقي إلى مركز المدينة في المطر، كان ينبغي علي الذهاب إلى الأسفل، إلى الطابق الثاني لأدق جرس السيدة لورانزو وانضم إلى مجموعة الرعاية النهارية الصغيرة. لم يكن يفترض بي أن أمضي أكثر من بعض دقائق وحيداً في شقتنا عندما تكون والدتي في العمل. بالنسبة إلى صبي في سني، كنت مسؤولاً، ولم يكن هناك سبب يدعو والدتي للقلق أن أفعل شيئاً مقلقاً مثل لعب مباريات أو حرق البناءة. ومع ذلك، فقد كنت أقرب لأكون بلدسو من أن أكون كيرك، والبلدسو لا يتركون طفلاً صغيراً وحده لفترات طويلة من الوقت لأن من شأن ذلك أن يسمح لإغراء سوء السلوك بالدخول بشكل أو بآخر.

بعد نصف قرن على الحقيقة، أصبحت أفهم قدرتي على الأذى بشكل أفضل مما فعلته مرة أخرى في ذلك اليوم. وعلى الرغم من كل المشاكل التي واجهتني، أسئل مستذكرة الماضي، كيف أني لم أجلب مصائب أكثر على نفسي.

كنت أعرف أن القواعد التي تضعها والدتي لم تكن تخضع للتفسيرات الإبداعية. كانت امرأة صريحة تعني تماماً ما تقوله. ولكن بعد أن تركت السيد سمولر في تذمرة في الطابق السفلي، أفنت نفسي أن القاعدة ضد الخلوة في شقتنا لفترة طويلة من الزمن، لا تنطبق على العالق وحده لساعات في أماكن أخرى من البناءة، كما لو أن أمي ستتوافق على تسكيعي بالخفاء لغرض التجسس على أحد الجيران.

صعدت الدرج الخلفي إلى الطابق السادس، ونظرت عبر النافذة الصغيرة

في الباب. لا أحد. متخيلاً نفسي كأنني متخفِ مثل نابليون سولو، الرجل من U.N.C.L.E، الذي كان ضرباً من النجاح على التلفاز العام الماضي وأطلق مخيلتي على الرغم من أن القصص لم تقدم معنى بالنسبة إليَّ، مررت مثل الشبح عبر الرواق العام، والشقة 6 على يميني.

على اليسار، بين الشقة 6a و6b فتحت باب دكة الخدمة. طقطقت مفصلاته، ولكن ليس بصوت عالٍ. دخلت دون تردد وأغلقت الباب. ولم يكن بإمكان فيونا كاسيدي أن تعلم بوجودي إلا إن كانت تقف خلف باب شقتها مراقبة الممر المشترك بواسطة عين الباب السحرية.

بعد تشغيل ضوء دكة الخدمة، سحبت الحبل المتسلق والمعلق على إبزيم السقف المفصلي، الذي تأرجح باتجاهي حاملاً معه سلماً مفتوح الأجزاء للوصول إلى العلية.

حينها شعرت بوهن في عزيزمي، لقد هددتني فيونا بسكين، وقد يكون الاختباء تحت السرير أكثر ذكاءً من محاولة معرفة المزيد عنها. لا لا لا. كنت قد رأيتها في الحلم، وقد دخلت شقتنا من خلال الباب المغلق. لقد شكلت تهديداً لا يشبه أي تهديد آخر. كان عليَّ أن أعرف من هي.

أخذت من جيبي قلادة القلب مع الريشة التي حصلت عليها، واستعدت ثقتي بنفسي من جديد لرؤيتهم.

كنت صبياً اعتقاد بسهولة بالسحر، حتى لو لم أكن أعرف مصدر قوته أو الغرض منه. ربما كنت من النوع الذي يُسحر بسهولة لأنَّه، وكما بلدسو، كنت قد ولدت للموسيقى، مشبعاً بها. الموسيقى.. الموسيقى الجيدة، هي بحد ذاتها ساحرة، إلهام غامض يتداخل مع غموض كل شيء. عندما نشعر بالنشوة من موسيقى موزارت أو غلين ميلر، نجد أنفسنا في حالة فوق الوصف، تعجز الكلمات عن وصفها. ومع الثناء الهائل والكلمات ذات الجمال المثالي، ننخرط في التجديف.

لم تكن فتحة العلية تتيح لرجل الوقوف فيها، ولكن بالنسبة إلى صبي مثلـي كان هناك الكثير من الفراغ فوقـي. كانت أنابيب المياه لشبكة الطابق السادس تمر عبر هذه الفتحة، وكذلك القنوات الكهربائية وفتحات تهـوئـة الحمام.

سحبـت الـدرـجة العـلوـية، فـطـويـت أـجزـاء من السـلـم المـحمـول عـلـى بـعـضـها مع صـوت خـنـة خـفـيفـة وطـوـيلـة. وأـصـدـر الإـبـزـيم صـوتـاً خـافـتاً وـهـو يـسـتـقرـ فيـ هـيـكلـهـ.

إـذـا خـطـوـت خـطـوـة خـاطـئـة وـلـم أـسـتـطـع الـوصـول إـلـى الـعـارـضـة ذاتـ الـبـوـصـتـينـ، فـسـتـمـرـ قـدـمـيـ عـبـرـ الـعـازـلـ، إـذـا اـخـتـرـتـ السـقـفـ الـجـصـيـ، فـسـوـفـ تـدـلـىـ وـتـكـوـنـ عـلـىـ مـرـأـيـ مـنـ أـيـ شـخـصـ فـيـ الـأـسـفـلـ.

لـحـسـنـ الـحـظـ، وـجـدـتـ هـنـاـ وـهـنـاكـ أـلـواـحـ مـصـنـوعـةـ مـنـ رـقـائـقـ الـخـشـبـ كـانـتـ مـضـغـوـطـةـ عـلـىـ الـعـارـضـةـ فـاسـتـعـمـلـتـهـاـ كـدـعـائـمـ لـأـمـشـيـ عـلـيـهـاـ، وـتـقـدـمـتـ بـحـذـرـ نـحـوـ الـشـمـالـ حـيـثـ الشـقـةـ 6ـ الـمـحـتـلـةـ. فـتـحـةـ الـمـوـقـدـ الـوـاسـعـةـ حـدـدـتـ مـكـانـ الـمـطـبـخـ فـيـ الـأـسـفـلـ، فـوـقـتـ هـنـاكـ لـأـتـنـصـتـ.

حتـىـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ شـخـصـ نـحـيلـ وـخـفـيفـ الـوزـنـ، لمـ يـخـلـ الـأـمـرـ مـنـ بـعـضـ الصـرـيرـ تـحـتـ قـدـمـيـ، عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـنـيـ شـكـكـتـ أـنـ مـثـلـ هـذـهـ الـأـصـوـاتـ مـنـ شـأـنـهـاـ أـنـ تـشـيرـ شـكـوكـ فـيـونـاـ كـاسـيـديـ، فـيـ ظـلـ الـأـمـطـارـ الـمـنـهـرـةـ وـالـرـياـحـ الـعـاصـفـةـ.

لـقـدـ أـيـقـظـتـ العـثـ النـائـمـ، الـذـيـ اـنـدـفـعـ الـآنـ مـنـ مـصـبـاحـ إـلـىـ مـصـبـاحـ. كـانـتـ الـحـشـراتـ تـحـومـ وـتـرـتعـشـ وـتـفـتـحـ أـرـدـيـتهاـ الرـمـاديـةـ لـتـعـرـيـةـ أـجـسـادـهـاـ الـضـعـيفـةـ لـتـعـرـضـ لـلـنـورـ الـذـيـ تـبـعـدهـ. بـيـنـ الـعـوـارـضـ الـأـرـضـيـةـ، كـانـتـ هـنـاكـ جـحـافـلـ مـنـ حـشـرةـ السـمـكـةـ الـفـضـيـةـ تـعـيـشـ مـنـ دـونـ شـكـ فيـ طـبـقـاتـ الـأـلـيـافـ الـزـجاـجـيـةـ الـعـازـلـةـ، مـسـتـمـتـعـةـ بـالـطـعـامـ الـوـفـيرـ، وـلـكـنـ الـقـلـيلـ مـنـهـاـ فـقـطـ تـجـرـأـ لـيـغـامـرـ فـيـ لوـحةـ الـرـقـائـقـ الـخـشـبـيـةـ وـتـخـطـطاـهـاـ لـيـعـبـرـ إـلـىـ طـيـاتـ الـجـيـنـزـ خـاصـتـيـ. تـسـمـرـتـ بـلـ حـراكـ

كي لا أصدر ضجة وأنا أتخلص منها.

لقد أحدثت فجوة في سقف المطبخ لاستيعاب القناة الصفائحية التي تقوم بالتهوية من الدخان وإخراج الروائح من الموقد إلى السطح. وكانت الفجوة بعرض يزيد على ربع بوصة وتسع على الجوانب بشكل أوسع من المسالك الهوائية، لم يتم سد الفجوة، ومن خلال هذه الفسحة الضيقة، وليس من خلال القناة نفسها، قد أستطيع سماع أي حركة في الغرفة في الأسفل.

بعد أن تعلمت الصبر خلال الأشهر التي تصدى فيها تيلتون لرغبتني فيأخذ دروس البيانو، انتظرت دون ملل. بعد حوالي خمس عشرة دقيقة، سمعت أصواتاً مكتومة، وفوجئت عندما جاء تدفق للضوء من خلال الفجوة

وغضي مجاري الهواء المعدنية التي كنت أسمع من خلالها.

لو نظر أحد قبل تشغيل ضوء المطبخ، لكان رأى الضوء الخافت من خلال هذه الثغرات نفسها، وأدرك أن شخصاً ما يربض في الأعلى.

افتراض أن صوت المرأة كان صوت فيونا كاسيدي، على الرغم من أنه كان مكتوماً جداً وتشوه من خلال الهياكل المتداخلة، فكان من الصعب بالنسبة إلي تحديده على وجه اليقين. اعتتقدت أنني قد التققطت بعض الكلمات "القدر الصغير" و"المتطفل"، ولكن ليس من المستبعد أن تكون هذه الكلمات من بنات أفكاري، تحدثت فيونا معظم الوقت، وبيدو أنها كانت الشخص ذات الكلمة العليا، بينما تحدث الرجل بهدوء - واحترام، فكرت - وكل ما يمكنني قوله، أنه ربما كان يتحدث بلغة أجنبية.

بعد حوالي عشر دقائق، غادر الرجل، وأغلق باب. وظلت المرأة تندن لحناً لم أستطع أن أتبينه. حالاً شممت رائحة تخمير القهوة. صوت ملعقة وآنية صينية وهي تحرك. وعندما غادرت المطبخ لم تطفئ الضوء.

تحركت ببطء وحدر من جزيرة لوحة رقائق خشبية إلى أخرى، أبحث عن فيونا كاسيدي. في نهاية المطاف، من خلال الضوضاء البيضاء الصادرة

عن المطر على السطح والرياح التي تعصف حول البناء، سمعتها تغنى "ادهنها بالأسود"، والتي كانت نجاحاً صارخاً لرولينج ستونز في ذلك الصيف. كمغنية، لم تشكل أي تهديد لأمي ولا لأي شخص آخر. وكما أن والدتي لم تغسل قط غسيلها القدر في الأماكن العامة، يجب ألا تغنى هذه المرأة أبداً خارج شقتها، ويا ليتها لا تغنى فيها أيضاً.

أخيراً، اندفعت خارج العلية، ليس بسبب غنائهما فقط وإنما بفعل الضجر. توقعت بتتجسسي عليها أني سأعرف سراً عميقاً ومرعباً. ولكن الحياة لا يمكن التنبؤ بها كما في الأفلام. ففي الحياة، الأسرار العميقة والرهيبة لا تكشف عادة في الوقت الذي تبحث فيها عنها، وإنما عندما لا تتوقع انكشفها ولا تكون مستعداً له.

ولأكون صادقاً، يجب أن أعترف، بعد فترة من الوقت، بدأت أشك في أن هذه الأنثى الغريبة عرفت أني كنت في العلية، وأنها كانت تتنصت عليّ كما كنت أتنصت عليها. عندما بدأت ببناء نسخة مؤلمة من "هانغ أون سلوبى" (اشنقوا سلوبى)، كنت على يقين من أنها قد غيرت الكلمة إلى "سنوبى" (متطرف).

**Telegram @read4lead**

بالرغم من الأمطار، ذهبت إلى مركز المدينة، وأمضيت فترة بعد الظهر في العزف على البيانو. تلاشت العاصفة عند قدومي إلى المنزل قبل الخامسة بقليل، فلم تعد المزاريب تفيض، وغسلت الشوارع وأصبحت نظيفة. وأصبحت ماسحات زجاج السيارات تعمل ببطء، وكأنها قد أنهكت من العاصفة، ولم يضرب سائقو السيارات على الأبواق. وبدت المدينة وكأنها تلتل نحو الأسفل.

في الردهة وجدت السيد يوشيموكا يمسح مظلته ويجففها بقطعة من القماش الأبيض. كان قد خلع للتو كالوشة الذي يلبسه فوق حذائه وقام بمسحه أيضاً. أومأ، وانحنى قليلاً إلى الأمام وقال: "طاب نهارك جونة كيرك". وانحنى لمسح الماء الذي خلفه وراءه في البهو. ولأن أرضية البهو مبلطة ولأن السيد سمولر ينظفها باستمرار في أيام الطقس السيئ، لم يخطر على بالي من قبل أن أنظر خلفي كما فعل السيد يوشيموكا. في الواقع، ولا أي شخص آخر في البناء يفعل ذلك باستثناء السيد يوشيموكا.

التقط كالوشة ومظلته الملفوفة، وانحنى نصف انحناءة مرة أخرى وقال: "لنأمل أن يكون غداً يوماً للطيور المفردة".

"فلنأمل ذلك". انحنىت له نوعاً ما وحالاً تمنيت لو لم أفعل، فقد خشيت أن يظن أبي أهزاً منه.

تسلق الدرج نحو الطابق الخامس. ولأنني كنت محراجاً لكوني قد تركت بعض آثار الوحل على الأرض من ماء المطر، فلم أتحرك قبل أن يتبعد عني أربع مجموعات من الدرج على الأقل.

في شقتنا، وضعت المظلة الرطبة في جرة بالقرب من الباب لهذا الغرض، ووضعت كالوشي ليجف على دعاية مطاطية بجانب الجرة.

بحلول ذلك الوقت أدركت أن السيد يوشيوكا يعيش في الشقة ٥-٥، الواقعه مباشرة تحت الشقة التي تسكنها فيونا كاسيدي - الملقبة بإيف آدامز - كان مقيماً مؤقتاً. بدأت إمكانية تجنيدِي له حليفاً في مهمة تحقيقي من فيونا تثيرني.

لم تكن أمي قد عادت بعد من ولورث لأنَّه كان لديها بعض المهام الأخرى بعد العمل. لم أتوقع أن تصلك المنزل قبل الساعة السادسة، وهذا يتبع لها القليل من الوقت لتغيير ثيابها قبل ذهابها إلى سلينكز.

في اليوم السابق، صنعت حلوي زبدة الفول السوداني وفق وصفة الجدة آنينا. لم تكن الحلوي شبيهة بسائر الأنواع منزلية الصنع فهي لم تكن مدهنة وطرية، بل كانت هشة ومقرمشة. بعد أن أخرجتها من الفرن، وبينما كانت تبرد قطعت أعلىها شوكولاتة داكنة، فما كان من الشوكولاتة إلا أن ذابت قبل أن تجمد على شكل قشرة رقيقة.

خزنت أمي الحلوي في علبة صفيح دائريه وعميقه. وأنا مسرور جداً بدهائي، وضعت نصف ذرية من الهدايا الصغيرة على طبق ورقي، وغطيتها بإحكام بلفائف ورق التغليف، وحملتها إلى الطابق الخامس، لأقدمها إلى السيد يوشيوكا، بدت مناسبة كهدية صغيرة لجار أكثر من كونها حافزاً للتأمر. لم تكن دوافعي يائسة تماماً. في الحقيقة، كنت أحب الخياط، وأشعر بالأسف من أجله إذ ظن جميع السكان أنه مر بتجارب مأساوية فيما مضى.

في حياتنا، تمر بنا لحظات عظيمة الأهمية ولكننا لا نميزها ولا نعرفها، وقد تكون ذات معنى لشيء لا يتكرر إلا مرة واحدة كل عدة سنوات. فلكل واحد منا جدول أعمال يركز عليه، إلى درجة أنه يعمى عن كل شيء سواه ولو كان أمام عينيه.

في الطابق الخامس، وعندما أجب السيد يوشيموكا على جرس الباب، كان كل ما رأيته هو جار، رجل خجول، وكان لا يزال يرتدي ثياب العمل. لم يكن قد خلع معطفه بعد، ولم يفك ربطة عنقه. أمسكتُ بالطبق وقلت: "أمي صنعت هذا، سيعجبك".

بدا مرتباً، غير متأكد أنني أقصد فعلاً أن أعطيه الحلوي. "هل هو من صنع أمك؟".

"هي خبزته. زبدة الفول السوداني. إنه لذيد مع الحليب، أو بدونه. ليس من الضروري أن يكون لديك حليب حتى تأكله. أعني، إن لم تكن تحب الحليب، أو كنت تتحسس منه، أو شيء ما".  
"سأعد الشاي".

"قد يكون مناسباً مع الشاي، الحليب أو القهوة".

أخذ طبق الحلوي وقال: "هل ترغب بالانضمام إلى لشرب الشاي، جونة كيرك؟".

"نعم، هذا سيكون رائعًا. شكرًا لك".

كان حذاؤه على دعاسة بجانب الباب. كان لا يزال يرتدي الجورب، ولكن حل محل الحذاء خف أبيض.

"ليس من الضروري أن تخلي حذاءك".

"لا، أرحب بذلك. أود أن أفعل ما تفعله في بيتك".

"لا أحافظ على كل التقاليد اليابانية. عليك ألا تقلق. لو فعلت ذلك لكان علينا أن نجلس على الأرض لتناول الطعام. أنا لا أفعل".

"نحن كذلك لا نفعل". قلت، بينما كان يغلق الباب. "ولم نفعل مطلقاً. أعني شعبي. إلا إن فعلوا ذلك عندما كانوا عبيداً، ربما لم يُعطوا أثاثاً، على الرغم من أنني أعتقد أنه كان لديهم".

ابتسم وأومأ وقال: "أؤكد لك أيضاً أنني لا أشتراك في التقليد القديم

سيبووكو". عندما حدقـت إلـيـه مشـدوـهـاً، قال: "هـذـهـ كـلـمـةـ مـهـذـبـةـ لـهـارـاكـيرـيـ".  
كـنـتـ قـدـ رـأـيـتـ بـعـضـ أـفـلـامـ الـحـرـبـ. كـنـتـ أـعـلـمـ مـاـ هـيـ هـارـاكـيرـيـ. الـإـعـدـامـ  
بـالـسـيـفـ وـإـزـالـةـ الـأـحـشـاءـ.

"جـونـةـ كـيـرـكـ اـسـتـرـحـ فـيـ غـرـفـةـ الـجـلوـسـ سـأـعـودـ مـعـ الشـايـ".  
تسـاءـلـتـ إـنـ كـنـتـ فـيـ وـرـطـةـ، وـإـذـاـ كـانـ الـأـمـرـ كـذـلـكـ، مـاـ نـوـعـهـاـ.

بعد أن خلعت حذائي، ذهبت إلى غرفة الجلوس حافي القدمين. أولاً لاحظت كم يُبقي السيد يوشيوكا شقته نظيفة. كانت أمي مهوسّة بالتنظيف، ولكن لم تكن شققنا لامعة هكذا. بدت الغرفة نقية جزئياً لأنها لم تكن تحتوي على كثير من الأثاث، فلم يكن هناك مجال للفوضى. وكانت خطوط الأريكة ذات الظهر المصنوع من خشب الجوز صارخة، مع وسائل مربعة مغطاة بنسيج ذهبي. وكانت الكراسي مطابقة مع وسائل سوداء وطاولتين جانبيتين بسيطتين عليهما مصابيح من السيراميك الأسود ومظللة بالذهب.

أما الأرضية فكانت خشبية مصقوله مع درجة عالية من اللمعان. أظن أن السيد يوشيوكا هو من قام بالعمل بنفسه. فالسيد سمولر يقوم بالإصلاحات الضرورية فقط، ولم يقم بأي تغييرات للديكور. على جدارين متقابلين، كان هناك ستارتان حريريتان تتألف كل واحدة منها من ست رقع من الحرير الذهبي الباهت، وكان هناك نمر يرقد مستريحاً على إحداهما بالرغم من أن عينيه كانتا جاحظتين ومتربقتين بينما كان على الأخرى نمران يلعبان، وكان جمالهما وقوتهما قد صورا بشكل مقنع جداً، حتى إنني ظننت أنهما سيتحركان.

عاد السيد يوشيوكا مع صينية مطلية بالورنيش عليها طبقان من الخزف الأبيض، في أحدهما حلوى والدتي، وفي الآخر مجموعة متنوعة من الكعك بحجم ربع بوصة مربعة مع البستيل المحمد بألوان متعددة. بالإضافة إلى أطباق أصغر ومناديل قماش. وبينما كان السيد يوشيوكا ينقل الأشياء إلى طاولة القهوة، سألني: "أعجبتك الستائر؟".

"إنها جذابة جداً".

إنهم نسختان طبق الأصل لما رسمه معلم الميجمي تاكويتشي سيهو، ولكن الأصل أكثر جمالاً بما لا يقارن، الأصل كان ملكاً لعائلتي لكنه فقد". "واو".

سألته: "كيف تفقدون شيئاً كبيراً بهذا الحجم؟".  
ليس بسهولة".  
أين فقد؟".

أجابني السيد يوشيوكا: "في كاليفورنيا". ثم عاد إلى المطبخ بالصينية الفارغة.

العمل الفني الوحيد الآخر الذي وضع على قاعدة تمثال بين نافذتين مغطاتين بورق الأرز المظلل بلون الشاي الباهت كان منحوته عاجية بحجم غير عادي، بارتفاع وعرض قدمين وعمق قدم، وكان لسيدة يابانية جميلة في الكيمونو المفضل، منحوته على درجة كبيرة من الواقعية.

عندما عاد السيد يوشيوكا، يحمل صينية عليها إبريق شاي وكوبان لطيفان، قال: "هذا ميجمي أصلي مع جيكوزانأساهي فريد. مؤرخة عام 1898. في عام 1901، كشف النقاب عن أكبر نسخة منه وأكثرها روعة والتي حصل عليها الإمبراطور".

بينما سكب السيد يوشيوكا الشاي، وقف متسلماً أمام المنحوته العاجية، وكانت الشيء الأكثر جمالاً الذي رأيته على الإطلاق.

"إنها سيدة بلاط. الكيمونو الرسمي خاصتها له تسع عشرة طبقة، وقد عبر النحات عن كل طيبة منه بوضوح دقيق".

كان التمثال مفعماً بالإحساس، أردت لمسه، ولكنتني عرفت أنه لا يجدر بي ذلك.

"كان ملكاً لعائلتي، وبعد أن فقد وجدته بعد سنوات واشتريته. كان أسعد

يوم في حياتي. لقد صببت الشاي".

جلس على الأريكة، وجلست على كرسي. رشفت الشاي، الذي كان ساخناً وعديم اللون والطعم تقريباً وممّا نوعاً ما.

بدا السيد يوشيوكا مستمتعاً، وقال: "ظنت أنك ستشعر بمذاقه مراً" بالرغم من أنني لم أشتّكِ، وأشار إلى إبريق خزف صغير بحجم الإبهام. "إنه عسل زهر البرتقال سيجعل مذاقه أحلى".

أضفت العسل إلى الكوب، وكنت ممتناً لذلك. تناول مضيفي مشروبه غير محلّى.

عندما أخذت قطعة من الكعك الصغير، كانت منكهة بمهارة، ربما بخلاصة اللوز، محللة بشكل خفيف، ولكنها جيدة للأكل.

تدوّق واحدة من الحلوي وكان مسروراً، ولن أتفاجأ إذا كانت كعكات البستيل تلك فكرته للعلاج. لا بد أن عالماً بأكمله قد انفتح له حين تذوق حلوي أمي بزبدة الفول السوداني.

"ما هي الميجي هذه؟" سالت إنها فترة من التاريخ الياباني. فترة حكم الإمبراطور موتسوهيتو، من 1868 إلى 1912. ميجي تعني السلام المستنير. هل تشعر بالملل؟".

"لا يا سيدي. لقد أحببت حقاً النمور وسيدة البلاط".

أجابني قائلاً: "لست رجلاً مثيراً للاهتمام، عاجلاً أم آجلاً، ستملمني. تأكد أن تخبرني عندما أشعرك بالملل".

"حسناً. لكنني لا أظن أنني سأمل".

"ستمل" أصر بقوله "واصل فنانو الميجي الإنتاج وفق هذا النمط بعد انتهاء عهد موتسوهيتو بفترة طويلة. جمع أبي المبجل وأمي الغالية من فترة الميجي ومن فترة الإيدو الكثير. لقد امتلكوا مئات القطع. أشياء فنية. لقد ترعرعت في غرف مليئة بسحر الميجو.

"المئات؟ ماذا حدث لها؟".

"فقدت كلها ما عدا النقش العاجي لسيدة البلاط، التي وجدتها".

"لماذا يفقد أهلك الأشياء؟" سألت مستهجناً.

"لم يكن خطأ أحد".

"هل كانوا فنانين؟".

"والتي كانت كذلك، نوعاً ما. عملت بالخيط والإبرة في تفصيل مشاهد مطرزة. وكان الذي خياطاً متواضعاً. حلوى أمك مناسبة مع الشاي".

"وكذلك هذه الكعكات"، قلت، وأخذت قطعة ثالثة، مع أني لم أكن أريدها فعلاً. كان الشاي أفضل مع العسل، ولكنه لم يكن كوكولا.

"لدى أمك موهبة عظيمة".

"هل سمعتها تغنى؟".

"نعم، في الملهى حيث تعمل".

"لم أستطع أن أتخيله في مكان كهذا. أتعني... سلينكز؟".

"صحيح. ذهبت إلى هناك مرة واحدة فقط. أرادوني أن أطلب المشروبات الكحولية. من وقت لآخر، عندما يستدعى الأمر، كنت أطلب مارتيني".

"أظن المارتيني قوية جداً".

"نعم، ولكنني لا أشرب. دفعت ثمن زجاجة المارتيني لكنني تركتها ولم أمسسها. لسبب ما، أزعج هذا الإداره. شعرت أنه ينبغي علي ألا أعود إلى هناك مرة أخرى".

هناك شيء ما حول الطريقة التي يتحدث بها، الرسمية في جمله وعدم وجود العامية، كان أمراً مألوفاً بالنسبة إليّ، كما لو كنت أعرف شخصاً آخر

يتكلم، ليس بتكلف ولكن مع ضبط نفس شديد.

"هل رأتك أمي في سلينكز؟".

"لا، فقد جلست في طاولة منزوية، أبعد ما تكون عن المسرح. لم أرغب أن أتدخل في شيء، بل أن أستمع فقط. أنا أسبب لك الملل".

"لا يا سيدى. هو إلى حد كبير على عكس الملل. أين عشت أنت وأهلك في كاليفورنيا؟".

"أولاً في لوس أنجلوس، ولاحقاً في مكان يسمى مانزنار".  
"أشجار نخيل وشواطئ، وهي دافئة دائماً. ربما أرحب بالعيش هناك عندما أكبر، ولماذا غادرت؟".

كان هادئاً، يحدق إلى كوب الشاي كما لو كان بإمكانه أن يقرأ المستقبل فيه. ثم قال: "استطعت أن أحصل على عمل هنا. العمل هو الحياة والمعنى. الكسل هو الخطيئة والموت. في نهاية الحرب، كنت بعمر الثامنة عشرة، واحتاجت للعمل. جئت إلى هنا للعمل".

"هل تعني الحرب العالمية الثانية؟".  
"بالضبط، نعم".

أجريت عملية حسابية ذهنية وقلت: "أنت بعمر الأربعين تقريباً، ولكنك لا تبدو كبيراً بالسن". أبعد نظره عن كوب الشاي وقال: "ولا أنت كذلك".  
"لم أعنها بالطريقة التي بدت عليها".  
"بدت صادقة. الصدق أمر جيد".

احمر وجهي مرة أخرى، ولكنني ما زلت أسود، لذا فهو لن يلاحظ.  
"الآن أنا أسبب الملل لنفسى".  
"لا بد أنني أسبب لك الملل".

اعتقدت أن تعبيره الدائم عن خشيته من أنه يسبب لي الملل طريقة مؤدية لإنهاء زيارتنا، وأدركت أنني لم أثر الموضوع الذي ألهمني لتقديم الحلوى له. نظرت إلى السقف وقلت: "هنا مكان هادئ جداً، ومطمئن جداً، وأتمنى ألا تتعكر السيدة في الشقة 6- هدوءك هذا".  
"ولم قد تفعل؟".

"أنت لجرد المشمع ونزع ورق الجدران".  
"على الأرجح أنها تقوم بذلك عندما أكون في العمل".

"نعم، ولكن يبدو أنها..".

أمال رأسه، وكانت عيناه السوداوان فضوليتين ومبادرتين مثل عيني غراب حذر. "نعم؟ تبدو؟ كيف تبدو؟".  
"صاحبة".

تفحصني من فوق كوب الشاي المرفوع، ثم أماله وأخذ رشفة. وقال:  
"أنت لا تعني صاحبة".  
"بلى؟".  
"لا".

"ما الذي أعنيه إذا؟".

"أنا في انتظار الإلهام".

"سيئة"، قلت. "ربما مجنونة قليلاً. إنها سيئة - مجنونة قليلاً".

وضع كوب الشاي وانحنى إلى الأمام. "قابلت هذه المرأة على الدرج  
 أمس. قلت لها طاب نهارك، ولكنها لم ترد".  
"ماذا قالت؟".

"قدمت اقتراحًا لن أعيد قوله أبداً. سيئة - ويؤسفني أن أقول ذلك، نعم  
 مجنونة - ربما". انحنى إلى الأمام حتى أبعد من قبل. "هل لي أن أشاركك  
 معك ذلك، جونة كيرك، ولكن على يقيني لن أنقل حديثك أبداً؟".  
رفعت يدي اليمنى. "أقسم بالله".

"أفضل كلمة لوصفها هي: الخطرة. لقد عرفت أناس خطرين في حياتي.  
أرجو أن تصدق ذلك".

"أصدقك سيدتي".

"إذا كنت مفتوناً بـإيف آدامز هذه، فقاوم فضولك. إنها مجرد مشكلة.  
نأمل أن ترحل دون أذى".

للحظة، فكرت أن أشاركه تجربتي مع المرأة، ولكن يبدو أنني إن أخبرته  
 عن تهديداتها، سيكون علي أن أخبره أنني قد رأيتها في حلم، مشنوقة وميتة.

لم أكن أريده أن يعتقد أن أفضل كلمة لوصفي هي: غريب الأطوار.  
سمحت لنفسي أن أقول فقط: "أعتقد أنها مجنونة".  
رفع حاجبيه: "كم هو أمر عجيب. لماذا تعتقد ذلك؟".  
"في بعض الأحيان هي فقط... تظهر...".  
"تظهر لماذا؟".

"من العدم، في أماكن حيث لا يمكنها أن تكون".  
"أنا شخصياً لم الحظ ذلك".

بعد أن قلت أكثر مما ينبغي، وقفت على قدمي وأضفت فقط: "إنه أمر فظيع. على أي حال، إذا سمعت أي شيء مضحك هناك... أعني أي شيء مرrib...".

"أتوقع أن أسمع كثيراً من الأشياء المريرة، جونة كيرك. لكنني لن أصغي".  
"لن تصغي؟". حاولت أن أحلف لغز المعنى الذي عناه. "ألا يهمك أنها لا تنوى خيراً؟".

"أنا مهمتهم. ولكنني لا أسعى وراء المتابعة. لدى ما يكفيوني منها، كما ترى. وهذا أكثر من كافٍ".

"حسناً... حسناً، بالتأكيد، أعتقد...". في أثناء نهو حضه عن الأريكة، قلت له: "شكراً على الكعك الصغير. والشاي والعسل".

فرد وهو نصف منحني: "شكراً لك، جونة كيرك، لمشاركتي بحلوى أمك اللذيدة. كان لطفاً كبيراً منك".

بينما كنت أنزل إلى شقة السيدة لورانزو، حملت وزناً ثقيلاً من خيبة الأمل. تمنيت لو أنها أنا والسيد يوشيوكا نوحد قوانا لاكتشاف حقيقة فيينا كاسيدي. كان رجلاً قصيراً، ربما خمس أقدام أو ست، ونحيلياً، ولكن خلال زيارتنا، اقتنعت - لا أدرى لماذا - أنه رجل جييء، بل وشجاع. ربما تأثرت بوجود رسوم لنمور على ستائر شقته.

لا أتذكر ما توقعت حدوثه بعد ذلك. ربما خانتني الذاكرة بعد كل هذه السنوات، أو ربما لم أكن أتوقع أي فعل معين من الشر، ولكن بدلاً من ذلك فقد عشت في ظل الخوف العام من والدي ومن فيونا كاسيدي.

جاءت عطلة عيد العمال. وسوف أعود مرة أخرى إلى الفصول الدراسية في مدرسة سانت سكولاستكا يوم الثلاثاء. يوم السبت، وبعد حصة بيانو طويلة في مركز المدينة، عدت إلى شققنا الساعة 5:20 بعد الظهر، بعد مغادرة والدتي في وقت مبكر إلى سلينيكر.

غسلت وجهي ويدئي. ثم ذهبت إلى غرفتي، أخذت قماش الشانيل المستشر على السرير، طويته، ووضعته على رف في الخزانة، وتحولت بعد ذلك إلى الشرافط فطويتها، بحيث لا يكون عليَّ أن أفعل ذلك لاحقاً. كان الطقس دافئاً، وكانت الغرفة بحاجة إلى تهوية. رفعت الجزء الأسفل من النافذة لتهويتها. في المطبخ، كان هناك ملاحظة مكتوبة وعلقة على الثلاجة بمعناتيس: أخبر دوناتا عندما تكون في المنزل. سوف تحضر هي العشاء وتبقى معك حتى تتمكن من النوم في سريرك. أحبك أكثر من أي شيءٍ. أمك.

مضى يومان بعد أن تناولت الشاي مع السيد يوشيوكا، ولم أر فيونا كاسيدي مرة أخرى. فكرت في الصعود إلى العلية لبعض دقائق، لأسمع أي شيءٍ من الشقة 6ـ وفي الوقت الذي قرأتُ فيه أنه سيكون تصرفًا غبيًا، رن جرس الباب، ومن خلال العين السحرية للباب، رأيت السيد يوشيوكا. عندما فتحت الباب، قال بصوت خافت: "مساء الخير، جونة كيرك. هل كان يومك جيداً؟".

همست بدوري. "جيد؟ أظن ذلك ماذا عنك؟".

"عرفت أياماً أسوأ، شكرأ لك. أرغب أن أتكلم معك كلمة".

متراجعاً للوراء، قلت له: "أوه، طبعاً، تفضل".

"كلمة فقط". همس.

"لا يوجد أحد غيري هنا".

دخل، وأغلق الباب، ووقف وظهره مواجه للباب، وكأنه يريد أن يثبته مغلاقاً في وجه قوة عدائية ما. "آسف للتطفل".

"لا مشكلة" أكدت له. "هل تريد أن تجلس ونشرب شيئاً ما؟ لا يمكنني إعداد الشاي، ولكن يمكن أن أعد لك الشوكولاتة الساخنة أو ربما أفتح بيرة أو أي شيء آخر".

"لطف منك، ولكني لا أستطيع البقاء لأكثر من لحظة. أعتذر".  
"ما الجديد؟".

لم تكن الآنسة إيف آدامز صاحبة، على الإطلاق. ومع ذلك، في مناسبتين، تدوم كل منهما مدة ساعة، كان هناك ما هو أكثر إثارة للقلق...".  
بدا متأنلاً، ومع ذلك كان بالصرامة الالزمة لقول كلمته التالية: "رائحة نتنة".  
"نتنة؟".

"نعم. قوية جداً".

"أي نوع من الرائحة النتنة؟".

"رائحة كيميائية. إنها مثل، ولكن ليس بالضبط، ثلاثي - كلورو إيشيلين.  
إنه سائل يستخدم في المنظفات الجافة. وبما أنني خياط، فأنا أعرف هذه المادة جيداً".

"ربما هو شيء تستخدمنه لتزيل المشمع القديم".

"لا أعتقد ذلك على الإطلاق". تجعد جبينه، وقرصت شفاته.

قلت: "تبعدون قليلاً".

"إنه مثل إثنين ثلثي الكلور، ولكن أعتقد أنه طيار أكثر".

"طيار؟ أعرف قليلاً في البيانو، ولا أعرف شيئاً في المواد الكيميائية".

"أكثـر قابلية للاشتعال؛ احتمـال حريق محتمـل، أو انفجار، أو كارثـة. لا"

"أقصد أنـ أثير مخاوفـك".

"طـيار" قـلتـ، واعـتقدـتـ أنـ الكلـمة تنـطبقـ علىـ المـرأـةـ، وكـذـلكـ عـلـىـ ماـ كانـ قدـ شـمـهـ السـيـدـ يـوشـيوـكاـ منـ رـائـحةـ كـيـمـيـائـيـةـ.

"هلـ أـنتـ مـتأـكـدـ أـنـهـ قـادـمـةـ منـ الشـقـةـ 6ـ؟ـ؟ـ".

"مسـاءـ أـمـسـ، صـعـدـتـ إـلـىـ الطـابـقـ السـادـسـ لـأـشـمـ". لمـ تـكـنـ بـشـرـتـهـ سـودـاءـ كـفـاـيـةـ لـتـخـفـيـ اـحـمـرـارـ وجـهـهـ. لمـ أـكـنـ مـتـأـكـداـ ماـ الـذـيـ أـحـرـجـهـ؟ـ رـبـماـ لـأـنـهـ تـطـلـعـ علىـ أـحـدـ الـجـيـرانـ، أوـ رـبـماـ لـأـنـيـ سـأـعـتـقـدـ أـنـهـ شـخـصـ يـثـيرـ الـمـخـاـوفـ". كـانـتـ الرـائـحةـ الـأـقـوىـ عـلـىـ بـابـهاـ".

"هلـ أـخـبـرـتـ السـيـدـ سـمـولـرـ؟ـ".

"قرـرتـ أـنـ أـنـتـظـرـ لـأـرـىـ إـنـ كـانـ هـذـاـ سـيـحـدـثـ مـرـةـ ثـالـثـةـ هـذـاـ مـسـاءـ. ولـكـنـ مـنـذـ دـقـائقـ، عـنـدـمـاـ عـدـتـ مـنـ الـعـمـلـ، وـجـدـتـ هـذـهـ فـيـ مـطـبـخـيـ".

أـخـرـجـ مـنـ أـحـدـ جـيـوبـهـ أـرـبـعـ قـطـعـ مـنـ صـورـةـ أـخـذـتـ بـكـامـيـراـ بـولـارـوـيدـ. سـلـمـهـاـ لـيـ، وـلـمـ يـكـنـ عـلـيـ أـنـ أـرـتـبـهـاـ بـشـكـلـ صـحـيـحـ مـعـاـ لـأـرـىـ أـنـهـ شـكـلـتـ صـورـةـ لـسـتـارـةـ مـنـقـوـشـةـ بـسـتـ رـقـعـ حـرـيرـيـةـ، تـظـهـرـ صـورـةـ لـنـمـرـينـ.

قالـ السـيـدـ يـوشـيوـكاـ: "كـانـتـ القـطـعـ مـكـوـمـةـ وـمـثـبـتـةـ عـلـىـ لـوـحـ التـقطـيعـ خـاصـتـيـ بـسـكـيـنـ مـأـخـوذـةـ مـنـ أـحـدـ أـدـرـاجـ مـطـبـخـيـ". أـعـدـتـ لـهـ الصـورـةـ المـقـصـوـصـةـ، وـارـتجـفـتـ يـدـهـ وـهـوـ يـأـخـذـهـاـ. "أـعـتـقـدـ أـنـهـ نـوـعـ مـنـ التـهـديـدـ. يـتـمـ تحـذـيرـيـ كـيـ لـاـ آـتـيـ لـأـشـمـ قـرـبـ بـابـهاـ مـرـةـ أـخـرىـ أوـ أـنـ أـسـتـكـيـ مـنـ نـتـانـةـ الرـائـحةـ".

"هلـ تـعـتـقـدـ أـنـ إـيفـ آـدـامـ قـدـ رـأـتـكـ عـلـىـ بـابـهاـ؟ـ".

"لـأـعـرـفـ مـاـ يـجـبـ أـنـ أـعـتـقـدـ".

"كـيـفـ دـخـلـتـ إـلـىـ شـقـتـكـ لـتـأـخـذـ الصـورـةـ؟ـ".

"بالفعل كيف؟". تساءل، وارتجمفت يده وهو يعيد أجزاء الصورة إلى جيب معطفه.

"ألم يكن بابك مقفلًا؟".

"نعم. وأنا مثلكم، لدى مزلاجان". بدا كأنه يريد أن يضيف شيئاً آخر، ولكن بعد ذلك نظر حوله في الغرفة، وركز على واحدة من النوافذ المطلة على الشارع، وأخيراً نظر إلى أسفل في يده اليمنى، أولاً في راحة اليد، ثم في الجزء الخلفي منها، إلى أصابعه، حيث تابع. أتيت إلى هنا فقط لأخبرك أني أنوي أن أبقى بعيداً عن هذه المرأة، وأبقى بعيداً عن الطابق السادس، وألا أعطيها سبباً لتغضب. وأعتقد أن عليك أن تفعل الشيء ذاته، من أجلك ومن أجل أمك".

صوت من الذاكرة: "أحب أن أجرب. أعتقد أني أحب أن أجرب؟".  
"ماذا هناك؟".

"لم أخبرك كل شيء عن هذه المرأة".  
"نعم، أدرك ذلك".

مندهشاً، قلت: "حقاً؟ كيف؟".

"ماذا يدعون وجه لاعب البوكر العجيد؟".  
"وجه البوكر؟". سألت.

"نعم، أعتقد أن هذا صحيح. ليس لديك واحد. ليس لدى أي فكرة عما تخفيه، ولكني أعرف أنك تحفي شيئاً".

ترددت ثم قلت: "لقد هددتني بسكين". على الرغم من أنني ظنتت أنه قد صدم، ولكني لا أستطيع أن أكون متأكداً، لأن لديه وجه لاعب بوكر.  
"أين حدث ذلك؟".

"هنا في الشقة. أتذكر كيف قلت إنها يمكن أن تظهر من العدم، حيث لم تكن موجودة هناك منذ لحظة".

"ولم تهددك بسجين؟".

تنحنحت، مسحت أنفي بكمي مع أنه لم يكن يحتاج للمسح، شبكت أصابعي مع بعضها وقطّعت مفاصلها، وأخيراً قلت: "حسناً، انظر، لقد تركت باب الشقة ٦ مفتوحاً، وأنا نوعاً ما أحب أن أجول في المكان". وجه بوكر أو لا، ولكنه لم يستطع أن يخفى أن فضولي قد صدمه لكونه شيئاً عدوانياً: "ولم تفعل ذلك؟".

لم أكن جاهزاً لأخبره أنني رأيتها مشنوقة وميتة في حلم: "لا أعلم. إنها مختلفة. نوعاً ما ... ربما قد افتنت بها... افتتان من النظرة الأولى". حدق إليّ بشكل مباشر، وعلى نحو ما التقت عيناي عينيه، وبعد لحظة قال: "هذا سيكون جيداً بما يكفي حتى الآن. كلنا لدينا أشياء يمكن أن تُقال فقط عندما يكون الوقت مناسباً لقولها".

على الرغم من أنني فكرت في قول المزيد له، فقد استهجنت، ونظرت إلى قدمي وكأنهما مذهلان، وكأنني سأنطلق بالرقص في أي لحظة. تنهى السيد يوشيوكا. "أبقي رأسي للأسفل، جونة كيرك. لا أفعل الكثير من الصخب بينما تمر بي السنين. لا أسمح لنفسي أن يُثار فضولي حول نساء... مثل الآنسة إيف آدامز. الرأس للأسفل. الرأس للأسفل. لا أرغب أن ألمع. أفضل الظلال، والهدوء، وفترات من العزلة. لا أرغب أن ألفت الانتباه. إذا كان كل ما يتعلق بالرجل غير مرئي للآخرين، فإنه لن يُحسد، ولن يثير الغضب أو الشك. يوجد قرب الخفاء طريقة حياة أنا أذكرها". "أتعتقد أن إيف آدامز قد تقتلك فعلًا؟".

على الرغم من أن يديه بالكاد كانتا ترتعدان بعد أن وضع أجزاء الصورة بعيداً، فقد بقي مرتبكاً ومحرجاً جداً لينظر إليّ. "هناك أشياء أسوأ من الموت. لم أكن أعلم أن التهديد كان موجهاً إليّ. ولكنه كذلك، كما يظهر، من ستارة النمر. لا يمكنني المجازفة بالستارة. إنها قيمة جداً".

"قيمة؟ ولكن ألم تقل إنها كانت مجرد نسخة وليس الأصل؟".  
"إنها أغلى قيمة من الأصلية".

"كيف يمكن ذلك؟ أعني، إذا لم تكون قطعة أثرية".  
رافعاً رأسه، التقت عيناه عيني. بدا كأنه يريد أن يفصح عن شيء شديد  
الأهمية، ولكنه قال: "لقد أتيت فقط لأحدرك".

خطا نحو الممر، وسحب الباب بهدوء وأغلقه بیننا.  
لم أسمع صوت خطوات.

بعد طرقة على الباب، قال السيد يوشيوكا: "جونة كيرك؟".  
"نعم؟".

"أقفل مزلاج الباب".  
"حسناً". فعلت ما طلبه.

واضعاً إحدى أذني على الباب أنصت إلى وقع خطوات الخياط وهي تبتعد، فكرت بأن حرجه قد يُعزى لافتقاره إلى الشجاعة، من تصميمه على إبقاء رأسه للأسفل، ليكون غير مرئي تقريباً. إمكانية هذا الأمر أحزنني، بل كانت أسوأ من حزن.

في تلك الأيام، عندما كنت، مثل السيد يوشيوكا،أمريكيّاً من مجموعة عرقية شُنت على وطنها السابق حرب عالمية، أو إذا كنت من الشعب الذي بدأ مؤخراً فقط ينشق من قرن من التمييز العنصري، وبعد أجيال من الرق، فإن أبطال الكتب والسينما لن يرغبو أن يكونوا مثلث. يمكننا أن نثق بالشخصيات التي جسدها جون واين ونعجب بالياءة والتواضع في ما أداه من أدوار لرجال أبطال. يمكننا أن نتفق على أن الشرف والنزاهة والشجاعة التي كانت جوهر صورته يجب أن تُقدر، وتثال الإعجاب أيضاً، ولكننا لم نكن نستطيع أن نرى أنفسنا جون واين أو أن نتصور أنه نحن.

بالتأكيد، كان هناك سيدني بواتيه، ولكن في تلك الأيام معظم الأدوار

التي أدتها كانت أفلاماً ليبيرالية للتوعية الذاتية، وزيادة التوعية بالظلم بدلاً من الحط من قدر الرجال الأشرار. الحط من قدر الرجال الأشرار هو في الأساس ما تريده في نموذج البطل الخاص بك. وكان بيل كوسبي، على شاشة التلفاز في "أنا جاسوس"، بالصفات الجسدية والمواصفات التي تجعل الأشرار يتمسون أن يتحولوا إلى أشخاص طيبين، ولكنه قام بذلك معظم الوقت من خلال الفكاهة، والهزل، والذكاء، ولا تشعر أبداً أنه عرضة للخطر، ولذلك لم يكن بحاجة إلى الشجاعة.

كان لدى جيلي من السود مصدران رئيسيان للأبطال – التحوم الرياضيون الذين اخترقوا حواجز السباق والموسيقيون المشهورون – الذين لم يضرروا أو يُسقطوا الأشرار كجزء من توصيفهم الوظيفي. عندما يتعلق الأمر بإلهام الرموز العرقية للبطولة في ثقافة البوب، فسيكون للسيد يوشيوكا عدد من الرجال أقل للمنافسة مما لدى أنا. لم يكن نجوم الرياضة الأميركيون من أصل ياباني معروفي في تلك الأيام، والمغني الياباني ساكاموتو كيو هو الوحيد الذي وضع الرسوم البيانية، والتي وصل فيها سوكياكي إلى المركز الأول في عام 1963، على الرغم من أن كلمات الأغاني كانت باللغة اليابانية.

آنذاك، كان لدى تعريف ضيق للبطولة. كانت استنتاجاتي أن السيد يوشيوكا يفتقر إلى الشجاعة، هذا الافتقار الذي نشأ من العجل، الشيء الذي سأتعلمته في وقت لاحق. بعد أن تكون قد تعرضت لخسائر كبيرة، وعرفت الكثير من الألم، لن يكون من الجبن أن تمني العيش من الآن فصاعداً بأقل قدر من المعاناة. وهناك شكل واحد من البطولات، التي سيتم تقديم القليل منها في الأفلام، هذا إن وجدت، هو شجاعة أن تعيش دون مرارة عندما يكون للمرارة ما يبررها، ولديك القوة إلى حد كبير، حتى عندما يبدو أن المثابرة من غير المرجح أن تكافأ، لاتتخاذ قرار للعثور على معنى عميق للحياة عندما تبدو الحياة في متهى التفاهة.

عندما اتصلت لأقول للسيدة لورانزو أني في المنزل، جاءت إلى الطابق الرابع مع ما أسمته "حلوى السر الخاصة" على صحن مغطى. في وقت سابق، كانت قد تركت مقالة من سالتيمبوكا في الثلاجة لدينا، مُعدة ولكن غير مطبخة، وأحضرت معها طبقين جانبيين، كما أعددت كروكيت البطاطا والبازلاء مع الجوز. بدوري حضرت الطاولة وأخبرتها عن يومي. لم يكن هناك الكثير لأقوله، لأنني استبعدت فيونا كاسيدي المعروفة أيضاً باسم إيف آدامز، والسيد يوشيموكا. كنت أعيش حياة أكثر سرية من الحلوي التي في صحن مغطى.

بينما كانت تطهو، كلفتني بعض المهام الصغيرة الأخرى، وساعدت بأفضل ما أستطيع، في حين كانت تكلمني عن كل شيء فعله وقاله الأطفال الثلاثة خلال عملها الصغير في الرعاية النهارية. "أخشى أني لم أعد أستطيع مجاراتهم كما كنت قبل أن أصبح بدينة جداً".

لقد مر على وفاة السيد لورانزو بضعة أشهر، وفوراً بدأت السيدة لورانزو تزداد وزناً. لم تكن حينها بدينة، حسناً كانت سمينة قليلاً، ولم أكن أحب أن اسمعها تسخر من نفسها.

"سيدة لورانزو، هل أخبرك أحد من قبل أنك تشبهين آنا ماريا ألبيرغتي؟". "أنت لطيف، جونة، ولكن كل هذا أصبح خلفي الآن". وبيد واحدة ربت على جانب ظهرها وضحت بعنومة. "كله خلفي". بطريقة ما كنت أعرف أنها لا تعني أرطال الوزن الجديدة التي وزعت على جسمها بالتساوي، وهكذا قلت: "خلفك؟ ما هو؟".

"تهتم كيف أبدو؟ الرجال. الزواج. كان طوني أفضل الرجال. محاولة الحصول على كل ذلك مرة أخرى لن يقود إلا إلى خيبة الأمل... أو أسوأ من ذلك".

أحزنني استسلامها. لم أتمكن من التفكير بأي من الكلمات التي قد تغير رأيها حول المستقبل. كلما كنت صامتاً أكثر، شعرت بالإحراج أكثر، إلى أن اضطررت إلى الهروب من المطبخ لبعض دقائق. ربما عندما أعود، سوف نتمكن من الحديث عن موضوع جديد كما لو أن ما قيل لم يُقل.

قلت كذباً: "أنا ذاهب لأرتب سريري، وبذلك لن أضطر للقيام بذلك في وقت لاحق، أفتح النافذة وأدخل بعض الهواء المنعش إليها".

عندما ذهبت إلى غرفة نومي، كان إطار النافذة، كما تركته، والسرير كان مرتبًا، كما تركته أيضاً، ولكن على بطانية ناعمة من القطن، كانت عين الدمية تراقب مدخل الباب.

في ذاكرتي رأيت التحديق البنفسجي وسمعت امرأة خطيرة تقول "عين السحر؟ أنت مسخ حقيقي صغير في صنع الأشياء، ألسن ذلك؟".

ذهبت إلى النافذة. أغلقتها، وأحكمت إغفالها.

عندما سحبت فاتحاً باب خزانتي، لم تكن هناك. ولم يكُن في غرفة نوم أمي أو خزانتها أيضاً. أو في خزانة الصالة أو الحمام.

في غرفة الجلوس، وجدت الباب الأمامي مفلاً، كما كنت قد تركته بعد أن وصلت السيدة لورانزو.

**Telegram @read4lead**

عدت إلى غرفة نومي، وانتزعت العين عن السرير. استرجعت علبة حلوى لافلورانتين من المنضدة، فتحتها وتأكدت أنه لم يؤخذ شيء - أو يُضف شيء - إلى مجموعتي. وضعت العين في العلبة والعلبة في درج المنضدة.

لم تكن العين هناك عندما عدت إلى البيت وطويت غطاء السرير. في حين كنت أنا والسيدة لورانزو مشغولين في المطبخ، جاءت إيف آدامز - فيونا

كاسidi، أيًّا كانت.

جالسًا على حافة السرير، لم يكن من الصعب على ترجمة الرسالة. فلا بد أن تكون المرأة قد عرفت أن السيد يوشيوكا قد جاء إلى ليخبرني عن الرائحة التتنفس مثل سائل التنظيف الجاف وحول تمزيق صورة ستارة النمر. كانت تحذرني من التآمر ضدها، وأن أبقى بعيدًا عن السيد يوشيوكا، وأن أتذكر أنها تحب أن تجرح: هل تظن أن عين الدمية هي سحر، يا ولد، إن الشيء الوحيد الذي هو سحر هنا هو أنا.

عندما هدأت رعشاتي، عدت إلى المطبخ، حيث كانت السيدة لورانزو قد انتهت من إعداد الأطباق الجانبية. كانت تقليل السالتيبيوكا المغطاة بخلط من الزبدة وزيت الزيتون، وكان الهواء عابقاً بنكهة البروسكيتو، ولحم العجل، والميرمية، والفلفل.

أرادت الماء لشرب مع العشاء. سكبت لنفسي عصير الكرز من إبريق كبير كانت أمي قد خلطته ذلك الصباح.

عندما جلست إلى الطاولة، لم يكن لدى أي شهية. بدأت أنتقي الطعام، متأكداً أن معدتي سوف ترجعه، ملقة إيه على لو تجرأت على الأكل. ولكنها كانت شهادة للسيدة لورانزو في الطبخ أني قبل فترة طويلة أنهيت كل ما قدمته لي من طعام وطلبت المزيد.

بدأ أن حلوي السر الخاصة هي كعكة من كريم جبنة الريكونتا موزع عليها السكر الناعم والشوكولاته المبروشة. لم تكن خاصة فقط بل كانت رائعة.

بعد العشاء، وبعد غسل الصحون، لعبنا رومي 500 على طاولة المطبخ. أرادت السيدة لورانزو تشغيل الراديو والعنور على بعض الموسيقى الجميلة، ولما كنت مهوساً بالموسيقى، فقد ظهرت أني لم أستطع التركيز على البطاقات مع عزف الموسيقى. ما كان يهمني حقاً أن الموسيقى قد تغطي على صوت إيف آدامز عندما تعود بنوايا سيئة.

توجهت إلى الفراش عند الساعة 9:30، كما كان يفترض بي أن أفعل، على الرغم من أنني لم أستطع النوم. وكانت السيدة لورانزو تشاهد التلفاز في غرفة الجلوس، ولكن الصوت كان منخفضاً. لم يكن التلفاز هو ما أبقاني مستيقظاً، بل الساحرة في الشقة 6-5، إذا كانت حقاً ساحرة. أصبحت أفكر بأنه ربما عليَّ أن أتمنى أن تكون ساحرة فقط، فقد كانت هناك أشياء أسوأ في أي حال.

الساعة 10:20، نهضت من السرير، وذهبت إلى غرفة الجلوس لأتأكد أن السيدة لورانزو كانت بخير. أرقت لأقل من ساعة وفكرت في عدة طرق تقوم فيها إيف آدامز بقتلها فجأةً، بهدوء، بتلك المدية المطواة. وجدت السيدة لورانزو مستلقيةً على الأريكة. لم تكن تشاهد التلفاز، ولكنها لم تكن ميتة أيضاً. أصدرت صوت النائم، فقد كانت تشرخ بهدوء.

عدت إلى السرير وأكدت لنفسي أنني كنت طفلاً كبيراً. أيًّا ما كانت عليه المرأة الغامضة فهي لم تكن ساحرة أكثر من احتمال كونها مصاصة دماء أو كائناً فضائياً فقس من جراب البذور العملاقة. لم يصدر عنها أي خير في 5-6، وهي لا تريد أي تدخل. و طفل في التاسعة كان من السهل ترهيبه، وكذلك خياط خجول يعيش في ظل مأساة أو غيرها كان من السهل ترهيبه أيضاً. كان كل ما أرادته منها أن تخشاها ونبقى بعيدين عنها، وخلال بضعة أشهر ستكون قد رحلت.

ومع ذلك، في تمام الساعة الحادية عشرة، تسللت في الممر إلى غرفة الجلوس مرة أخرى، لمعرفة إن كانت السيدة لورانزو لا تزال نائمة أو ربما، هذه المرة، قد قُطعت وماتت. كانت جالسة على الأريكة، منحنية إلى الأمام ووجهها بين يديها، كما الشبح تبدو مع ومض ضوء التلفاز الباهت، بكت بهدوء ولكن بحزن جعل جسدها يهتز. لم يكن هناك شيء على التلفاز يجعلها تبكي. لم تكن بحاجة إلى فيلم حزين أو سماع فطاعة الأخبار لتسقط دموعها.

لا يهم كم ثبت مدى جنون المرأة التي تشغل الشقة 6، أحسست بالحراج لانشغاله بذلك ونسرت كيف أن عالم دوناتا لورانزو قد انقلب رأساً على عقب مؤخراً. على الرغم من أن الحلم بفيونا كاسيدي، وهي مشنوفة بربطة عنق، قد أربكني حين رأيتها على الدرج لاحقاً وهي على قيد الحياة، وكانت مع ذلك مسؤولاً عن أي مصيبة قد أوقع نفسي بها. كنت متھوراً حين تبعتها بجرأة بشكل غير مبرر عندما دخلت شقتها وتجلولت في غرفتها دون دعوة. بيد أن السيدة لورانزو لم تفعل شيئاً يجعلها تستحق أن تترمل؛ لقد كانت امرأة بريئة وجه لها القدر ضربة فاسية.

قبل أن تنتبه وتكشف أنني كنت أراقبها، عدت بهدوء إلى غرفتي. خجلني قلل من خوفي، وعلى الرغم من أنني شكت أنني أود النوم في تلك الليلة، فقد نمت.

في صباح اليوم التالي، ولأنه عيد ميلاد الجدة أنيتا كان في ذلك اليوم، فقد أقليتنا أنا وأمي والجد تيدي في سيارة كاديلاك كوبيه، وذهبنا إلى قداس الساعية العاشرة، وبعد ذلك توقفنا لتناول وجبة الفطور والغداء في فندق كبير حيث ذهبت في جميع الأنهاء ودرت عبر الأبواب الدوارة ثلاث مرات، وكان من الممكن أن تكتمل الدورة الرابعة لو لم توجه لي أمي تلك النظرة التي تعيني على الفور إلى رشدي.

لم يسبق لي أن تناولت وجبة فطور وغداء مثل هذه من قبل، وهذه كانت بوفيه - كل - ما تستطيعه، الأمر الذي أذهلني. وكنت مذهولاً أيضاً بالزهور المقطوفة حديثاً الموجودة على كل طاولة، ومنحوتة الجليد على شكل بجعة والزي الأبيض وقبعات الشيف البيضاء الطويلة التي يعتمرها الرجال الذين يقطعون لحم البقر المشوي ولحم الديك الرومي.

بدا الديكور الفخم والمنظر وكأنه قد أثار شهيتي إلى حد كبير. بعد أن أنهيت صحنى الأول وعدت لأجلب الثاني، حذرتنى أمي أن آخذ فقط ما أنا متأكد من إنتهاءه. "أكل ما يمكنك أكله لا يعني أن تهدر بقدر ما تريده".

عندما عدت مع صحن كامل، بدوا مشككين. ولكنني أتيت عليه كله. قال الجد تيدي: "أنيتا، أشك أن حفيتنا هذا من كوكب آخر. إنه حقاً كبيراً مثل حصان مع فم تماسح، لكنه قادر على تنويمنا بشكل يجعلنا نراه صبياً صغيراً قد يطير عند هبوب ريح قوية".

بعد ذلك، ذهبنا لمشاهدة فيلم من بطولة جاك ليمون وولتر مايثيو. كان مضحكاً جداً، ولكن ليس بقدر الرسوم المتحركة التي شاهدناها أولاً.

هذا اليوم كان مثالياً. وطبيعة تفكير الولد ذي التسع سنوات أن يعتقد بأن كل تجربة مبالغ فيها تدل على تغيير دائم في نوعية الحياة من الآن وصاعداً. يوم سعيد يجر معه سلسلة طويلة من الأيام القاتمة عبر عقود كثيبة، ويوم من الفرح يخلق يقيناً طائشاً تقريراً أن السنوات القادمة سوف تتسم ببركات لا نهاية لها. في الواقع، يعلمنا الوقت أن نتيجة المسرحية الموسيقية للحياة تتأرجح بين الحالة النفسية وصوت الموسيقى. لقد عرفت أناساً بالغين عاشوا كل حياتهم بقناعة صبي التاسعة الغريبة هذه. ولأنني متفائل ودائماً كنت كذلك، فإن توقع الفرح المستمر يأتي بسهولة أكبر من التشاؤم الذي كان حقيقةً بشكل خاص خلال تلك الفترة من طفولتي.

عندما عدنا إلى البيت في مساء يوم الاحتفال بعيد ميلاد الجدة أنيتا، بالكاد كنت أفكر بتلك المرأة في الشقة ٦-٥ مثل هذا اليوم العليء بفرح لا تشوبه شائبة يجب أن يعني أن عالمي قد بدأ بالدوران حول شمس أكثر دفناً من ذي قبل، حيث تكون المرأة الغامضة مع الشر الذي تمثله في عالم مختلف عن عالمي، في حصن بعيد عن مجاري، حيث لن تقاطع مداراتنا مرة أخرى أبداً. نمت بعمق ودون أحلام.

صباح يوم الاثنين، في عيد العمال، استيقظت، ثاءبت وتمددت، وجلست في سريري – رأيت صورة بولارويد مقابل المصباح على منضدة السرير. كانت صورتي وأنا نائم.

وأنا جالس هناك في السرير، فسرت معنى صورة البولارويد على هذا النحو: يمكن أن أحضر إليك في أي وقت أريد، أيها المتطرف. يمكنني أن أغزو في قلبك سكيناً وأنت نائم، يا ولد، وستكون ميتاً حتى قبل أن تستيقظ لتراني.

لم يكن هذاأسوءاً ما توعدت به. وحيث اهتزت الصورة اللامعة بهدوء في يدي المرتعشة، تذكرت ما قالته عندما زارتني في هذه الغرفة بالذات، بعد تجولي في الشقة ٦٥ بوقت قصير.

"لا أريد أن تتحدث عني لأي شخص، أيًا كان. أنت لم ترني. ولم نقم أبداً بهذه المحادثة القصيرة. هل فهمت، أيها المتطرف؟". لقد هددت باستخدام السكين ضد أمي. "إذا كنت تحب أمك، إذاً فكر بما قلته لك". بدل من الركض إلى أمي وإخبارها بكامل القصة، جلست على حافة سريري وأخذت علبة حلوى لافلورانتين من المنضدة. فتحت العلبة، ووجدت العين القماشية تحدق إلي.

عندما يمكنك أن تخفي سراً عن أقرب الناس إليك، حتى مع أفضل الدوافع، فهناك خطر بأنك ستقوم بإنشاء حياة أصغر داخل الحياة الرئيسية الخاصة بك. بعد السر الأول سوف تدور الأسرار الأخرى التي يجب أن تحفظ أيضاً، وشبكات معقدة من التهرب التي تتطور إلى أبنية مفصلة من الحقائق المكبوطة والذرائع، حتى تكتشف أنك يجب أن تعيش روایتين في آن، لأن الخداع يتطلب كلاً من الأكاذيب الجريئة وأكاذيب الإغفال، وهو يلوث الروح، ويعكر الضمير، ويجعل الرؤية ضبابية، ويعرضك لخطر الانحدار

المتهور إلى ظلام أكبر.

لم أستطع أن أصوغ ذلك في كلمات، ولكنني أحسست به كله، وحتى لو كنتأشعر به بشكل غامض، فقد كان يسبب لي الضيق مع كل خطوة أخطوها إلى مزيد من السرية. إذا أريت الصورة لوالدتي، سيكون علي أن أخبرها عن المرأة في الشقة ٦٠٣ وسترغب أمي أن تعرف لماذا كنت بهذه الجرأة والواقحة لأقدم على مجازفة كهذه بدخولي دون دعوه إلى شقة شخص غريب. لم أكن متأكداً أنني سأتمكن من إقناعها - أو إقناع أي شخص آخر - أنني رأيت المرأة الغامضة سابقاً في حلم، مشنوقة وميتة، ولذلك سأكون محظ شبهة بارتكمابي خطأً مضاعفاً مع كذبة فظيعة. وسوف يثير في ذهنها احتمال أنني أشهي أبي بدرجة أكثر مما يمكنها تحملها.

هكذا وضعت الصورة في علبة الحلوى مع عين الدمية وغيرها من الأشياء، وقلت لنفسي إنني إذا بقيت بعيداً عن الطابق السادس وعن المستأجرة المؤقتة هناك، فلن يكون هناك المزيد من التهديدات. أولاً، وفي أي حال، فقد قلبت العين البغيضة رأساً على عقب، وبذلك تنظر إلى أسفل العلبة بدلاً من النظر إلى.

استيقظت أمي قبل بوقتٍ طويلاً. استحملت، وارتدت ثيابها، وأعدت طاولة الطعام. ولم أكُد أضع صندوق علبة الكنوز - و - اللعنات بعيداً، حتى نقرت على بابي مشرقة وساطعة. "الفطور في الخامسة، أيها الكسول".  
"حسناً، أنا مستيقظ سأكون هناك حالاً".

بمزاج رسمي، وليس بالثرثرة المعتادة، ذهبت إلى الطاولة باليجاما والشيشب.

بدأت بوجبة الفطور دون إثارة شكوكها إلى حد كبير من خلال التظاهر بأنني ما زلت نصف مستيقظٍ فقط، فأنا لا أزال منهكًا من نشاطات عيد ميلاد الجدة أنيتا.

كنت محظوظاً، لأن يوم الأحد كان مشغولاً جداً، والدتي لم تقرأ تلك الصحيفة، التي لا بد أن وزنها أربعة أرطال. وهي تأكل البيض، واللحم المقدد، والبطاطس المقلية. استعرت الصحيفة لأقرأ الأشياء المضحكة، وبذلك يكون لدى عذر كي أبيقي رأسي منخفضاً.

لم يقدم سلينكر الموسيقى الحية يوم الاثنين، إلا في أيام العطلات التي تضمن وجود حشد كبير. مثل عيد العمال. كانت أمي وفيرجيل تيبينس، المغنية الأخرى في النادي هما من ستعنيان ذلك المساء. وكانت أمي نجمة العرض المبكر، من السادسة حتى التاسعة، وأنه عليها أن تقوم بالتدريب قبل الغناء، كان عليها أن تغادر في الثالثة.

بعد أن استحممت وارتديت ثيابي، عانقت أمي وقلت لها: "أجهزي عليهم الليلة".

"سأكون سعيدة فقط إن استطعت إسكاتهم، فلا تحدث هناك أي مضايقات".

قلت مصدوماً: "هل يضايقونك في سلينكر؟".

"أي مكان يكون فيه ما يكفي من الخمور لمدة كافية من الوقت، الكل يتعرض للمضايقة، يا حبيبي. ولكن أياً كان ما سيحدث الليلة هناك، فسيتم الاحتفاظ به للمسكينة فيرجيل، فهي من ستقدم العرض التالي".

وذكرت لها أنه على الرغم من أن مركز المدينة كان يروج لنashطين في العطلة ولكن قاعة أبيغل لويس توماس ستظل مفتوحة لي لممارسة العزف على البيانو، فقالت: "عند عودتك، إذا لم أكن قد عدت بعد، اذهب إلى دوناتا، فهي تتوقع مجبيك".

عندما عدت في الخامسة والربع، لم أتوجه مباشرة إلى شقة السيدة لورانزو. لم أشعر بالذنب بذهابي إلى شقتنا بدلاً من ذلك، لأنني كنت أحاول معرفة كيفية ضمان سلامتنا، التي هي المهمة الرئيسية لرجل المنزل، أياً يكن

الأمر. وبشكل غريب، مع ذلك، فإنني شعرت بالذنب الشديد إزاء عدم شعوري بالذنب لذلك.

في المطبخ، فتحت الدرج الأقرب للهاتف الجداري وأخرجت الدليل وبحثت عن رقم يوشيموكا. لا أعرف لماذا كنت أتوقع أن يكون اسمه الأول يابانياً عندما يفترض أنه ولد في الولايات المتحدة، ولكنني حدقـت إلى القائمة لحوالي دقيقة تقريباً، متسائلاً إن كان هناك يوشيموكا ثانٍ في البناية.

ولما كنت أخيراً على وشك طلب الرقم، رن الهاتف فأفزعـني. حدقـت إليه، متـاكداً أن المتصل لا بد أنه تلك الساحرة - إنها تعرف أنـني جئت إلى المنزل! - ولكنـي بعدها شـعرت بالـحـرج من خـوفـي الشـدـيد، رـفـعت السـمـاعة. "مرحباً؟".

"طـابـ نـهـارـكـ، جـونـةـ كـيرـكـ". قالـ السيدـ يـوشـيمـوكـاـ.

"أوهـ. مـرحـباـ لـمـ أـظـنـ المـتـصـلـ أـنتـ".

"وـمـنـ ظـنـنـتـنـيـ أـكـونـ؟".

"إـيفـ آـدـامـزـ".

"أـؤـكـدـ لـكـ أـنـنـيـ لـسـتـ هـيـ".

"لـاـ ياـ سـيـديـ. أـسـتـطـعـ أـقـولـ إـنـكـ لـسـتـ هـيـ".

"يـجـبـ أـنـ أـخـبـرـكـ أـوـلـاـ أـنـنـيـ فـيـ قـمـةـ السـعـادـةـ وـأـنـاـ أـتـنـاـوـلـ آـخـرـ قـطـعـةـ مـنـ حـلـوـيـ أـمـكـ، وـكـانـتـ لـذـيـذـةـ تـمـامـاـ مـثـلـ أـوـلـ قـطـعـةـ. شـكـراـ لـكـ".

"يـمـكـنـنـيـ أـنـ أـخـضـرـ لـكـ المـزـيدـ إـذـاـ رـغـبـ بـذـلـكـ".

كـابـحـاـ شـهـيـتـهـ بـوـضـوحـ قـالـ: "لـاـ، لـاـ، آـسـفـ جـداـ. لـمـ أـتـصـلـ بـكـ لـأـطـلـبـ مـنـكـ الحـلـوـيـ. لـوـ فـعـلتـ ذـلـكـ، لـكـنـتـ اـعـتـقـدـتـ أـنـنـيـ فـظـ بـشـكـلـ لـاـ يـوـصـفـ".

"لـاـ ياـ سـيـديـ. كـنـتـ سـأـطـنـ أـنـكـ تـعـرـفـ الـحـلـوـيـ الـجـيـدةـ عـنـدـوـقـهـاـ، هـذـاـ كـلـ شـيءـ".

عـلـىـ مـاـ يـبـدوـ أـنـ رـدـيـ قـدـ أـرـبـكـهـ. بـقـيـ صـامـتاـ لـلـحـظـةـ قـبـلـ أـنـ يـسـأـلـ: "أـنـتـ

"لوحدك، جونة كيرك؟".

"نعم، سيدتي. لقد ذهبت أمي إلى سلينكز، ومن المفترض أن أذهب إلى شقة السيدة لورانزو بدل مجئها هي إلى هنا".

"لدي شيء مهم لك، جونة كيرك. مهم جداً. هل يمكنني أن أحضره لك؟".

"بالتأكيد".

"هناك قوى غير سليمة تعمل في هذه البناءة. ويجب أن تكون في كل الأوقات على أعلى مستوى من السرية. لن أرن جرسك، ولن أطرق الباب. ستكون بانتظاري. حسناً؟".

"نعم". أوقف.

"إذا واجهت أي خطر وأنا في طريقي إليك، فسوف أعود إلى بيتي وأتصل بك لنتفق على وقت آخر للقاء".

"خطر؟" قلت.

"خطر، جونة كيرك، خطر عظيم".

انتظرت على الباب الأمامي للشقة، وحللت القفل وفتحت الباب قليلاً. من خلال فتحة الباب الصغيرة، في انتظار شريكه في المؤامرة، تفاجأت حين ظهر فجأة على يسارِي، قادماً عبر الدرج الخلفي بدلاً من الأمامي مثل القطة. ابتسَم لي السيد يوشيوكا عبر فتحة الباب، فأدخلته. كان يحمل حقيبة تسوق من الورق البني وضعها بجانب الباب وأنا أغلقه.

"كيف حالك هذا المساء، جونة كيرك؟".

"خائف نوعاً ما على ما أعتقد".

"خائف؟ مرتعب؟ مم؟".

"أياً كان الخطر الذي ستخبرني عنه".

"ولكنك سبق وعرفت ما هو الخطر العظيم. إنها الآنسة إيف آدامز". شيء ما في الخياط كان مختلفاً. على الرغم من أن اليوم كان يوم عطلة، ولكنَّه كان لا يزال يرتدي بدلة وربطة عنق، وعلى الرغم من كل كلامه عن الخطر العظيم، فقد بدا مرتاحاً أكثر من المعتاد.

"لقد قلت أيضاً أن هناك قوى غير سليمة تعمل في هذه البناء".

"وهذه إشارة أخرى إلى إيف آدامز وأولئك الذين في عصابتها".

"من الذين في عصابتها؟".

"أشخاص مختلفون يأتون ويذهبون. أسمع خطاهم، وأصواتهم المكتومة، لكنني لم أرهم".

"هل جاءت إلى شقتك مرة أخرى؟".

بدا مهيباً كما لو كان في جنازة.

"نعم. لقد تركت صورة أخرى".

"لستارة النمر الثانية، ومنحوتة سيدة البلاط؟".

"إنها ليست صورة. بل صفحة مقطعة من كتاب".

"صورة لمانزانار". تذكرت من محادثتنا على الشاي. "أحد الأماكن التي كنت تعيش فيها في كاليفورنيا".

"صورة فوتوغرافية لبوابات المكان الذي كنت أعيش فيه".

"كيف أمكنها أن تعرف؟".

"أعتقد أنها خمنت... وكانت على حق".

"إذاً لا بد أنها ساحرة بالتأكيد".

وعندما فقط أدركت لماذا يبدو السيد يوشيوكا مختلفاً. على الرغم من أنه قد ارتدى بدلة وربطه عنق، كما يفعل دائماً، للمرة الأولى لم يكن يرتدي سترة أيضاً. كان قد أخذ إجازة من أجل العطلة.

صباح ذلك اليوم، كنت مرتبأً عندما أدركت أن إيف آدامز قد شقت طريقها وصولاً إلى شققنا المقلدة أثناء الليل، وقد صورتني أثناء نومي، ولكنني الآن متحمس لأنشارك مع السيد يوشيوكا تعربي للإهانة، إهانة يبدو أنها تفوق صورة بلدة صغيرة في كاليفورنيا.

قلت: "لقد تركت صورة أخرى هنا. هيا، سأريك". تقدمته على طول الممر إلى غرفة نومي. وقف عند العتبة متتمايلًا من جانب إلى آخر، وبدا غير مرتاح ولا يريد الدخول. أحضرت علبة الحلوي، وأريته إياها.

ابتسم لرؤيته صورة المرأة على الغطاء، ونقرها بإصبع واحد وقال: "لا يليل فيرونيه".

في الحقيقة، في ذلك الوقت، لم أعرف تماماً ما الذي قاله، إلا أنه كان على ما يبدو باللغة الفرنسية، الأمر الذي بدا غريباً أن تأتي من شخص يبدو بوضوح أنه ليس فرنسيّاً. على أي حال، لقد كنت متلهفاً لأريه الصورة التي

تظهري و أنا نائم.

"ألم يوقظك ضوء فلاش الكاميرا؟" سأل.

"قليلة هي الأشياء التي يمكنها أن توقظني عندما أريد النوم فعلاً".  
مقطب الجبين، متمايلًا للخلف والأمام عند العتبة، هز رأسه بدلًا من ذلك. "هذا أمر سيء جداً. ماذا قالت أمك؟".

"لم أرِها إياها. أردت أن أفكر في ذلك أولاً. لم أرد أن أثير قلقها".  
أخذت العين من الصندوق، وشرحت له عن تاريخها، ولكنه لم يستطع  
أن يفهم تماماً.

"هذه عين من دميك المحسنة؟".

"ليس من دميتي. لا أعرف دمية من. لقد دحرجتها الرياح عبر الزفاف،  
دحرجتها فقط ولا شيء آخر، حتى توقفت عندي. ظننت أنها ربما تحتوي  
على بعض السحر، لذا احتفظت بها".  
"أي سحر؟".

"شيء ما يشبه الفودو". عندما رأيت أن الكلمة لم تعنِ له شيئاً، قلت  
"تعرف، كما في الأفلام".  
"لا أشاهد الأفلام".

"حسناً، كان هناك فودو - في - المدينة، شيء كان على التلفاز ليس من فترة بعيدة".

"لا أشاهد التلفاز. وكثيراً ما قيل لي إنه ينبغي علي شراء واحد، ولكنني لا أعتقد أنه سوف أفعل ذلك يوماً."

"لا تلفاز؟ يا إلهي، ماذا تفعا، إذا؟".

١٤

"أعني، عندما لا تعلم".

آق اُ. افک

"أنا أقرأ أيضاً، وأمي كذلك. نحن نحب الكتب".

بعد الحيرة إزاء العين مرة أخرى، أعادها إلىي، فقمت بحذر بوضعها رأساً على عقب في وعاء اللافلوراتين.

وبينما كنت أرجع العلبة إلى المنضدة، قال السيد يوشيوكا: "يمكن تفسير الأمر بتفسيرين منطقين فقط: إما أن إيف آدامز خبيرة جداً في فتح الأقفال، وإما أنها تملك مفاتيح شققنا".

كان السيد يوشيوكا هادئاً جداً، ولكن نوع الهدوء كان فريداً بالنسبة إليه. طريقته الدقيقة في التحدث، دون انكماشات أو لغة عامية، دون إسقاط أي حرف من الكلام، قد جذبت أذني الموسيقية منذ بداية علاقتنا. الآن، ونحن منخرطان في الاستنتاج، نحاول حل اللغز، على الرغم من أنه لا لكتة لديه، فقد ذكرني قليلاً بذلك المحقق العبرى حاد الذكاء تشارلى تشان، في تلك الأفلام القديمة. في عام 1966، كانت أفلام تشارلى تشان لا تزال تُعرض على شاشة التلفاز. لم يوجد فيها أحد أى هجوم عنصري يستحق الرقاقة، ربما لأن السيد تشان كان دائماً الشخص الأذكي في كل مشهد. كان تشارلى تشان طبعاً أمريكياً من أصل صيني، وكان السيد يوشيوكاأمريكياً من أصل ياباني. أستطيع أن أعرف الفرق، على الرغم من أنني كنت في التاسعة فقط، لأنني كنت قد رأيت السيد موتو على شاشة التلفاز، في سلسلة من الأفلام القديمة غير التقليدية عن المحقق العبرى حاد الذكاءالأمريكى من أصل صيني استناداً إلى سلسلة من القصص القصيرة والألغاز التي كانت بطول رواية لجون ب. ماركанд، الذي حصل على جائزة بوليتزر لرواية التيار السائد بعنوان The Late George Apley (جورج أبلبي الأخير). ولكي نقول الحقيقة، فإن فيونا كاسيدى، والمعروفة أيضاً باسم إيف آدامز، أخافتني، ولكن كانت هناك لحظات فاقت فيها متعة لعب دور الصاحب للسيد يوشيوكا خوفى من تلك المرأة الغامضة، ذلك ربما لأنه لم يكن هناك أى سلسلة تحكى عن محقق عبرى حاد الذكاء

وزنجي، حيث هذه هي الصورة التي أرى نفسي فيها.

أغلقت درج المنضدة وعدت إلى المدخل حيث يقف زائري، قلت له:  
لا بد أنها فاتحة أقفال ممتازة. فمن أين لها أن تحصل على المفاتيح؟".  
"ربما أعطاها إياها سمولر".

"السيد سمولر؟ ما كان لي فعل ذلك. يمكن أن يفقد وظيفته لقيامه بشيء مثل هذا".

"قيل لي إن الرجال يقومون بأشياء متهورة لأمرأة جميلة. وفي الواقع،  
لقد رأيت ذلك".

هززت رأسى: "يقول السيد سمولر إن المرأة غالباً ما تحطم قلب الرجل،  
مرات لا يمكن عدها. وقال: لا تدعهن ييدأن. علاوة على ذلك، فهو لا يحب  
رؤساء عمله في وسط المدينة، وقد أرسلوها إلى هنا للقيام بأعمال الشقة ٦-٥.  
يقول إنهم جميعاً رجال شركة القلب الأسود، ويحصلون على المال لمجرد  
تنظيف أنوفهم. على أية حال، منذ أن أرسلوها من وسط المدينة، وهو يظن  
أنها بيلدريرغر".

يتحرك فم السيد يوشيموكا كما لو أنه يقلب الكلمة حول لسانه، بمحاولة  
منه لتذوق بعض المعنى فيها. "ما هو ... ما الذي قلته للتو؟".

"إنها قصة طويلة"، أجبت. "ليست مهمة. لن يعطيها السيد سمولر  
المفاتيح، كما لن يفعل رجال شركة القلب الأسود. إذاً لا بد أنها فاتحة أقفال  
ممتازة. ما الذي أحضرته في حقيقة التسوق؟".

"جهاز لضمان سلامتك في الليل".  
"ما هو؟ بندقية؟".

ابتسם، ولكنها كانت ابتسامة رقيقة ومتوترة. "دعنا نأمل ألا تصل الأمور  
إلى هذا الحد".

من حقيبة التسوق الصغيرة، سحب السيد يوشيوكا مثقباً يدوياً مع مقبض ملتوٍ وشريط قياس، وقلم رصاص، ومطرقة، ومسمار، وقطعتين من قفل سلسلة أمان مع براغ.

"لقد قمت للتو بتثبيت واحد على بابي. بالطبع هذا لا يمكنه أن يبقى الآنسة إيف آدامز خارجاً عندما لا يكون هناك أحد في البيت ليغلق السلسلة من الداخل. ولكنه سوف يضمن أنها لن تستطيع اقتحام البيت ليلاً عندما تكون نائماً".

أمسك لوحة دعامة إطار الباب وبواسطة قلم رصاص وضع علامة للحفر التي سيثبت فيها البراغي.

"هيبي، انتظر لحظة. كيف سأفسر هذا لأمي؟".

"وماذا هناك ليشرح؟ الآنسة إيف آدامز شخص خطير ولا يمكن توقع أفعالها. إنها...".

"لم أخبر أمي عن إيف آدامز، أو تهدیدها لي بالسکین أو عن صورتي وأنا نائم، ولا شيء من ذلك".

نظر إلى رامشاً، كما لو كان قد أغشى عليّ وهو يحاول إعادتي إلى وعيي. "لماذا لم تخبرها شيئاً مهماً كهذا".

"إنه أمر معقد".

رمضني بنظرة ذكرتني بشخص آخر، وللحظة لم أستطع أن أعرف من هو، ولكنني حينها أدركت أن تلك النظرة هي نفسها التي ترمضني بها الأخت أغتسس في الأيام القليلة التي كنت أصل فيها إلى مدرسة سان سكولا ستوكا

دون إنجاز فرضي.

"لا تبدو وكأنك ولدٌ قد يكذب على أمه". قال السيد يوشيوكا.  
"لم أكذب على أمي بخصوص إيف آدامز. أنا لم أذكرها أمامها، هذا كل ما في الأمر".

"أعتقد أن هنالك فرقاً بين الأمرين إذا فكرنا ملياً بذلك".

"لم أرد أن أقلقها. لديها ما يكفي من الأمور التي تشغّل تفكيرها".  
وضع السيد يوشيوكا لوحة العضادة النحاسية والقلم جانباً، وحمل المطرقة والمسمار، وقال: "سأفسر الأمر لوالدتك بأنني كنت قلقاً بشأن تواجدكما وحدكما في المنزل خاصة وأن هذه الفترة تشهد ارتفاعاً في نسبة الجرائم. ولذلك قمت بتركيب سلسلة الأمان هذه كما فعلت في شقتي".

"ولكن، كل ما في الأمر... لماذا نحن فقط؟".  
"ما الذي تعنيه؟".

"لماذا لم تركب واحدة على باب السيدة لورانزو وعلى أبواب الجميع،  
لم على بابنا فقط؟".

ابتسم وأوّمأ برأسه. "بالطبع لأنك صديقي أما البقية فهم مجرد جيران،  
والكثير منهم لم يتحدثوا معي يوماً، ولم يجلب أي منهم الكعك لي".  
"حسناً، ولكن أمي لا تعرف أننا أصدقاء".

"قمت بجلب الكعك لي واحتسبنا الشاي سويةً، ولاحظنا معاً أن السيدة  
إيف آدامز شخص خطير. إننا رجالان اختلفت ظروفنا ولكن تقاربنا بالتفكير.  
بالطبع نحن أصدقاء".

عندما قال كلمة "رجلان" أعتقد أنني أحبيته قليلاً، بالطريقة نفسها التي  
أحببت فيها جدي تيدي. لم يتوقف السيد يوشيوكا لبرهة قبل استخدامه لهذه  
الكلمة، قالها دون تفكير، ولكنه شملني بين الناضجين والكبار بصدقٍ واضح.  
بعد شعوري بالإحراج، قلت: "حسناً، كما ترى، لم أخبر أمي أنني قد

حضرت لك الكعك وأنا احتسينا الشاي بعدها".

بعمرٍ يقارب الأربعين عاماً، امتلك وجهًا خالياً من التجاعيد وشابةً كوجهي، على الأغلب لأنه لم يجعله بتعابير درامية. ابتسامته الرقيقة كانت دوماً خفيفة، عبوسه صعب التمييز، ولكي تستطيع معرفة مزاجه، لم يكن لديك سوى القليل لتمييزه عدا عينيه. والآن، بوجهٍ صافي الملامح، ومن دون تغيير في نظرته، قال بصوتهِ لم تخلله نبرة واشٍ: "يبدو أنك تخفي عن أمك أموراً أكثر من تلك التي تخبرها إياها".

شعرت بالخجل وقلت: "ليس الأمر كذلك. أنا أخبرها كل شيء تقريباً. تدعوني أحياناً بالثريّار لأنني أخبرها كل شيء. كل ما في الأمر هو أنني إذا أخبرتها عن الكعك والشاي فسأضطر أن أخبرها عن السيدة إيف آدامز، ولا أريد أن أفعل ذلك لأنني...".

"لأنك لا تريد أن تقلّها، لديها ما يكفي من الأمور التي تشغّل تفكيرها." أكمل جملتي وهو يقتبس كلامي.

ظننت فجأة أنني قد وجدت الحل لمعضلتنا. "أتعلم، بدلاً من تركيب سلسلة الأمان، ربما علينا أن نحصل بالشرطة ونخبرهم أن السيدة آدامز تعثّب بمواد كيميائية تنتهى الرائحة في الشقة ٥-٦، وقد تفجّرنا أو ما شابه ذلك".

لأن من المستحيل أن يصبح لوني باهتاً، أستطيع بسهولة أن أميز حين يفقد الناس البيض لونهم، مثلما أستطيع أيضاً أن أحظّ توّزد وجذانهم. كان لون السيد يوشيوكا برونزياً فاتحاً، ولكن عندما افترحت الاتصال بالشرطة، أصبح لونه باهتاً. كانت بشرته لا تزال برونزية ولكن مع القليل من اللون الرمادي حينها، وكأنها كانت سبيكة من البرونز والقصدير، إذا كان هذا الشيء موجوداً.

قال: "لا داعي للاتصال بالشرطة".

"بالطبع، هذه هي الوسيلة المناسبة. سيصعدون إلى شقّتها وستضطر

لإدخالهم. وإذا كانت تفعل شيئاً سيئاً - ونحن نعلم ذلك - سترى الشرطة ذلك وستقوم بإلقاء القبض عليها، ولن نقلق بشأن رغبتها بالانتقام منا أو ما شابه ذلك".

هزَ رأسه. وأصبحت بشرته الآن تميل للون الفضفاض أكثر من البرونز.  
"لا داعي للشرطة. إنها فكرة سيئة".  
"لماذا هي فكرة سيئة؟".

"لا يمكن الاعتماد على جميع أفراد الشرطة، جونة كيرك".  
أعلم ذلك، نعلم جميعاً ذلك، ولكن هذه المرأة... الجميع يعرف أنها لا تنوى الخير. وليس كل الشرطة فاسدين أيضاً، ولا حتى غالبيتهم كذلك".  
"ليس عليهم أن يكونوا فاسدين بالضرورة. أحياناً قد يرون أشياء سيئة تحصل، ويعلمون أنها سيئة، والعديد منهم لا يكونون مسرورين بما يحصل، ولكنهم يدعونه يحصل".

"ولم قد يدعونه يحصل؟".  
"ربما هم خائفون. ربما غير واثقين. ربما يخافون فقدان عملهم. عليهم أن يطيعوا من هو أرفع منهم شأنًا".  
"من هو أرفع منهم شأنًا؟".

"رئيس الشرطة، العملدة، الحاكم، الرئيس. هنالك الكثير من أولئك الأرفع منهم شأنًا".

وضع المسamar على إحدى العلامات التي رسمها بالقلم على إطار الباب، وضرب رأسه بالمطرقة بشكلٍ خفيف وسحب المسamar ووضّح: "ثقب أولي لرأس المثقب". وكأنني سألت.

بينما كنت أشاهده وهو يقوم بعمل ثلاثة ثقوب أولية أخرى، قلت:  
"حسناً، لا يبدو هذا جيداً بالنسبة إليّ، كيف سأفسر هذا لأمي؟".  
"يمكنك ألا تقول شيئاً عن الأمر. نجح هذا النهج معك سابقاً".

ظنت أنّه يوجد شيء من السخرية في صوته ولكنّي لم أكن متأكداً.  
سيكون علىّ أن أقول شيئاً عندما ستسألني من ركب سلسلة الأمان".  
"ربما لن تسأل".

"أنا متأكد أنها ستسأل".  
إذا لم تلاحظها على الفور، لن تسأل على الفور".  
حمل المثقب، الذي كان يتضمن رأساً مركباً في مسنته، وبدأ بثقب أحد الثقوب الأولية.

لم أضطر لرفع صوتي لكي يكون مسموعاً بالنسبة إلى صوت ضغط ذراع التدوير الناعم والتي تدور التروس المخروطية. "كيف لها ألا تلاحظ؟ إنه نحاس لامع".

"ستفترض أن السيد سمولر ركبه".  
"وماذا إن سأله عن ذلك؟".

قام بنقل رأس المثقب من الثقب الأول إلى الثقب الثاني وبدأ بتدوير الذراع. "أنت تقلق بشأن الكثير من التفاصيل الصغيرة، جونة كيرك. أبقى قلقك هذا للمشاكل الكبيرة. تخبيء الحياة لك الكثير منها".

"ولكن كما ترى، حاولت أن أكون رجل المنزل، وهذا يعني عدم إزعاجي لها بشأن الأمور التي يمكنني توليها بنفسني. ولذا لم أزعجها بشأن هذا الأمر ومن ثم ذاك الأمر وذلك الأمر الآخر، وتحول الأمر الآن فوضى عارمة، وستكون غاضبة مني لأنني خبأت عنها أموراً، ولديها كل الحق في ذلك".

توقف السيد يوشيوكا عن تدوير المثقب ونظر إليّ وقال: "الآن، هنالك مشكلة كبيرة بما فيه الكفاية لتقلق بشأنها".

الشيء المضحك هو أن كل ما حدث لاحقاً لم يكن بشيء يثير قلقي. كل ليلة، كانت والدتي تغلق باب الشقة، أحياناً في وقتٍ مبكرٍ من المساء، بعد قيامها بإحضاري أولاً من منزل السيدة لورانزو. أغلقت كلاً من القفل وسلسلة الأمان بشكلٍ روتيني دون أن تقول كلمة واحدة عن الإضافة الجديدة. بعد الليلة الخامسة أو السادسة التي تلت تركيب السيد يوشيوكا للسلسلة، وعند الساعة الواحدة ونصف بعد منتصف الليل، بدت وكأنها قد لاحظت أن السلسلة لم تكن هنالك من قبل.

"متى حصل هذا؟" سألت وهي تمسك السلسلة والقفل بيدٍ واحدة وأرجحتهما قليلاً.

وأنا نصف نائم، قد أقول شيئاً دون قصد سيتسبب في تبدد الخداع بأكمله. ولكن لتشويه سمعتي، حتى وأنا غير واعٍ بشكلٍ كامل، كنت ماكراً بما فيه الكفاية لأتمم: "لا أدرى تماماً، منذ فترة".

عبست وهزت رأسها وقالت: "أدركت للتو أنني كنت أستخدمها... أيام. هاه. لم أعتقد أن صاحب المبنى سينفق قرشاً لتحسين أي شيء في هذا المكان". ثم قامت بغلق الباب وأخذتني إلى غرفتي لكي تصعنوني في الفراش. لم تذكر سلسلة الأمان مجدداً.

اعتقدت أن السيد يوشيوكا كان رجلاً رائعاً بطريقته الربوية الخاصة. ولكنني قررت الآن أنه عبقرى أيضاً.

لم تسأل أمي السيد سمولر عن السلسلة. وأدركت لاحقاً أنها لطالما ابتعدت عنه، والسبب وراء ذلك على الأغلب هو أنه عندما كان تيلتون يعيش

معنا، كان أحياناً يأخذ صندوقاً من البيرة إلى غرفة سمولر ويثرثر معه. أحب والدي أن يستمع لنظريات المؤامرة الجنونية التي كان يلقاها السيد سمولر، والتي كان يرددتها لاحقاً لي ولوالدتي ساخراً منه، ما جعلها تبدو أكثر جنوناً حتى. كان ما يقوله تيلتون عن هذه النظريات مضحكاً عادةً، ولكنه كان ليئماً كثيراً في الطريقة التي كان يتحدث فيها عن سمولر لدرجة أنني لم أستطع الضحك. استنتجت أن والدتي لم تسأل السيد سمولر عن السلسلة لأنها لم ترد أن يسألها عن حال تيلتون هذه الأيام؛ سيلفيا كيرك، والتي كانت ستعود لاسم عائلتها بلسسو مجدداً، لم تؤمن بقول أشياء سيئة عن أحد، ولكن لم يكن لديها كلام جيد لتقوله عن الرجل الذي كان يتركها كثيراً.

في أحد الأيام في بداية شهر أكتوبر، قبل حوالي أسبوع من توقيع الأوراق الرسمية لإبطال الزواج، ذهبت والدتي إلى المطعم الذي عمل تيلتون فيه مقابل راتب متواضع إضافةً إلى خمسة بالمائة من أرباح المطعم كل عام، والذي سيمتلكه في نهاية المطاف. لم تكن تمتلك رقم هاتف يعود إليه، وكانت تتواصل معه فقط من خلال محامييه، الذي كان يتولى أمر الطلاق، وأرادت أن تتحدث معه وجهاً لوجه مرةًأخيرة إذا ما كانا يفعلانه أمر صحيح. اكتشفت أنه كان قد طُرد من ذاك العمل قبل سبعة أشهر، قبل وقتٍ طويلاً من تركه لنا. ولم يكن سوى موظف براتب. والأسوأ هو أن راتبه كان أكثر بكثير مما تظاهر به عندما كان يعيش معنا وكان يعتمد على والدتي لدفع الإيجار.

أخيراً زال ما تبقى له في قلبها من مشاعر ذاك اليوم، ما أراحني كثيراً. أما بالنسبة إلى إيف آدامز، والتي عرفت أيضاً باسم فيونا كاسيدي، فلم نزعجنا مجدداً أنا والسيد يوشيوكا خلال ذلك الصيف وبدايات الخريف. كانت تصدر كل فترةً روائح كيميائية مزعجة من الشقة 6-6، ولكن ليس لأكثر من ساعة في كل مرة، وكان صديقى الخياط يشتكي من ذلك لي فقط. بعد

فترة قصيرة من اكتشاف والدتي حقيقة تيلتون، غادرت إيف آدامز شقتها.

اكتشفنا أنها قد غادرت بعد أسبوع عندما أتى فريق من العمال لإزالة ورق الجدران، حيث أزالوا المسموع ودهنوا الشقة. خلال الأشهر التي عاشتها هناك، لم تقم بأي من المهام التي كلفت بها بحسب قولها.

عندما اكتشفت ذلك، بحثت عن السيد سمولر، الذي كان يعمل مجدداً في الملجأ الذي كانت تغزوه العناكب، وسألته عن السيدة الجميلة ذات العينين الزرقاءين التي يميل لونهما إلى البنفسجي. لعبت دور الفتى الواقع في الغرام، البائس لكونه قد لا يرى تلك الفتاة مجدداً.

لم يكن السيد سمولر يتعامل مع رواسب مرجل المياه هذه المرة، إنما كان يملاً إبريقاً زجاجياً بما يشبه المرطب وكان ذا رائحة سيئة وكان ينبغ من صبور من أحد البراميل غير الموسومة.

كان يرتدي كعادته بنطالاً خاكى اللون ذا مطاط على الخصر مع علاقات، ولكن دون القميص الداخلى بلا الكمين المعتمد الذي كمل زيه الصيفي إنما كان يرتدي قميصاً رمادياً مع كتابات باللون الأسود تماشياً مع الجو الذي ازدادت برونته، وكتب عليه "ابعد عن غيمتي"، وهو عنوان أغنية شهيرة لفرقة الرولينغ ستونز أطلقت قبل عام تقريباً. كانت وجوه أعضاء الفرقة متوزعة على القميص، فبدا زياً غريباً بالنسبة إلى السيد سمولر. لا بد أنه كان يبلغ من العمر خمسين عاماً، ولم يكن من أولئك الذين قد يشترون قميصاً في حفلات الروك. وأنه لم يكن كثيراً بمظهره، افترضت أنه ارتدى ما وجد من ملابس مستعملة في متاجر الملابس المستعملة. لا شك أن هذا القميص قد رماه أحد الأشخاص الذين لم يعودوا يستمتعون بكونهم معجبين بالمغني ميك جاغر وبقى الفرقة، وكان السيد سمولر قد اشتراه ليس لكونه أحد المعجبين بالفرقة، إنما لأن القياس والسعر كانا مناسبين.

"لم تكن تفعل شيئاً في الشقة 6-5، ولم تفقدها أبداً لأرى ما الذي كانت

تفعله لتحصل على إيجار مجاني. كان أولئك مرتدو البدلات البخلاء في مركز المدينة يرسلون بعض الهبيسين إلى هنا فكانت تقوم بعملٍ ذي أجر منخفض لتجعل حدهم الأدنى يبدو جيداً، لم يكن لديهم الحق بأن يتوقعوا مني أن أشرف عليها إلى جانب كل العمل المُكلف به. أنا سعيد أنها استغلتهم، لم يستحقوا أفضل من ذلك، ولكن أنا سعيد أكثر لأنها انتقلت من هنا. إنها غريبة، ومجونة بعض الشيء. سنرى تلك المعتوهة على نشرة الأخبار يوماً ما، ولن يكون ذلك لأنها حصلت على جائزة نوبل. بني، حذرتك ألا تتجول بالقرب منها. أنت محظوظ أنها لم تقتل قلبك وتجففه وتدخنه لتتشي".

كان ذلك يوم الجمعة، بعد المدرسة، وفي العادة أكون عندها في قاعة أبيغيل لويس توماس، حيث كانت السيدة ماري أوتول تشجعني لأنتقل من القوالب الأمريكية وموسيقى البوب الرائجة حالياً إلى الموسيقى الكلاسيكية، ليس كوجهةٍ نهائية، إنما لأرى إن كان موزارت سيمحرك مشاعري كما كان يفعل دوك إلينغتون وكلود ثورنهيل وفاتس دومينو. قبل أن أصل إلى المنزل من مدرسة سان سكولاستكا، كانت أمي قد غادرت إلى اجتماعٍ مع مدير موهاب، تقوم بعدها بركرub سيارة إجرة إلى سلينكز. كنت قد عدت إلى المنزل لأهيني نفسي قبل الذهاب إلى مركز المدينة، ولكن عندما رأيت فريق العمل من الشقة 6ـ5 يأخذون استراحة لتدخين سيجارة على الشرفة الأمامية، تغيرت مخططاتي.

بعد الصعود بسرعة إلى الطابق السادس للتأكد من أن إيف آدامز قد رحلت، وبعد النزول إلى الملجأ لرؤية السيد سمولر والتأكد أن المرأة قد ذهبت دون عودة، ذهبت بعدها إلى شقتنا. وفي الداخل، قمت بإغلاق القفلين ورائي ولكنني أهملت سلسلة الأمان.

كنت متھمساً وأشعر بالدوار تقرباً من الراحة التي شعرت بها، ذهبت مباشرةً إلى غرفتي وفتحت درج المنضدة وأخرجت علبة حلوى لافلوراتين.

نويت أن أقصى صورتي وأنا نائم وأن أرمي القطع في سلة المهملات الموجودة في الزقاق.

كنت قد احتفظت بالصورة لأنها كانت دليلاً على أن إيف آدامز قد هددتني، لم أكن لأستطيع أن ألتقط صورةً لنفسي وأنا نائم، وتحديداً كوننا لم نكن نمتلك كاميرا بولارويد. إذا تفشت الأحداث يوماً ما وعلمت أمي بجزءٍ مما كنت أخفيه عنها وطلبت مني أن أفسر ذلك، أو إذا أصبحت إيف آدامز، تحت هذه الاسم أو اسم آخر، عنيفةً مجدداً اتجاهي واحتاجت أن أطلب المساعدة، أستطيع أن أقدم صورة البولارويد الخاصةي وصورة ستارة النمر الخاصة بالسيد يوشوكا - وبشكلٍ أقل إقناعاً صورة مانزنار الممزقة من كتاب - دليلاً على أنها هددتنا.

بعد أن غادرت البناءية، حيث لن يتم الترحيب بها مجدداً، لن أحتاج الصورة كدليلٍ على أي شيءٍ. ولكنها ستبقى دليلاً على أنني لم أخبر أمري بالأحداث الهامة التي حصلت. ومع أنها لن تنتهك خصوصيتي أبداً إلا أنها إذا رأت الصورة مصادفة، ستتساءل من الذي التقطها، ولماذا فعل ذلك ومتى. لا أستطيع أن أفكر بتفسيرٍ منطقيٍ عدا أن أخبرها الحقيقة. مهما كان العقاب الذي ستفكر فيه مقابل خداعي لها، لن يكون أسوأ من خيبة أملها والحزن الذي سأراه في عينيها. ولكن بعد مغادرة إيف آدامز، لم أعد بحاجةٍ إلى دليلٍ ضدها ولم أعد بحاجةٍ إلى الاحتفاظ بإثباتات يديني و يجعلني أبدو كابنٍ سيئٍ. بالنظر إلى الماضي، من الصعب بالنسبة إلى رجلٍ بعمر السابعة والخمسين أن يفكك بمنطق شخصٍ في التاسعة من عمره، لأن الدماغ في هذا العمر يكون في طور التكون؛ وتكون قوة المنطق أضعف من قوة الخيال. ومع ذلك، إن لم تخنِ ذاكرتي، عندما فتحت علبة اللافلورانتين، كان شعوري يشابه شعور سجينٍ نال حريته، لأن بنية الخداع والمراوغة التي بنيتها بدت وكأنها تفكك كحلم، وكانت تحررني من احتمال أنأشعر بالعار أمام والدتي.

من بين الأشياء المألوفة التي أبقيتها في مجموعتي الغربية – كان هنالك شيئاً مفقوداً: صوري حين كنت نائماً والعين. لم أنظر في العلة منذ أكثر من أسبوع. علمت على الفور أن إيف آدامز كانت في الشقة خلال النهار، في أحد تلك الأيام التي لم تكن فيها سلسلة الأمان تُقفل الباب، وأنها – الوحيدة – التي أخذت الغرضين. لا أستطيع أن أتخيل لم أرادت العين.

كان هنالك شيء جديد في المجموعة: شريط من الورق اللامع المأخوذ من مجلة، بعرض بوصتين وطول ست أو سبع بوصات، مقصوص مما كان صورة لوجه امرأة تغطي صفحة كاملة، من جلسة تصوير فنية: العينان والحاجبان وجسر الأنف. لا بد أن الفتاة في الصورة كانت تمتلك عينين زرقاءين، ولكن رسم عليهما بقلم بنفسجي، تم تلوينهما ليطابقاً لون عيني إيف آدامز. حاولت قشط اللون عن إحدى العينين وتلطخت إصبعي بقليلٍ من اللون البنفسجي.

أخذت مع صورة البولارويد الدليل على خداعي لأمي إضافةً إلى إثبات على اهتمامها بي. افترضت أن تينك العينين المقصوصتين من المجلة كانتا تعنيان: لن أنساك أيها المتلصص، أعرف أين أجده، وإذا أخبرت أحداً عني يوماً، سأستمتع بقطيعك إرباً. ربما ستبدأ بعيني.

في تلك اللحظة، أدركت كم كنت ساذجاً لاعتقادي أنها خرجت من حياتي إلى الأبد. كنت قد رأيتها في حلم قبل أن أراها في الواقع، ما يعني أن الحلم كان حقيقياً، وتنوياً. إذاً اسمها الحقيقي كان فيونا كاسidi بالفعل، وليس إيف آدامز، ولن تخرج من حياتي حتى بعد فترةٍ من إشعالي لضوء مصباحٍ صغير لأجد نفسي أُحدق إلى عينيها الثابتتين والميتتين.

ما فعلته لاحقاً قد يبدو مضحكاً أو حتى مسليناً، ولكنني سأؤكد لكم أن لا شيء من ذلك بدا مضحكاً بالنسبة إليّ وقتها.

جلست على حافة سريري، قطعة الورق ممدودة بين إبهامي وسبابتي، وكانت محدقاً إلى العينين المقصوصتين من صورة في مجلة. لم تكونا عينيها، لم تكونا حقيقيتين، ومع ذلك شعرت وكأن فيونا كاسيدى تستطيع رؤيتها بوضوحٍ من خلالهما، بغض النظر عن المكان الذي هي فيه الآن، كان فيما شيئاً من السحر بالتأكيد. هي لم تكن غريبةً فقط، ولا مضطربة عقلياً فحسب. أردت أن أعتقد أنها كانت محترفة في فتح الأقفال؛ ولكنني كنت متأكداً الآن تماماً من أنها تستطيع المرور عبر الأبواب والجدران عن طريق السحر، وأنها امتلكت قدرات سحرية لم أز سوى أشكالها.

كانت نبتي الأولى أن أمزق صورة العينين إلى قطع صغيرة وأن أتخلص منها في المرحاض. ولكنني رأيت نفسي في اللحظة التالية في المطبخ، فتحت باب الخزانة تحت المغسلة. من بين الأشياء المخزنة هناك كان يوجد علبة ذات غطاء مغلق بإحكام، احتفظت أمي فيها بأعواد الثقب التي استخدمتها لإشعال فرن الغاز حين كان ينطفئ من حين لآخر. من درج بجانب منضدة الطبخ، أخذت ملقط الطباخ.

في الحمام، حملت الشريط الورقي بالملقط وحرقته فوق المرحاض. ونشرت الرماد في المياه، وعندما لم يتبق هنالك أي ورق، استخدمت المياه المتدفقه لأنخلص منه.

تركـت مروحة التهوية الصاخبـة في الحمام شـغالـة، أعدـت المـلـقط وأـعـوـادـ

الثقب، وعدت إلى الحمام مع علبة من ملطف الهواء، ورششت بكثافة في الحمام. في الوقت الذي عادت فيه أمي من أدائها في مطعم سلينكز، لم يعد هنالك أي رائحة للدخان ولا أي دليل على أنني عبشت بالنار.

عدت إلى غرفتي، وحين اقتربت من علبة الحلوي المفتوحة، هلت وتأكدت أن هنالك شيئاً آخر مفقوداً من مجموعتي، حيث لم أحظ احتفاءه من قبل: القلب الشفاف الذي يحوي ريشة بيضاء صغيرة. على مدى الأسابيع القليلة الماضية، لم أحمل معي تلك القلادة، كما كنت أفعل عندما كانت جديدة وما زالت تشع بالسحر. فاجأني حديسي وملائي بالقناعة بطريقة لم تستطع فهمها، كانت القلادة توفر حمايةً مطلقة، وبما أنها أصبحت في حيازة تلك المرأة، إذاً لم يعد لدى أي دفاعات وسأهلك.

ارتعشت من الاطمئنان حين وجدتها في صندوقٍ معدني، ووضعتها، مع سلسلتها وكل شيء، في أحد بناطيلي الجينز.

حتى تلك اللحظة كنت قد أنهكت نفسي بالقلق، ولم يكن الأمر مفاجئاً عندما أصبحت مهووساً بالعين المفقودة. كنت قد احتفظت بها بسبب الطريقة المخيفة التي وصلت إليها حيث تدحرجت في الرزاق بسبب الرياح التي لم تحرك سواها، اعتقدت أنها قد تحوي بعض السحر. عندما أخبرت فيينا كاسيدي بذلك، بينما كانت تقحم رأس نصل السكين في فتحة أنفي اليسرى، عدتها نظرت إلى بازدراه وقالت، إنك ستتحول إلى معته صغير، أليس كذلك؟ أتساءل الآن إن كانت سخريتها لتضليلي، وإن كانت قد وجدت حقاً بعض القوة في العين وأخذتها لستخدمنها ضدي وضد والدتي.

لقد تمنيت في بعض الأوقات من حياتي أن أعود ولداً مجدداً، ليس لأحصل على الطاقة والصحة المثالية في الشباب، إنما لأعيش مجدداً حالة البراءة والبهجة في أصغر الأشياء حيث نفشل في الشعور بالقوة المطلقة بعد مرور الأعوام. ولكن الشيء الذي يمكن نسيانه بسهولة، إذا حاولت أن تفعل

ذاكرتك، هو أن الطفولة هي وقت الخوف. بعض تلك المخاوف منطقية، وبعضها الآخر غير عقلاني ومستوحى من الشعور بانعدام القوة في عالم يكون فيه التغلب على الآخرين بالقوة هو الدافع الحقيقى لدى العديد من الناس. في أحلام الطفولة، كان وجود المستذئبين حقيقةً كوجود مطلق النار في ساحة المدرسة، وفكرة وجود مصاصي الدماء كانت أيضاً قابلة للتصديق مثل فكرة الهجمات الإرهابية، ووجود جار يمتلك قوى غير طبيعية كان مثل وجود مضطرب العقل.

بعد أن وضعت علبة اللافلورانتين جانباً، فتشت في غرفتي عن العين، والتي من الممكن أن تكون المرأة قد خبأتها في مكان ما: تحت السرير، خلف المشاع، في طيات الستائر، خلف الستارة القصيرة فوق النافذة، حيث تستمتع بإطلالة ضيقة على جزءٍ من الغرفة... عندما لم أجد شيئاً، رتبت محتويات الدرج وفتحت في كل بقعةٍ من الخزانة، لأنه في نهاية المطاف، عندما ذهبت إلى السرير وأطفأت الأنوار، قد تكون تدحرجت خارج مكانها لتحميسي. من دون شك، من المؤكد أن عيناً كهذه تمتلك رؤيةً ليلية ممتازة. ومجدداً، لم أجد شيئاً.

وقفت عند عتبة غرفة أمي، في الممر، وأنا مقتنع بضرورة تفتيشها دقيقاً كما فعلت في غرفتي. لحسن الحظ، شعرت بحسّ من الأدب أو قفي عن اقتحام غرفتها.

في تلك اللحظة من الوعي، رن الهاتف وأسرعت إلى المطبخ لكي أجيب.

"جونة" قالت السيدة لورانزو، "كان من المفترض أن تأتي إلى هنا بعد عودتك من مركز المدينة. سيكون العشاء جاهزاً عما قريب".

فشلت في إخبارها أنني لم أذهب إلى مركز المدينة بعد أن علمت أن المرأة في الشقة 6 قد غادرت. لا أدرى إن كانت تلك تعتبر كذبة عن سهو،

ولكن على الأقل كنت أكذب على جارة وليس على والدتي. "أنا في طريقي  
إليك الآن سيدة لورانزو".

من دون الشعور بالحماس، غادرت الشقة وأقفلت الباب ونزلت إلى  
الأسفل لأمضي الأمسية مع الأرملة.

لم يكن يوم الجمعة كأي يوم جمعة آخر، ولكن لم يحصل شيءٌ خطير  
حتى الآن.

صباح يوم السبت، كنت أتناول الفطور في الخارج مع أمي، في مطعم محللي في شارع فورستال. الفطائر المحللة مع الأناناس وصلصة جوز الهند، وجبة نادرة ومسلية. لطالما أحبيت الذهاب مع أمي في مثل هذه النزهات المسلية، إنها مسلية دوماً.

ولكني لم أستطع التوقف عن التفكير بالساحرة ذات العينين البنفسجيتين. ركينا أنا والدتي الحافلة لنذهب إلى القبة السماوية. أحبيت ذلك المكان، كواكب ونجوم و مجرات. عرضٌ جديد يتحدث عن الشهب والكويكبات والنیازک. كان عرضاً جيداً ومثيراً للاهتمام ولكنه طويل.

بعدها ذهبنا إلى متحف التاريخ الطبيعي. يا له من مكانٍ مذهل. جمجمة هائلة لبرونتسور. نموذج بالحجم الحقيقي لتي ريكس. لطالما أخافني التي ريكس. ولكن لم يخفني ذاك اليوم.

تناولنا الغداء في ولورث، شطيرة جبن مشوية مع سلطة الكولسلو. لم تصدق والدتي أنني لا أرغب بتناول التحلية. وأكدت لي أنها يمكننا تحمل ثمنها. ولكن قلت: "لا شكرأً، لقد شعبت". الحقيقة هي أنني رغبت بها ولكني لم أرد تضييع الوقت في أكلها.

استقللنا الحافلة لنعود إلى حيناً، حتى وصلنا إلى مركز المدينة. لمدة عشرين دقيقة، جلست والدتي بجانبي على المقعد واستمعت إلى وأنا أعزف على البيانو في قاعة أبيغيل لويس توماس، ومن ثم احتجت أن تذهب إلى المنزل لتبدل ملابسها وتذهب إلى سلينكنز.

قالت لي: "أنت بارع جداً، ستتفوق على دوك إيلينغتون بالتأكيد". وقبلت

اعتقدت أنني سأقضى عدة ساعات إضافية على البيانو؛ وفي أيّ من أيام السبت المتبقية كنت سأفعل ذلك، ولكن لدى نوايا أخرى. إضافةً إلى أنني كنت متوفراً للبقاء في مركز المدينة لنصف ساعة أخرى لكي أتفادى الالقاء بوالدتي عندما أذهب إلى المنزل. قضيت الوقت وأنا أعزف لحن "ماignita hiz"، واحدة من المقطوعات الموسيقية التي ألفها دوك، لحن بطيء وسهل من أول درجة موسيقية حتى آخر واحدة، حيث اضطررت أن أترجمها من نوطة مقطوع الساكسوفون الإفرادي الذي كان جوهر المقطوعة.

احتجت أن أحصل على معلومات حول ما يجب علي فعله بالنسبة إلى عودة الساحرة إلى غرفتي في اليوم السابق. الشخص الوحيد الذي خاض تجربة غريبة مع جانبها المظلم كان السيد يوشيموكا.

عندما رنن جرس بابه في الطابق الخامس، كنت قد جلبت معي ستّاً من كعكات أمي بالشوكولاتة على صحنٍ ورقي، لم أعرف إذا كان في المنزل. كان يعمل لساعاتٍ طويلة، وأحياناً في أيام السبت أيضاً. ولكن عندما فتح الباب بدا وكأنه يتوقع مجيئي.

"هل سيكون هذا احتفالاً، جونة كيرك؟".

"نعم، قليل من الاحتفال".

قبل الكعك، وخلعت حذائي. بعد دقائق، كنا نجلس في غرفة معيشته نشرب الشاي وتناول الكعك، وتلك الكعكات الغريبة الصغيرة التي ظهرت أنني أحببتها أكثر مما فعلت في الواقع.

أخبرته كل شيء واجهته مع إيف آدامز حتى الآن، بما في ذلك أن اسمها الحقيقي كان فيونا كاسيدى وأنني رأيتها أولاً في حلم. لم أذكر السيدة بيرل، التي جعلتني أحلم بذلك الحلم وجلبت لي بيانو، لأنها كانت لغزاً بحد ذاتها،

وإذا ذكرت لغزاً تلو الآخر سيسبب ذلك في إرباكنا في الوقت الذي كنت فيه بحاجةٍ لبعض الوضوح.

على الرغم من أن السيد يوشيوكا كان يفهمني في الماضي وكان يعاملني بالجدية نفسها التي كان يستخدمها في حديثه مع أي بالغ. كنت جاهزاً لرد فعله ولعدم تصديقه لي عندما أتحدث عن حلم تنبؤي. بدلاً من ذلك، استمع لي دون تعابير وعندما انتهيت، أوبراً برأسه وارتشف قليلاً من الشاي وأغمض عينيه وكأنه يفكر بما قلت للتو.

أقلقني قليلاً سكوته، ولذلك قلت: "إنه أمرٌ حقيقي يا سيدتي. كانت في حلمي، كنا في مكانٍ ضيق، مع صوت تدفق المياه في كل مكان". فتح عينيه وقال: "ليس هنالك حاجة لكي تصر. أنا أصدقك. عندما كنت في الخامسة عشرة، حلمت أن والدتي وأختي احترقا. بعد سبعة أيام، احترقتا بالفعل. كانت صرخاتهما في البداية صاخبة وحادة كثيراً وتعبر عن الألم ورعب شديدين. ولكن عاجلاً أصبحت ككاء بعض الطيور الليلية، وكأن الأمر قد تجاوز الألم ولكن لم يتجاوز الحزن، وكأنهما كانتا حزيتين لفراقهما المبكر لهذا العالم بينما كانت روحاهما تغادران على جناحين وتدخل في صمت عميق".

مثلاً حصل في زيارتي الماضية، قام مضيفي بإعطائي عسل زهر البرتقال، حيث استخدمته لتحلية الشاي الذي شربته دفعه واحدة. ما قاله كان رهيناً للغاية لدرجة أنني لم أعرف ما علي أن أقوله ولذا حملت كوبى وارتشفت منه لكي أحصل على بعض الوقت للتفكير بما قاله لي للتو. ومع أن الشاي كان حلواً منذ قليل، تحول طعمه إلى مر الآخر، وضعطت الكوب على الطاولة.

سألته: "متى حصل ذلك؟".

"في الرابع عشر من سبتمبر عام 1942، ولكنني لا أرغب بالتحدث عن الأمر أكثر. تحدثت عنه فقط لأفسر لك سبب تصديقي لحلمك دون تحفظ.

على مدى الأعوام، جونة كيرك، أصبحت مؤمناً أننا نحن الذين عانوا كثيراً قد يتم منحنا من فترةٍ إلى أخرى نعمة التنبؤ بالأحداث، كي لا نتعرض لمزيدٍ من الألم".

"ولكن بغض النظر عن حلمك، والدتك وأختك... توفيتا بعد سبعة أيام".  
"بسبب فشلي في الإيمان بتلك النعمة، وبسبب غضبي وألمي ونكراني".  
في العادة، يمكن قراءة مشاعره، إن أمكن ذلك، من خلال النظر إلى عينيه، لأنه لم يكن يعبر عن ذلك في تعابير وجهه. ولكن الآن، وللحظة، بدا وجهه لوحَّةً من الأسى.

"بسبب فشلي" رد.

كنت معجبًا به للغاية، ولم أرحب ببرؤيته يلوم نفسه، وشعرت بشيء من الحزن. مع أنني كنت فضولياً، ولكن علمت أنه يجب أن لا أطلب منه إخباري المزيد عن ذاك الحريق القاتل الذي حصل منذ أربع وعشرين عاماً. قادني قلقى لأقول: "لقد قلت... لقد قلت إن التنبؤ هو أحياناً نعمة للذين عانوا كثيراً. لكنني حلمت بفيونا كاسidi... ولم أunganِ كثيراً".  
قال: "ستعاني إذاً مع الوقت".

تلك الليلة، حلمت بغايةٍ ينيرها ضوء القمر، ومن خلالها كان يلاحقني مخلوقٌ لم أستطع رؤيته، وحلمت بشاطئ تحت ضوء القمر، بساحل مظلم ترتطم الأمواج برماته حيث شعرت بانجدابٍ للمياه، مع أنني كنت أعلم أن ما يسبح تحت سطح الماء الهائج أسوأ بكثير من أسماك القرش. وحلمت بسهلٍ منار بالقمر حيث كان هنالك ألواحٌ صخرية تمتد للسماء تشبه قطعاً من قلاعٍ مدمرة، وحيث همس لي كيانٌ من بين الآثار، وكان يجذبني لأدخل إلى الأروقة التي كانت مظلمة للغاية ولا يدخلها ضوء القمر لينير الطريق.

استيقظت مذعوراً. جلست في السرير، واستمعت لصوت الظلمة الطاغية، ولكن لم يصدر أي شيء فيها صوتاً، أو حتى همساً، وضفت مخدتي على الجهة الأمامية للسرير واستندت إليها، متظراً أن تهداً ضربات قلبي التي كانت تنبض بصوتٍ عاليٍّ كصوت حوافر حصان على طريق حجري. بعد فترة، استطعت سماع ضجيج السيارات البعيد القادم من المدينة وهو ينعكس على زجاج النافذة.

حلمي الذي تعددت فيه الواقع والذي شمل وحوشاً غير معروفة كان مبهماً أكثر من كونه تنبؤياً. كل ذلك كان عبارة عن أوهام العقل النائم، وعلمت أنني إذا كنت ملاحدقاً من قبل عدوٍ ينوي قتلي أو إذا جذبني إلى مكان مظلم يتظمني فيه الموت، فلن تحصل تلك اللحظة القاتلة في أي من المشاهد المخيفة التي استيقظت منها.

عدت إلى محادثي مع السيد يوشيوكا بعد أن قال لي إنني ساعاني كثيراً مع الوقت.

لماذا قد تأخذ تلك الأشياء من علبة الحلوي - صورتي حين كنت نائماً،  
والعين؟

لكي تقلقك قليلاً، فعلت ذلك لتقول لك إنها بامتلاكها لتلك الأشياء، لا  
ترزال تدرك وجودك.  
قليلاً؟ لماذا؟

منذ أن شربنا الشاي سويةً، حين تحدثت عن موضوع السحر، قمت  
بالبحث عنه. السحر في أفريقيا واستفراقاته في العالم الجديد يدعى بالفودو. إذا  
كانت هذه المرأة تؤمن بالسحر الأسود حقاً، فقد تحفظ بالصورة لاستخدامها  
كمثال.

ماذا؟

كلعبة الفودو. تمثال. أو تعبير عنك. قد تؤمن أنها إذا ما وضعت فيها  
دبابيس، ستستطيع أن تعذبك من مسافة بعيدة.  
هذا سيء.

لاتقلق، جونة كيرك. إن السحر والفودو غير حقيقين، ولا يعملان.  
إنهما عبارة عن هراء؟  
هذا ما كان يقوله جدي.

إذن عليك أن تستمع له وألا تقلق.  
حسناً، ولكن لماذا أخذت العين؟

لا أمتلك نظرية. إن إيف آدامز هذه، أو فيونا كاسيدي، قد تكون مضطربة  
عقلياً، وفي تلك الحالة ليس لدينا أمل بأن نفهم دوافعها أو طريقة تفكيرها.  
إن ذلك غير مطمئن، سيدи.  
لا جونة، إنه ليس كذلك.

تحولت جلستنا التي حصلت بسبب رحيل المرأة إلى احتفال. عندما  
وجدنا أنفسنا نتشارك الصمت أكثر من الكلام، قررت أن الوقت قد حان

للرحيل. عندما فتحت الباب، أعطاني السيد يوشيوكا بطاقة عمل بيضاء لا يوجد عليها سوى اسمه، وكتب تحتها كلمة واحدة في الوسط بالخط المائل، خياط، وتحته رقم هاتف.

هذا رقم عملي. إذا لم أكن في المنزل، يمكنك الاتصال بي من خلاله في حال حدث أمرٌ طارئ.

أي أمرٌ طارئ؟

أي أمرٌ طارئ، جونة كبيرة.

قد لا يكون هنالك أي شيء من هذا القبيل.

قد يكون ذلك صحيحاً.

ولكني أعتقد أنه سيكون هنالك.

وأنا أعتقد ذلك أيضاً.

كان عام 1966 عاماً مليئاً بالاضطراب. أشتد وطيس الحرب في فيتنام، وكل تلك الممرضات الطالبات اللواتي قتلن في شيكاغو، بالإضافة إلى قناص برج أوستن الذي أطلق النار على الناس.

حصلت أعمال الشغب العرقية في أتلانتا وشيكاغو، وفي مدینتنا أيضاً. في ساحة الحقوق المدنية، كان كل من الرجال الوعيين مثل روبي ويلكينز ومارتن لوثر كينغ ورالف أبيرانشي ينادون بالتغيير بطرق سلمية، بينما وجد ستوكلي كارمايكل التهديدات فاعلة، واستعملت الجماعات الأكثر تطرفاً، مثل النمور السود العنف وسيلة.

كما بإمكانك أن تفترض، كانت مشاعر جدي تيدي متوجةً كلياً لمناصري عدم العنف، كما كان كل من الجدة آنيتا وأمي سيلفيا؟

كانت أعداد المظاهرات المناهضة للحرب تتزايد. في مدینتنا، يوم 18 أكتوبر، انفجرت قنابل خلال الليل في مكتبي تجنيد عسكريين. لم يقتل أحد ولم يُصب أحد. أطلقت الشرطة رسمياً رسمه فنان اعتماداً على أقوال شهود عيان قالوا إنهم شاهدوا رجلاً يترصد في محيط أحد الأهداف. لم أره سابقاً في حياتي.. ولكن كان فيه شيء مأثور ومثير للاهتمام. في الواقع، بعد أن رمت والدتي الصحفة في سلة المهملات، قمت باسترجاجها بهدوء وقصصت الصورة التي نشرتها الشرطة ووضعتها في علبة اللافلوراتين.

لم أعرف ما على القيام به في ظل كل الفوضى الاجتماعية العاصلة، حاولت أن أحصل على نصيحة أمي، والتي كانت فعلياً أن أعيش انطلاقاً من ذاتي للخارج، وليس من الخارج إلى ذاتي. لم تكن الأخبار تتحدث عن

الأحداث بأكملها، كما قالت لي، وما يتكون منه العالم هو كل هؤلاء الناس الذين لم تتحدث عنهم الأخبار والطريقة التي عاشوا فيها حياتهم.

بغض النظر عما كان يحصل، كانت الموسيقى في ذلك العام رائعة. بيرسي سليدج، ذا ماماس آند ذا باباس، سايمون آند غارفونكل، موتاون - ذا فور توبس، ذا سوبريمز، ذا ميراكلز، ألبوم ريفولفر لفرقة البيتلز، ألبوم بلوند أون بلوند لبوب ديلان، ألبوم بيت سواندز لفرقة ذا بيتش بويرز، عزف الغيتار الرائع لجيم ماكغوفين في أغنية إيت مايلز هاي لفرقة ذا بيردز.

انتهى أكتوبر وجاء نوفمبر، ومع اقتراب الشتاء، هدأت البلاد قليلاً، ولكن ليس لوقتٍ طويٍّ. جاءت أوراق الطلاق، موقعة من قبل والدي الغائب ومع موافقة المحكمة، ومع أن الزواج كان بالنسبة إلى سيلفيا شيئاً مقدساً، عشنا في زمنٍ لم يتفق معها في ذلك الكثيرون. استمتعنا بعيد الشكر الذي كان رائعاً في منزل جدي، ودعونا بعض الأصدقاء الذين لم يكن لديهم عائلة.

في ليلة عيد الميلاد، ذهبنا أنا والدتي وتيدي وأئتنا إلى القدس سويةً. كانت الكنيسة المظلمة مضاءة فقط بضوءٍ علوٍ مثبت على المذبح وبنور المئات من الشموع المتلائمة والمحمولة في كاسات زجاجية موضوعة حول صحن الكنيسة. إذا حدقت بعينين نصف مغمضتين، تبدو الأعمدة والقناطر وكأنها تتلاشى، وكل روعة العمارة تتماهي، ويصبح المكان حميمياً، وكأنك عدت إلى الوراء في الزمن، إلى مكانٍ متواضع تحصل فيه المعجزات، حيث يكون النور فيه مشعاً ولكن ليس من الشموع إنما من الهواء بذاته، إلى حقبة أكثر هدوءاً قبل اختراع الساعات، إلى ليلةٍ من السلام يبدأ فيها العالم المتجدد بالانبثق.

بعد أربعة أيام، في ليلة الثامن عشر من ديسمبر، بعد القراءة في سريري لمدة ساعة، وقبل إطفاء النور، أخذت العلبة. في الأسابيع التي تلت تدمير مكتبي التجنيد، قمت بدراسة اللوحة التي صورت المفترض المشتبه به، من

دون أن أعرف لماذا شدتني، ولكن قل اهتمامي بها ولم أنظر إلى اللوحة شهرٍ على ما أظن. هذه المرة، حالما وضعت اللوحة أمام الضوء، أدركت أن الوصف الذي وفره شاهد العيان لفنان الشرطة نتج عنه صورة للوجه غير دقيقة للوكاس دراكمان.

قبل أن أحلم بفيونا كاسيدي، كنت قد حلمت بلوকاس دراكمان، في ليلة اليوم الذي ذهبت فيه إلى مركز المدينة، واكتشفت البيانو الموعد، وكانت قد بدأت الدروس الرسمية مع السيدة أوتوول. عندما رأيتها للمرة الأولى في نومي، كان مراهقاً قتل والديه في نومهما وكان مشغولاً بسرقة الأموال والمجوهرات وبطاقات الائتمان التي استطاع أن يجدها. في ذاكرتي، ما زلت أستطيع أن أسمعه وهو واقف بجانب السرير الملطخ بالدماء وهو يقول لوالده: "مرحباً بوب، كيف يبدو الجحيم، بوب؟ ألا تعتقد الآن أن فكرة إرسالي إلى أكاديمية عسكرية لعينة كانت فكرةً غبيةً للغاية، بوب؟ يا ابن العاهرة العاجل المعتد بنفسه".

إما أن شاهد العيان قد وفر وصفاً غير دقيق وأما أن الفنان لم يجسد الوصف بشكلٍ جيد على الورقة. لم يستطع أن يرسم عيني لوكاس دراكمان الغائرتين في مكانيهما، ولا التركيب العظمي وشكل وجهه. ولكن بدا أنه شبهاً بمنقار الصقر، مثل أنف القاتل، كان رفيعاً ومدبباً. الميزة الوحيدة التي كانت مرسومة بشكل دقيق كانت فمه الممتلئ والأنيوثي الشكل، والذي بدا في الحقيقة أكثر تابيناً مع وجهه الزاهد مما بدا عليه في اللوحة.

اليوم التالي، التاسع والعشرون من ديسمبر، كان يوم خميس، وكانت عطلتي المدرسية مستمرة بالطبع. لم تكن أمي مضطرة للغناه تلك الليلة؛ حيث كان سلينكز مغلقاً من أجل تزيينه تحضيراً للزادحام الذي سيشهده في آخر يومين من العام. كان لديها فترة عمل لمدة خمس ساعات في ولورث؛ ثم تعود إلى المنزل لقضاء الأمسيه معه. لأنها لا تستطيع أن تتوارد معه في ليلة رأس السنة أو في الليلة التي تسبقها، ولذا أرادت أن يكون عشاء تلك الليلة احتفالنا الخاص. أعطتني مالاً لكي أشتري وجبة من ذا روبل، المطعم القريب في شارع فورستال، حيث كنا نذهب في أيامنا الممیزة لتناول الفطور. كان لديهم أشهى وجبة حارة في العالم - كما كتب على لوحة معلقة على واجهتهم - وكان خبز الجبن لديهم شهياً لدرجة أنني كنت أحلم به أحياناً. كنت مكلفاً بمهمة إحضار الوجبة الحارة (والتي كانت أمي ستقدمها مع الشعيرية بالزبدة)، وخبز الجبن، وأي شيء رغبت به للتخلية.

كان النهار بارداً ولكن لم يكن مزعجاً. ارتدت سترتي المبطنة ذات السحاب، والتي كانت كبيرة بالنسبة إلي نسبياً، مع أنني كنت نحيفاً وقصيرأ قليلاً بالنسبة إلى عمري، إلا أنني كنت أنمو بسرعة ولا أستفيد من الملابس التي كنت أشتريها إن كانت تناسب حجمي تماماً. كانت المعاطف أغلى من القمصان وسرافيل الجينز، لذا كنت مضطراً لأن أشتريها أكبر من حجمي حتى أنمو وتصبح بقياسى. اعتمرت قبعتي الصوفية الجديدة أيضاً، والتي كانت مخططة باللونين الأحمر والأبيض وكان عليها طابة حمراء والتي - وأنا مندهش حقاً لقول ذلك - كانت أروع شيء على الإطلاق.

مع أنه كان وقت الازدحام بين وقت الفطور والغداء عندما وصلت إلى ذا رویال، كان هنالك بعض طاولاتٍ غير مشغولة، فكان الناس الواقعون هم فقط أولئك الذين كانوا يطلبون الطعام للخارج بالقرب من الواجهة.

وقفت في الطابور لكي أطلب الطعام، ولم أكن نافذ الصبر لأنني كنت مسروراً بأجواء المطعم، مع مزيجٍ من الروائح الشهية. لحم الهامبرغر يطهى على الصاج، مع فقاعات الجبن الذائب، واللحم المقبد، والبيض المقلبي بالزبدة مع اللحم، والخبز الذي يتحول إلى خبز محمص. كل تلك الروائح وأكثر كانت تتطاير مع دخان السجائر؛ إذا لم تكن موجوداً في تلك الأيام لن تستطيع تخيل مدى عدم تحمل الناس بعضهم البعض في ما يخص عاداتهم ونقاط ضعفهم.

صلة المائدة وقوع الصحون، النادلات ينادين أسماء الطلبات بلغة المطعم، أصوات أحاديث الزبائن تعلو وتتحفظ: كانت نوعاً من الموسيقى، مريحة في الوقت ذاته التي كانت فيه منشطة، مكانٌ وزمان يتصفان بالبشرية، في وقتٍ لم يكن فيه الناس يتداولون الرسائل النصية على الطاولة ولم يكن اتصال الإنترن特 موجوداً ليتصفحوا المواقع بينما يأكلون ولم يحمل الناس هاتفاً جواً لا يستطيعون الانشغال عنه.

وأنا أنتظر في الطابور، استمتعت بالنظر في الأرجاء، وبتأمل الأنواع المختلفة من الناس، وكنت أسأءل من كانوا، وماذا آلت إليه حياتهم عندما يغادرون المطعم. وعندها رأيت تيلتون، والدي. في بعيد، كان يوجد صف من الحجرات التي زادت طول المطعم. جلس في إحداها في الخلف، وكان يخوض محادثة مع أحد ما يقابلها على الطاولة، وكان يلوح بالشوكة.

لم أميزه على الفور لأنه أطلق لحيته. ارتدى كنزة ذات قبة عالية وتدلّت عليها سلسلة وقلادة فضيّتان.

لأن الحجرات كانت ذات مساند عالية، لم أستطع رؤية مع من كان

تيلتون يتحدث بحيوية شديدة. تساءلت عما إذا كانت تلك الآنسة ديلفابين.  
كنت فضولياً، ولكنني كنت خائفاً أكثر من أي شيء آخر.

إذا نظر تيلتون باتجاهي ورائي، لن يحصل شيء جيد. ابتعدت من مجال رؤيته وأسرعت إلى الباب مع أني لم أسجل طلبي بعد، وكانت أصلني ألا يعرفي من الملابس التي كنت أرتديها. السترة المبطنة كانت تشبه ملابس السترات الأخرى. ولكن كانت قبعتي المخططة تلفت الانتباه، أعطتني أمري إياها بمناسبة عيد الميلاد، قبل أقل من أسبوع، ووالدي لم يرها.

في الخارج، بعد أن غادرت عالم ذا رويدال المتجلانس روحًا وطبعاً، لفتحتني نسمة من الهواء البارد على وجهي، أردت أن أركض في البداية، لأنني من الحي وأبتعد قدر الإمكان عن تيلتون. ولكن لم أبتعد أكثر من عشر أقدام حين سيطر علي حديسي وشعرت بيد تمسك بذراعي، وأوقفتني، وقالت لي أنه يجب علي أن أعرف مع من كان والدي يتناول الفطور المتأخر، أو الغداء المبكر، وأن هوية ذلك الشخص ذات أهمية كبيرة.

بعد كل هذه السنوات، كنت أسئل كل فترة كيف كانت حياتي ستغير إذا تبعت تخميني الأول في تلك اللحظة وركضت. ولكن أعتقد أن ما ندعوه حداً هو فقط إحدى الطرق العديدة التي يتحدث فيها صوت روحنا إلينا، إذا أصغينا، وأن ذلك الرفيق الداخلي يريد فقط ما هو الأفضل بالنسبة إلينا. من دون شك، ما كان سيحصل لي كان أسوأ بكثير مما حصل فعلًا، ولكانت خسائر أكبر بكثير، وقصتي أكثر ظلمةً من تلك التي عشتها، وما زلت أسئل.

في مقابل مطعم ذا روיאל في شارع فورستال كان يوجد محل لتصليح الأحذية في الطابق الأرضي من مبني قرميدي مؤلف من أربعة طوابق، حيث كانت طوابقه العلوية مكاتب تجارية ذات آفاق مختلفة أو شقق أرخص حتى من شقتنا. وبالقرب من ذلك المبني كان يوجد أرض فارغة، حيث كان يوجد مبني هدم لتطوير الأرض؛ ولكن وكما هو واضح، كان التطوير عبارة عن بناء جديد. أحاط بالبقعة سياج متداع ذو سلسلة؛ تحطم ببابته منذ سنين ولم يتم استبدالها قط. عندما يكون الطقس أكثر دفئاً، يجتمع أولاد الحي هناك ليلعبوا كرة القدم وغيرها من الألعاب.

عندما خرجت من المطعم، كان المرور خفيفاً، وعبرت الشارع من ممر المشاة. انعكست الشمس القوية على الرصيف وزخرفتها الأشجار العارية بظلل جميلة، وفي رياح الشتاء المتناوبة، تحركت تلك الظلل تحت قدمي مثل أرجل العناكب الهائجة.

مررت عبر الفجوة في السياج حيث كانت البوابة سابقاً ووقفت خلف السلسلة، وشاهدت المطعم. من حولي، كانت معظم الأرض مقفرة، مع كتل من التراب ورزم من الأعشاب اليابسة هنا وهناك، على صودا فارغة، وبعض الأوراق المتبعثرة.

في الأعلى، احتكت أغصان الأشجار العارية بسبب هواء فصل الشتاء بعضها بعض وأصدرت حفيضاً كلما تخللتها نسمات الهواء المتقطعة. آخر الطيور التي كانت شجاعة بما فيه الكفاية لتعيش في هذه الأغصان العارية كانت تذهب، وهي ترفرف بأجنحتها وتصبح، مع الرياح القوية وتدعها

تحملها إلى الأسراب الموجودة في المبني القرية الأكثر خلوة. عندما خرج والدي من المطعم، لم يكن بصحة الآنسة ديلفابين، إنما كان مع رجلٍ يتتجاوز طوله السنت أقدام ببضعة إنشات، مع شعرٍ أشعر طويلاً ومتسعًا تلاذب به الهواء. اجتمعوا في الخارج للحظات، وشاركا بعض الكلمات الأخيرة، وثم مشى والدي غرباً باتجاه الجادة. وقف رفيقه الطويل على الرصيف حتى مرت مجموعة سيارات، ومن ثم عبر الشارع وكأنه يملك عملاً ما في متجر تصليح الأحذية.

بعد أن عبر الطريق، التف واتجه شرقاً نحوي، ووجدت علبة صودا لكي أركلها حول السياج، آملاً أن أمضي بعض الوقت كولدٍ ضجر ليس لديه أي شيء آخر لفعله سوى أن يتسلق في أرضٍ فارغة متمنياً أن يأتي أولاد مثله للعب كرة القدم. ركلت العلبة نحو الشرق مصدرًا ضجيجاً، ومن ثم التفت وركلتها نحو الغرب، وأنا أنظر إلى الشاب وهو يقترب على جانب الجهة البعيدة من السلسلة.

أصبح شعره القصير طويلاً الآن، ونما شاربه بشكل فوضوي بينما كان حليقاً من ذي قبل، وهو الآن في الخامسة والعشرين من العمر بدلاً من أن يكون بعمر السابعة عشرة كما كان وقتها.

رأيته في حلمي، ولذلك تذكرته على الفور. لو كاس دراكمان، الذي قتل والديه، وفجر مكتبي التجنيد العسكريين. لم يشبه الصورة التي نشرتها الشرطة، لذلك كان بعيداً عن خطط أن يعرف إليه الناس بسببها.

في ذاكرتي، سمعت صوت السيدة بيرل التي بدت وكأنها في غرفتي، جالسة على طرف السرير، في تلك الليلة التي حلمت فيها بهذا القاتل، سمعتها وهي تقول: "عد للنوم داكس، عد للنوم الآن. لدى اسم لك، اسم وجه وحلم. الاسم هو لو كاس دراكمان والوجه يعود إليه".

كان الدخان يتطاير من فمه وكأنه تنين، التقت أعيننا من خلال السياج،

ولم أستطع أن أشيح بنظري عنه للحظة، لأنني شعرت وكأنني أنظر إلى عيني شيطان وليس إلى عيني رجل. في تلك اللحظة، ربما شعر هو أن اهتمامي به لم يكن كاهتمام أي شخص غريب، لأنني عندما تحركت مجدداً وركلت العلبة، توقف. استمررت بركل العلبة المهترئة المصنوعة من الألمنيوم إلى الجهة الغربية من الأرض الخلاء، والتفت وتابعت، متظاهراً أنني لم أدرك أنه كان يتظمني.

عندما اقتربت منه، قال: "مرحباً يا فتى".

حاولت أن أبدو وكأنني غاضب للغاية بدلاً من أن أبدو خائفاً، وتجرأت أن أنظر إليه.

تفحصني للحظة وقال بعدها: "ما قصتك؟".

فعلت ما اعتقدت أن أحد الجنحين الأحداث قد يفعل. مددت إصبعي الوسطى أمامه والتفت بعيداً وركلت العلبة بقوة نحو وسط الأرض الخالية. أنهكت تلك العلبة بركلاتي لفترة، ركلتها إلى هنا وإلى هناك عدة مرات، وعندما نظرت مرةأخيرة باتجاه السياج، كان لوکاس دراكمان قد غادر.

في المنزل، بعد أن وضعت خبز الجبن في الفرن، والذي كنا نستعمله كمكان لحفظ الخبز، ووضعت الوجبة الحارة والكعك في البراد، أخذت بطاقة عمل السيد يوشيوكا من محفظة النقود خاصتي واتجهت نحو الهاتف. لم يكن على البطاقة أي اسم لشركة، ولكن ردت عليّ امرأة وقالت: "بدلات ميتروبوليتان، كيف يمكنني مساعدتك؟".

مع أنها على الأغلب استغربت اتصال فتى يافع بالشركة، إلا أنها لم تتردد في إعطائي عنوان الشركة عندما طلبتها.

شعرت بحاجة إلى استشارة السيد يوشيوكا بشأن ما حصل على الفور، ولكن ما كنت سأخبره إياه لن يكون قابلاً للتصديق إلا إذا قلته له وجهًا لوجه. العنوان الذي حصلت عليه كان في المكان المتخصص بالملابس من المدينة، على بعد شارعين قصرين وأربعة شوارع طويلة من شقتنا، أبعد مما كان مسماً حالي أن أذهب وحدي. أندم أنني لم أتردد أبداً في عدم إطاعة أوامر والدتي، وانطلقت في طريقي على الفور.

عندما وصلت إلى المبنى ذي الرقم الذي كتبته على بطاقة العمل، وجدت مبني كبيراً وعديم المعالم مؤلفاً من طابق واحد، وكان مثيراً للإعجاب بسبب حجمه فقط. وكان الشارع شبه مسدود بسبب الشاحنات الكبيرة التي كانت تقوم بتوصيل الطلبيات وبأخذ الشحنات من عدد من المتاجر. كان هناك واحة للتعبئة على الجانب الشمالي من شركة ميتروبوليتان للبدلات، متاخمة لمكان تعبئة الشحنات الخاصة بالشركة، وكانت تبدو أنها الأكثر ازدحاماً من بين الأماكن المتبقية.

أودى الباب الأمامي بي إلى غرفة استقبال. على اليمين كانت توجد منضدة فصلت بين المساحة العامة وأربعة مكاتب جلست عليها نساء يقمن بالطباعة والعمل على آلات والإجابة على الهاتف. كان وسط الغرفة مفتوحاً، وعلى اليسار كان هناك ثمانية كراسٍ، جميعها فارغة، وطاولة صغيرة وضعت عليها المجلات بترتيب على شكل مروحة.

نهضت إحدى النساء من مكتبتها، امرأة تبدو لطيفة وكبيرة بالعمر، ذات شعر رمادي مجعد، واقتربت من المنضدة وابتسمت وسألت إذا ما كان يمكنها مساعدتي.

"على أن أرى السيد جورج ت. يوشيوكا لو سمحت. أنا اعتذر عن إزعاجي له أثناء أوقات العمل، لا أريد أن يتعرض للطرد أو لأي مشكلة، ولكنها حالة طارئة".

سألت: "وما اسمك؟".

"جونة إيلينغتون بازي هاينز..." توقفت للحظة، "جونة كيرك، سيدتي. أنا جار السيد يوشيوكا. هو يسكن في الطابق الخامس، وأنا والدتي نسكن في الطابق الرابع".

أشارت إلى الكراسي الموجودة حول الطاولة التي توجد عليها المجلات، وقالت: "تفضل واجلس، جونة، وسأعلم السيد يوشيوكا أنك هنا".

كنت متوتراً للغاية ولم أرغب بالجلوس. وقفت في وسط الغرفة، تمثيت وخلعت قفازي وحشرتهما في جيب سترتي.

عندما عادت السيدة إلى مكتبتها وحملت الهاتف، كان بإمكانني أن أسمع صوتها ولكن لم أفهم ما الذي كانت تقوله.

علمت من عدد الشاحنات الكبير في ساحة التعبئة أن الشركة ناجحة، ولكن لن تخمن ذلك من مظهر ردهة الاستقبال. والأرض الإسمانية المدهونة، والألوان الخشبية الرخiosa المستخدمة، والسلف المغطى بالعزل الصوتي،

وبدت الكراسي وكأنها آتية من فائض الجيش.

اقتربت السيدة ذات الشعر الرمادي من المنضدة مجدداً وقالت: "سيأتي السيد يوشيوكا لرؤيتك في غضون لحظات". لا بد أنها أدركت أنني بسبب حالي المضطربة لم أرغب بالجلوس. أشارت إلى باب داخلي مقابل للباب الخارجي وقالت: "سيأتي من هذا الباب".

لم تدعني لفتح الباب ولكنني قمت بذلك من دون تفكير. في الداخل كانت توجد غرفة واسعة ذات إنارة جيدة مع سقف ذي تركيب معقد، العوارض السميكة كانت مدعاومة من قبل صف من الأعمدة الطويلة الفولاذية. كدح مئتا شخص بشكلٍ منظم يدو وأنهم تدربوا عليه لوقت طويل. في الجهة القرية، عمل الرجال في أزواج على طاولات كبيرة، مع قطع كبيرة من القماش يمكن سحبها من لفافات هائلة معلقة على عارضات في الأعلى. رسموا على القماش بالطباشير لتطابق مع الأشكال التي وضعوها عليها ومن ثم قاموا بقصها بواسطة قاطعات حادة للغاية بشكلٍ سريع ودقيق بحسب الخطوط المرسومة بالطباشير. وفي مكانٍ أبعد إلى الخلف، جلس المزيد من الرجال على طاولاتٍ أصغر، وكانوا يقومون بتشغيل ماكينات الخياطة الصناعية؛ وكان بالقرب من كل منها شابٌ أصغر سنًا واقف على قدميه، يقوم بإعطاء المسؤول عنه قطعاً مقصوصة من القماش، وكانوا ينسقون النسيج وغيره من المواد عند الحاجة. كان الشبان الموظفين الوحيدين في الطابق الذين لم يكونوا يرتدون بدلات وربطات عنق، وعمل الرجال الأكبر سنًا بقمصان، وكانت ستراهم معلقة على كراسٍ قرية. بالنسبة إلى نظرة فتى، كانت الجهة الأبعد من الغرفة الواسعة ذات مواصفات رائعة، حيث توزعت فيها دمى الخياطين والعارضات من مختلف الأحجام، وكانت جميعها بلا رؤوس. كان يوجد على الجدار الخلفي ثلاثة أزواج منفصلة من الأبواب تؤدي إلى عوالم أخرى من متاهة الميتروبوليتان.

تمتّمت مكّنات الـخياطة دون توقف أثناء حياكتها، وكانت رائحة المكان تشبه رائحة الصوف. أتى الهواء الدافع من فتحات تهوية موجودة في الجدران بالقرب من الأرضية، شفطتها مراوح العادم إلى فتحات أقل عدداً ولكن أكبر حجماً في مجاري الهواء المكسوقة التي تلوّت خلال نظام الدعم في الأعلى. في التيارات النازلة، رأيت غبار النسيج يتطاير ويدور، مثل مجرات تدور فيها الشموس الصغيرة والكواكب والأقمار.

قد يقول البعض إن هذه الوظائف كانت قميّة وتشمل حركات تكرارية تحدّر الدماغ، ولكن بالنسبة إلى فتى مثلّي، كانت القاعة الكبيرة وكل ما فيها مذهلاً، ورائعاً. بدا الرجال الذين يعملون هنا لك منغمسيين في أعمالهم لدرجة أنّهم لم يبدوا ضجرين، وكانت مصدوماً من الثقة الواضحة بالنفس والسرعة التي أدوا بها أعمالهم.

ظهر السيد يوشيوكا في أحد الممرات، مرتدياً قميصه وحاملاً سترة بدلته مقترباً. ابتسّم وانحنى نصف انحناء وقال: "يا لها من مفاجأة سارة أن أراك هنا، جونة كيرك".

"أنا آسف للغاية لأنني أزعجتك في العمل، سيدتي، ولكن حصل شيءٌ سيءٌ للغاية، ولا أعرف...".

قاطعني وقال: "اعتقد أن من الأفضل أن ننتظر حتى يكون بإمكاننا أن نتحدث حول هذا دون أن نرفع أصواتنا".

على يسار الباب، علقت ساعة وبجانبها لوح لتخزين الملفات مع المئات من الفتحات التي تحوي بطاقات بحجم الظرف الورقي وكانت مرتبة أبجدياً. أخذ السيد يوشيوكا البطاقة الخاصة من قرب نهاية المجموعة، وأدخلها في الساعة وأعادها إلى مكانها بعد أن طبع عليها الوقت.

في ردهة الاستقبال، جلسنا على الكرسيين الأبعد عن النساء الأربع اللواتي كنّ منشغلات على مكاتبهن. لم نهمس، ولكن تحدثنا بصوتٍ

منخفض.

"أتذكر حين أخبرتك أخيراً عن كل شيء، كيف رأيت إيف آدامز ميتة في حلمي، وأن اسمها الحقيقي كان فيونا كاسيدي؟".

أومأ السيد يوشيوكا برأسه. "كان هذا بعد إحضارك لي طبقاً من كعك والدتك الرائع بالشوكولاتة، والذي لا أزالأشعر بالامتنان لأنك أحضرته".

"ظنت أنك لن تصدقني بخصوص الحلم، ولكنك فعلت. لن أنسى كيف صدقتي. كان شعوراً لا يُضاهى بالراحة".  
ابتسم وانتظر حتى أكمل.

مع بعض الإحراج، قلت: "لم أخبرك كل شيء في الواقع. أقصد أنني أخبرتك كل شيء عن فيونا كاسيدي، ولكن لم يكن حلمها الحلم الوحيد".  
"والأآن ستخبرني كل شيء".

"نعم، عليّ أن أفعل ذلك، إن كل شيء مرتبط بشكلٍ ما".  
"إنها إشارة جيدة إلى أنك لم تحضر لي الكعك هذه المرة".  
"نعم سيد؟".

"عندما تحضر لي الكعك وتخبرني بكل شيء، يتضح لاحقاً أنك لم تخبرني كل شيء. ربما يكون الكعك طريقتك بالاعتذار مني مقدماً لعدم إخباري بكل شيء".

انتقلت من الشعور بالإحراج إلى الشعور بالعار. "أنا آسف، أنا حقاً آسف. كل ما في الأمر هو أن... لا أدري، الأمر غريب للغاية وهائل وغريب، وأنا مجرد فتى، مهما حاولت أن أقنع نفسي بأنني رجل المنزل. أنا مجرد فتى".

تلاءات عينا السيد يوشيوكا، مثلما تلاءات عيون المخلوقات الخيرة والسوالية التي تقرأ عنها في القصص الخيالية. "نعم، أنت ما زلت فتى. ولذلك، كما يقال، لا أحب أن أضغط عليك. والآن ألن تخبرني ما تبقى من

كل شيء؟".

"حلمت حلماً آخر. وكان ذلك قبل الحلم الذي رأيت فيه فيونا كاسidi ميته".

أخبرته عن لوکاس دراکمان، وعن رؤيتي له بعد أن قام بقتل والديه في حلم، وأنني رأيته لاحقاً مع والدي هذا الصباح.

أصغى السيد يوشيوکا بانتباھ، وعندما انتهيت، جلس مغمض العينين، وكان ذلك قد أصبح مألفاً بالنسبة إلى، وعلمت أنه يفكر ملياً بتداعيات ما أخبرته إياه لتوي. عندما أصبح صمته موترة بدأت بالتكلم، ولكن توقع أنني لا أملك شيئاً مهماً لقوله، فوضع سبابته على فمه كاقتراح بأن الصمت كان الخيار الأفضل.

عندما فتح عينيه، قال: "لقد حلمت بلوکاس دراکمان، والآن لوکاس دراکمان يعرف والدك. ولذا من المنطقي أن نفترض أن فيونا كاسidi تعرف والدك أيضاً أو ستتعرف عليه في المستقبل القريب بما أنك كنت قد حلمت بها أيضاً؟".

"هذا ما كنت أفكّر فيه، ولكن إذا...".

وضع سبابته على فمه مجدداً. "ومن المنطقي أيضاً أن نفترض أنه إذا ما كان كل من لوکاس دراکمان وفيونا كاسidi يعرفان والدك، فهما إذاً يعرف أحدهما الآخر".

أومأت برأسني، مع أنني لم أتوصل إلى هذه النتيجة لولا حديثه. "إذا كنت محقاً حول كون الصورة في الصحيفة التي رسماها فنان الشرطة والتي تصور المشتبه به في التفجيرات لا تشبه لوکاس دراکمان، نستنتج إذن أنه قام بتفجير مكتبي التجنيد باستخدام متفجرات قامت بإعدادها إيف آدامز، التي تعرف أيضاً باسم فيونا كاسidi، حين كانت تستخدم مواد كيميائية متطايرة ذات رائحة قوية في الشقة 6".

قلت، "يا إلهي" واتهمت نفسي على الفور بالتجديف ورسمت إشارة الصليب بأصابعه وقلت: "ولكن هذا يعني... هذا قد يعني، قد يعني أن والدي، تيلتون...".

أنهى السيد يوشيوكا الفكرة التي لم أستطع أن أقولها بصوتٍ عالٍ وقال: "هذا يعني أن والدك قد يعرف لوكاس دراكمان في سياقٍ آخر عدا تفجير مكتبي التجنيد، ويوجد احتمال أن ثلاثة منخرطون بمؤامرة، وقد يكونون جزءاً من جماعة بيلدبيرغierz".

عند المكاتب في الجهة البعيدة من القاعة، استمرت النساء الأربع بالعمل، وكما لاحظت، لم يكن مهتمات بسبب زيارتي للسيد يوشيوكا. كنا نتحدث بصوتٍ خافت، ولكن همست الآن وقلت: "هل يمكن أن يكون تيلتون أحد المفجرين المجانين؟".

"كما قلت، قد يكون يعرف لوكاس دراكمان في سياق آخر وقد لا يعرف حتى أن الرجل مجرم. وإذا كان والدك فعلاً متورطاً بمؤامرة، فليس بالضرورة أن يكون مجريناً... وإذا فهمتك بشكلٍ جيد، أنت تعني أنه غير عاقل بكلمة مجرون".

"لا أظن أنني قصدت أن تيلتون غير عاقل. ولكنه... مضطرب. علينا أن نخبر الشرطة".

بالحكم على تعابير وجهه - زم شفتيه وظهرت التجاعيد حول زاويتي عينيه - لم يكن السيد يوشيوكا متৎمساً لفكرة الذهاب إلى السلطات تماماً كما كان عندما ركب سلسلة الأمان على بابنا لمنع فيونا كاسيدي من الدخول إلى شقتنا. لا يمكننا أن نخبر الشرطة ببساطة أن والدك مضطرب ولا عن الجرائم، ليس لدينا دليل، جونة كيرك. رأيت والدك مع شخصٍ تعتقد أنه المجرم المشتبه به. هذا أسوأ حتى من الشائعات ولن يثير اهتمام الشرطة".  
ولكن دراكمان قتل والديه بالتأكيد، أطلق النار عليهما وهما نائمان. إنه مطلوب للعدالة".

"بالتأكيد؟ كيف تعرف ذلك؟".

"حسناً، أقسم بالله، رأيت ذلك في حلم، أوه حسناً... ليس ذلك بدليل.

إذن ماذا يمكننا أن نفعل؟".

سحب أحد كمي قميصه الأبيض اللون ومن ثم سحب الآخر، بحيث ظهر منه نصف إنسن تماماً من كمي سترته. نفض بعض الوبر الذي يغطي سرواله. عدل ربطته عنقه.

"إذا قمنا مثلاً بإجراء اتصال لإعطاء معلومة مجهولة المصدر للشرطة، بخصوص والدك، ما هو العنوان الذي سنعطيهم إياه؟".

"منذ أن طرده والدتي، لا نعرف أين يعيش".

"رقم هاتف؟".

"لا نملك رقمه".

"أين يعمل؟".

"بحسب علمنا، إنه لا يعمل. ليس ناجحاً في مجال العمل. كل ما نملك هو اسم محامي كان يتولى أمور الطلاق من أجله".

"لن يساعدنا ذلك. سر المهنة بين المحامي وموكله سيمنعه من قول أي شيء".

"ماذا يمكننا أن نفعل إذن؟". سألت مجدداً. "ما رأيك أن نخبر الشرطة معلومة مجهولة المصدر عن دراكمان؟".

"لا نعرف أين يعيش أيضاً، ولا نعرف ما الاسم الذي يستخدمه في حياته اليومية".

"إننا هالكون".

"لا تقل ذلك". وباصبع واحدة، سوئ التجييد في سرواله على طول فخذه وصولاً إلى ركبته، حيث قام بذلك على الرجل اليسرى أولاً ومن ثم اليمنى. "أنا بحاجة إلى بعض الوقت لأفكر ملياً بهذا، إنه أمرٌ معقد".

"أجل بالتأكيد، رأسي يؤلمني من التفكير".

"بعد أن آلت الأمور إلى هذا، هل تعتقد أنك ستخبر والدتك بكل شيء؟".

لو كان من الممكن أن يصبح لوني باهتاً، وكانت فكرة أن أخبر والدتي كل شيءٍ ستحولني إلى اللون الأبيض. "أوه يا رجل، لا، أعني، من أين سأبدأ؟ ماذا سيكون رأيها بي؟ كيف ستثق بي مجدداً؟".

"الحقيقة هي الحل لكل شيءٍ، حتى لو كانت متأخرة، جونة كيرك، وتحديداً إذا كانت كاملة ومع اعتذارات صادقة". ذكرته لأنني لم أكذب فعلياً على والدتي، وأنني فقط احتفظت ببعض الواقع لنفسي، فقال: "حسناً، لن أصححك أبداً أن تستمر بإخفائك المعلومات عنها... ولكن وبكل صدق، عليّ أن أقول، ربما من الأفضل ألا تخبرها في الوقت الحالي. إذا صدقتك وذهبت إلى الشرطة، لن تتحقق شيئاً على الأغلب سوى أن يعلم والدك وشريكه بالأمر. لأنه إذا علم بذلك، ستكونان أنت والدتك معرضين لخطرٍ كبير. وأنت الآن على الأقل لست كذلك".

نهض، ونهضت أيضاً، انحنى نصف انحناء، ورددتها له. مد يده، وصافحته.

قلت: "أنا آسف حقاً لأنني أتيت ورميتك بهذا الحمل عليك".

"لا داعي للاعتذار. أعطني بضعة أيام لأفكر بالموضوع، وبينما أفعل ذلك، كما يقول المحققون في الروايات، عليك أن تواري عن الأنظار".

اتجه نحو الباب الذي يؤدي إلى مكان العمل، واتجهت نحو المدخل الأمامي، ولكنه ناداني بعد ذلك والتقيينا في منتصف منطقة الاستقبال.

قال: "لا بد أنه يوجد حلقة مفقودة في هذه القصة".

"لا تقل إنه ساذج".

"لا، لا أقصد ذلك. قصدت أنه يوجد رابط مشترك بين والدك وفيونا كاسيدي ولوکاس دراكمان. أقترح أن تتفادى السيد سمولر هذه الفترة".

كنت على وشك الدفاع عن السيد سمولر عندما تذكرت كيف كان تيلتون يأخذ أحياناً صندوقاً من البيرة إلى غرفة سمولر، بحسب قوله من أجل

أن يتكلم أكثر ويتحدث عن نظريات المؤامرة السخيفة التي كان يرويها لاحقاً لأمي ولبي.

قال السيد يوشيوكا: "يمكنتي أن أتصور، أن رجال الأعمال القساة الذين كان يتكلم عنهم لم يكونوا يعلمون أن الآنسة كاسيدي كانت تعيش مجاناً في الشقة ٦٥".

خاب أملني وقلت: "كنت أريد أن أصدق أنه شخص جيد".

"قد يكون حقاً شخصاً جيداً. ولكن لن أراهن على ذلك".

عاد السيد يوشيوكا إلى عمله، وبعد أن أغلق الباب خلفه، عدت إلى المنضدة وشكرت السيدة اللطيفة التي اتصلت به ليأتي من طابق العمل من أجلي. "أرجو ألا تحصل معه مشكلة لأنه أخذ استراحة".

كانت ذات ابتسامة جميلة، وكانت مسروراً لأنها ابتسمت لأنني لا أعتقد أنها كانت ستبتسم لو كان الخياط سيقع في مشكلة. "لا تقلق، جونة. السيد يوشيوكا ذو شأنٍ كبير هنا".

قلت: "وهو ذو شأنٍ كبير بالنسبة إليّ أيضاً" وبينما كنت أتحدث، حصل شيءٌ مضحك، تلعثمت بالكلمات، وكأنني كنت سأختنق. وارتبتكت السيدة اللطيفة قليلاً أيضاً.

في الخارج، اشتدت الرياح وكانت الشمس ساطعة وقوية. في ذلك الشارع المزدحم، بين كل تلك الشاحنات الكبيرة والناس المنشغلين، حيث امتدت المدينة لأميال كثيرة، شعرت بالضآلّة بشكلٍ مخيف، بل وأسوأ من الضآلّة، شعرت أنني وحيد.

مشيت مسافة أربعة شوارع طويلة وشارعين قصرين من شركة ميتروبوليتان للبدلات إلى شقتنا. ومشيت بعدها شارعين طوليين إلى أقرب مكتبة.

لم يكن هذا الفرع كبيراً مثل المكتبة المركزية التي كانت مقابل متحف التاريخ الطبيعي، وتميزت بأرضية صفراء اللون بدلاً من الرخام الملون بألوان مختلفة وبأشكال راقية. ولكنها احتوت كثيراً من الكتب.

مع أنني كنت أعرف كيفية استخدام بطاقة الكاتالوج، إلا أنني لم أعرف ما هو الموضوع الرئيسي الذي عليّ أن أبحث فيه. مع مساعدة أمينة المكتبة، استقررت خلال خمس دقائق على طاولة في غرفة القراءة مع أربعة كتب، احتوت ثلاثة منها على معلومات محدودة حول مانزنار وواحد مكرس كلياً للحديث عنه.

مانزنار، والذي عنى في الإسبانية "بستان التفاح"، كان عبارة عن بلدة زراعية تبعد 225 ميلاً شمال لوس أنجلوس، في وادي أوينز، تأسست عام 1910 ولكن هجرت قبل عام 1930، بعد أن اشتُرت ولاية لوس أنجلوس أكثر من 6000 فدان من الوادي من أجل حقوق المياه.

بعد هجوم بيرل هاربر في السابع من ديسمبر عام 1941، اجتاح البلاد خوفٌ من أن يسود الخراب، في بداية عام 1942، قام الرئيس روزفلت بتوقيع الأمر التنفيذي رقم 9066، ما أرغم 120 ألف أمريكي ياباني في الولايات الغربية على الانتقال إلى عشرة مراكز إعادة توطين في مناطق منعزلة. وما زال الأمر محط نزاع حتى اليوم إذا ما كان يمتلك السلطة الدستورية لفعل ذلك أم

حتى قبل الأمر التنفيذي رقم 9066، تم تجميد جميع الحسابات في الفروع الأمريكية للبنوك البابانية. معظم الذين أجروا على الإقامة في مخيمات الاعتقال العشرة من قبل هيئة النقل الحربية كانوا قد فقدوا منازلهم أو باعوها بخسارة، وكانت متاجرهم إما مباعة مقابل جزءٍ من سعرها أو مغلقة دون تعويض.

حتى الأيتام البابانيون الذين كانوا مقيمين في مؤسساتٍ تديرها الرهابات أو جيش الخلاص تم نقلهم إلى بلدة مانزنار، حيث تم تأسيس مخيم للأيتام فيها من أجلهم. الأهالي القوقازيون الذين كانوا يعتنون بأطفال يابانيين أو نصف يابانيين أجروا أيضاً على تسليمهم لهيئة النقل الحربية.

مانزنار، كحال بقية المخيمات العشرة، كانت ذات اكتفاء ذاتي. كان فيها مشفى ومكتب بريد وبضع كنائس ومدارس ومتزهات وملعب كرة قدم وبيسبول وتنس ...

كانت الشقق صغيرة، مساحتها ست عشرة قدمًا مقابل عشرين قدمًا، وكانت دون خصوصية، ما كان مزعجاً بالنسبة إلى النساء. استخدم المتعهد الذي وكلته الحكومة مواد رديئة؛ جودة العمل كانت سيئة. تجاوزت درجات الحرارة في الصيف المئية درجة فهرنهايت. وكان فصل الشتاء بارداً ومليناً بالثلوج. فعل المعتقلون ما في وسعهم لتحسين المعيشة، ولكن كان من الصعب تحقيق الراحة التامة. الأسيجة ذات الأسلاك الشائكة وأبراج الحراس الشمانية التي تحيط الفدادين إلى 540 للمخيم الرئيسي لم تترك مجالاً لأن يتخيّل المرء أن هذه الحياة طبيعية.

حمل المعتقلون محیطهم بحدائق الأزهار والصخور، مع بر크 وجداول. عندما تبرع بائع جملة بألف شجرة كرز وويستريا، زرع المعتقلون بستانًا جميلاً للغاية.

في النهاية، عرض عليهم أن يوقعوا قسم الولاء، ليقسموا على ولائهم للولايات المتحدة الأمريكية ويوفقا على الخدمة العسكرية في الجيش الأمريكي إذا طلب منهم ذلك. من فعل ذلك يصبح بإمكانه أن يغادر المخيم إذا وجد كفلاً إما من أجل العمل أو الدراسة في الشرق أو الغرب الأوسط. في النهاية، خدم ما يقارب المائة شخص من مانزنانار في القوات المسلحة، وحصل أحدهم، ساداو مونيموري، على وسام الشرف بعد وفاته.

لم يتم استخدام العنف على أي من القاطنين في المخيم، وكان يُدفع لهم مقابل العمل الذي قاموا به، ولكن لم يكن الأجر مرتفعاً. توفي اثنان من المعتقلين في مانزنانار جراء تعرضهم لإطلاق النار أثناء مظاهرة رفضاً لاحتجازهم، ولكن لم يكن هنالك أي وفيات أخرى ناتجة عن العنف بين العشرة آلاف الباقين.

في الكتاب الرابع، والذي تحدث بأكمله عن مانزنانار، وجدت كنية الخياط في الفهرس ووصلت إلى مقطع يتحدث عن موت والدة وشقيقة السيد يوشيوكا.

كان لكل واحد من المباني الستة والثلاثين في المخيم غرفة طعام خاصة ومطبخ. كان كل من كيكو يوشيوكا وابتها ماريوكو أعضاء في فريق الطبخ الخاص بمبناهم. أدى تسرب من خزان غاز البروبان إلى انفجار وتطايرت النيران التي أشعلها زيت القلي المنسكب من الحاويات التي ثقبت بفعل الشظايا. كانتا الوحدين اللتين لم تستطعا الهرب. كانت ماريوكو في عمر السابعة عشرة، أكبر بستين من شقيقها، وكانت الأم في الثامنة وثلاثين.

كان أومي يوشيوكا وابنه جورج يتناولان الغداء في غرفة الطعام المجاورة عندما هز الانفجار المبني. هرع فريق الطبخ من خلال الأبواب الواسلة، وتبعهم عباب النيران. حتى قبل أن يعلم أومي وجورج أن كيكو وماريوكو لم تكونا من بين الهاريين من النيران، استطاعا سماع أصواتٍ مألوفة تصرخ

وتطلب الرحمة من الله. حاولاً أن يدخلوا المطبخ، ولكن كانت الحرارة مرتفعة للغاية، وفجأة أصبح هناك كثيرون من الدخان الذي لا يمكن الرؤية من خالله. بعد أن ارتباكاً، كان على أحدهم إنقاذهما من غرفة الطعام.

احتوى الكتاب ثلاث مجموعات من الصور، في المجموعة الثانية وجدت الصور الرسمية لمخيم الاعتقال بالأبيض والأسود تظهر فيها كيكو وماريكو. بدت كيكو وقورةً وجميلة. ابتسمت الابنة بخجل وكانت أجمل حتى من والدتها.

ماضٍ مأساوي، مثلما ظننت. ولكن لم يفقد أقرباءه البعيدين بسبب شيء خطير، مثل واقعة هiroshima التي صنعها الإنسان والتي ما زلنا نذكرها حتى اليوم، لم يكونوا مجرد ضحيتين أزهقت روحاهما من بين الآلاف الذين تفتت أجسادهم كنتيجةٍ مروعة لجرائم الحرب في اليابان ورفضها الإسلام. كانت هذه خسارة أعمق، وأكثر عشوائية، ويصعب نسيانها، أو تفسيرها بالعودة إلى التاريخ أو ضروريات الحرب الوحشية.

جلست صامتاً في المكتبة لوقتٍ طويل، وأنا أحدق إلى تلك الوجوه.

كان هناك آلة تصوير تتطلب نيكيل لصنع نسخة.

طويت النسخة مرتين ووضعتها في جيب السترة.

أعدت الكتب التي استعرتها ووضعتها على منضدة إعادة الكتب.

سألتني أمينة المكتبة إن كنت وجدت ما كنت أبحث عنه، قلت نعم،

ولكن لم أقل إبني كنت أتمنى من كل قلبي لو أنه لم أجده شيئاً.

لم يكن هناك حتى غيمة واحدة تحجب شمس ديسمبر، وعلى طريق عودتي إلى المنزل، مشيت تحت النور الساطع وفي الجو البارد.

أتت السيدة لورانزو إلى شقتنا في ليلة رأس السنة. كانت أمي ستتأخر كثيراً حتى تصل إلى المنزل بسبب عملها في سلينكز، ولم ترغب أن توقطني عند الساعة 3:30 أو 4:00 بعد منتصف الليل لتأخذني من منزل الأرملة.

سمح لي أن أشهد لكي أشاهد احتفالات رأس السنة على التلفاز، غاي لومباردو ورفيقه الكنديين من العائلة المالكة في فندق والدورف أستوريما أو ما شابه ذلك، ولكن لم تكن الموسيقى كل شيء بالنسبة إلي. مع أنني في الصف الرابع قرأت ما كان بمستوى الصف السابع، وللاحتفال، فضلت أن أقرأ رواية على أن أشاهد بعض الناس يهزرؤن على شاشة التلفاز. قبل يومين، أخذت كتاب روبرت هاينلайн بودكين أوف مارس من المكتبة، وكان رائعأ للغاية. خلدت إلى الفراش مع الكتاب وكوب من الكواكولا، وصحن من الكعك المملح.

أنهيت الكوب والكعك المملح، وثلاثة أرباع الرواية قبل أن أغرق في النوم بعد منتصف الليل بقليل. عندما استيقظت في تمام الساعة 8:40 صباحاً، وجدت مذكرة من والدتي على المنضدة كتب فيها:

عزيزي، ذهبت للنوم في حوالي الساعة الرابعة صباحاً سأناام حتى الظهيرة. ثم سذهب أنا وأنت إلى فندق فاخر لتناول الغداء!

في المطبخ، قمت بإعداد الخبز محمص بهدوء وصنعت شطيرة تحتوي زبدة الفستق والموز المقطع. وشربت كوباً من الحليب العادي ثم كوباً من الشوكولاتة. قلت في نفسي إنني إذا أكلت هذه الكمية الكبيرة من الطعام يومياً لن أكتسب سوى أونصة من الوزن. توقفت عن الحلم بأن أصبح مثل ممارسي

كمال الأجسام وشارلز أطلس الذين يظهرون في إعلانات المجلات. منحت الجزء المهيّب من عمل البيانو لفاتس دومينو، ربما سأدعو نفسي سكيني كيرك. أو سكيني بلدسو، إنه الخيار الأفضل.

خرجت من الشقة، ونويت أن أجول في الطابق الخامس لأستمع إلى ما كان يحصل في شقة السيد يوشيوكا. لم أسمع شيئاً منه منذ أن ذهبت إلى شركة ميتروبوليتان للبلدات صباح يوم الخميس، قبل ثلاثة أيام. كنت متشوّقاً لأعرف إذا ما كان قد اكتشف شيئاً جديداً أو إذا خطرت له أي فكرة حول ما على القيام به لاحقاً.

بعد أن أغلقت الباب، لاحظت وجود ظرف ورقي مسنود إلى اللوحة التي على يسار الباب. لم يكتب عليه عنوان المرسل ولا أي دليل على هوية الشخص المرسل إليه. فتحته وسحبته ورقة منه كتب عليها أربع كلمات مطبوعة بشكلٍ أنيق: تم الحصول على المعلومات.

في الطابق الخامس، عندما فتح السيد يوشيوكا الباب، شممت رائحة القهوة. "كل عام وأنت بخير، جونة كيرك".

"كل عام وأنت بخير سيدتي. كنت أفكّر في أن أدعو نفسي سكيني بلدسو".

عندما أغلق الباب وقفله، وقف سلسلة الأمان، قال: "هل هذا الاسم الذي ترغب أن تُنادي به؟".

"ليس بعد. أعقد أنه على أن أكون بعمر الثامنة عشرة لكي أغير اسمي رسمياً".

"إذاً لن أدعوك بذلك الاسم حتى تنجز ذلك. سوف نتحدث في المطبخ". قادني إلى هنالك. "هل ترغب بشرب شيء ما؟".

"أشتم رائحة القهوة، ظننت أنك لا تشرب سوى الشاي".

"أنا أشرب الشاي بالفعل، والقهوة، كما أنتي أشرب الماء وعصير

البرتقال، المشروبات الخالية من الكحول، وعدهاً من المشروبات الأخرى.".  
ولكنك لا تشرب المارتيني".

"لا، أنا أشتري المارتيني فقط ولا أمسها لأربك مديرى النوادى الليلية.  
هل ترغب بشرب الشاي مع العسل كالعادة؟".  
"مسموح لي أن أشرب القهوة كل فترة".  
"هل تفضلها مع قشدة أو سكر أو مع الاثنين؟".  
"سوداء مثلية".  
"أنا مندهش".

جلسنا إلى طاولة المطبخ مع كوبى القهوة السوداء. كان المزيج قوياً وذا نكهة مركزة.

قال السيد يوشيموكا: "السيد يابو تاما زاكى، الذى يدعى نفسه روبرت وبوبى ولكن لا يدعى نفسه بوب، عمل لمدة سبعة عشر عاماً في صحيفة ديلي نيوز. إنه أحد معارفى وشخص يمكن الاعتماد عليه. بعد طلبي، أمضى بعض الوقت في المسرحة، ينظر إلى جرائم قتل دراكمان".

"مسرحة؟ هل يبقون جثث الناس في صحيفة ديلي نيوز؟".  
"المسرحة هو الاسم الذى يطلقونه على غرفة الملفات التي يحتفظون فيها بالأخبار القديمة للصحيفة".  
" رائع".

"لأن السيد والسيدة دراكمان كانوا من الأثرياء وكانا من رواد مجتمع الفن في شيكاغو أصبحت جريمة قتلهم خبراً انتشر في كل أنحاء البلاد. حتى مدینتنا المعزولة كانت مهوسنة بالقصة. قتلا في إحدى ضواحي شيكاغو في ليلة السابع من أكتوبر من عام 1958، قبل أكثر من ثمانى سنوات بقليل. قدر الطبيب الشرعي وقت الوفاة بين الساعة الواحدة والثالثة بعد منتصف الليل. لم يتم حل لغز الجريمة".

هززت رأسبي. وقلت: "ابنها، لوکاس دراکمان، هو من قتلهم.. كما أخبرتك، رأيت ذلك في الحلم".  
عندما كان طالباً في السنة الثانية من المدرسة الثانوية، قام والدا لوکاس دراکمان بإرساله إلى أكاديمية عسكرية خاصة تقع على بعد بضعة أميال شمال ماتون في إلينوي".  
ما هذا الاسم؟ ماتون؟".

"لم أطلب من بوببي تاما زاكى أن يبحث عن أصول الاسم ماتون".  
حسناً، ليس ذلك بالأمر المهم".

لم يقدم لي السيد يوشيوكا أي ملاحظات، مع أنه حفظ التقرير بأكمله في ذاكرته. "بقي لوکاس دراکمان اليافع في الأكاديمية خلال فصل الصيف وكان يعود إلى المنزل فقط خلال العطل المنتقدة. في الليلة التي قتل فيها والداه، كان طالباً بعام التخرج في الأكاديمية، والتي كانت تبعد عن منزل عائلة دراکمان مئة وتسعين ميلاً، وهي رحلة تستغرق بحسب تقديرات الشرطة ثلاثة ساعات ونصف، أو سبع ساعات إذا كانت ذهاباً وإياباً".  
"ربما تجاوز السرعة المحددة".  
"لوکاس دراکمان لم يمتلك سيارة".  
"ربما سرق واحدة".

"عند الساعة العاشرة، عند جولة التفقد، كان لوکاس دراکمان في غرفته".  
"ربما كانت لعبة محشوة، مثل تلك الحيلة التي تظهر في أفلام الهرب من السجن".

لوح السيد يوشيوكا بيده، وكأنه يُبعد ذبابة مزعجة، ولكن كانت الذبابة أنا مع كل احتمالاته. "تحدث مع مدير المسكن عندما كان يتفقد الأسرة، وجهاً لوجه. ولذلك كان عليه أن يتجاوز الحراس ليغادر المهجع، ولكنه لم يفعل. إضافةً إلى ذلك، لوکاس دراکمان تناول الفطور في الزي الرسمي، عند الساعة

"حسناً، هذه تسع ساعات ونصف" احتججت. "إنه وقتٌ كافٍ".

"عاش مع شريكين في السكن، وكلاهما أخبر الشرطة أن ثلاثة سهروا إلى ما بعد ساعة النوم المحددة. لعبوا بأوراق اللعب على ضوء المصباح حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. وهذا سيترك ست ساعات فقط للقيام برحمة تستغرق سبع ساعات وجريمتى قتل".

"ربما شركاؤه في الغرفة كذبوا، الناس يكذبون كما تعلم، ويفعلون ذلك طوال الوقت، حتى من أجل حماية قاتل".

بعد أن احتسى رشفةً من قهوته واستمتع بها، قال السيد يوشيموكا: "أنا أسألك كيف لفتى في التاسعة من عمره أن يتحول إلى روحٍ مريرة وبهذا العمر الصغير".

"أنا أقرب لأن أكون في العاشرة من عمري".

نظرت إلى كوبى. انعكس جزءٌ من وجهي بشكلٍ مشوه على القهوة، والسطح يظهر أمامي، كما لو كانت حقيقتي لا يمكن رؤيتها بمرأة عادية إنما بشكلٍ غير مباشر، كما في السطح المتموج للقهوة.  
وأنا مرعوب قلت: "عندما قلت إنك صدقتنى بشأن الحلم، ظنت أنك صدقتنى حقاً".

ابتسم وقال: "لقد صدقتك، جونة كيرك. لأسبابٍ قمت بتفسيرها. وما زلت أصدق أن حلمك أظهر لك الحقيقة".  
"هل تفعل ذلك حقاً؟".

قبل لحظةٍ من تحديه، رأيت أنه، وبطريقته الخاصة، كان يستفزني. "أحد شريكيه بالغرفة كان يدعى فيليكس كاسيدى".

"فِيلْكُسْ كَاسِيْدِيْ وَفِيُونَا كَاسِيْدِيْ. كِيفْ يُمْكِنُكَ أَنْ تَكُونَ مَتَّأْكِدًا مِنْ أَنْهُمَا قَرِيبَانِ؟".

"السِّيدِ يَابُو تَامَازَاكِيْ شَخْصٌ مُتَمَرِّسٌ. قَامَ بِعِصْبَةِ الْأَبْحَاثِ لِيَجِدَ مَا لَمْ يَجِدْ فِي مُشَرِّحةِ صَحِيفَةِ دِيلِيْ نِيُوزْ. فِيلْكُسْ وَفِيُونَا كَاسِيْدِيْ هُمَا تَوْأَمُ. غَيْرُ مُتَطَابِقٍ، بِالْطَّبْعِ، تَوْأَمُ أَخْوَانٌ. وَمَا يُشَيرُ إِلَى الْإِهْتَمَامِ هُوَ أَنْهُمَا مُثْلِّذُو لَوْكَاسْ دَرَاكْمَانْ، يَتِيمَانِ".

حتى هذه اللحظة، لاحظت أن السيد يوشيوكا كان على وشك الابتسام، مع أنه بدا خالياً من التعبير، وكأنه كان مسروراً لمشاهدة ردود فعلني على ما كان يقوله. ولكن الآن، مع أن وجهه بقي هادئاً، أحسست أن مزاجه أصبح مهيباً وأكثر غموضاً.

"مُثْلِّذُو لَوْكَاسْ دَرَاكْمَانْ، كَانَ فِيلْكُسْ كَاسِيْدِيْ بِعُمُرِ السَّابِعَةِ عَشَرَةِ وَهُوَ الآَنَ بِعُمُرِ الْخَامِسَةِ وَالْعَشِرِينَ. بَعْدِ سِنِيْنَ، عَنِّدَمَا كَانَ كُلُّ مِنَ السِّيدِ كَاسِيْدِيْ وَشَقِيقِهِ فِيُونَا بِعُمُرِ التَّاسِعَةِ عَشَرَةِ، وَالَّذَاهِمَا لِلَّذَانِ كَانَا يَعِيشَانِ فِي إِنْدِيَانَا وَاللَّذَانِ كَانَا أَيْضًا ذُوي شَأْنٍ هَامٍ، تَوْفِيَا وَهُمَا نَائِمَانِ جَرَاءِ تَسْمِمٍ بِكَرْبُونِ الْمُونُوكِسِيدِ الَّذِي نَتَحَقَّقُ عَنْ عَطْلِ فِي الْفَرْنِ".

نظر إلى متظراً ردي. بعد أن أخذت بالاعتبار قوله يعني أنني روح مريبة، علمت أنه كان يتوقع مني أن أكون شوكوكياً اتجاه أحداث هذه الوفيات. "كانت جريمة قتل".

"في البداية، رفضت الشرطة اعتبار وفاتهما ناتجة عن حادثة. تطلب منهم الأمر أكثر من عام للتوصل إلى ذلك الاستنتاج. ربما عليك أن تكون محققاً".

"أفضل أن ألتزم بالبيانو. لن يطلق الأشرار النار على عازف بيانو".  
"أنا مسروز لكونك لست مجرد شاب فضولي، إنك حكيم أيضاً. نهض وأخذ إبريق القهوة. "هل ترغب أن أجدد قهوتك، جونة كيرك؟".  
"كنت متوقراً حتى قبل أن أحتسي القهوة".  
"لا تتوقع أني سأعرض عليك المارتيني بدلاً من القهوة".  
ترددت وقلت: "شكراً لك، نعم سأحتسي بعضاً من القهوة".  
عندما عاد إلى كرسيه قال: "فيلكس وفيونا ورثا كل شيء، ولكن لم يجدانهما في موضع الشبهات. في وقت الجريمة، كان في مدينة نيويورك، وكانت في سان فرانسيسكو. كانت دلائلهما قوية".  
"أين كان لوکاس دراكمان".

"كان هذا مثيراً للاهتمام. ولكن مررت ستنا منذ أن حصلت جريمة قتل عائلة دراكمان. لم تحصل جريمة عائلة كاسيدي في الولاية ذاتها. لم يفك أحد بوجود رابط، ولكن ليست هذه النهاية".  
"نهاية ماذا؟".

"ربما، بسبب الوقت الذي أمضينا سوية، ألهمتني لأن أصبح فضولياً مثلك. والآن، بسببي، السيد يابو تاما زاكى المسكين في صحيفة ديلي نيوز أصبح فضولياً مثلنا. قد لا يستطيع أن يعود طبيعياً مجدداً. هل تذكر أن لوکاس دراكمان كان لديه شريك سكن في الأكاديمية؟".  
"نعم".

"كان الثاني آرون كولشاك. عاشت عائلته في ميلواكي في ويسكونسن. هل كنت تعلم أن ويسكونسن تدعى باسم أرض الألبان الأمريكية؟".  
"لا سيدى".

"هل كنت تعلم أن ميلواكي تدعى باسم متجر الآلات الأمريكية بسبب كفاءتها الصناعية؟".

"لم أعلم ذلك أيضاً".

أتوقع أن من الصعب أن تكون أحد سكان ميلواكي، ويسكونسن، وأن يكون عليك أن تقوم بدورك يومياً لتضمن أن تكون الولاية والمدينة تستحقان هذين اللقبين. توفي والد السيد آرون كولشاك عندما كان آرون في الحادية عشرة، ربما بسبب التوتر. أصبح الفتى مهملاً وأرسلته والدته إلى الأكاديمية في ماتون في إلينوي عندما كان بعمر الثالثة عشرة".

"إذاً كانت العائلة غنية، أليس كذلك؟".

"كالعادة، فضولك في مكانه. كان السيد كولشاك مطوراً عقارياً رائداً في مجاله، وأثبتت أرملته أنها ماهرة أيضاً في إدارة أعمال العائلة". عندما توقف ليتدوّق قهوته وتركني متطرفاً كلامه بصمت، بدأت أشك أن السيد يوشيوكا كان يتمنى أن يصبح راوي قصص، أو كاتب روايات، قبل أن يحوله القدر إلى خياط.

أكمل: "السيدة ريناتا كولشاك، الأرملة، استمتعت كثيراً بقضاء العطل في رحلات بحرية. كما أفترض، جونة كيرك، أنك لم تذهب يوماً في رحلة بحرية".

"كلا، سيدتي".

"ولا أنا. بعد سنةٍ من اختناق السيد والسيدة كاسيدي وهما نائمان، كانت السيدة كولشاك على متن رحلة بحرية كاريبية عندما فقدت وقيل في النهاية أنها سقطت عن متن القارب وغرقت. واختفت في البحر، ولم تظهر جثتها". "يا إلهي" قلت وأنا أتهم نفسي بالتجديف وصنعت إشارة الصليب بأصابعي وقلت: "يا إلهي" مجدداً وأعدت الحركة نفسها مجدداً. "أراهن أن لا أحد فكر أن يسأل أين كان يتواجد لو كاس دراكمان".

"إذا كان على متن المركب نفسه، وهو يتفقد جمال الكاريبي، كان على الأغلب حكيناً بما فيه الكفاية ليسافر باستخدام هوية مزيفة. ولكن السيد يابو

تماما زاكيا المسكين من صحيفة ديلي نيوز أصبح فضولياً لدرجة أنه يبحث عن ذلك الآن".

كان مضيفي يتظر رداً مني، ولكنني عاملته كما يعاملني وتذوقت قهوتي للحظة. أخيراً قلت: "إذاً في المقابل إن كلاً من كاسيدي وكولشاك أعطا لوکاس حجة غيبة قوية في الليلة التي قتل فيها والديه، لا بد أنه قطع عهداً معهما لكي يقتل والديهما، كما تعلم، بعد مضي الوقت الكافي لكي لا يشير الشبهات".

يمكنا أن نختلف الكثير من النظريات، ولكن بالنسبة إلى القانون، المشتبه به يبقى بريئاً حتى تثبت إدانته".

تذكرت مانزنار وقلت: "ربما ليس دائماً، ألا يجب علينا أن نذهب إلى الشرطة؟".

"آه، ولكن أي شرطة؟ لم ترتكب أي من هذه الجرائم في هذه المدينة أو الولاية. ليس لدى الشرطة هنا صلاحية. حصلت جريمتا قتل في إيلينوي واثنتان في إنديانا، وكانت السيدة كولشاك خارج البلاد عندما رميت كما نعتقد من المركب".

"ربما هذا الأمر من اختصاص مكتب التحقيقات الفدرالي".

"ربما هو كذلك بالفعل. ولكن أعتقد أنه سيكون من الحماقة أن نلجم إلى السلطات دون أن ثبت أن لوکاس دراكمان كان على متن الرحلة البحرية مع السيدة كولشاك أو أنه كان في إنديانا بوليس في الوقت الذي قُتل فيه السيد والسيدة كاسيدي".

"لِمَ سيكون ذلك من الحماقة؟ الشرطة ومكتب التحقيقات الفدرالي وكل أولئك الأشخاص يعلمون كيف يثبتون الأمور".

"حتماً، سيتبه لوکاس دراكمان أنه سيتم التحقيق معه لأحد الأسباب. قد لا يعلم أن ذلك متعلق بجرائم القتل، لأنه نسي ذلك. لا يفكر المجرمون

سوى على المدى القصير. إنهم يعيشون في الحاضر، ولا يفكرون بالماضي أو بالمستقبل، وهذا السبب وراء ظنهم أن الجريمة مفيدة، لأنهم ما زالوا أحراضاً في الوقت الحالي".

نظرت إلى كوب القهوة مجدداً. ودفعته جانباً. "هل تعرف السيد موت؟".  
"يؤسفني القول إنني لم أتعرف إليه أبداً، من هو؟".  
"دعك من ذلك".

وضع يديه حول كوب القهوة، وكأنه يحاول تدفئتها وقال: "الخطورة تكمن في تبييه السيد دراكمان وهذا ما قد يضع اثنين على اثنين".  
"اثنان على اثنان؟".

"الآنسة فيونا كاسيدي تعتقد أنك كنت تشک فيها، ولذا هددتك. وظهرت أنت مقابل مطعم ذا روبل بينما كان دراكمان يغادره مع والدك".  
"لم يعرف من أنا".

"إذا وصفك للآنسة كاسيدي ستقول له من أنت".  
"لن يتذكر شيئاً سوى قبعتي المخططة باللونين الأحمر والأبيض. لا بد أن جميع الأولاد السود يبدون متشابهين بالنسبة إليه".  
"ولكن إن لم يكن ذلك صحيحاً، حين يتتبه إلى وجود تحقيق، قد يأتي باحثاً عنك".

تذكرة دراكمان في الحلم، وتذكرة عينيه الواسعتين والجامحتين، ولسانه الذي كان يرطب به شفتيه دون توقف، وفكرة به عندما كان على الجهة الأخرى من السياج، والدخان يتصاعد من فمه وكأنه يتمنى لو كان يستطيع نفث النار.

"إذا لم نبلغ عنه الشرطة أو مكتب التحقيق الفدرالي، كيف لنا أن ثبت أنه كان على متن الرحلة البحرية أو أنه كان في إنديانا بوليس؟".  
" علينا أن ننتظر السيد تامازاكى من صحيفة ديلي نيوز وأن نتمنى أن يجد

بعد هوسي بالموضوع دليلاً ما".

"أرجو أن يكون سريعاً في ذلك".

"كن مستعداً لأنه قد لا يوجد شيئاً".

لم أستطع التفكير بذلك. "على أي حال، ما الذي يفعلانه دراكمان ووالدي؟ ما الذي يخططان لفعله؟ إن هذا مخيف حقاً".

"إذا قتلتما أنت ووالدتك"، قال السيد يوشيموكا، "هل سيرث والدك الملايين؟".

"كيف له أن يرث الملايين؟ إننا لا نملك شيئاً. وعلى أي حال، لقد طلق أمي".

"أياً يكن الذي يخطط له والدك ولو كاس دراكمان، أنا متأكد أنه لا يتعلق بك. يمكننا أن نمنع يابو تاما زاكى المسكين كل الوقت الذي يحتاج إليه أثناء تحقيقه. ولكن عليك ألا تعتمر تلك القبة مجدداً".

افترضت أن السيد يوشيوكا أخبرني كل شيء، دفعت كرسيي بعيداً عن الطاولة ونهضت.

أردت أن أسأله عن مانزناه. كان لدى مئة سؤال على الأقل. ولكنني لم أعلم كيف كنت سأفتح الموضوع.

"ملاحظةأخيرة، جونة كيرك. أحد معارفي الآخرين، السيد توشيه كاتسوماتا، والذي يدعونفسه توماس أو توم ولكن لا يدعونفسه تومي أبداً، عمل لمدة تسعة عشر عاماً في البلدية، ككاتب رئيس في سجلات محكمة البلدية. أوراق الطلاق النهائية التي استلمتها والدتك تضمنت عنوان والدك وهو يعيش في 106 شارع ماربوري، وهو عنوان محامي ذي السمعة الأقل من حسنة، لأنه أراد أن يخفى عنك وعن والدتك عنوانه الحقيقي. ولكن ولأن المحكمة تمنح والدك هذه الخصوصية، لا بد أنها تملك العنوان الحقيقي في ملف القضية. لدى السيد كاتسوماتا سجل وهو رجل شريف، ولذا أنا متأكد أنه تصايق لأنه خرق الخصوصية المفترضة من المحكمة، وأمن لي عنوان والدك الحقيقي. ومع ذلك، إنه أيضاً رجل لا ينسى وعوده، وهو يقدر الصداقة."

أربكتني تلك التطورات. "ولماذا قد أرغب بمعرفة عنوان تيلتون؟ أنا لا أريد ذلك. لا أريد رؤيته في حياتي مجدداً. لم يكن والدأ حقيقياً بالنسبة إليّ". قال السيد يوشيوكا: "توقت ذلك منذ زمن مضى، ولكن بما أنك رأيت والدك مع السيد دراكمان الخطير الأسبوع الماضي، ظنت أنه من الضروري أن نعرف عنوانه. إنه يعيش في الجهة الشمالية، بعيداً كثيراً عن هنا، في مكانٍ أنا متأكد من أنه ممنوع بالنسبة إليك أن تذهب إليه لوحدهك. ولكن سأحتفظ

بالعنوان في حال احتجنا لاستخدامه". نهض من كرسيه. "هناك أمر آخر أو  
اثنان عليك معرفتهما".

حمل كوب قهوته إلى المغسلة ووقف وأولاني ظهره وقام بغسل الكوب.  
عندما أغلق صنبور المياه، نظر خارج النافذة الموجودة فوق المغسلة  
وقال: "عليّ الاعتذار مسبقاً إن كان ما سأقوله قد يؤذيك أو يحرجك بأي  
شكلٍ كان، ولكنها معلوماتٌ لا بد لك من معرفتها".  
"ماذا هناك؟".

تردد، وبدأت عندها ذرات الثلج بالتساقط عبر سماء النهار وترافقست  
على زجاج النافذة. قال: "شيرومي ني - آكارو يو باكاري تو - نارينيكيري".  
توقعت أنه يعرف أنني لا أفهم اللغة اليابانية على الرغم من أن الراهبات  
في مدرسة سان سكولاستيكا توقعن منا تعلم كل شيء. ولكن عندما تبع  
الكلمات صمت طويلاً، قلت: "سيد يوشيوكا؟".

"آه إنه شعر الهايكو، إنها قصيدة لبوسون، وهي تعني: (عندما تنتهي  
الليلي - ويبدأ الفجر - بلون زهر الخوخ الأبيض) ظنت أنها مناسبة لهذه  
اللحظة. بتلات زهر الخوخ ذات لون أبيض مثل الثلج، والليل قادمٌ بعد قليل".  
"إنها كثيبة بعض الشيء".

"كل هطول للثلج جميل ومليء بالفرح... وحزين، لأن كل الثلوج  
ستذوب".

إن كلمات الأغاني عبارة عن شعر، ولذا فإن الشعر جزءٌ من الموسيقى،  
ولكن حينها لم أعد عازف البيانو إنما مجرد فتى مرتبك وخائف. بعد فقداني  
الصبر، قلت: "ما هما الأمران اللذان عليك إخباري بهما؟".

"لدى والدك شريك في السكن، إنها كاتبة المقالات، والمجلات والتي  
تطمح لأن تكون كاتبة رواية، الآنسة ديلفاین".

لم تكن إمكانية إحراجي ما جعله يدير ظهره لي أثناء تكلمه، إنما إحراجه

الذى شعره اتجاهي واتجاه والدتي.

"ولكن الآنسة ديلفابين تعيش هنا في الطابق الخامس".

"كلا لم تعد كذلك. لقد انتقلت يوم الخميس. لم أكن سأجد الحاجة لإخبارك عن هذا، جونة، ولكن شعرت بذلك بسبب ما علمته من السيد ناكاما أوتاني، الذي يدعو نفسه نيك أو نيكولاوس ولكنه لا يدعو نفسه نيكى أبداً. عندما علمت صباح يوم الجمعة عن الشخص الذي يعيش والدك معه الآن، طلبت من السيد أوتاني المسكين أن يرى إن كان في وسعه أن يلتقي بها ويتحدث معها. إنه يجيد التحدث مع الناس. تمكّن من الالتقاء بالآنسة ديلفابين في نادٍ الليلة الماضية، ليلة رأس السنة، قبل أن يأتي والدك للقائها هناك. لم يستطع الحديث معها سوى عن رعاة البقر والروديو وعن بخل محرري المجالات. ولكن علم منها أيضاً أن الرجل الذي تعيش معه مطلق منذ فترة قصيرة وأن ابنه في وصاية زوجته السابقة... وأنه لا يكف عن قول إنه يوماً ما سيتمكن من استرجاع ابنه".

"لقد تخلّى عنّي بسهولة. لم يكن يريدني معه. لم يكن يرغب بوجودي معه وأنا متأكد تماماً من عدم رغبتي بالعيش معه أبداً. لا بد أن السيدة ديلفابين تكذب، أو لا بد أنه يخبرها بذلك لكي يبدو شخصاً أفضل".

تساقط الثلج على الزجاج بقطعٍ أكبر، استدار السيد يوشيوكا بعيداً عن النافذة ليواجهني. "قد تكون محقاً، جونة. أنت على الأغلب كذلك. ولكن طالما بقي والدك حراً طليقاً، عليك أن تكون... متأهباً، حذراً".

"أنا كذلك، أنا كذلك حقاً".

"أريدك أن تعلم أنه يؤسفني إخبارك ذلك".

"لا سيدى. كان عليك إخباري. لا بأس. شكرأً".

"يجب على ولدِ بعمرك ألا يضطر للتعامل مع هذه الأشياء".

قلت له: "أنا أكبر من عمري الحقيقي".

"بالفعل، أنت أكبر من عمرك الحقيقي". ابتسם، مع أنه كان يشعر بالحزن أكثر من البهجة.

كنت متوتراً، ولكن ليس بسبب الآنسة ديلفابين، تبعته إلى الباب الأمامي. بعد أن فتح سلسلة الأمان وفك القفل، قال: "كوجاراشي يا - آتو دي مي أو فوكى - كاوایاناغي".

قلت: "هایکو، ألا يدعى كذلك؟".

"نعم هذا اسمه، للشاعر سينريبو". ترجم: "رياح الشتاء المريرة - ولكن بعدها، يا شجرة الصفصاف الموجودة على النهر - افتحي براعمك".  
"إنها قصيدةٌ جميلة".

"أوافقك الرأي. سأتواصل معك عندما أعرف المزيد، جونة".

لأي سببٍ كان، توقف عن مناداتي بجونة كيرك، كان يناديوني بجونة الآن فقط. لم أعرف ما يعني ذلك، ولكنه أعجبني.

"كل عام وأنت بخير، سيد يوشيوكا".

"كل عام وأنت بخير، جونة".

انحنى لي، وانحنى له، وفتح الباب، خرجت إلى رواق الطابق الخامس. بينما كنت أتوجه إلى الدرج الأمامي، أغلق الباب، وشعرت فجأة وكأنني لن أراه مجدداً، ليس على قيد الحياة على الأقل، وأن كل الكلام عن جرائم القتل حوله إلى هدف للجرائم، ليس كضحية لدراكمان أو فيونا كاسيدي، بل للقدر. شعرت بالتوتر، ترنحت ونظرت باتجاه شقته مجدداً. كان الخوف غير منطقي، إلا أنه استمر في داخلي

كان ذلك تفكيراً جنوبياً. ولكن جميع الأطفال عرضة للتفكير الجنوبي، لأنهم عاجزون ولأنهم يفتقدون معرفتهم بكيفية عمل العالم من حولهم؛ ولذلك، تقودهم مخيلتهم إلى التفكير بقوى غامضة وشريرة تحكم بالأشياء، وبالسحر والوحش.

في حالي، بعد أن راودتني الأحلام التنبؤية وبعد أن خلقت الآنسة بيرل أمامي بيانو بفعل السحر، علمت أن العالم كان عبارة عن لغز عديد الطبقات. أخبرني الجميع أن السحر كان عبارة عن خرافة، ولم أؤمن حقاً بالدمى التي تغزو فيها الدبابيس وباللعنة الفعالة، ولكني آمنت أن هنالك شرّاً يعيش في العالم، ويحصد الأرواح دون توقف.

مررت عبر الباب الموجود في نهاية الممر، وبدأت بالنزول على الدرج، واضطربت للجلوس قبل أن أصل للطابق السفلي، لأن رجلي بدأتا بالتعب. ارتجفت وكأنني لم أكن في بناية أعرفها بل كنت في وسط تساقط الثلج، على مدخل بارد كالجليد. مرت خمس أو عشر دقائق قبل أن تهدأ رجفتي وتشتد قوة رجلي.

لا أظن أنني فهمت تماماً لماذا حصل ذلك عندها. بعد عقودٍ أدركت أنني، كطفل، كنت أعرف العديد من الراهبات والأولاد في مدرسة سان سكولاستكا وكانت معججاً كثيراً بالسيدة لورانزو والسيدة أوتول، إلا أنني لم أحب من كل قلبي سوى والدتي وجدي آنيتا وجدي تيدي. ومع أنني لم أفكر بتلك الطريقة يومها - إلا أنه أمر يخطر ببال أي طفل. كان ذلك أكبر قدرٍ من الحب يمكنني تخيله في تلك الأيام. ولكن كان ذلك القدر يزداد، خشيت على السيد يوشيوكا لأنه كان يتتحول إلى والدٍ بديلٍ بالنسبة إليّ. كلما عرفته بشكل أعمق ازداد حبي له، وازداد خوفي من فقدانه.

أُتى شهر يناير من عام 1967 وجلب معه مأساة حيث توفي كل من رواد الفضاء الثلاثة فيرجيل جريسموم وإدوارد وايت وروجر شافي بعد اندلاع حريقٍ في كبسولة أبولو التي كانوا على متنها أثناء عُدُّ تنازلي تجاريبي في كيب كانافيرال. كان موتهما المرهق بدايةً مشؤومة لهذا العام الجديد.

أُقيم لاحقاً صيف الحب الشهير، حيث تواجد الآلاف إلى منطقة هايت - آشبورи في سان فرانسيسكو ليشكلوا جماعات، وليستمتعوا بحفلات الموسيقى المجانية التي أدتها فرق الروك الشهيرة، وليمارسوا الغرام بدلاً من الحرب، ولكن في نهاية الصيف، كانت نسبة الجريمة مرتفعة في هايت - آشبوري. كانت غرف الطوارئ في المستشفيات تفجّض بالناس الذين يهلوسون وبهلوعون بسبب تعاطي مخدر الـ LSD، بينما تحول الإدمان على المخدرات الخطيرة والجرعات الزائدة إلى وباء. تنوعت الموسيقى من سكوت ماكنزي الذي كان يعني عن ارتداء الزهور كتابج على الشعر إلى فرقة ذا دورز الذين غنوا عن الاضطراب العقلي في أغنية "ذى إيند"، وعزفت آلة أورغ الكرنفال أحاناً أثارت الفوضى والجنون. وأثبتت أعضاء فرقة بوفالو سبرينغفيلد أنهم ذوو بصيرة في أغنية "فور وات إتس وورث"، حيث قامت موسيقاهم وأصواتهم بمحاكاة مشاعر المستمع المضطربة بينما غنوا عن العنف السائد في الشوارع: "ثمة شيء يحدث هنا... ثمة رجلٌ يحمل مسدساً هناك".

خلال الصيف ذاته، حصلت أسوأ أعمال الشغب العرقية في تاريخ البلاد في ديترويت. توفي ثمان وثلاثون شخصاً ودمرت مناطق بأكملها من تلك المدينة. وفي الوقت ذاته، ازدادت حدة الحرب الدائرة في فيتنام.

ما أثار دهشتي، هو أن شهوراً كانت قد مرت دون أن يظهر والدي من بين الظلال. لم أر فيونا كاسidi مجدداً ولا لوكاس دراكمان، ولكنني علمت أنهم لم يختفيا إلى الأبد. بالنظر إلى غرابة الأعوام القليلة الماضية، بدت أيامي التي أصبحت تمضي بسلامة مفاجئة وكأنها مقلب، كان هذا الهدوء المزيف دعوةٌ لي كي أبقى دون دفاعات. وبعد فترة، أصبح الهدوء مملاً، لأنني أعتقد أن من الممكن أن يصبح المرء مدمتاً على الخطر والغرابة مثله مثل أي نوعٍ من المخدرات.

لم يكن لدى السيد يابو تاماذاكي من صحيفة ديلي نيوز أي شيء آخر لقوله عن مكان وجود دراكمان عندما حصلت جرائم قتل عائلة كاسidi والسيدة كولشاك. كنت قد ظنتت أنه يعمل مراسلاً، ولكنه كان القيم على مشرحة الصحيفة. بعد أن أثارت القضية اهتمامه، بدأ يظن نفسه مراسلاً، وعندما علمت الصحيفة أنه يحقق في هذه الجرائم، طلب منه أن يفسر ذلك، وفي غياب حجةٍ منطقية، فرض عليه أن يركز فقط على العمل الذي كانوا يدفعون له للقيام به.

علمت هذا في أحد الأيام المثلجة التي كنت عائداً فيها من مركز المدينة بعد حصة بيانو ووجدت السيد يوشيوكا يمشي إلى المنزل، حيث بدا أنيقاً في معطفه ذي القصبة المرتبة، ووشاح العنق وقبعة فيدورا.

"السيد تاماذاكي حاصل على شهادة في الصحافة بالفعل"، فستر السيد يوشيوكا. "ولكن في هذه المدينة، معظم المراسلين هم من خلفيات عرقية مختلفة، وغالبيتهم من أصول إيرلندية. إن الإيرلنديين جيدون جداً في مجال الصحافة لأنهم جيدون أيضاً في مجال السياسة، والصحافة والسياسة أمران متصلان بعضهما. إن اهتمام السيد تاماذاكي في السياسة يضاهي اهتمامه بالانتحار الشعائري، أي أنه ليس مهتماً بالسياسة".

"ما الذي ستفعله الآن؟" تساءلت.

"سيتابع السيد تاما زاكى بحثه في القضية ولكن بشكلٍ متخفِّ، في وقته الخاص. وهنالك أيضاً السيد ناكاما أوتاني، المهم بالقضية كعملٍ إضافي لعمله الأساسي".

"هو من وجد أين يعيش والدي، مع الآنسة ديلفابين في الجهة الشمالية. إنه يدعو نفسه نيك أو نيكولاس ولكن لا يدعو نفسه نيكى أبداً".  
"هذا صحيح".

"إنه يجيد التحدث مع الناس".

"لا يوجد من هو أفضل منه في ذلك".  
"ومع من يتحدث الآن؟".

"ستترك هذا بأكمله للسيد أوتاني. لأنه يتولى أمر الحديث، وهو من عليه انتقاء الذين يتحدث معهم".

"ما الذي يفعله إلى جانب الحديث؟ هل هو مراسل؟".

"يقنع السيد أوتاني القيام بالعديد من الأشياء، مع أنه شخصٌ متواضع، وإن قمت بمدحه، لن يعترف بمهاراته وسيقول إنه محظوظٌ فقط".

كلما وصل الحديث بنا إلى أن يكشف السيد يوشيوكا معلومات عن السيد ناكاما أوتاني، يصبح السيد يوشيوكا متحفظاً وكان يردد على أسئلتي بأجوبهٍ تبدو مضللة ولا يمكن فهمها إذا لم تفكّر بها مليأً.

كان نمر تحت شجرة قيقب عارية الأغصان تساقط من خلالها الثلج، ومع أن موضوعي لم يكن حول الثلج، إلا أنني استغللت الفرصة لأقول ما تعلمته حديثاً: "يساقط المطر المتجمد - وكأنه قادمٌ من الأسفل - وفيه شيءٌ من الوحدة".

"نaito Joso"، قال السيد يوشيوكا. "شاعرٌ من القرن السابع عشر. كان محارب ساموراي، وأصبح لاحقاً كاهناً. إنه رجلٌ ذو مواهب عديدة".  
"أعتذر لأنني لا أستطيع قولها باليابانية".

رَدَّ عَلَيْ: "سَابِيشِيسَا نُو - سُوكُو نُوكِيتِي فُورُو - مِيزُوري كَانَا".

بَدَا مَسْرُوراً لِلْغَايَا لِأَنِّي حفظت قصيدة هَايِكُو وَاحِدَة، وَكَانَتْ ابْسَامَتِه أَعْرَضَ ابْسَامَةٍ رَأَيْتَهَا عَلَى وَجْهِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْأَلِنِي مَا الَّذِي دَفَعَنِي إِلَى ذَلِكَ.

كَانَتْ قَصَائِدُ الْهَايِكُو هَامَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، بَلْ مَقْدَسَةٌ، وَرَبِّما ظَنَّ أَنَّ مِثْلَ هَذَا السُّؤَالْ شَخْصِي لِلْغَايَا. عَلَى الْأَغْلِبِ، عَلِمَ أَنَّ احْتِرَامِي لَهُ كَانَ مَصْدِرَ اهْتِمَامِي بِذَلِكَ النَّوْعِ مِنَ الشِّعْرِ، وَكَانَ لِي شُعْرٌ بِالْإِحْرَاجِ لَوْ سَمِعْنِي أَقُولُ ذَلِكَ.

وَهَكَذَا مَرَّتْ الأَشْهَرُ وَأَنَا عَالِقٌ فِي حَالَةٍ غَرِيبَةٍ. شَعْرَتْ وَكَأَنِّي أَمْشِي عَلَى الْحَافَةِ، نَعَمْ، وَلَكِنْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ نَظَرْتُ فِيهَا إِلَى الْأَسْفَلِ، كَانَتِ الْحَافَةُ عَلَى ارْتِقَاعِ قَدَمِيْنِ فَقَطْ مِنَ الْأَرْضِ. كَانَ مِنَ الصُّعُوبِ الْحَفَاظُ عَلَى درَجَةِ عَالِيَّةٍ مِنَ الْحَذَرِ وَالْرَّيْبَةِ كِعَادِتِي الْمُعْرُوفَةِ - بِالنِّسْبَةِ لِلْسَّيِّدِ يُوشِيوْكَا عَلَى الْأَقْلِ - فِي حِينِ لَمْ يَكُنْ أَيُّ مِنَ الْأَشْخَاصِ السَّيِّئِينَ مَوْجُوداً فِي الْأَرْجَاءِ.

انتَظَرْنَا انْفِجَارَ الْمَزِيدِ مِنَ الْقَنَابِلِ، مُثْلِ تِلْكَ الَّتِي دَمَرَتْ مَرْكَزِي التَّجَنِيدِ الْعَسْكَرِيِّينَ. مِنَ الْمُؤْكَدِ أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ فِيهَا كَاسِيَدِي صَانِعَةُ قَنَابِلِ مَاهِرَةً، سَيَكُونُ لِدِيهَا الْكَثِيرُ مِنَ الْوَقْتِ فِي الشَّقَقِ ٦٥ لِتَصْنَعَ أَكْثَرَ مِنْ قَبْلَتِيْنِ. وَلَكِنْ

لَمْ يَنْفَجُرْ شَيْءٌ.

عِنْدَمَا حَصَلَتْ الْفَاجِعَةُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ١٩ أَبْرِيلَ مِنْ عَامِ ١٩٦٧، لَمْ تَكُنْ كَأَيِّ شَيْءٍ كَنْتُ أَتَوْقَعُهُ.

فِي مَدْرَسَةِ سَانْ سَكُو لَاستِكَا، كَانَ طَلَابُ الصَّفِ الرَّابِعِ مُجَمِّعِينَ فِي غُرْفَةِ الْمُوسِيقِيِّ أَثنَاءِ الْحَصَّةِ السَّادِسَةِ، حِيثُ كَانُوا يَتَدْرِبُونَ عَلَى الْقَطْعَةِ الْكُورِسِيَّةِ الَّتِي كَانَا سَنَؤَدِّيْها خَلَالَ مُشارِكتِنَا فِي حَفلَةِ الرَّبِيعِ السَّنِوِيَّةِ. كَانَ السَّيِّدُ هِيرِنْ، رَئِيسُ قَسْمِ الْمُوسِيقِيِّ، مَدْنِيًّا وَلَمْ يَكُنْ كَاهِنًا. كَانَ ضَلِيلًا فِي الْمُوسِيقِيِّ وَلَكِنْهُ لَمْ يَكُنْ صَارِمًا. كَانَا نَتَجَولُ فِي الْأَرْجَاءِ وَنَغْنِي "بَانَانَا" بَدَلًا مِنْ كَلْمَةِ "هُوسَانَا"، هَذَا مَا كَانَا نَفْعِلُهُ، عِنْدَمَا دَخَلَتِ الْأُخْتُ أَغْتَسَ كِعَادِتَهَا، وَاتَّجهَتْ فُورًا نَحْوَ الْبَيَانُو، حِيثُ كَانَ السَّيِّدُ هِيرِنْ يَعْزِفُ بِبِرَاعَةِ الْأَغْنِيَةِ الَّتِي كَانَا نَحَاوَلُ تَخْرِيبِهَا.

أبعد أنا ملئ عن مفاتيح البيانو في اللحظة التي رآها فيها، وهمست بشيء إليه، ووقف جميع الطلاب على منصة الكورس المهرئة بصمتٍ واحترام لأن الأخ أختس كانت صارمة ومتفانية في ذلك.

عندما طلبت مني أن أذهب معها، بدأت بالتفكير بشكلٍ مذعور بما فعلته وأدى إلى جذب انتباها. كنت متأكداً أنه لم يكن بسبب مرورها بجانب غرفة الموسيقى وسماعي أغنية "بانانا"، ولكن كما كنت أعتقد، لم أرتكب أي عملٍ شائن آخر خلال ذلك اليوم.

مشت معي إلى مكتبهما، واضعةً يداً واحدة على كتفي على طول الطريق، والذي كان أمراً غريباً، وكأنها ظنت أنني قد أحاول الهروب. نظرت إليها خلسةً، ولا حظت وجود دموعٍ في عينيها. وفكرت في مدى سوء العقاب الذي سيتم تنفيذه قريباً، لدرجة أن هذه الأخ أخت التي لا تطبق الهراء شعرت بالشفقة على.

دخلت أمام الأخ أختس إلى مكتبهما، صدمت عندما رأيت أمي تتظرني هنالك، واقفةً أمام النافذة تنظر إلى شجر الجميز الذي بدأت الأوراق بالظهور عليه. استدارت عندما سمعتنا، والدموع تتلاألأ على وجهها.

ركضت إليها، وركعت لكي تضمني في ذراعيها، سألتها ما هو الشيء الذي فعلته. قالت: "لا شيء عزيزي، لم تفعل شيئاً. إنها جدتك، لن نراها مجدداً، جونة، لن نراها. لقد توفيت منذ قليل، وهي عند الله الآن".

قبل عشرة أشهر، عندما توفي طوني لورانزو، ظنت أنني أعلم ما تشعر به السيدة لورانزو؛ ولكنني أدركت الآن أنني لم أفهم أنها على الإطلاق. من المؤكد أن أنها كان صعباً مثل ألمي، وكان ألمي شديداً، وكان قوياً لدرجة أنني لم أستطع التنفس للحظة. وفكرت بعدها بالجد تيدي، ولم أعتقد أنه يمكنني أن أراه مثلاً بالحزن.

لأن الجدة آنيتا كانت تعمل لدى المونسینيور مكارثي ولأنها قامت

بفعل الكثير من الخير في حياتها، أقيمت النظرة الأخيرة قبل قداس الجنائز في الكاتدرائية. كان النعش محاطاً بالكثير من الزهور. بين الورود المعتادة والأقحوان كان يوجد باقة، ليست الأكبر ولكنها الأجمل، تألفت من زهور الفوانيس البيضاء ذات البلاطات المكتحلة باللون الأرجواني مع زهور الأوركيد الأرجوانية. علمت مُرسلها. أخذت بطاقة التعزية من الباقة ووضعتها في جيبي. قرأتها بعد فترة، عندما كنت وحيداً في الفراش في منزل جدي وكانت غير قادرٍ على النوم. لم يكن اسم المرسل مكتوباً على البطاقة، ولكن لم يكن ذلك ضروريًا. عرفت من أرسلها من الرسالة المطبوعة بشكلٍ أنيق، قرأتها مرات عديدة قبل أن يغلبني النعاس.

شرق الشمس

وتتفتح الزهور

وتتفتح معها أبواب الجنة

كما قلت في بداية هذه القصة، بقينا مع الجد تيدي لمدة أسبوع، وعدنا بعدها إلى شقتنا.

منعت نفسي من ترقب ردًّ من السيد يابو تامازاكى من صحيفة ديلي نيوز أو من خبير المحادثة السيد ناكاما أوتاني. راودتني أفكار خرافية، شعرت أن عدم صبري سابقاً وأن رغبني بالتشويق كانا وراء الدراما التي حصلت معنا جزئياً، أي موت الجدة آنينا.

بالطبع، ربما كان السحر عبارة عن هراء، ولكن إذا كان احتمالاً لا يكون كذلك واحداً من مليون، فإذا هنالك في مكانٍ ما صورةٌ لي وأنا نائم وعين دمية ربما تستطيع مراقبتي من بعيد، وكانتا كلتاهما في حيازة امرأة ذات عينين زرقاوين مائلتين لللون البنفسجي وذات عقل شرير وأكثر القلوب ظلمة، وكانت ستستخدم هذه الأغراض السحرية إذا عرفت طريقاً لذلك.

لم يحدث شيء أكثر أهمية حتى شهر يونيو، عندما استقالت والدتي من عملها في سلينكز عندما أراد هارمون جيسوب، المدير، منها أكثر مما ستعطيه إياه يوماً، قبلت بالعمل الأفضل في نادٍ ليلي من الدرجة الأولى يملكه ويلiam ملكارت. بالطبع، أثبتت ملكارت أنه رجل ذو نوايا غير شريفة أيضاً، وأضطرت أمي لترك العمل هذا أيضاً قبل أدائها الأول.

في الليلة التي انتقلنا فيها من شقتنا، بينما كان جدي تيدي يضع حقائبنا وأكياسنا في سيارته الكاديلاك وبينما كانت والدتي تزور السيدة لورانزو، هرعت إلى الطابق الخامس لأنباء السيد يوشيوكا بما يحصل ولأعطيه رقم هاتف جدي وعنوانه. رنلت جرس بابه كثيراً ولكنه لم يجب.

لأخبركم الحقيقة، تضليلت لأنني لم أره قبل مغادرتنا. ولكنني سأتمكن من الاتصال به على رقمه في العمل في الصباح أو على رقمه في المنزل في المساء. لن نعيش في الحي نفسه مجدداً، ولن تكون قريبين بما فيه الكفاية لاحتساء الشاي كلما رغبنا بذلك، ولكنني كنت متأكداً من أنني سأراه كل فترة وأنه سيقيني على اطلاع بمجرى التحقيق، تماماً كما كان يفعل سابقاً. لقد تشاركتنا الأسرار، ويمكن للأسرار أن تربط ما بين الناس معاً تماماً كما يفعل الحب. كما أنها تشاركتنا خصماً، خصماً هددنا كلانا، وكان لدينا هدف مشترك وهو أن نقدمها للعدالة، بعض النظر بما إذا كانت ساحرة شريرة أو أحد أعضاء جماعة بيلدريرجر، أو مجرد شخصٍ تلذذ بالعنف واشتراك في جريمة قتل والديه.

كان أول أيامنا لدى الجد تيدي هادئاً. ولكن كان هدوء الأشهر الماضية سيتهي قريباً.

في يوم الاثنين الموافق 3 يوليو، عندما التقى مالكوم، كنت أبلغ من العمر عشر سنينٍ ونصف الشهر، وكان عمره الثاني عشر عاماً وشهرين. كنت عازف بيانو قصيراً وأسود؛ أما هو فقد كان عازف ساكسوفون طويلاً وأبيض. كنت ذكياً، وإن كنت أنا من يقول ذلك، وكانت رشيق الحركة، ولكن مالكوم كان يتقدم دوماً بسرعة محسوبة، مع كتفين منحنتين، وكأنه يمشي متناولاً. من الخارج، كنا مختلفين كثيراً للدرجة أنها لن نجد أنفسنا في مجموعة المشتبه بهم نفسها لدى الشرطة.

كنت وحيداً في المنزل ذاك اليوم. لأن جدي كان يعيش في حيٌّ نسبة الجرائم فيه منخفضة ولأنني وصلت لعمرِ مؤلفٍ من خانتين عند كتابته، قالت أمي على مضض أنه يمكنني أن أبقى وحدي خلال النهار. لم تعد تعمل سوى نادلة في ولورث حتى تجد عملاً آخر في الغناء، لم تتمكن من تحمل تكاليف مربية. في الواقع، لم يكن الأمر بالسوء الذي شعرت به بوضوح، حيث لم يكن جدي يتidi ليأخذ منها قرشاً مقابل السكن والطعام. مع أن جدي قال إن وجودنا معه بحيث لم يعد وحيداً يعادل ثروة بالنسبة إليه، ومع أنها كانت نشعر بدفء المنزل أكثر مما فعلنا في شقتنا في الطابق الرابع من البناء دون مصعد، إلا أن والدتي شعرت بالغضب لأنها لم تعد مستقلة.

مقابل منحها لي الحرية في البقاء وحدي، قامت بوضع لائحة بالقواعد التي يجب على الالتزام بها، وكانت أول قاعدة منها تفيد أنه لا يجب أن أفتح الباب لغريبٍ على الإطلاق وتحت أي ظرف، حتى إذا كان يرتدي زي الشرطة، ولا حتى إذا كان يرتدي زي كاهن. في أيام الصيف الحارة هذه،

وبسبب عدم وجود تكيف هوائي، كان علينا أن نبني عدداً من النوافذ مفتوحةً لتهوية المنزل، ومع أنه كان من الممكن إغلاق النوافذ من الداخل، إلا أنه كان من الممكن قصها من الخارج أو فكها بسهولة. بناءً على ذلك، إذا حاول أحد المجرمين البغيضين اقتحام المنزل من خلال النافذة، علي وعلى الفور أن أبدأ بالصرخ بأعلى صوتٍ عندي طالباً المساعدة؛ وعليَّ أن أهرع إلى الطابق الثاني وأغلق الباب على نفسي في غرفة النوم الرئيسية، وأفتح إحدى النوافذ وأتسلق لأصل إلى سطح الشرفة الأمامية وأتابع الصراخ حتى يأتي أحد الجيران إلى الشارع ليり ما الذي أربعني إلى هذه الدرجة.

لم يكن هنالك مركز مدينة قريب لكي أذهب إليه، ولكن كان يوجد في الغرفة الأمامية من الطابق الأول بيانو رائع. رغبت بالعزف على هذه الآلة الهائلة خلال النهار، وعلمت أمي التي سأفعل ذلك؛ ولكن يبدو أنه لم يخطر لها أنتي عندما كنت أعزف على البيانو، لم أكن لأسمع اللص وهو يقتضي النافذة في الجانب الخلفي من المنزل، وإذا خطر لها ذلك، لا بد أنها طمأنت نفسها بأن اللص لن يقوم باقتحام منزلٍ يمكنه أن يسمع أحداً يعزف البيانو فيه. كنت أفعل ذلك، أعزف أغنية فاتس دومينو "آيم غونا بي إيه ويل سوم دي"، عندما قرع مالكوم جرس المنزل. كان عليه أن يقرعه خمس أو ست مرات قبل أن أصل إلى مقطعٍ هادئ في الأغنية وأتمكن من سماعه.

لم أكن قد نسيت أياً من فيينا كاسيدي أو لوکاس دراكمان، أو والدي المغازل مع لحيته الجديدة، اقتربت من الباب بحذر ومررت بقرب واحدٍ من الأضواء الجانبية. وقف على الشرفة شخص ذو مظهر غريب، فتي أبله مع تفاحة آدم ظاهرة، له كتفان منحنitan، وذراعان أطول مما يجب أن يكونا. ارتدى ملابس تشبه ملابس البالغين حيث انتعل حذاءً رسمياً أسود لاماً ومدبباً، وارتدى سروالاً رمادياً مكوناً، وقميصاً أبيضاً ذا كمین قصيرين مع خطوط طولية زرقاء رفيعة. أكره أن أقول ذلك، ولكن ارتداء ملابس البالغين

لم يعن أنه كان أنيقاً، لأنه لم يكن كذلك. كان بنطاله مثبتاً فوق سرته بإنشين، فظهر جوربه الأبيض من حذاء البروغ الأسود ما جعل جذعه يبدو صغيراً مثل جذع قزم. حتى في يومٍ صيفيٍّ حارٍ، كانت ياقه قميصه ممزوجةً وصولاً إلى عنقه.

الشيء الوحيد المثير للاهتمام فيه كان الساكسوفون الذي حمله.

بعد أن انتبه إلى وجودي فجأة بسبب النور الجانبي، ابتعد قليلاً عن الباب وواجه الزجاج وقال: "طاب مساواك".

ردت عليه: "لم يحن وقت المساء بعد، وعلى أي حال، ليس مسموحاً لي أن أفتح الباب للغرباء".

كان ذا وجهٍ شاحبٍ وعيينٍ حزينتين، كعیني كلب، ظهرت ابحجم أكبر بسبب عدسات نظارته السميكة ذات الإطار الأسود. كان شعره مزيتاً قليلاً ومسرحاً من جبهته باتجاه الخلف. لو لا الساكسوفون الذي حمله لاعتقدت أنه سيكبر ليصبح حانتياً.

قال: "أنا لست غريباً، اسمى مالكوم بوميرانتز وأنا أعيش في الجهة الأخرى من الشارع".

"أنت غريب بالنسبة إلي".

"سمعت صوت البيانو واعتقدت أن السيد بلدسو في المنزل".

"أنا لست السيد بلدسو".

"لو لم تخبرني لكنت اعتقدت ذلك، وجه الشبه بينكمما كبير".

أعجبني رده السريع، ولكن لم أكن سأتعامل معه بتساهل. "أنت شابٌ حكيم، ألاست كذلك؟".

"أنا معروفٌ لكوني كذلك. لا بد أنك جونة".

"قد أكون كذلك".

"قد تكون كذلك؟ هل أصبحت بفقدان الذاكرة؟ اسمع، أحياناً يدعني السيد بلدسو أعزف معه".

"وكيف لي أن أعرف ذلك؟ لم يذكرك أمامي مطلقاً".

"وأنا اعتقدت أنه لا يكفي عن التحدث عني. ما الذي جعلك تعتقد أن هذا الحي خطير؟".

"أمي شديدة القلق".

"بالتأكيد، أنا لست مجرد فتى بعمر الثانية عشرة مهوس بالساكسوفون. أنا في الواقع قاتل مسحور بعمر الثلاثين وأجيد التنكر. كان عزفك لدومينو رائع للغاية".

"شكراً، إنه الأروع".

"هل تعزف أشياء أخرى؟".

"كلا، أقوم بعزف أغنية (آيم غونا بي إيه ويل سوم دي) مراراً وتكراراً حتى يصاب أحد ما بالجنون. إذا سمعت لحننا ما، أستطيع عزفه فعلياً".

"أنا أستفزك فقط. أعرف كل شيء عن ذاكرتك الموسيقية، إن كان هذا اسمها. جدك يعتقد أنك عبقرى".

شعرت بالفخر بعد أن سمعته يقول ذلك، ومن ثم تذكرة قول جدي إن الموهبة عبارة عن نعمة ولا يمكن اكتسابها، وقلت: "أنا لست كذلك".  
"لم أعتقد أنك كذلك، أيها الحاج. أنا كنت فقط أقول لك ما قاله جدك عنك".

"لم دعوتنى بالحاج؟".

"كان هذا تقليدي للممثل جون واين".

"من الأفضل أن تبقى في مجال الموسيقى".

"هيه، هل تعلم من كان سي أوليفر؟".

"لقد ألف ووزع بعض الموسيقى الرائعة في الماضي، لفنانين مثل نومي دورسي، موسيقى السوينغ والبوب".

"أغاني مثل إيزى داز إت وسوينغ هاي".

قلت: "سوينغينغ أون نوثينغ هل تعرفها؟".

"دعني أدخل، وبدلاً من أن أطعنك أربعة آلاف مرة، سأعزف معك".

سألته: " وإن كنت لا تجيد العزف؟".

"بعد أن تسمعني، إذا اعتقدت أنني سيئ في العزف، سأضربك حتى الموت بهذا الفأس".

"أي فأس؟".

"أتحاول العبث معي؟ إن الفأس هو اسم الساكسوفون بلغة الشوارع".

"لا نستخدم لغة الشوارع كثيراً في عائلتنا".

فتحت الباب له، ولم يقم بطبعني أربعة آلاف مرة، ولا حتى مرة، ولم  
أعطه سبباً ليضربني حتى الموت بالساكسوفون خاصته.

اعتقدت أنها معجزةٌ صغيرة، أن مالكوم وأنا، تلميذان في الموسيقى، كنا نعيش متقابلين خلال فصل الصيف، وأن كلانا كان يحتاج إلى صديق. كنت بالنسبة إلى الأولاد الآخرين مصدرًا للسخرية، لأنني كنت قصيراً ونحيفاً كعود كعكِ مملح، وأيضاً لأن والدي لم يكن يعيش معنا. في تلك الأيام، كانت معظم عائلات السود لا تزال مؤلفة من والدين، وكانت الأمهات العازبات، سواء كن مطلقات أو غير متزوجات، موضع القيل والقال. كان معظم الأولاد يسخرون أيضاً من مالكوم، لأنه كان.. حسناً، لأنه كان مالكوم. بدوننا غير متواافقين من النظرة الأولى، ولكننا ببنينا صداقَةً ستدوم طوال العمر، وأعتقدت أنا أصبحنا صديقين في الوقت الذي غادر فيه ذلك اليوم، بعد حوالي أربع ساعات من قيامه بقرع جرس الباب.

أحياناً، عندما يكون حزيناً، يقول مالكوم إننا ربما لو لم نلتقي، لم نكن لتعاني خلال الأوقات العصيبة من حياتنا، لأننا لم نكن لتوارد في المكان الخاطئ في الزمن الخاطئ، ولكنني لم أرَ الأمر كذلك، أبداً. إن الصداقَة أمرٌ رائع، ولم تسبب السعادة التي حصلنا عليها من صداقتنا في إغراء القدر لكي يخدعنا ويتسبب لنا في أذية. لا أؤمن بوجود القدر، هناك فقط الإرادة الحرة، وكنا في طريق الإرادة الحرة الخاصة بغيرنا حين قرروا تنفيذ عمل الشيطان. إن الناس يقومون بتنفيذ عمل الشيطان أينما ذهبوا؛ ليس هنالك طريقة لتجنب ذلك سوى أن تذهب لتعيش على قمة جبل في مكان ما، على بُعد مئات الأميال من الجميع.

على أية حال، لم تكن ليلة الاثنين ليلةً يعزف فيها الجد تيدي في الفندق.

بعد أن ينهي وصلته في قسم الأزياء من المتجر الكبير الفاخر في وسط المدينة، كان يقوم بأخذ سيلفيا من مطعم ولورث ويعودان إلى المنزل سويةً. توقعت مجئهما حوالي الساعة الخامسة.

بعد أن غادر مالكوم، شغلت التل vaz واكتشفت أنه قد تمت مقاطعة البث الاعتيادي بسبب وجود أخبار عاجلة. لاحقاً خلال ذلك العام، ازداد عدد المتظاهرين ضد الحرب، وخرجت مسيرة أمام وزارة الدفاع الأمريكية انتهت بالعنف وعمليات الاعتقال. ومع أن مديتها كانت تعتبر أنها على وشك أن تشهد ثورة اجتماعية، إلا أنها، ولسببٍ ما، شهدنا اثنين من أكبر المظاهرات وأكثرها عصفاً ذلك الصيف، وكأن المنظمات المختلفة المناهضة للحرب قررت أن تتدرب هنا قبل أن تنتقل إلى أماكن أكثر شهرةً خلال الخريف.

كانت المظاهرة ذاك اليوم في جامعة المدينة. كان هنالك حشدًّ من ثلاثة أو أربعة آلاف شخص يتذدون الجامعة بخصوص برنامجها لتدريب ضباط الاحتياط، كما كان هنالك كتائب من الشرطة مجهزة بعدة مكافحة الشغب وكانوا يحاولون منع الحشود من اقتحام المبني الذي أرادوا أن يستولوا عليه. كانت أعمال الشغب العرقية في ديترويت قد انتهت في اليوم السابق، واستمر مذيع الأخبار بالرجوع إلى تلك القصة بينما كان يعطي الأحداث الحالية، وكان يكرر من فترة لفترة ما قاله عمدة مدينة ديترويت جيروم كافانو حول ما حصل لاحقاً: "يبدو الوضع وكأنه ما كان يحصل في برلين عام 1945".

مع أن أمي كانت قد أخبرتني أن ما يظهر في الأخبار ليس ما يحصل حقاً، وأنها تشمل فقط ما يريدون منك أن تعرفه، وجدت نفسي متسلماً أمام التل vaz أتابع الفوضى الحاصلة، ولم أتحرك حتى عندما عرض فاصل إعلاني. في تلك الأيام، كانت شركات السجائر لا تزال تعرض إعلاناتها على التل vaz، ولكن لم يكن ذلك ممكناً بالنسبة إلى المحامين؛ بعض التغييرات تكون للأفضل، وبعضها الآخر للأسوأ.

بعد ثوانٍ من عودة المحطة من الفاصل الإعلاني إلى الفوضى الحاصلة في جامعة المدينة، رأيت السيد سمولر. كان معظم الموجودين في الحشد بعمر الجامعة، ولكن كان من بينهم من هو أكبر سنًا، كان مشرف بنايتها السابق ييدو - ومن دون أن أبدو قاسياً لقولي ذلك - وكأنه غوريلا بين الغزلان. ربط رأسه برباط رأس ملون غطى شعره الأشعث المنكوش، ولكنه كان لا يزال رجلاً قصيراً ذا وسطٍ سمين، وارتدى بلوزة من دون كميين كشفت عن كمية مرعبة من الجلد المشعر. ذاك الجلد المشعر كان كافياً للتعریف عنه. من بين كل أولئك الظاهرين في اللقطة، بدا هو الأكثر غضباً، وكان يصرخ على الشرطة بقوّة كبيرة لدرجة أن لعابه كان يتطاير، وكان يلوح بقبضته في الهواء، ووجهه اتضحت عليه علامات الحق.

نهضت من الكرسي وركعت على ركبتي مباشرة أمام التلفاز، مذهولاً من هذا المشهد ومن اكتشافي لهذا الجانب الناشط من السيد سمولر، ولكن ربما أكثر شيءٍ دهشتي هو أن تلك المرة كانت المرة الأولى التي أرى فيها شخصاً أعرفه على التلفاز. في تلك اللحظة، رأيت ثاني شخص أعرفه. ارتدت سروال جينز مع بلوزة مكشوفة الكتفين وقبعة ظريفة مع شريط بدت وكأنها لا تناسب هذا الحدث. وعلى عكس من كان حولها، لم تصرخ أو تلوح بيدها، ولم تحمل لافتة، بل كانت تلتقط الصور بكاميرا صغيرة وتراقب الجميع من حولها وكأنها تسجل ملاحظات ذهنية كثيرة. ربما كانت الآنسة ديلفайн تجمع قصصاً لتكتب مقالةً في الصحيفة أو لتكتب عنها في روايةٍ بعد روایتها عن الروديو.

علمت حينها من دون شك أنه لو مالت الكاميرا إلى اليسار كنت سأرى والدي معها، متالقاً بلحيته الجديدة. تيلتون لم يؤمن بشيءٍ سوى تيلتون، ولم يكن من المنطقي أن يخاطر بأن يتعرض لضررٍ من عصا شرطي على الوجه الذي يستمتع برؤيته على المرأة. ولكنه كان هنالك، شعرت بذلك. ربما كان

هنا لك فقط من أجل الآنسة ديلفابين. لقد كانت مثيرة، ولا أعني ذلك لأنه كان يوماً صيفياً حاراً. مع أنني كنت بعمر العاشرة فقط، إلا أنني كنت أعرف الإثارة حين أراها.

تحركت الكاميرا الجهة اليسار، وفجأة ظهر، والدي العزيز، كان يرتدي قميص أبي شيرت أسود اللون بدلاً من البلوزة السوداء ذات الباقة العالية التي كان يرتديها منذ أكثر من ستة أشهر مضت حين رأيته في مطعم ذا روبيال. كان لا يزال يطلق لحيته. وشعره القصير قد نما ليصبح بقصبة آفرو متوسطة الطول. كانت تتدلّى ميدالية فضية كبيرة مع سلسلة من حول عنقه على صدره كما رأيت ذلك في المطعم. بالعودة إلى يوم 29 ديسمبر، لم أستطع تمييز ما كانت تعبّر عنه مجواهاته؛ على التلفاز كانت الميدالية واضحة، وكانت عبارة عن إشارة سلام.

رؤيه تيلتون في هذا السياق كانت تتجاوز توقعاتي لدرجة أنني كنت مشدوهاً ومذهولاً، كان كل من عقلي وقلبي مغموراً بالمشاعر. مثل الآنسة ديلفابين، لم يعبر عن الغضب المستحق للمتظاهرين الذين كان يتحرك بينهم. حتى أنه بدا مستمتعاً بعض الشيء بالشغف الذي أظهروه، كان يبدو حذراً بعض الشيء، ناقلاً نظره هنا وهناك بشكلٍ مستمر....

فاجأت نفسي عندما قلت بصوتٍ عالي: "ما الذي يحاولون فعله؟".

حدثني حدسي، بناءً على تجربتي مع والدي، وتيقنت أنه والسيدة ديلفابين، وحتى السيد سمولر، لم يكونوا في مظاهره جامعة المدينة لأنهم اعتقدوا أن الحرب غير أخلاقية ولأنهم أملوا أن يوقفوها. لا بد أن شيئاً آخر كان يحصل.

ومع أنني توقعت أنني سأرى بعد ذلك لوكاس دراكمان وفيونا كاسيدي، إلا أن الأخبار انتقلت إلى ديترويت للتحدث عن الخراب المتفحّم والذي لا زال الدخان يتتصاعد منه والذي خلفته أعمال الشغب التي انتهت مؤخراً.

عندما سمعت صوت باب سيارة يغلق، وقفـت ورأـيت سيـارة جـدي الكـاديلاـك  
تُرـكـن أمامـ المـنزلـ، فأطفـلـاتـ التـلفـازـ.

عـندـمـا دـخـلـ كـلـ مـنـ جـديـ وأـمـيـ مـنـ الـبـابـ الأـمـامـيـ وـنـادـيـانـيـ رـدـدـتـ  
عـلـيـهـمـاـ مـنـ الـمـطـبـخـ، حـيـثـ كـنـتـ مـشـغـلـاـ بـإـعـدـادـ مـائـدـةـ الـطـعـامـ مـنـ أـجـلـ العـشـاءـ.  
كـانـاـ قـدـ مـرـاـ بـالـمـتـجـرـ لـشـرـاءـ لـحـمـ الـخـاصـرـةـ الطـازـجـ وـغـيرـهـ مـنـ الـأـشـيـاءـ. أـثـنـاءـ  
وـجـةـ الـعـشـاءـ، اـسـتـمـتـعـنـاـ بـتـنـاـولـ سـلـطـةـ الـطـمـاطـمـ وـالـخـيـارـ، شـرـائـحـ الـلـحـمـ، الـبـقـولـ  
الـمـشـوـيـةـ، وـالـبـطـاطـاـ الـتـيـ قـامـ جـديـ بـتـقطـيعـهـ إـلـىـ شـرـائـحـ رـقـيقـةـ وـقـلـاـهـاـ فـيـ مـقـلـةـ  
حـدـيدـيـةـ كـبـيرـةـ مـعـ الزـبـدـةـ وـقـلـيلـ مـنـ الـفـلـفـلـ الـأـخـضـرـ.

بـيـنـمـاـ كـنـاـ نـتـاـولـ الـطـعـامـ عـلـىـ الـطاـلـوـلـ، تـشـارـكـنـاـ أـحـدـاثـ الـيـوـمـ. بـعـدـ شـهـرـيـنـ  
وـنـصـفـ مـنـ وـفـاةـ الـجـدـةـ آـنـيـتاـ، تـمـكـنـ جـديـ مـنـ الـابـتـسـامـ مـجـدـداـ وـمـنـ الـضـحـكـ  
حـتـىـ فـيـ بـعـضـ الـأـوـقـاتـ، مـعـ أـنـهـ تـبـقـيـ شـيـءـ مـنـ الـحـزـنـ فـيـ دـاخـلـهـ، وـكـانـ ذـلـكـ  
جـلـيـاـ عـنـدـمـاـ كـانـ يـعـتـقـدـ أـنـكـ لـاـ تـنـظـرـ إـلـيـهـ وـكـانـ أـقـلـ وـضـوـحاـ إـذـاـ عـلـمـ أـنـكـ تـنـظـرـ.  
أـخـبـرـتـهـمـاـ عـنـ مـالـكـومـ بـوـمـيرـانـزـ، وـعـنـ كـيـفـيـةـ مـحاـوـلـتـهـ كـثـيرـاـ أـنـ يـقـنـعـنـيـ أـنـهـ  
لـمـ يـكـنـ بـقـاتـلـ غـرـيبـ، وـكـيـفـ قـضـيـنـاـ وـقـتـاـ مـمـتـعـاـ فـيـ الـعـزـفـ سـوـيـةـ مـعـ أـنـ الـبـيـانـوـ  
وـالـسـاـكـسـوـفـونـ كـانـاـ آـنـيـنـ مـوـسـيـقـيـتـيـنـ غـرـبـيـتـيـنـ سـوـيـةـ. لـمـ أـذـكـرـ أـنـيـ رـأـيـتـ وـالـدـيـ  
عـلـىـ الـتـلـفـازـ، لـأـنـيـ أـعـرـفـ نـفـسـيـ بـمـاـ فـيـهـ الـكـفـاـيـةـ لـأـدـرـكـ أـنـيـ إـذـاـ بـدـأـتـ بـالـحـدـيـثـ  
عـنـهـ قـدـ أـتـابـعـ الـحـدـيـثـ وـأـخـبـرـهـمـاـ عـنـ الـآنـسـةـ دـيـلـفـايـنـ. لـمـ أـرـدـ أـنـ أـجـرـحـ وـالـدـيـ،  
عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـهـ يـئـسـتـ مـنـ تـيـلـتوـنـ، إـلـاـ أـنـهـ قـدـ تـشـعـرـ بـالـأـلـمـ إـذـاـ عـلـمـتـ أـنـ  
الـآنـسـةـ دـيـلـفـايـنـ كـانـتـ مـعـهـ.

لاحقاً، كنت مستلقياً في السرير مع نسخة من كتاب "وحش النجم" لروبرت هاينلайн، حيث كنت قد باشرت قراءته في الليلة السابقة. كانت القصة مثيرة للضحك، ضحكت كثيراً في الليلة السابقة بينما كنت أقرأ. ولكن الآن، لم أستطع أن أزيل فكرة رؤيتي لتيلتون على التلفاز من رأسي، وأصبحت المشاهد التي كانت لتجعلني أنفجر من الضحك سابقاً بالكاد تجعلني أبسم. كان باب غرفتي مفتوحاً جزئياً، فظهرت أمي على العتبة وقالت: "مرحباً أيها الشاب الكبير، هل لديك دقيقة؟".

"حسناً، كنت على وشك ارتداء ملابسي والذهاب من ملهي إلى آخر، ومن ثم ركوب طائرتي الخاصة إلى باريس لأنناول الفطور".

"متى تغادر طائرتك؟" سألت بعد أن دخلت الغرفة.

"إنها طائرة خاصة، أستطيع أن أغادر حينما أشاء".

"لا بد أنك كنت تقوم بجمع نقود الطعام، أليس كذلك؟".

"وكنت أشتهرها بشكلٍ صحيح".

جلست على حافة السرير وقالت: "هل أنت سعيد هنا، عزيزي؟".

"في منزل جدي؟ بالطبع. إنه أفضل من شقتنا. إنه مكانٌ هادئ".

"وغرفتك أوسع".

"ويانو في غرفة الجلوس. ولا يوجد صراصير".

"من اللطيف أن يكون هنالك حمام آخر، ولو كان فيه دشٌ فقط من دون حوض استحمام".

وضعت كتابي جانباً وقلت: "لكني مشتاقٌ لجدي".

"أشتاق إليها حتى آخر يومٍ من حياتي، عزيزي. لكنها خلفت الكثير من الحب في هذا المنزل، أشعر به في كل مكان".

أمسكت يدي اليسرى وقبلت كل اصبع فيها. لطالما فعلت مثل هذه الأشياء. لن أنسى الأشياء اللطيفة التي قامت بها أبداً.  
"يروق لك مالكوم، أليس كذلك؟".  
"نعم، إنه لطيف".

"أنا مسروورة لأنك وجدت صديقاً بهذه السرعة. جاءت إحداهن لتناول الغداء في المطعم اليوم وتركت معها رسالة لك. قالت إنك طفل لطيف ومهذب، وكنت فخورة بك للغاية".  
سألت: "من هي؟".

"لم أرها من قبل، ولكنها قالت إنها سكنت في بنايتنا لفترة قصيرة. قالت إنها التقت بك في البهو وعلى الدرج عدة مرات. اسمها إيف آدامز، هل تذكرها؟".

إذا كنت أشك يوماً أنني قد أصبح ممثلاً أفضل من موسيقي، كانت تلك هي اللحظة. "الآنسة آدامز، نعم. سيدة جميلة ذات عينين بنفسجيتين. كان ذلك في بداية الصيف الماضي".  
"لكنك لم تذكرها".

"رأيتها عدة مراتٍ فقط أثناء مجئها وذهابها، شيءٌ من هذا القبيل".  
قالت إنها مصورة".

"لم أعرف تماماً ماذا كانت تفعل".  
قالت إنها تملك صورةً لك وأنها إحدى صورها المفضلة".  
عبست وكأنني أحياول التذكر. "نعم، طلبت أن تلتقط صوري مرة، في مدخل البناء. لا أعرف لماذا".

"قالت إنك وسيم جداً وجذاب للتصوير. من الواضح أنها تملك خبرة مصور من الدرجة الأولى".

تظاهرت أنني محرج من الإطراء. "أجل، أنا وسيم كالممثل روك هدسون". شعرت بالخزي، لأنني كنت طفلاً يكذب على والدته، وربما لأنني

لن أكون قادرًا على التخلص من ذلك أبدًا.

قبلتني على جبتي وقالت: "لم أقصد أن أقاطعك وأنت تقرأ، أعلم أنك تحب هاينلاين".

"إنه كاتب جيد، لم تقاطعني".

وهي تنهمض عن السرير قالت: "أحبك، جونة".  
"وأنا أيضاً".

"لا تنس أن تتلو صلواتك".

"لن أنسى".

وهي تغادر وتغلق الباب قالت: "نوماً هنيئاً، سيد هدسون".

شعرت وكأنني أسفل السفلاء.

بعدها، لم أشعر باهتمامٍ تجاه كتاب "وحش النجم".

تلوت صلواتي وأطفأت النور، ولكتنى لم أتوقع أن أنام بشكلٍ جيد.  
في رأسي، لم أستطع التوقف عن سماع فيونا كاسidi وهي تقول لي منذ  
حوالي السنة: إذا كنت تحب أمك، عليك بالتفكير بما قلت. أنا أحب أن أقطع  
الناس إرباً، سأغيّر وجهها في أقل من دقيقة.

في وسط الظلام، كان هنالك شيءٌ يدغدغني في فتحة أنفي اليسرى  
باستمرار، ولكن لم يكن هنالك شيءٌ. لم تكن دغدغة حقاً، بل كانت ذكرى  
حسية عن طرف السكين البارد الذي هددتني به فيونا.

مهما كان الذي يخططون له كل من فيونا كاسidi ولو كاس دراكمان  
والسيد سمولر والأنسة ديلفابين، إذا كانوا حقاً يتآمرون سويةً، لا بد أنهم كانوا  
سيقومون بتنفيذ ما يتآمرون عليه قريباً. لم يكن السبب وراء ذهاب الساحرة  
ذات العينين البنفسجيتين إلى مطعم ولورث لتناول الغداء بل لتوصيل إطراء  
إلي عن طريق والدتي، إطراء لم يكن في الواقع سوى تهديد، لكي لا أنسى  
عواقب ألا أبقي فمي مغلقاً.

ما سيلي يستند إلى قيل وقال. ولأن المصدر كان السيد يوشيوكا، فأنا متأكد من أنه قد حصل حقاً.

في الوقت الذي كانت أمي تخبرني عن تناول إيف آدامز الغداء في مطعم ولورث، كان السيد يابو تامازاكى من صحيفة ديلي نيوز جالساً على كرسي المطبخ في شقتها، في جزء آخر من المدينة، يتمعن في بيان الركاب الخاص بالرحلة البحرية التي حجزت فيها السيدة ريناتا كولشاك في أكتوبر من عام 1961 لتقوم برحمة أودت بها إلى الموت.

ولأنه كان يتبع تحقيقه ضد رغبة رؤسائه في الصحيفة، أكمل السيد تامازاكى تحقيقه ببطء وحذر شديدين. تم تأخيره أيضاً بسبب سبل التحقيق التي اتضحت لاحقاً أنها نهايات مسدودة. بعد جهدٍ وصبر، وجد شخصاً يمكنه التواصل معه داخل شركة الرحلات البحرية، السيدة ريبيكا تريماین، المعروفة سابقاً باسم ريبيكا آريكاوا.

في عام 1942، عندما كانت ريبيكا بعمر الثانية عشرة، نُقلت من بيت التبني وأُرسلت إلى قرية الأطفال، وهو معسكر للأيتام في مانزانار. في العام التالي، اغتصبها أحد المعتقلين البالغ من العمر تسعة عشر عاماً والذي كان عضواً في عصابة. تم نقل المُغتصب إلى معسكرٍ أكثر تشديداً في بحيرة تول، حيث مثل أمام المحكمة.

لاحقاً في عام 1944، أعيدت ريبيكا بعمر الرابعة عشرة إلى منزل والديها بالتبني، سارة ولويس والتون، اللذين بدأا بعملية التبني. مع مساعدة عائلة محبة، تغلبت على المحنـة التي مرت بها بسبب الاغتصاب وتزوجت في النهاية.

بنصيحةٍ من المحامين الخاصين بالشركة، احتفظت شركة الرحلات البحرية ببيانات الركاب لكل رحلة لمدة عشر سنوات. مع أن لائحة الأسماء والعناوين تلك كانت من أملاك الشركة - مصدر للعملاء المستقبليين المحتملين - إلا أن ربيكا كانت مقتنعة أن السيد تاما زاكى، المعروف بنزاهته، لم يكن لديه أية نية في إيذاء الشركة التي تعمل لديها بأى شكل.

احتوى بيان الركاب 1136 اسمًا. لم يتوقع السيد تاما زاكى أن يجد اسم لوکاس دراكمان فيها، وفعلاً لم يجده. كان يبحث عن اسم مشير للارتباط - مثل اسم إيف آدامز - وعن أي دليل على الزيف في العناوين، أو عن الأحرف الأولى D.L.، لأن كلاً من المجرمين ذوي الذكاء المحدود والمجرمين الأذكياء ولكن المتعرجين كانوا يستخدمون أسماء مستعارة مستخدمين هذا التشابه مع أسمائهم.

كانت ريناتا كولشاك الراكب رقم 50 لأنها حجزت مبكراً. بينما كان يتفقد البيان، وضع السيد تاما زاكى بعض العلامات بقلم أحمر، ليراجعها لاحقاً، ولكن عندما وصل إلى الراكب رقم 943، كان متأكداً أنه وصل إلى ضالته. الاسم دوغلاس ت. آثيرتون كان مألوفاً بالنسبة إليه، ولكنه لم يعرف لماذا. كان عنوان الراكب مشيراً للاهتمام أيضاً: تشارلستون إيلينوي، والتي اكتشف أنها تبعد حوالي اثنى عشر ميلاً شرق ماتون، حيث كان يذهب لوکاس دراكمان إلى أكاديمية عسكرية خاصة وتخرج منها.

بعد تفقد ملف القضية بشكلٍ سريع اتضح أن عميد الأكاديمية العسكرية حينها كان يدعى دوغلاس ت. آثيرتون.

لم تكن الساعة متأخرة لدرجة أنه من المحرج إجراء مكالمة هاتفية. معرفاً عن نفسه بجراة مع الجملة "من صحفة ديلي نيوز"، طلب السيد تاما زاكى التحدث مع العميد وقيل له أنه عليه الاتصال مجدداً في أوقات الدوام الرسمية. تجرأ أيضاً وقال إن لديه سؤالاً هاماً للعميد، وإنه يشمل جريمةً يُعاقب عليها

بالإعدام، وأنه لم يحتج سوى لدقيقتين من وقت السيد آثيرتون، وبناء عليه تم تحويل مكالنته إلى خط منزل العميد في الحرم الجامعي.

قال العميد: "أؤكد لك، سيد تاما زاكى، أننى لم أسافر وحدى إلى الكاريبي في شهر أكتوبر من عام 1961، أو في أي وقتٍ آخر، منذ زواجى قبل تسعه عشر عاماً، لم أذهب في عطلة دون زوجتى". لم يستطع إخفاء نبرة الندم في صوته. "كما أننى لن أقوم أبداً برحلاً بحرية لمدة أسبوعين خلال العام الدراسى. أعتبر ذلك تقصيراً في أداء الواجب، نظراً لأن أحد أولئك المشاكسين قد يتسبب بمشاكل أثناء غيابي". ما كان واضحاً، هو أن العميد لم يعلم بضياع والدة أحد الطلاب السابقين أثناء رحلة بحرية بعد عامين ونصف من تخرج ذاك الطالب. "لا بد أنك تبحث عن دوغلاس آثيرتون آخر".

صدق السيد تاما زاكى العميد. بدا الأمر ممكناً بالنسبة إلى شخصية لو كاس دراكمان الذي قد يبعث بالاسم المستعار الذى استخدمه لارتكاب جرائم القتل. إنها دعابةٌ صبيانية لن تُضحك أحداً سواه والمتأمرين معه الذين كانوا غير ناضجين أيضاً.

إن استخدام لو كاس دراكمان لاسم العميد - حيث استخدم هوية مزورة ليبدو صادقاً - لن يكون كافياً لإدانته. لم يكن دليلاً مقبولاً في المحكمة، لأنه لا يوجد رابط يدل على من قام بالاحتجاز في الرحلة البحرية تحت ذلك الاسم. إذا استطعنا أن نعرف شيئاً عن هوية الشخص الذى استأجر صندوق البريد في تشارلستون والذي أرسلت إليه بطاقة الرحلة البحرية، قد نستطيع أن نتابع القضية ضد دراكمان.

عندما علم السيد يوشيوكا بذلك، اعتقد هو والسيد تاما زاكى أن هذا الاكتشاف بدا واعداً وأنه مع بعض الحظ قد يتم تحقيق العدالة بحق السيد دراكمان الشاب وتؤام كاسيدى وأaron كولشاك وأى شخصٍ آخر متآمر معهم، حيث قد يكون والدى من بينهم. إذا كان ذلك سيحصل، فلن يشكلوا بعدها

تهديداً لي أو لوالدتي أو للسيد يوشيوكا.

بالنظر إلى الماضي، يمكن أن نعتبر أن الاكتشاف الذي وجده السيد تامازاكي كان بداية تشكل عاصفة، وبعد قليلٍ من الوقت، ستغير تلك العاصفة مجرى حياتنا جميعاً، وليس للأفضل.

يوم الثلاثاء الموافق 4 يوليو، ذهبنا لتناول العشاء في الحديقة. بدأت الألعاب النارية عندما خيم الظلام، وتلألأ السماء بألوان متالية. انطلقت والدتي والجد تيدي معاً صباح الأربعاء. عرض مطعم ولوثر على والدتي وردية عمل أطول من ورديتها السابقة، مع أنها كانت محبطة لأنها لم تستطع إيجاد عمل في الغناء إلا أنها قد احتاجت العمل لساعات إضافية. استمر جدي بالأداء لخمسة أيام في الأسبوع في الفندق، ولكنه قام بالأداء لمرتين إضافيتين في وقت الظهيرة في المتجر الكبير. كنت أبقى وحدي في المنزل يومياً حتى تبدأ المدرسة في الخريف.

ذاك الصباح، جلست على درج الشرفة، آملاً أن يراني مالكوم ويعتبر ذلك دعوةً لكي يأتي ونملاً غرفة الجلوس بالموسيقى مجدداً. كنت قد أهملت البحث عن منزل عائلة بوميرانتز بين المنازل الموجودة مقابل منزلي. إذاأتى، لن أستطيع إخباره بأي مما كنت أخفيه عن والدتي. في الواقع، لم أجرب على إخباره بأيٍّ من ذلك. ولكن لم يستطع كتاب "وحش النجم" أو أي كتاب آخر أن يخلصني من قلقني ويعود بي إلى حالة الاهتمام فقط، ولا حتى التمرن على البيانو لوحدي. على الأقل مع مالكوم، وبسبب إتقانه للعزف وذكائه في التحدث، يمكن أن أكون مشتت الذهن لدرجة أنني لن أفكر في سيناريوهات جرائم القتل واحدةً تلو الأخرى.

عندما مشت المرأة على طول الرصيف من جهة اليسار، تحت أشعة الشمس وظلل الأشجار، لم أعرها في البداية اهتمامي، كنت منشغل التفكير بكل الأحداث الرهيبة التي تخيلت حصولها. كنت متتبهاً أنها كانت ترتدي

مثلاً ارتدت الجدة آنيتا للعمل في مكتب المونسنيور: حذاء أسود أنيقاً ذا كعب منخفض، بدلة ذات لون رمادي داكن مؤلفة من تنورة تصل إلى تحت الركبة وسترة تصل إلى الوركين، وببلوزة بيضاء. عندما استدارت ناحية ممشانا الأمامي، شاهدتها تعتمر قبعة سوداء مصنوعة من القش مع تاج ناعم، وحواف مستقيمة، وثلاث ريش زرقاء. عرفت من كانت.

نهضت وقالت: "آنسة بيرل".

"ابق حيث أنت، داكس. لا أتوقع أنك ستترقص معي. سأشاركك بعض خطواتٍ فقط".

لم أرها منذ شهر يونيو في العام السابق، بعد يومٍ من قيام والدتي بحزم حاجيات والدي وحبسه خارج الشقة. كانت الآنسة بيرل بين الحضور في قاعة أبيغل لويس توماس، حيث استمعت لأمي وهي تغني بينما كنت أعزف على البيانو. لم أرها سوى مرتين من قبل؛ لم أحتسِب المرتين اللتين كانت موجودةً فيهما في الظلام بعد حلم، لأنها في إحداها كانت مجرد صوت وفي المرة الثانية كانت صوتاً وظلاً.

كانت تفوح منها رائحة عطر الورد، جلست ووضعت حقيبتها السوداء الكبيرة بيننا. كانت لا تزال طويلة وجميلة وتشبه شجرة الماهوجاني، ولكن لم تكن بنفس أناقتها حين كانت ترتدي اللون الزهري الذي يشبه لون طيور الفلامينغو.

"كيف حالك، داكس؟".

"لست جيداً".

"نعم، أرى أنك تبدو كئيباً كما كنت في أول يوم رأيتكم فيه في مدخل بنایتكم. بذوق وكأنك ملك الكآبة ذاك اليوم، وكأنك كنت جالساً على مسامير وتمضغ دبابيس. هل تذكر السبب وراء حزنك ذاك اليوم؟".

"أعتقد أن السبب وراء ذلك كان... عدم سماح تيلتون لي بأخذ الدروس"

لأصبح عازف بيانو".

"وكيف جرى ذلك بعدها؟".

"جرى بطريقةٍ جيدة، بحسب اعتقادي".

"بحسب اعتقادك؟ لا تقل ذلك. لقد أصبحت عازف بيانو حتى قبل تحولك إلى رجل".

"شكراً لك على البيانو، آنسة بيرل".

"أتري؟ إذا اكتأبت وعبست في وجه العالم، سيعبس العالم في وجهك أيضاً. إنها حلقة مفرغة ولا داعي لها. هذا يومٌ مشمسٌ وجميل، أليس كذلك؟". "ماذا؟".

"لديك عينان يا فتى، انظر حولك، انظر حولك!".

"بالطبع، إنه يومٌ مشمس".

"إذاً عليك أن تكون مشرقاً أيضاً، وستحصل أمورٌ جيدة معك، أفضل من تلك التي ستحصل إن لم تكن كذلك".

"لدي مشاكل أكبر الآن مما فعلت حينها، أكبر بكثير. التفكير بشكلٍ مشرق لن يساعدني".

قوست حاجباً واحداً وقالت: "هل تقصد والدك والآنسة ديلفابين، وصراح السيد سمولر مثل المسعور على الشرطة، وذهاب فيونا كاسيدي إلى مطعم ولورث، وتأمر لوکاس دراكمان مع والدك ويقيتهم؟".

رأيت عينيها، ومثل ما كانت سابقاً، لم أر شيئاً مخيفاً فيهما. يساعد الناس بعضهم بعضاً بكل طيبة، وليس بالأمر الهام أن تمعن النظر في أعينهم وترى ذلك. ولكن في عينيها البنيتين الدافترين، رأيت طيبةً لا تصاهي ولا تنضب. وكانت تتلألآن أيضاً، ليس بفعل نور شمس الصباح؛ بل كانت وكأنها تنظر إلى مجموعة براقة من الألماس، بدلاً من نظرها إلى. علق النفس في حلقي - لم أعرف لماذا - وكانت مملوءاً بالدهشة وبحسٍ من الغموض لدرجة أنني ظنت

أنتي كنت على وشك فقدان الوعي.

وضعت يدأ على كتفي، وكانت تلك اللمسة الرقيقة كافية لإيقاظي من الحالة التي استولت علي، واستطاعت بعدها التنفس من جديد. نظرت بعيداً عنها، إلى الأشجار الموجودة على الطريق، والتي بدت أكثر جمالاً بكثير مما كانت عليه قبل لحظة فقط.

عندما استطعت التكلم، قلت: "كيف عرفت بأمرهم... وبتأمرهم؟".

"حسناً، من أراك أولاً فيونا ولو كاس في حلم؟".

"نعم، كيف تمكنت من فعل ذلك؟ أنت لست بساحرة".

"إن هذا أمرٌ جلي، داكس، أنا لا أعيش في منزلٍ مصنوعٍ من الحلوي في غابةٍ مخيفة، وأنا لا أملك قدرًا كبيرة مملوءة بحساء أعين السميدل المغلي".  
"إذاً من أنت؟ مم أنت مصنوعة؟".

تكلمت بأكبر قدرٍ رأيته في حياتي من الهدوء والاتزان، قالت: "فكّر في بهذه الطريقة، جونة... أنا المدينة، روح المدينة، مصنوعة من الخيوط التي نسجتها الأرواح الطيبة التي تعود لكل أولئك الذين عاشوا وماتوا هنا، وأولئك الذي يعيشون هنا الآن. أحد خيوط روحي مستعار من روحك، وخيط آخر من روح أمك، وآخر من روح جدك. الملائين والملائين من الخيوط. خيط آخر من جدتك آنيتا. عندما حفظت الصلاة، أعطتك جدتك دولاراً فضياً وطلبت منك أن تنفقه في اليوم الذي تستجاب صلواتك فيه. بطريقتك اللطيفة، سأّلتها بشكلٍ جدي ما الذي عليك أن تشتري به، وهمست في أذنك، أن تصرف مالك لا يعني دوماً أن عليك أن تشتري شيئاً، جونة، لا تشتري شيئاً. أعطه للفقراء".  
"لا يمكن أن تعرفي هذا" حاججت.

"أليس ذلك ما قالته جدتك؟".

"نعم ولكن كيف...".

"أنا مهتمة بك بشكلٍ خاص، جونة".

قالت لي ما روته لكم في بداية هذه القصة. مثل المدينة، كانت قلقة من أنها برغم كل ما كانت تقدمه لمواطنيها، قد تخذل العديد منهم. عرفت المدينة كل جادةٍ فيها وكل شارعٍ خلفي، كل مرتفعٍ فيها وكل أعماقها بتفصيلٍ دقيق، ولكنها لم تعلم كيف هو شعور أن تكون بشرياً تعيش بين الشوارع التي تمتد آلاف الأميال. ولذا قامت، روح المدينة، بتلبس هيئةٍ بشرية لتمشي بين مواطنيها.

اعترفت مسبقاً بأنني أملك مخيلاً واسعة كطفل؛ وفي ذاك الصباح، وجدت متسعًا في مخيالي لأستوعب ما قالته الآنسة بيرل عن كونها روح المدينة التي أصبحت بشرًا. كذبت كثيراً في الفترة الأخيرة، مثل واحدٍ من أولئك البهلوانيين الذين يظهرون في برنامج إيد سوليفان شو والذين يُؤرجحون الأطباق فوق عصبي بامبو ذات أطوال مختلفة، ويهرعون جيئةً وذهاباً لإبقاءها في حركة دائمة، ويضيفون المزيد والمزيد من الأطباق حتى يبدو الأمر مستحيلاً أن ينزلوها واحداً تلو الآخر قبل أن تقع جميعاً وتتكسر على المسرح. يقولون إنه لا يمكن الكذب على كاذبٍ وتنجح في خداعه. ربما لأنني أصبحت فتى محترفاً في الكذب، أدركت الحقيقة وراء قصة الآنسة بيرل، بغض النظر عن روعة قصتها.

دون أن أعارض أي كلمةٍ قالتها، سألت: "لماذا قد تكونين - لماذا قد تكون المدينة - مهتمة بي بشكلٍ خاص؟".  
"بسبب ما أنت عليه، داكس".

"أنا فتى مضطرب فقط".  
"هذا ليس كل ما أنت عليه".  
"هذه الجزء الأكبر من الأمر".  
"كلا، هذا الجزء الأصغر".  
"هل هذا بسبب البيانو؟".

"لديك موهبة رائعة، داكس، ولكن الأمر ليس بسبب ذلك أيضاً. إنه بسبب ما أنت عليه، ولن تفهم ذلك لوقتٍ طويل".  
مررت مجموعة من السيارات في الشارع محدثة ضوضاء، وعندما عاد الهدوء، قلت: "إذاً أنت تعلمين كل شيءٍ حصل في المدينة وكل ما يحصل الآن".

"نعم، بالفعل. أندھش أحياناً من قدرتي على تتبع كل ذلك. هنالك الكثير من الأشياء المزعجة التي أفضل عدم معرفتها، أفضل أن أزيلها كلياً من رأسي، ولكنني أدرك حصولها جمیعاً على أية حال".  
"وتعرفين ما الذي سيحصل لاحقاً؟".

هزت رأسها. "هذا أمرٌ بعيد للغاية، داكس، ما يحصل لاحقاً يعود إلى جميع الأشخاص الذين يعيشون في شوارعي. دورك في ذلك أنت تحدده".  
مع أنني حاولت أن أكون مشرقاً، إلا أنني لم أستطع التخلص من الكآبة كلياً. "أنا خائفةٌ مما قد يحصل لاحقاً، ولا أعرف ما الذي عليّ فعله".  
عندما رأت أنني كنت أرتجف، وضعـت ذراعـها حولـي، ولكنـها لم تقدم

أية نصيحة.

تضـرـعت لـهـا: "قولـي لي ما الذي عليـّ فعلـه".

غنت العصافير على الأشجار، وسقست الصراصير من بين الأعشاب، سمعت موسيقى بوب مرحة صادرة من فونوغراف في المنزل المجاور، لعب ثلاثة أطفال جذلين لعبة ما على الشرفة المقابلة للمنزل، وكانت كل تلك الأصوات مزعجة للغاية بالنسبة إليّ.

"قولي لي ما عليّ فعله"، قلت مجدداً.

"هذا أمر ليس بإمكانني فعله، جونة. لقد حاولت مساعدتك قدر المستطاع سابقاً. عليك أن تقرر بنفسك ما عليك فعله بينما تحصل الأمور. ولكن أتعلم ماذا؟".

"ماذا؟".

"أنت تعلم تماماً ما عليك فعله".

"ولكني لا أعلم ذلك".

"نعم أنت تعلم بالفعل"، أصرت الآنسة بيرل، "ومهما حصل، وإن كان جيداً أو سيئاً، ستتعلم ما عليك فعله خطوة تلو الأخرى". غطيت وجهي بكلتا يدي.

جلست صامتة بقريبي لفترة من الزمن. وقالت بعدها: "إن كنت تثق بي، صدق ما سأخبرك إياه، سيساعدك ذلك في أصعب الأوقات".

سألتها وما زالت يداي تغطيان وجهي: "ما هو الأمر؟".

"مهما حصل، وإن كان أسوأ المصائب، مهما كان، سيكون كل شيء على ما يرام على المدى البعيد".

باعدت بين أصابعي لأتحدث. "قلت لتوك أنك لا تعرفين ماذا سيحدث

في المستقبل".

"أنا لا أتحدث عن المستقبل، داكس. ليس بالطريقة التي تعنيها. لا أتحدث عن غد والأسبوع القادم والشهر القادم."  
شعرت بالإحباط وقلت: "إذاً عم تتحدثين؟".

ردت: "مهما حصل، كل شيء سيكون على ما يرام على المدى البعيد. إذا آمنت بذلك، إن كنت تثق بي، لا شيء سيحصل في الأيام القادمة سيكون قادراً على تدميرك. من ناحية أخرى، إذا لم تحفظ بكلماتي هذه في أعماقك، لا أتوقع أن تحصل أمور جيدة لاحقاً".

لم أقصد البكاء، على الأقل ليس في مكان عام، وليس على درج الشرفة ليrarianي أحد المارة، ولكن انهمرت الدموع من عيني كطفل صغير. كان عمري أكثر من عشر سنوات بقليل، وكانت على مشارف الحادية عشرة، أي أنني كنت في منتصف الطريق لأتحول إلى رجل، أو هذا ما ظننت، إذا كان بوسعي أن أحمل ثقلاً ما، على إذن أن أحمله وألا أعتراض، ولكنني شعرت بالضاللة والضعف والارتباك.

بألف صوتٍ سمعته، قالت الآنسة بيرل: "داكس، سأفعل شيئاً لم أفعله سوى مرات قليلة من قبل. ولكنك مميز بالنسبة إليّ، ولذا سأعطيك هذا".  
شعرت باليأس بسبب ضعفي، مسحت الدموع من عيني باستخدام يدي.  
قلت: "ماذا ستعطييني؟".

"انظر إلى داخل حقيبتي" ربت على الحقيقة السوداء التي كانت بيننا. حملتها وابتسمت ووضعتها في حضني.  
"حقيبك؟ ما الذي قد يكون في حقيبك الغبية وكيف سيغير ذلك أي شيء؟".

"لن تعرف حتى تنظر، ولكن سامحني، لا يمكنك الحصول عليها، يمكنك النظر فقط".

"أنا فتى، لا أريد حقيقة نسائية".

إذن ألق نظرة الآن. مع أنني أحبك كثيراً، داكس، إلا أنني لا أستطيع أن أبقي هنا طوال اليوم. أنا مدينة بأكملها، والمدينة منشغلة دوماً، دوماً. على الرغم من أنني كنت قد سمعت الحقيقة عندما أخبرتني بماهيتها، قد تعتقدون أنني في مرحلة ما سأراجع نفسي وأقرر أنها امرأة مجنونة، إذا تعرضت لاستفزاز كافٍ، لكنني لم أفعل.

كانت الحقيقة كبيرة بما فيه الكفاية لتسع لكرة بولينغ وأخذية بولينغ وربما لقارورة. ثنيت الحمالات المضفرة للأسفل، فتحت الإبزيم وحدقت متحيراً، ولم أفهم في البداية ما الذي كان في داخلها.

"قرب وجهك منها، داكس، اقترب بما فيه الكفاية وسترى".

فعلت كما قالت لي، ورأيت. لم أعرف كم استغرقت التجربة بأكملها. شعرت وكأنها مرت في ثوانٍ قصيرة، ولكن بالعودة إلى الماضي، أظن أنها استغرقت ساعة أو أكثر.

عندما رفعت رأسي ونظرت حولي إلى الشارع المزدان بالأشجار والذي كانت أشعة الشمس والظلال تخيم عليه، لم أستطع للحظة أن أتذكر أي كلمة باللغة الإنكليزية، وقلت شيئاً مثل "أنتن - غاه - أونغ".

**Telegram @read4lead**

استعادت الآنسة بيرل حقيقتها وأغلقتها.

عندما سمعت صوت إغلاق الحقيقة، وقفت على قدمي، ترخت، واستندت على درابزين درج الشرفة.

ما رأيته في الحقيقة صعبني وأثارني ولكن أربكني أيضاً.

نهضت الآنسة بيرل، قلت: "ماذا؟ ما كان ذلك؟".

"أنت تعلم، داكس".

"كلا لا أعلم، أنا مرتبك ومذهول ومندهش".

"أنت تظن فقط أنك مرتبك".

"أنا أعلم أنني كذلك، وأنا حقاً كذلك".

"ارتباك سطحيٌ فقط، داكس. ولكن في أعماقك أنت تفهم، وهذا ما يهم. مع الوقت، سيختفي ارتباكك، وسيطفو فهمك العميق على السطح".  
نزلت على درج الشرفة إلى الممشى الأمامي، لم تكن بحاجة إلى التمسك بالدرازين.

لم أتحرك، كنت نصف دائخ. "أتمنى لو تستطيعين البقاء".

عندما استدارت وابتسمت، واقفةً وهي ترتدي بدلتها الرمادية وقبعتها السوداء، تذكرت ماري بوبينز. لو كانت تحمل مظلة بدلاً من تلك الحقيقة الكبيرة. لم أكن لأتفاجأ لو فتحتها وطارت في الشارع مع نسمة هواء.

"لا أستطيع أن أساعدك أكثر من ذلك، لقد ساعدتك بالفعل أكثر مما يجب. عليك أن تصمم مستقبلك بيديك، يوماً بعد يوم، من دون إنقاذه لك. كما قلت سابقاً، ما يحصل لاحقاً هو أمرٌ يعود لكل الناس الذين يعيشون في

شوارعي. وأنت من تحدد دورك".

"وماذا لو ارتكبت خطأً ومات أحد ما؟".

"الناس يموتون كل يوم. يتم اتخاذ القرارات الخاطئة، ولها عواقب. الموت جزءٌ من الحياة. إذا فكرت ملياً بذلك، ولدت أنت في عالمٍ مسكونٍ من قبل الأموات، لأن كل واحدٍ منهم سيموت يوماً ما".

تابعت مشاشانا الأمامي إلى الرصيف، استدارت إلى اليمين، لوحّت لي بيدها، وتابعت طريقها.

راقيتها حتى لم أعد أستطيع رؤيتها بسبب أشجار الشارع والظلل وأشعة الشمس والمسافة البعيدة.

لأنني كنت أعلم ما رأيته في حقيقتها ولكن لم أعلم ما كان يعنيه ذلك، ولأن فهمي لذلك تأخر كثيراً، لن أخبركم الآن ما الذي كان في الحقيقة. إنني أتحدث عن حياتي، وسأتحدث عنها بالطريقة التي تبدو منطقية لي. سأخبركم كل شيء في الوقت المناسب.

بعد أن اختفت الآنسة بيرل من أمام ناظري، دخلت متربحاً إلى المنزل لأستلقي على أريكة غرفة الجلوس حتى ينتهي دواري بشكلٍ كامل. أكدت لنفسي أنه مهما حصل، إذا حصلت أسوأ المصائب، سيكون كل شيء على ما يرام على المدى البعيد. ولكن في اليوم الخامس من يوليو عام 1967، لم يحصل أي شيء خطير بعد.

في الصباح ذاته، اتصل السيد تامازاكي من صحيفة ديلي نيوز بمعبد نيشي هونغوانجي البوذى في لوس أنجلوس. في أحد أقسام دار العبادة المزخرف هذا كانت أشياء بعض الكاليفورنيين الذين أرسلوا إلى مخيمات إعادة التوطين أثناء الحرب محفوظة. لم يتم استعادة عدد محدود من الأشياء، وقام أحد القيمين بالحفظ عليها حتى بعد كل هذه السنوات. إضافةً إلى ذلك، احتفظ القيم بلائحة طويلة من الأشخاص الذي أرسلوا إلى مخيمات إعادة التوطين، ولائحة أقصر من الأشخاص الذين أرادوا أن تكون أماكن وجودهم معروفة لأولئك الذي بقوا في المخيمات والذين قاموا بتحديث عناوينهم كل فترة لدى المعبد.

أراد السيد تامازاكي أن يعرف إذا كان المعبد يعلم بوجود أحد المعتقلين السابقين من أي من مخيمات إعادة التوطين العشرة موجود الآن في أو حول شارلس턴 في إيلينوي. وصله اتصال التأكيد خلال ساعة. كان يوجد هنالك امرأة تدعى سيتسو كونوزاوا كانت في المخيم في مواب في يوتاه، وهي تعيش الآن في شارلس턴. ووافقت مسبقاً أن تتم مشاركة عنوانها ورقم هاتفها مع السيد تامازاكي.

اتضح أن السيدة نوزاوا تتحدث كثيراً. علم السيد تامازاكي منها أنها أطلقت من مخيم مواب عندما كان عمرها عشرين عاماً، وأن عمرها الآن أربع وأربعون عاماً، وهي تعيش مع زوجها، وأنها أصبحت سيدة أعمال ناجحة. كانا يملكان مغسل سيارات ومحلين للتنظيف الجاف ومبني سكنياً. كانت ابنتهما طالبة في السنة الثانية في جامعة نورثويسترن في إيفانستون، وكانت ابنتهما

الكبرى طالبةً في سنة التخرج في جامعة بيل، وبدأ ابتهما بالدراسة للحصول على ماجستير في إدارة الأعمال من جامعة كاليفورنيا - لوس أنجلوس. أحبت أن تلعب البريدج، وعلمت أصدقائها المهتمين فن الأوريغامي، وكانت تتعلم فن الطهو الفرنسي من كتابِ الفتى جوليا شايبلد. لم تطق الاستماع لفرقة البيتلز، ولكنها أحبت موسيقى الأوزموندز مع أن يوتاه لم تمتلك جمعيات لها.

عندما تمكن السيد تاما زاكى من تفسير موقفه أخيراً ووصف المعلومات التي كان يأمل أنها ستجمعها له وافقت على الفور. كانت تعمل حالياً في المكتب الرئيسي لأحد محلات التنظيف الجاف، ولكن كان بإمكانها أن تطلب من أحدٍ ما أن يحل مكانها خلال ساعة.

بعد أن غادرت الآنسة بيرل، دخلت إلى المنزل لاستلقي على الأريكة، وغرقت في النوم على الفور. بقيت فاقد الوعي لنصف ساعة قبل أن يوقظني جرس المنزل، الذي رنَّ من دون توقف. بالطبع، لم يكن الزائر اللحوح سوى عازف الساكسوفون المهووس الذي يبلغ من العمر اثنين عشر عاماً.

بعد أن فتحت الباب، حولت عيناي ورمشت بسبب ضوء النهار القوي الذي أعماني بعد نومي الخالي من الأحلام، وتذكرت أن الشمس عبارة عن محرقة نووية مستمرة، على بعد ثلاثة وتسعين مليون ميل من بابنا.

بعد أن رأى مظهرى، قال مالكوم: "هل كنت تحتسي الكحول في هذا الوقت المبكر. ستموت بسبب فشل كبدك قبل أن تصبح مشهوراً".

حاولت ألا أكون ليئماً عند إشارتي إلى حزامه الذي كان تحت حلمتيه بضعة إنشات، قلت: "على الأقل عندما سيجدونني ميتاً سأكون أنيقاً".

"ما الذي تعنيه بذلك؟".

"لا شيء. كنت نائماً على الأريكة، لا أعرف ما الذي أقوله. تفضل بالدخول".

تجاوزت العتبة وتعثر بالبساط الموجود عند البهو، ودخلت إلى غرفة الجلوس متلكتأ. وجدت افتقاده للتناسق الجسدي محبياً، وكأنه كان يحمل صليبه مثل المشوه كوازيمودو في قصة أحدب نوتردام، ولكن لم يكن بنفس الأسى والقمامدة. لم يخجل يوماً أو يشعر بالإحراج حين كان يتمايل أثناء تجواله في غرفة، كانت رشاقته المصطنعة تلك مثيرةً للإعجاب؛ وبما أنه كان يعزف الساكسوفون بمهارة، ولذلك كان بإمكانه أن يفوز بقلب تلك الفتاة

الإجرامية التي فقدتها كوازييمودو في القصة، إذا افترضنا أنه سيلتقي ب مجرية يوماً ما.

"آمل أنني لم أجلب فأسي بلا داعٍ".

"تبدو هذه الجملة كصوت أظافر تصدر صريراً على لوحِ أسود. أرجوك لا تدعوه بالفأس".

"ماذا تريدين أن أدعوه؟".

"ساكسون، ساكسوفون، آلة النفح النحاسية، الآلة الهوائية، لا يهمني الأمر".

"بما أنه لا يهمك الأمر، سأدعوه بالفأس. عليك أن تسترخي قليلاً يا صاح. لماذا كنت تأخذ قيلولة عند الساعة العاشرة والنصف صباحاً؟".

"لأنني لم أنم جيداً". كذبت، ولكنها كانت كذبة صغيرة بيضاء لأن جنب أن يعتبرني مجنوناً لو أخبرته عن المرأة التي كانت المدينة وعما رأيته في حقيقتها.

"هيه، هل تعرف ما الذي سيساعدك على النوم بسهولة؟".  
"الاستماع إليك؟".

"كوب من الحليب قبل الخلود إلى الفراش. استعمله لتأخذ حبة بینادرل".  
"أنا لا أتعاطى المخدرات، ولن أفعل أبداً".

"بینادريل ليس من المخدرات. إنه مجرد دواء للحساسية".  
"لا أملك أية حساسيات".

"جرب العيش بطيش، جونة".

"هل تريد العزف معى؟".  
"ولم جلبت فأسي؟".

وهكذا بدأنا بالعزف. كان ذلك عام 1967، الذي كان بحلوله لموسيقى الروك تاريخ عريق، وأعجبتنا أغانٍ كثيرة، أعجبتنا حقاً، فعزفنا بعضها. ولكن في الحقيقة، كنا من محبي موسيقى الماضي، ولدنا متأخرین، وكانت قلوبنا

تنتمي إلى حقبة السوينغ. وبما أنها علمنا قبل يوم أن كلينا عرف كاتب الأغانى والموزع سي أوليفر، أخذنا مقاطع الساكسوفون والبيانو كما سمعناها على أسطوانة الفينيل، وحاولنا أن نعزفها بأمانة. عزفنا أولاً توزيعه لـ أغنية "أون ذا بيتش آت بالي بالي"، والتي قام بتوزيعها من أجل فرقة جيمي لويس فورد، وهي فرقة رائعة في أيامها، ومن بعدها عزفنا "يس إنديد!"، والتي وزعها أوليفر من أجل طومي دورسي.

عزفنا لمدة خمس عشرة دقيقة قبل أن يرن جرس الباب. عندما نهضت من أمام البيانو، استطعت أن أرى فتاةً على الشرفة. كان تبدو في السابعة عشرة، وكان شعرها الأشقر مرفوعاً على شكل ذيل حصان. كان مالكوم يستطيع رؤيتها أيضاً، قال: "إنها شقيقتي، أماليَا"، وذهب لكي يفتح لها الباب.

إذا كنتَ بعمر العاشرة، يمكنك أن تميز النساء الحسناوات عندما تراهن، ولكنك تقدرين فقط إن كنْ أكبر منك بعدين على الأقل - ومن الأفضل أكثر من ذلك - بحيث تكونان من عالمين مختلفين. أما الفتيات من عمرك في يكنَّ متطلفات في أحسن الأحوال، أو مزعجات في أسوأ الأحوال، وأحياناً غريبات، يقفن في طريق ما يرغب الفتياً في فعله.

عندما رأيت أماليَا بوميرانتز للمرة الأولى، كنت متاهياً لأن أكرهها، وربما فعلتُ لمدة نصف ساعة. كانت حسنة المظهر بما فيه الكفاية، ولكنها لم تكن جميلة في نظري. ليست مثل أمي، إلا أنه علىَّ أن أعترف أن عينيها كانتا باللون الأخضر ذاته الذي تميزت به حلوي لايڤ سيفرز المنكهة بالليمون، وكانتا مميزتين. لم يعجبني ذوقها في الملابس، والذي بدا موضعاً عن نمط الأزياء الذي لن يتحقق شقيقها أبداً: بلوزة قطنية مخططة طولياً باللونين الأزرق والأبيض ذات كمین قصيرين وياقة مفتوحة؛ بنطال أبيض متسع من الأسفل ذو خصرٍ منخفض، حزام جلدي أحمر ذو قفلٍ كبير؛ حذاء أبيض مع كعب

ونعل مطاطيين باللون الأزرق. كانت تبدو وكأنها شخصية في فيلم غادجت ولكن نُقلت من الشاطئ إلى مارينا وتم تحديثها لتناسب العام 1967.

أعتقد أنني جفلت عندما رأيتها تحمل كلارينيت في يدها، لأنه برأيي، بناءً على تكوين جميع فرق السوينغ الكلاسيكية، ليس هنالك مكان لفتاة في عالم الجاز، عدا إن كانت مغنية خلف ميكروفون.

لم تنتظر حتى أن يقدمها لي شقيقها، بل قالت: "هيه، جونة، إذا كنت ماهراً كما سمعت عنك، أنا متأكدة أنك ستعزف في حفلٍ يبعث كل بطاقاته في صالة كارنيجي قبل أن أجد شاباً أراغب بمواعيده لأكثر من مرة، إن حصل ذلك. أنا متشوقة لسماع عزفك على تلك المفاتيح". كما أنها كانت تحمل سلة رحلاتٍ صغيرة. "جلبت الغداء، سأضع الأغراض في البراد وأعود على الفور". اتجهت إلى المطبخ في الجانب الخلفي من المنزل.

عاتبت مالكوم. "لم تخبرني أن لك شقيقة".

"أليست رائعة".

"نعم، لا بأس بها".

"إنها الأفضل، سترى لاحقاً".

"لن تعزف الكلارينيت، أليس كذلك؟".

رد: "ربما، ذلك يعتمد على إذا ما أرادت أن تنضم إلينا أم لا".

"لم قد لا ترغب بذلك؟".

"إن الموسيقى ليست كل شيء بالنسبة إليها، إنها ليست عبارة عن مستقبلٍ لها، مثل ما هو الأمر بالنسبة إلينا".

قلت بازدراء: "إنها هاوية".

"لكنها ماهرة، بدأت العزف عندما كانت في التاسعة من عمرها".

"بدأت العزف في الثامنة من عمري".

"نعم، ولكنك ما زلت في العاشرة".

لم يكن لدى جواب سريع سوى "يا إلهي". صنعت إشارة الصليب بأصابعه. قالت أماليا بعد عودتها من المطبخ حاملةً الكلارينيت فقط: "أحتاج بعض الموسيقى الحيوية يا شباب، كان صباحي مملاً. غسلت الملابس، وكويت نصفها، ونظفت المطبخ، وغسلت صحون الفطور". قالت لي مباشرة: "أمي لديها العديد من الالتزامات التي تمنعها من القيام بواجبات المنزل. إنها ملتزمة بتدخين علبتين من سجائر اللاكي سترايك في اليوم، وعليها أن تقضي عدة ساعاتٍ مع السيدة جانوسكي جارتنا تقوما بتحليل زيجات الجيران المختلفين، كما عليها أن تتبع مسلسلات الظهيرة على التلفاز، وبرامج الألعاب لاحقاً، حيث قامت بتقديم طلبٍ لتكون متنافسة في أحدها. لقد كانت محبطة لأنها لم تحصل على مكان في أحد برامج الألعاب الليلية. أرادت أن تظهر في برنامج واتس ماي لайн، ولكنهم عنوا بكلمة (لайн) خط العمل، هذا كان غير منصف، كما أرادت أن تظهر في آيف غوت إيه سيكريت (الذي سرّ)، ولكن جميع الأسرار التي تملكتها تتعلق بالزيجات الحزينة للغاية التي يعيشها جيراننا، وكانت معظمها خطيرة لأن تُعرض على التلفاز". قفزت على الأريكة.

"اعزفالي بعض الموسيقى التي ستensiوني أتنى خادمة ملتزمة".

عزفنا لإلينغتون أمامها حيث بدأنا بأغنية "ساتين دول" ومن بعدها "جامب فور جوي"، محاولين قدر المستطاع أن نجتهد جو الفرقة الكاملة وجوهرها، على الرغم من علمنا بأننا كنا مغفلين حتى لمحاولة ذلك. كنا مجرد ولدين. عندما بدأنا بأغنية "إت دونت مين إيه ثينغ إف إت إينت غوت ذا سوينغ"، قفزت أماليا عن الأريكة والتقطت الكلارينيت، وعندما كان الوقت مناسباً، بدأت العزف معنا ولكن ليس بطريقة درجة لدرجة، ربما لأنها لم تعرف الأغنية جيداً، إنما اخترع نغمات من خارج الأغنية ولكن كانت متوافقة معها، استمرت بعزفها حتى وجدت إيقاعاً يمكنها المشاركة به لتعزف لحناً جديداً.

عندما انتهينا قالت: "رائع، إنكما رائعان، كان ذلك مسلياً. حان وقت الغداء. إذا لم تريدا أن ألتهم كل شيءٍ وحدي، عليكم أن تساعداني في إعداد المائدة، ولن أتحمل هراءكم حول أن الصبيان لا دخل لهما بالمطبخ".

كانت قد جلبت ثلاث شطائر سابمارين شهية وسلطة بطاطس وسلطة المعكرونة مع الزيتون الأسود وبودينغ الأرز للتحلية، حيث قامت بإعداد كل شيءٍ، أعدت الشطائر ذاك الصباح بينما كانت تقوم بغسل الملابس والأطباق، والباقي في اليوم السابق. كانت جميعها شهية للغاية، ولا أعرف ما الذي أثار إعجابي أكثر: قدرتها على الطهو أو طريقتها في تناول الطعام. كان طولها حوالي خمس أقدام وخمسة إنشات، وكانت رشيقاً مثل عارضات الأزياء ولكنها كانت تأكل بنهم وشهية ممتازة.

لم تكن شهية مالكوم مثل شهية اخته، ولكن طريقة تناول الطعام كانت أكثر حيوية منها. تناولت طبقاً كاملاً وكذلك أماليأ أما هو فقد استخدم طبقه لتناول الشطيرة فقط. استخدم طبقين صغيرين لحصتيه من سلطة البطاطا وسلطة المعكرونة، ولو كان طبقه الأساسي عبارة عن ساعة، وكانت سلطة البطاطا موضوعة عند الساعة العاشرة تماماً. تناول الأولى باستخدام شوكة إلا أنه فضل استخدام ملعقة لتناول الثانية. قطع الأطراف من شطيرته ووضعها جانبها، ولم يأكلها، ثم قطع شطيرته ثلاثة أقسام متساوية وكان دقيقاً لدرجة أنني ظنت أنّه سيخرج شريط قياس ليقيسها.

لم تعلق أماليأ على طريقة شقيقها في تناول الطعام ولم أفعل أيضاً. لكن بمرور السنوات، وبينما ازدادت إصابته بالوسواس القهري، شعرت بعض الراحة لأنني علمت أنني لم أكن السبب وراء حالته هذه، لأنه بدأ بتلك العادات قبل معرفته لي بزمنٍ طويل.

لم أقصد أن ألمح إلى أن أماليأ بوميرانتز كانت تهيمن على حديث الطاولة، إلا أنها فعلت ذلك بطريقةٍ أو بأخرى. حاولت أن تصيني، وكانت

حتى تلك اللحظة قد كسبت احترامي، ولذا تحدثت كثيراً عندما لم أكن أمضغ الطعام. لم أرغب بكرهها أكثر من ذلك، لم أستطع كرهها. كان مالكوم يبدي رأيه من وقتٍ لآخر أيضاً، لكنني لن أخبركم بكل ما قاله لأن لا شيء فيه كان مثيراً للاهتمام، ولسيب آخر، نسيت تقريباً كل ما حصل عدا ما قالته أمالي. كانت أول شخصٍ في السابعة عشرة، ذكراً أم أنثى، يهتم بالتحدث مع فتى في العاشرة من عمره لأكثر من دقيقة. لا بد أنها ظهرت لدرجةٍ ما أنها مهتمة بما كنت أقوله، ولكنها أقنعني بأنها كانت مهتمة حقاً.

أردت أن أعرف لماذا اختارت آلة الكلارينيت، قالت: "لأزعج والدي، لأن عجهمما إلى درجة أن يجعلاني أتدرب في المرأب، حيث استطعت أن أتنفس الهواء الذي كانت رائحته من الشحم والدواليب والعفن الفطري بدلاً من دخان السجائر. أمي وأبي كانوا في منافسة، ليعرفا من سيصاب بسرطان الرئة القاتل أولاً. وفي المرأب لم أضطر لسماع صوتهم الغريب اللانهائي". "إنهم يتكلمان مع توتي أكثر مما يتتكلمان أحدهما مع الآخر".

فسرت أمالي: "توتي هو البيغاء الذي يعيش في قفصٍ في غرفة جلوسنا ويراقبنا باستثناء، على الأغلب لأن هذا الحيوان، الذي يتسلط ريشه دوماً، لا يستطيع تحمل دخان السجائر أو لا يتحمل تحدث والدي إليه كطفل حتى يرغب بالصراخ. إذا سألتني، أقول إن شيئاً ما حصل بين والدي منذ زمنٍ طويلاً، وقاً كل ما يمكنهما حول الأمر، ولكنهما لم يتسامحاً أحدهما من الآخر. ولم يسامح كل منهما نفسه، ولذا لا يرغبان في التحدث حول أي شيء. يعمل والدي مشغل مخرطة. إنه في الواقع مراقب للعمال يراقب طابقاً تجارياً من مشغلي المخرطة، وهو عملٌ ذو مردود جيد، بحسب اعتقادي. ولكن بالحكم على مشغلي المخرطة الآخرين الذين التقيت بهم وعلى الناس الآخرين الذي يعمل معهم، ربما هي إحدى خصال مشغلي المخرطة أن يكونوا من النوع الصامت والقوى. لأنه لا يتحدث معه أو مع مالكوم أيضاً".

قال مالكوم: "إلا عندما يقول: اذهب إلى المرأب أو أنا أحاول متابعة التلفاز لأنسى اليوم السيئ الذي قضيته في العمل".

قالت أمالي: "ولكن والدنا ليس لئيماً على الأقل، لن يفعل ما قد يؤذى والدتنا أو يؤذينا، وهذا أمر هام. إنه ليس لئيماً أو بارداً".

خالفها مالكوم الرأي وقال: "إنه بارد".

قالت أمالي: "حسناً، نعم هو بارد، ولكن ربما هذه ليست طبيعته. ربما لم يولد هكذا. ربما الحياة جعلته بارداً، ربما أصبح كذلك بسبب كل خيبات الأمل والندم وما شابه ذلك. قد يتمنى ألا يكون كذلك، ولكنه عالق في هذه الحالة، متجمد ولا يعرف كيف يفرح".

قال مالكوم: "لقد ولد بهذا الشكل، وأخر شيء يريد القيام به هو أن يفرح". قال لي: "إن أمالي ستغادر. حصلت على منحة دراسية كاملة، ستغادر في سبتمبر. ستصبح كاتبة، إنها بارعة".

توردت وجنتها بشكل جميل. "أنا لست بارعة، مالكوم. أنا فقط مليئة بالكلمات ولدي موهبة في وضعها معاً. ولكنني لست متأكدة من أنه على الذهاب. ربما عليّ أن أحصل على عمل وأنظر بضعة أعوام. لن تغطي المنحة مصاريفي".

بدا مالكوم متضايقاً. "ستملكون مالاً لتنفقه. حتى لو لم يرد والدنا أن تذهب إلى الجامعة، ولكنه سيعطيك بعض المال بالتأكيد. وأنا أعرفك: ستحصلين على عملٍ بدوام جزئي وستحصلين على علامات مرتفعة".

أزال جميع قطع الزيتون الأسود من سلطته، ولكن لم يكن السبب وراء ذلك أنه لم يكن يحبها. عندما أنهى طبق المعكرونة، تناولها كلها.

سألت أمالي: "ألا يريد والدك أن تذهب إلى الجامعة؟".

"الأمر ليس أنه لا يريدني أن أذهب إلى الجامعة أو أن أصبح كاتبة، ربما يكره اليوم الذي سيغادر مالكوم فيه أيضاً، لأنه لا يوجد سوى والدي والبيغاء،

وسيكون الوضع لا يطاق".

قال مالكوم: "إنه يبغض أن تكملني دراستك، لأنك تملkin الآن حتى أكثر مما يملك". واقتبس "عائلة بوميرانتز ليست بحاجة للجامعة، لم يحتاجوها يوماً، نحن لا نستطيع الانسجام مع المغوروين". استدار مالكوم إليّ، وكان في عينيه الحزتين خوف من ألا تحصل أخيه على المنحة. "إنها خائفة من الذهاب إلى الجامعة كي لا تتركني وحدى في المنزل معهما، لأنني بالفعل منبوداً اجتماعياً".

قالت: "أنت لست منبوداً اجتماعياً، مالكوم. أنت فقط غريب، وسيمر ذلك".

"أنا غريب منبود اجتماعياً، وأنا فخور بذلك. إذا لم تذهب إلى الجامعة في سبتمبر سيكون ذلك بسيبي وحدى، ولا أستطيع التعايش مع ذلك، سأفجر دماغي".

"لن تفجر دماغك، أخي الصغير. أنت تغيب عن الوعي فور رؤيتك الدم، كما أنك لا تملك مسدساً".

"سأحصل على مسدس، وسأكون ميتاً قبل أن أرى الدماء. من الأفضل أن تذهب إلى الجامعة".

حاولت المساعدة. "لن يكون منبوداً اجتماعياً عندما أنهى منه يا أمالي. كما يوجد هنا لك الجد تيدي وأمي، وهو مرحب به هنا متى رغب".

بعد أن أنهينا حلوي بودينغ الأرض - والتي تناولها مالكوم باستخدام شوكة نظيفة - لم نتابع العزف. تحدثنا بينما كنا ننطف المطبخ، ثم جلسنا على الطاولة وتابعنا الحديث - وكانت هي من تحدث غالباً - ومر الوقت بسرعة.

قالت شيئاً واحداً عن مالكوم لن أنساه أبداً. "إنه يعتقد أنه موهوب موسيقياً لأنه تأثر في بينما كان يكبر، حيث رأني مع الكلارينيت منذ أن كان طفلاً صغيراً، ولكن هذا ليس صحيحاً. براعتي الموسيقية التي أملكتها،

حصلت عليها بعد الكثير من التصميم والتدريب المنهك، وهي نقطة في بحر الموهبة الطبيعية التي يتحلى بها مالكوم. لقد سمعتني أعزف جونة، سأكون جيدةً للعزف مع فرقة رقص في جمعية المحاربين القدامى وفي صالة موز، ولكن مالكوم مثلك، إنه يملك جوهرًا حقيقياً، وموهبة حقيقة. إن اهتمام أمي وأبي بالموسيقى يضاهي اهتمامهما ببطولات الشطرنج، ولذا لا يصدق مالكوم أن موهبته الموسيقية أتت منهما، ولكنها في الحقيقة أنت، تماماً مثل موهبتي في الكتابة". أدارت عينيها الخضراء إلى شقيقها وقالت: "دون وجودي هنا لدفعك وإيقائك مركزاً على مدى روحك... ماذا لو عدت إلى المنزل في عطلة عيد الميلاد ووجدتك قد تخليت عن الساكسوفون واشترت بيغاء؟".

قال مالكوم مجدداً: "إن لم تذهب إلى الجامعة في سبتمبر، سأجر دماغي".

"وحتى إن كان بإمكانك أن تفعل ذلك، أخي الصغير، من أين سيشتري فتى في الثانية عشرة مسدساً؟".

"هنا لك العديد من الناس السيئين في المدينة، والكثير من المنحطين الأشرار الذين قد يبيعون طفلاً أي شيء".

"وأنت تعرف العديد من هؤلاء المنحطين الأشرار، أليس كذلك؟".

قال مالكوم: "أنا أعمل على ذلك".

عندما حملآ آليهما ليعادرا، كانت الساعة تشير إلى الرابعة، لم أرغب أن يذهبا. حسناً لم أرغب أن تذهب أماليا إلى المنزل. كنت لا أمانع ذهاب مالكوم.

وقفت على الشرفة، وشاهدتهما يعبران الشارع. عندما رأيت أماليا للمرة الأولى، اعتتقدت أنها حسنة المظهر ولكنها غير جميلة. ولكنني الآن لم أشك في أنها بالغة الجمال. شعرت بالسوء لأنني شبّهتها بشخصية من فيلم غادجت، مع أنني لم أقل ذلك بصوتٍ عاليٍ، لأنني رأيتها الآن أنيقة. كانت

ترتدي تلك البلوزة المخططة باللونين الأبيض والأزرق والبنطال الأبيض مع الحزام الأحمر الكبير، فبدت في منتهى الطرف. أحياناً قد تكون الفتاة ذات جمال عادي، إنما تكون ظريفةً لدرجة أنك لن تلحظ حتى ذرينة من الفتيات ذوات الجمال العادي ولو كن يمشين عاريات. كانت أمالياً ظريفةً حقاً وذكية ومضحكة وحنونة.

كنت واقعاً في الحب. ولكن افهموني، في عمر العاشرة لم أقصد الحب الرومانسي. لم أبدأ بجمع ثمن خاتم الزواج ولا بدأت بالسؤال عن أماكن لقضاء شهر العسل. كان هذا نفس الحب الذي أكتنته لوالدتي وجدي تيدي، والذي بدأت أكتنه للسيد يوشيوكا، كان حباً نبيلاً وأفلاطونياً قوياً لدرجة أنني تمنيت لو كنت أمليكاً العالم لأقدمه إليها.

هناك في تشارلستون في إلينوي، أثبتت سيسوكو نوزاوا أنها عند كلمتها. لقد تأثرت في الواقع، بالتحقيق للغاية إلى درجة أنها لم تستخدم الهاتف فقط للتواصل مع السيد تامازاكى من صحيفة ديلي نيوز، إنما كتبت تقريراً مفصلاً لترسله إليه لاحقاً، وكان التقرير مفيداً جداً بالنسبة إلى في ظل الأحداث الحاسمة. من بين اهتماماتها الكثيرة، كانت تحضر مؤتمرات الكتاب في الجامعة، لأنها أملت أن تكتب يوماً ما قصتها في مخيمات إعادة التوطين، وظنت أن كتابة هذا التقرير ستكون بمثابة تدريب جيد.

اصطحبت كلبها توشIRO ميفون (والمسمي بذلك تيمناً بممثل ياباني)، وقادت سيارتها المدهونة خصيصاً لها باللون الأحمر الفاحي من نوع كاديلاك إلدورادو عام 1967 إلى بلدة ماتون المجاورة. ولأنها امرأة ضئيلة الحجم، احتاجت لوسادة داعمة لكي ترى من فوق المقود، ولكن توشIRO ميفون لم يبحج أي وسادة، لأنه كان كلباً كبيراً من نوع لابرادور ذا لون بني غامق.

في الأكاديمية العسكرية، ركنت سيارتها في المساحة الموجودة خلف مكتبة الحرم الجامعي وتركت نافذتين مفتوحتين لكي تضمن عدم تعرض الكلب للحرارة الزائدة في أحد أيام يوليو الحارة. على الرغم من سماعها العديد من القصص المرعبة حول بعض الطلاب المشاكسين في الأكاديمية، إلا أنها لم تكن خائفة من أن يأخذ أحد الأولاد الأغنياء الكاديلاك ويتجول بها. كان توشIRO ميفون لطيفاً دوماً مثل بقية نسله الودود، ولكن السيدة نوزاوا علمته أن يحملق مثل محارب ساموراي مخيف، وأن يكشر عن أنيابه إذا لمس أحد سيارة إلدورادو. علمت أن هذا تطلب الكثير من الالتزام من

ناحية الكلب، وأن إخافة الناس أحذنت قلبه الطيب لأنه كان يفضل لعقمهم. ولكن عند عودتها كانت ستكافئه بكلمات لطيفة وكمعتين.

لم يكن هنالك العديد من الطلاب - الذين دعاهم أمين المكتبة بالطلاب العسكريين - في المكتبة عندما استعملت السيدة نوزاوا عن المكتب الرئيسي. بالرغم من تجربتها في زمن الحرب، لم تخف من أحدٍ يرتدي زي الرسمي، ولكنها انزعجت من رؤية أولادٍ بعمر الثالثة عشرة يرتدون ثياب الجنود المتأهبين. أخبرت أمين المكتبة، السيد ثيودور كيكيل، أن أحد الطلاب في المدرسة قدم لها ولزوجها معروفاً كبيراً قبل سنوات، وأنها لطالما ندمت لأنها لم تشكره بما فيه الكفاية. كانت ترغب في معرفة مكانه الآن بعد تخرجه.

لوسٍ الحظ، مع أنها علمت أن الطالب كان من دفعة العام 1959، لم تستطع تذكر اسمه. ولكنها متيقنة أنها ستتذكر وجهه عندما تراه ولو بعد ثمانين سنوات. افترضت أن مكتبة المدرسة احتفظت بنسخٍ من الكتب السنوية مع صور للمتخرين. أكد السيد كيكيل - الذي وصفته لاحقاً للسيد تاما زاكى على أنه - رجلٌ متزمن ذو شارب يحدد بالمقص - افترضها هذا وأرشدها إلى صف من كتب التاريخ التي احتوت المجموعات التي غطت خمسة عقود من الشباب المميزين الذين علمتهم وألهتمهم وخرجتهم هذه المؤسسة التعليمية ذات شأن الكبير.

بعد دقيقةٍ من فتح الكتاب السنوي الخاص بدفعة العام 1959، وجدت السيدة نوزاوا صورة لوكاس دراكمان. صورت تلك الصفحة، وفي طريقها للخروج من المكتبة أخبرت المتزمن ذا الشارب أنها تظن أنها قد وجدت الشاب ولكنها أرادت أن ترى الصورة لزوجها للتتأكد من أنها وجدت الطالب الصحيح.

في مقعد الراكب الأمامي من الكاديلاك، بدأ توشير ويفون بالتلوى والتشنج من الفرح لرؤيه السيدة نوزاوا تقترب. قالت له الكثير من الكلمات

الطيبة بينما أخذ الكعكتين من بين أصابعها بلطافة كأرنبي يأكل العشب.  
بعد العودة إلى تشارلستون، ذهبت إلى متجر التجهيزات المكتبية الذي  
كان مملوكاً من قبل كين وبيتي نوربرت. كانت هي وبيتي متطوعتين في ملجم  
للكلاب، وكانتا في نادي الحياكة ذاته. كما كان كين نوربرت والسيد نوزوا  
شريكين في لعبة التنس وعضوين في غرفة التجارة في تشارلستون. لو كان  
المتجر مملوكاً من قبل أشخاص آخرين لكانـت السيدة نوزوا تعرفـهم أيضاً.  
إضافةً إلى التجهيزات المكتبية، وفر المتجر صناديق بريد خاصة للإيجار،  
والتي كانت شيئاً غير معروـفـ في تلك الأيام، في وقتٍ كان أقرب منافـسـ لها  
خدمة البريد المباشر حيث كانـ عليكـ الانتـظـارـ أمامـ المـكـتبـ ليـعطـيـكـ أحدـ  
الـمـوـظـفـينـ بـرـيـدـكـ الـخـاصـ. كانـ الـطـلـبـ مـتـزاـيدـاـ عـلـىـ صـنـادـيقـ الـبـرـيـدـ لأنـ مـكـاتـبـ  
الـبـرـيـدـ الـمـحـلـيـةـ لمـ يـكـنـ لـدـيـهاـ ماـ يـكـفـيـ منـ الصـنـادـيقـ. كانـ هـذـاـ المـكـانـ الـذـيـ  
استـؤـجـرـ فـيـ صـنـدـوقـ بـرـيـدـ تـحـتـ اـسـمـ دـوـغـلاـسـ آـثـيرـونـ، حـيـثـ أـرـسـلـتـ شـرـكـةـ  
الـرـحـلـاتـ الـبـحـرـيـةـ بـطاـقةـ الـعـطـلـةـ الـكـارـيـبـيـةـ إـلـيـهـ.

لتـجـنبـ التـعـامـلـ معـ أحـدـ أـصـحـابـ الـعـمـلـ الـمـخـادـعـينـ أوـ غـيرـ الزـهـاءـ،  
طلـبـتـ عـائـلـةـ نـورـبـرـتـ مـمـنـ رـغـبـ باـسـتـئـجـارـ أحـدـ صـنـادـيقـهـمـ الـسـتـةـ وـتـسـعـينـ  
نوـعـيـنـ مـنـ وـثـائقـ التـعـرـيفـ. ولـكـنـ فـيـ تـلـكـ الأـيـامـ الـأـكـثـرـ أـمـنـاـ، كـانـاـ يـقـبـلـانـ بـأـيـ  
نوـعـيـنـ مـنـ وـثـائقـ التـعـرـيفـ، وـلـمـ تـكـنـ الـهـوـيـةـ الـشـخـصـيـةـ ضـرـورـيـةـ.

كانـ كـينـ قدـ غـادـرـ عـنـدـمـاـ وـصـلـتـ السـيـدةـ نـوزـواـ؛ وـلـكـنـ بـيـتـيـ كـانـ هـنـالـكـ  
معـ موـظـفـينـ اـثـنـيـنـ وـكـلـبـهاـ منـ نـوـعـ لـاـبـراـدـورـ الـذـيـ كـانـ يـدـعـىـ سـبـنـسـ تـرـيـسيـ.  
احـفـظـ المتـجـرـ بـدـفـتـرـ حـسـابـاتـ لـصـنـادـيقـ الـبـرـيـدـ: اـسـمـ كـلـ مـسـتـأـجـرـ، نـوـعـ  
وـثـيقـةـ التـعـرـيفـ الـمـسـتـخـدـمـةـ فـيـ وـقـتـ الإـيجـارـ، عنـوانـ الـمـنـزـلـ، وـبـيـانـاتـ الدـفـعـ.  
ولـحـرـصـهـ عـلـىـ الـمـوـثـقـيـةـ، لمـ يـرـمـ كـينـ دـفـاتـرـ الـحـسـابـاتـ. كـانـ كـلـتـاـ عـاشـقـتـيـ  
الـحـيـاـكـةـ مـجـتمـعـتـيـنـ حـوـلـ دـفـتـرـ الـحـسـابـاتـ الـخـاصـ بـالـعـامـ 1961ـ، وـوـجـدـتـاـ أـنـ  
الـمـدـعـوـ دـوـغـلاـسـ آـثـيرـونـ كـانـ قـدـ اـسـتـأـجـرـ صـنـدـوقـاـ فيـ الـيـوـمـ الـأـوـلـ مـنـ شـهـرـ

يونيو، حيث دفع نقداً لاستأجر الصندوق لعام كامل. ولإثبات هويته، قام بتوفير بطاقة ضمان اجتماعي وبطاقة نشاط الطالب من جامعة إيسنترن إيلينوي التي تقع في تشارلستون.

نسخة السيدة نوزواوا المعلومات المطلوبة وأرأت النسخة عن الكتاب السنوي لصديقتها. لم يظهر الاسم دوغلاس آثيرتون تحت أي من صور الطلاب العسكريين بالطبع، وبعد ما يقارب الست سنوات، لم تستطع بيتي التعرف إلى أي من الأوجه الثمانية التي كانت على الصفحة على أنه الشخص الذي استأجر الصندوق.

عندما عادت السيدة نوزواوا إلى سيارتها الكاديلاك، وجلست خلف المقود، لم يتوقف توشيرو ميفون عن محاولته في أن يشتم يديها، لأنها قامت بالتربيت على سبنسر تريسي عدة مرات في المتجر.

حان وقت إطعام الكلب، وتوقع بعدها أن تأخذه في نزهة لمدة نصف ساعة. كانت جميع أولويات السيدة نوزواوا مرتبة في كل الأوقات، لم تكن لتأخر في إطعام توشيرو أو تخدعه لتقلل وقت نزهته. بعدها كان عليها أن تبدل ملابسها لتنذهب لتناول العشاء مع زوجها وشخصين آخرين.

قادت إلى منزلها من متجر التجهيزات المكتبية، حيث كانت تتوى أن تتبع استعلاماتها التي كلفها بها السيد يابو تاماذاكي من صحيفة ديلي نيوز في الصباح. وعدته أن تعاود الاتصال به بعد انتهاء دوام اليوم التالي، ولم يذكر هو أن عليها أن تتبع بسرعة أكبر. بين قيامها بأخذ الكلب في نزهة وتبديلها لملابسها استطاعت أن تتصل به لتخبره عن التقدم الذي أحرزته، وتفاجأت بسرور عندما مدح السيد تاماذاكي ذكاءها وكفاءتها، حيث دعاها "المحقق سام سيد بذاته".

في طريقهما لتناول العشاء، سأله السيد نوزواوا زوجته إن كان التحقيق

الذى تقوم به قد يعرضها للخطر. فأجابته أن كلاً من والديها والدي السيد تامازاكي كانا من الإيسى؛ أي من الجيل الأول من المهاجرين، وأن هنالك بعض الصلات التي تتحول إلى التزامات مقدسة حتى بين الغرباء، فوافقتها الرأى. وفقاً للسيدة نوزawa، كان يوافقها الرأى معظم الأحيان. شجعها على ممارسة موهبتها في الوصف عبر تحضير ذلك التقرير المكتوب، وهي تدين له بذلك.

خلال الأسابيع الستة الماضية، منذ أن انتقلنا من البناءة وذهبنا للعيش لدى جدي، اتصل السيد يوشيوكا عدة مرات، وكان اتصاله دائمًا خلال النهار عندما أكون وحدي في المنزل، ليسأل عما إذا كنت على ما يرام وليتتأكد من تمرني على البيانو. كنت أخبره بالأشياء القليلة التي تحصل في حياتي وكان يشاركني أخبار الحياة في البناءة.

يوم الأربعاء المزدحم ذاك، بعد أن غادر كل من مالكوم وأماليما، وقبل مجيء والدتي وجدي، اتصل السيد يوشيوكا مجددًا. "هل كان يومك لطيفاً، جونة؟".

فكّرت بالأنسة بيرل - بنصيتها لي، وتحذيرها، وقولها لي أنها روح المدينة التي تحولت إلى شر، بحقيقةها الكبيرة ومحفوبياتها المذهلة - وقلت: "لم يكن لطيفاً للغاية". أخبرته كل شيءٍ عدا عن الأنسة بيرل. إن أخبرته عنها يوماً ما، يجب أن يتم ذلك وجهاً لوجه. قبل أن يسألني عما حصل، قلت: "أنا جيد، بل رائع، التقيت صديقين طريفين يعيشان قبالة المنزل".

كان اتصاله ذا هدف، لم يكن يتصل للدردشة فقط. "هل رأيت صحيفة اليوم؟ صحيفة ديلي نيوز؟".

"لقد وصلتنا إلا أنني لم أطلع عليها. فالأخبار لا تتحدث عن كل شيء". "يوجد على الصفحة الأولى صورة من المظاهرات التي خرجت أمام جامعة المدينة يوم الاثنين. من بين الموجودين في الصورة رأيت السيد سمولر والأنسة ديلفاین". "رأيتهما على التلفاز".

"كما تعلم، أنا لا أملك تلفازاً، واحتمال رؤية السيد سمولر عليه لا يحفزني على شراء واحد".

"كنت أتابع التلفاز... ورأيت والدي هناك أيضاً."  
"كم هذا مثير للاهتمام. لم يكن والدك في الصورة الموجودة في الصحيفة."

"إنهم يخططون لشيء ما. إنهم غير مهتمين بالحرب".

قال السيد يوشيوكا: "اقرأ الصحيفة، أظن أنك سترى ما الذي كانوا يفعلونه في جامعة المدينة، ولكن علي إخبارك أولاً أن كلاماً من السيد تاما زاكى والسيد أوتاني اتصلا بي أخيراً. هنالك بعض التطورات الحاصلة، وسأعلم المزيد غداً. أرغب أن أراك بشأن ذلك يوم الجمعة، أي وقت يناسبك؟".

بما أنها كانت ستحدث عن أمورٍ لا يعلم جدي ووالدتي عنها، قلت إن عليه القدوم في أي وقت بين الساعة الحادية عشرة والرابعة، في وقتٍ نضمن فيه عدم معرفة أحد بهذه الزيارة وعدم شك أحد بالسبب من وراءها.  
"سأكون هنالك عند الساعة الثانية. الآن علي إخبارك أنه منذ أسبوعين، انتقل والدك والآنسة ديلفاین من المكان الذي كانا يعيشان فيه وأصبح من المستحيل تفكي أثرهما. يعتقد السيد أوتاني أنهما أصبحا متخفين".

"ماذا يعني ذلك؟".

"هذا يعني أنهما يقومان بتغطية أثريهما لأنهما يتوقعان أن يتم ملاحقتهما من قبل السلطات. من الممكن أن يكونا قد غيرا هويتهما بالفعل. إذا كانا، مثلما تقول، يخططان لشيء ما، أكبر مما فعلاه حتى الآن، فربما سينفذانه هذا الصيف، وربما عاجلاً وليس آجلاً".

قامت الآنسة بيرل، مرشدتي الخارقة للطبيعة على ما يبدو، بزيارتى، وقدمت لي نصائحها وتحذيراتها لأن اللحظة المحورية لحياتي تنتظرني في المستقبل القريب، ربما ليس بعد أيام قليلة، ولا بعد سنين أيضاً. بل هذا

الصيف، بحسب السيد يوشيوكا؛ وبدا ذلك صحيحاً.

"سيكون لدى المزيد لأقوله لك يوم الجمعة، جونة. لم أقصد أن أغلقك، أرجو ألا تكون قد فعلت ذلك".

"كلا سيدتي لم تفعل. مهما حصل، سيكون كل شيء على ما يرام على المدى البعيد".

"تبدو هذه ملاحظة من ثقافة الزن".

"ماذا؟".

بدلاً من أن يشرح، قال: "ملاحظة حكيمة، حكيمة جداً. سأراك عند الساعة الثانية بعد غد. كن بخير، جونة".

"آمل ذلك، أعني، سأكون على ما يرام، كن بخير أيضاً".

على الصفحة الأولى من صحيفة ديلي نيوز، ظهر السيد سمولر والأنسة ديلفابين وكأنهما قادمان من عالمين مختلفين، كلا بل من نظامين شمسيين مختلفين. بدت هي وكأنها قادمة من كوكب النساء المثيرات، بينما سافر هو إلى كوكب الأرض من كوكب الرجال غير المحظوظين.

بينما كنت أقرأ، اكتشفت سريعاً ما قصد السيد يوشيوكا عندما قال إن الصحيفة قد تكشف لي عما كانت تفعله عصابتهما الصغيرة في جامعة المدينة. لاحقاً خلال المظاهرة، انفجرت سبع قنابل، واحدة تلو الأخرى. لم يقتل أحد وأصيب ستة أشخاص بجروح طفيفة. تعتقد السلطات أنه قد تم زرع المتفجرات بحيث لا تؤدي إلى مقتل أحد، وأن الهدف منها كان خلق الفوضى العارمة وتشتيت الشرطة وتحديداً حرس الجامعة.

ما كان واضحاً هو الفوضى التي عمّت المكان. حيث حصلت الانفجارات في المبني المحيطة بالحشد، لم يعرف آلاف المتظاهرين في أي طريق عليهم الهروب وركضوا في جميع الاتجاهات، واصطدموا بعضهم البعض. كانت القنابل مملوقة بما سمتها الصحيفة "مسرعات الدخان"، والتي عنت على ما يبدو أنه في وقتٍ قصيرٍ جداً، انتشرت سحب كثيفة من الدخان في أنحاء الحرم الجامعي، مما صعب الرؤية وتسبب في إسالة دموع الجميع وتشويش رؤيتهم.

ترك حرس الجامعة، الذي كانوا غير مسلحين، مواقعهم ومسارات حراستهم، وهرعوا إلى الموقع القرية ظناً منهم أن هناك مصابين كثراً بحاجة للمساعدة. الحراس المكلف بحراسة صالة آلبرت وباتريشيا بارتون، المتاخمة

لكلية الفنون، أُقفل المدخل الرئيسي خلفه، ولكن الرجلين اللذين سرقا الصالة  
فتحا الباب باستخدام القبالة السابعة.

ظهر على كاميرات المراقبة شخصان - رجلان على الأغلب - مقنعان  
ومتسربان بالأسود ويضعان قفازات. دخلا من خلال الباب الذي تم تفجيره  
وعبر الدخان المتتصاعد، وكان كل واحدٍ منها يحمل كيساً قماشياً. شمل  
العرض الحالي في المعرض أشياء قيمة صينية من القرن السابع عشر وحتى  
بداية القرن التاسع عشر: مزهريات، حارقات البخور، لوحات، أواني، أشكالاً  
بشرية وحيوانية، صولجانات، زجاجات التبغ، مجوهرات... تنقلوا في الصالة  
الكبيرة وكأنهما يعرفان موقع كل شيءٍ أراداً سرقته، تجاهلاً الأشياء الكبيرة  
وسرقاً المجوهرات، العقود، الأساور، القلادات. وغادراً خلال خمس دقائق.  
وفقاً للتقديرات الأولية قدرت قيمة المسروقات بما يفوق 400 ألف  
دولار، وهو مبلغٌ هائل في تلك الأيام. يظن الخبراء أن اللصين لم يسرقاً أشياء  
كهذه دون سبب، لأن العديد منها كان نادراً ولكن يستحيل بيعه في سوق  
السلع المسروقة. لا بد من أنهم كانوا يعرفان زبوناً؛ أحد جامعي القطع الفنية  
الأنياء، الذي أراد القطع لمجموعته الخاصة وليس للعرض أمام الناس.

علينا الافتراض أيضاً أن اللصين كانوا على صلة وثيقة مع إحدى المنظمات  
المناهضة للحرب.أتى المتظاهرون إلى جامعة المدينة بشكلٍ مفاجئ ومنظم  
بدقة، ولكن كان على اللصين أن يعرفاً مسبقاً بأمر الحدث ليستكشفاً معرض  
القطع ويقرراً أين سيزرعون القنابل. لم يكونوا منظمي المظاهرة بالضرورة،  
ولكنهما كانوا يعرفان بأمر المخطط السري.

كان رد فعلي الأول وضع الصحيفة في سلة مهملات المطبخ، ووضع  
المهملات في كيس، ورميها في حاوية القمامة في الخارج. إذا رأت أمي  
صورة الآنسة ديلفافين وهي تبدو كعارضات الأزياء قد تتأذى مشاعرها. وإذا  
تعرفت إلى السيد سمولر حتى وهو يضع عصابة الرأس، لا أستطيع تخيل

مقدار الأسئلة والتكهنات التي ستختبر على بالها. لو حصل ذلك، سأتظاهر أنني أشاركها صدمتها وارتباكتها، ولكن ستأتي اللحظة التي تكشف فيها احتيالي، وسيكتشف كل ما أخفيته عنها. أسباب سرّيتي كانت تبدو جيدة ومشرفة حينها؛ ولكن لم أكن واثقاً من أنها ستبدو جيدة أو مشرفة - أو حتى جيدة للدفاع عن النفس - الآن.

لو تخلصت من صحيفة ديلي نيوز سيود الجد يدي أن يعرف ما حصل لها، ولم أرغب بالقول إنهم لم يجعلوها اليوم، لم أرغب في أن أبدأ بالكذب عليه أيضاً. لم يز جدي الآنسة ديلفاین يوماً وربما رأى السيد سمولر مرة أو مرتين، لمدة قصيرة ومن مسافة بعيدة؛ لن يعرف أيّاً منهمما. ولم تقرأ أمي الصحيفة بأكملها، وكانت تتخطى القصص التي تحوي عنفاً لأنها كانت تصيبها بالكآبة.

قررت أن أثق بحظي وأترك الأمر للقدر. ثنيت الصحيفة، لأجعلها تبدو وكأنها لم تمسّ، ووضعتها في الكيس الذي جاءت فيه بعد رميها على الباحة الأمامية. ووضعتها على الطاولة بجانب كرسي جدي.

لم يكن جدي ليعرف تلك الليلة، ستكون ليلة طويلة من الانتظار المقلق، انتظار والدتي حتى ترى الصورة. قررت أن أذهب إلى الفراش باكراً وأقرأ كتاباً، لكي أختفي بشكلٍ ما. ربما إذا اكتشفت الصورة وأنا غير موجود، لن تذكرها لي أبداً.

أياً يكن الأمر، أتعبني أحداث النهار. سأنام باكراً على الأرجح، وكانت تلك طريقة أخرى للاختباء.

مساء، وبينما كنا نرفع أطباق العشاء عن الطاولة زارتنا أماليا بوميرانتز، من دون مالكوم، مع طلبٍ توقعت رفض أمي له بعد نصف دقيقةٍ على الأكثر من التفكير. لكونها بعمر السابعة عشرة ومسؤوله عن نفسها، كانت أماليا تستقل الحافلة لما يقارب السنتين إلى أماكن أخرى في المدينة، أماكن آمنة، لتشاهد مسرحية صباحية أو تستكشف متاحفًا أو تستمع إلى محاضرة، هذا النوع من الأشياء. لم يكن لدى والديها مشكلة في أن تأخذ مالكوم معها، والآن بما أني أصبحت صديق عازف الساكسوفون المهووس ذاك، أملت لو أنه سيكون من المسموح لي أن أنضم إليهما في هذه النزهات.

كان جدي يعرف أماليا جيداً ويعتقد أنها شخصٌ جيد، ووثق بأنها ستعيدني "دون خدشٍ وبأمان" وقال ذلك لوالدي، التي بدت مرتابة. أعتقد أن ما فعلته أماليا حينها كان دون تفكيرٍ مسبق، وأنها كانت تعبر عن اجتماعية العالية فقط، حين تحدثت بشكلٍ ممتع عن حفلة لموسيقى الفولك مجانية في منطقة ريفسايد كومونز حضرتها قبل أسبوعين، سدت مجلى المطبخ وفتحت صنبور الماء الساخن وبدأت بغسل الأطباق. بعد قليل، بينما كانت أماليا تغسل الأطباق وتصفها، قامت أمي بتجفيفها، وكانتا تتحدثان وتضحكان وكأن إداهما كانت تعرف الأخرى منذ وقتٍ طويل.

في الوقت الذي دخلت فيه غرفتي كانت المسألة قد سُويت. في اليوم التالي، سأذهب مع أماليا ومالكوم إلى متحفٍ فني راقٍ لأشاهد مجموعة من اللوحات، وهذا الأمر كان ليجعلني أكاد أتفقاً في اليوم السابق؛ ولكن قول أماليا إن ذلك سيكون مسلياً كان كفيلةً بتبييد كل شكوكي.

كنت أرتدي ملابس النوم، في السرير، لم أستطع أن أركز بما يكفي للقراءة. كان لدى جهاز راديو صغير مع سماعات للأذن، حاولت أن أغير المحطة لأسمع موسيقى قد تغير مزاجي، لكنني لم أجدها. أخرجت علبة لافلوراتين من منضدلي ونظرت إلى الصورة المنسوخة من إحدى صفحات الكتاب الذي يتحدث عن مانزنار، والتي تظهر فيها والدة وشقيقة السيد يوشيموكا. جعلني ذلك أفك بالحرب وبأعمال الشعب وبالناس الذين يقتلون بعضهم بعضاً. الشيء الوحيد الذي أراح تفكيري كان قصيدة الهایکو التي كُتبت على بطاقة التعزية التي كانت موضوعة على باقة الورود في جنازة جدتي. قرأتها مراراً وتكراراً: شرق الشمس / وتتفتح الزهور / وتتفتح معها أبواب الجنة.

أنقلت أحداث اليوم كاهلي، فنمت حتى الصباح. حلمت بوالدي يختنق فيونا، ولسبب ما أردت إيقافه، مع أنها أخافتني أكثر منه. تغير منظوري بعدها، ورأيت أنها لم تكن فيونا، إنما كانت والدتي، وأن ربطه العنق كانت تطوق عنقها بشدة. كانت عيناهما مغشيتين، وكانت على وشك أن تموت. حاولت أن أصرخ طلباً للمساعدة، ولكنني لم أملك لساناً، حاولت أن أضربه، أن أخذ شر وجهه، ولكنني لم أملك يدين، فقد انتهت ذراعاي عند المعصم، مع دم متاخر أحاط بهما.

استيقظت ونهضت، رميت الغطاء جانباً، وجلست على حافة السرير في الغرفة المظلمة، وأنا أكابد لأتنفس، لم أكن مشتت التفكير بسبب النوم. كان ذهني صافياً، ومتقبلاً، ومتيقظاً. لم أخف من الكابوس، وإنما من إمكانية سمع صوت الآنسة بيرل ورؤيه صورتها الظلية - ظلامٌ متحركٌ في الظلمة - والذي قد يعني أن الرعب الذي شهدته في الحلم قد يكون تنبؤياً.

ارتاحت كثيراً لأنها لم تكن هنالك، ولكن حينها لمحت شيئاً باهتاً عند النافذة، حيث كان القسم السفلي منها مرفوعاً لتهوئه الغرفة. ظنت أنه قد يكون

وجه أحد يشاهدني وأنا نائم، كما فعلت فيونا كاسيدى مرة حين صورتني وأنا نائم دون وعي. إذا كانت المصيبة المرتقبة ولكن غير المعروفة تقترب من الحصول يوماً بعد يوم، كما اعتقدت والسيد يوشيوكا، فقد يكون الجبن أو حتى التردد سبب موتي، ولذلك نهضت وأسرعت إلى النافذة لأواجه من كان يتتجسس عليّ. لم أجد أحداً سوى بعوضة ترتطم بالشبكة المعدنية، زائر ضعيف لدرجة أنها لم تصدر صوتاً أستطيع سماعه أعلى من صوت ضربات قلبي. إذا كان هناك أحد ما يتلخص، وجه ضبابي في الليل المتلاشي، فقد فر، مع أن ذلك قد لا يكون سوى محض خيال.

صباح الخميس، بعد أن أطعمت السيدة سيسوكو نوزاوا توشيرو ميفون وزهته، قادت سيارتها ملتزمة بحدود السرعة إلى تشارلستون في إيلينوي وتحديداً إلى جامعة إيسترن إيلينوي. استمتع الكلب بمدّ رأسه من النافذة. إن القيادة بسرعة تتجاوز الخمسة وعشرين ميلاً في الساعة قد تعرض عينيه للأذى إذا حمل الهواء فيه أشياء حادة.

مع أنها كانت تسير على طريقٍ ملتوية، مارةً من خلال الشوارع السكنية الهدئة التي كانت فيها حدود السرعة منخفضة، إلا أن بعض السائقين غير الصبورين أطلقوا أبواق سياراتهم. قادت سيارتها بشموخ، غير منزعجة من سخطهم، كما أنها لم تتنازل لترد عليهم حين قالوا بعض الكلمات البذيئة. كلما سمعت بوقاً، قالت: "نامو أميداً" والتي كانت تعني "ارحمنا يا بوذا". قد تكون هذه كلمات السماح، موجهة لراكبي الدراجات الواقعين، حتى لو لم تقلها بفظاظة. وافقها الكلب الرأي، حيث كان مخلوقاً حساساً، ورد على كل "نامو أميداً" بهررة.

في مكتب شؤون الخريجين في الجامعة، كان هنالك امرأة صهباء جذابة ناهدة الصدر يغطي النمش وجهها وكانت معايدة رائعة. كررت السيدة نوزاوا قصتها الملفقة عن الطالب الذي ساعدتها وساعد زوجها منذ سنتين، وقالت المرأة الصهباء مفسرةً أن لا صلاحية لها بكشف عناوين المتخرجين. عندها أبدت السيدة نوزاوا تفهمها لذلك وأنها تقدر تحفظها، وأخبرتها أن كل ما تريده هو معرفة إن كان بإمكان مكتب شؤون الخريجين أن يرسل رسالة منها إلى الشاب اللطيف إذا كان قد تخرج من الجامعة بالفعل. كان ذلك بالطبع

خدمة يسر الجامعة أن تقدمها لها. شعرت السيدة نوزاوا بالامتنان للنبرة الودية التي تم فيها الحديث.

شكّت أن لوکاس دراكمان كان قد ذهب إلى الجامعة تحت اسم دوغلاس آثيرتون. على الأغلب أنه قام بتزوير بطاقة الضمان الاجتماعي وبطاقة نشاط الطالب اللتين استأجر بواسطتهما صندوق البريد من بيتي نوربرت. لذلك، أعطت الصهباء اسم دراكمان والستة التي تخرج فيها غالباً - 1963. بعد دقائق تأكّدت أن لوکاس دراكمان كان خريجاً حقاً، ووعدت السيدة نوزاوا أنها ستعود خلال عدة أيام مع رسالتها في ظرفٍ مغلقٍ ومع طابع، مع أنها لم تكن تنوّي فعل ذلك.

كل ما كان يتمناه السيد تاماذاكي هو تأكّدتها من أن دراكمان كان يعيش في المنطقة حين اختفت السيدة ريناتا كولشاك من السفينة في بحر الكاريبي، ما يضمن أنه كان بإمكانه أن يستأجر تحت اسمِ مزيف صندوق البريد الذي أرسلت إليه البطاقة الخاصة بالرحلة البحرية ذاتها لشخصٍ يدعى دوغلاس آثيرتون. وبهذا تنتهي المهمة.

بعد فترةٍ قصيرة، في مكتبه في محل التنظيف الجاف، والذي قامت من خلاله بإدارة إمبراطورية نوزاوا التجارية، أكملت تقريرها الذي كتبته للسيد تاماذاكي الذي أبدى امتنانه لما تبذلها من جهود. افترضت أن تلك كانت نهاية الأمر، ولكن بعد ساعات عدة تبيّن لها خلاف ذلك.

Telegram @read4lead

لقد سبق لي الذهاب إلى وسط المدينة مع والدتي، ولكن لم يسبق لي أن ذهبت برفقة فتى يملك حس الدعاية مثلي، ولم تقدني فتاة مراهقة جميلة جعلت الناس يتسمون حين ينظرون إليها. عندما كانت تساعدنا على عبور الشارع أو حين كانت تصعد على درجٍ طويل، كان شعرها المرفوع على شكل ذيل حصان يتراقص ويتمايل من جهة إلى أخرى.

أعطتني والدتي خمسين ستاناً، وهي بدل دخول الطالب إلى متحف الفنون، إضافة إلى ثمن الغداء. شعرت بالثراء والحرية وبأنني مستعدٌ للمرح... ولكنني أصبحت برهابٍ هادئاً.

في موقف الحافلات، حيث كنا ننتظر حافلتنا، أصبحت بالهوس من سيارة شيفروليه سوداء مركونة تحت ظل شجرة على بعد نصف شارع، جلس فيها رجلان. لم أستطع رؤية وجهيهما، ولكنني كنت شبه متيقن أنهما لوكاس دراكمان والدي.

تذكرة ما قالته الآنسة ديلفайн للسيد أوتاني عندما تحدث معها ليلة رأس السنة: أن حبيبها، الذي تطلق مؤخراً، قال بإصرار أنه سيترجع ابنه يوماً ما. فإن كان هذا صحيحاً وكان الرجلان في السيارة هما والدي ولوكان دراكمان، فقد يلحقان بنا في وسط المدينة، حيث سأكون بعيداً عن المنزل، وقد يحاولان خطفي.

عندما ترجلنا من الحافلة، لم يكن هنالك سيارة شيفروليه سوداء خلفنا، ولم تمر بين السيارات العابرة، وهذا يعني أن شكوكي لم يكن لها أساس من الصحة، إلا أن الشكوك ظلت تساورني، يبدو أن التوتر متجمع في ذهني.

وصلنا إلى ناصية تقاطع الجادة الوطنية وشارع 52، المركز التاريخي للمدينة. على بعد شارعين في أي اتجاه كانت تقع المحكمة والمكتبة المركزية وأفضل قاعات الحفلات الموسيقية والكاتدرائية وأقدم كنيس في المدينة وعدة مسارح قديمة مزخرفة. كان فن العمارة متجلياً بأبهى صوره في كل مكان، حيث كانت المباني مكسوة بالرخام والغرانيت والحجر الجيري. حتى الأبراج، لم يكن أي منها بشعاً أو، لنقل بكلمات أخرى، لم تكن اللمسات الفنية غائبة عن أي منها، وعلى بعد شارعين من هنا كان يقع القسم المثير للدهشة من المدينة حيث جمال النظام والنظام الجميل.

خلفنا كان فرست ناشونال بنك في الطابق الأرضي من مركز مالي ذي تصميم حديث مؤلف من ثلاثين طابقاً. في الجهة المقابلة من الشارع، كان يقع كالوميراكيس بيناكونثيكي الذي بدا كمعبد يوناني، حيث كان سريراً معرضاً مميزاً بعنوان أوروبا في فترة الحكم الملكي.

سألت: "كالو - ماذا؟ بينا - ماذا؟".

بينما كنا نصعد الدرج الأمامي، قالت أمالي: "السيد كالوميراكيس هو أحد المهاجرين القدماء من اليونان".

قال مالكوم: "كان يجني كثيراً من الأموال، أعني، الرجل جعل سكورج ماكداك يبدو فقيراً".

قالت أمالي: "لقد بني هذا المكان الجميل، اشتري كثيراً من القطع الفنية لمجموعته الدائمة، وقام وأسس أمانة ليضمن استمراريتها. أما بيناكونثيكي فهي تعني معرض باليونانية - ولكن يدعوه الناس هنا بالمتاحف. أنا أدعوه النعيم". لطالما كنت أملك أذناً موسيقية تميز الجمال، لربما كنت أملك عيناً لذلك أيضاً، ولكن حتى ذلك اليوم، لم أكن أعتقد أن الحقيقة الموجودة في الموسيقى الرائعة يمكن إيجادها أيضاً في الفن الجميل، وأن القلب يمكن أن يتتعش وأن ينصلق العقل بسبب الاثنين. من خلال قوة سحرها وطبيعتها

الحماسية المعدية، وسعتً أمالياً ذلك اليوم عالمي بشكلٍ رائع، وفتحت عميقاً في داخلي أبواباً كانت ستبقى مغلقة سنين أو حتى إلى الأبد من دونها.

اللوحات الموجودة في المعرض كانت مُستعارة من متاحف بعيدة مثل هولندا وباريس، ومن أماكن قريبة مثل نيويورك. رأينا أعمالاً لرامبرانت، فيرمير، فان دايك، جورج دو لا تور، جان مارك ناتير، كارافاجيو، بروكاشيني وغيرهم.

بين الحين والآخر، كان مالكوم يقول لشقيقته: "أخبريه بالقصة"، ولم يعن بذلك قصة لوحة معينة إنما قصة حياة الفنان أو قصة ملفتة من حياته. بعض تلك القصص كان مسلياً، وبعضها الآخر كان حزيناً للغاية، وجذبني كل منها إلى أعمال الفنان أكثر مما كنت أتخيل وأنا بهذا العمر الصغير.

أتذكر بوضوح ما قاله عن يوهانس فيرمير، عندما وقفنا أمام لوحته الساحرة الفتاة ذات القبعة الحمراء. لاحقني تلك القصة حوالي نصف قرن، لن أذكر السبب وراء ذلك الآن، ولكنني سأذكره قريباً. عندما تراودني قصة فيرمير في تلك الليالي التي يجافي فيها الكري عيني،أشعر بھشاشة الحياة، بالطبيعة المؤقتة لكل شيءٍ نسعى وراءه ونخلقه في هذا العالم.

حدقت إلينا الفتاة في لوحة الفتاة ذات القبعة الحمراء من تلك اللوحة الصغيرة، كانت تفاصيلها الحسية ووهم الإضاءة يخلقان رؤية تحاكي الواقع، ذات أبعاد آسرة، قالت أماليا: "قد يكون فيرمير الأكثر احترافية بين الفنانين الذين عاشوا يوماً. كان محباً للمثالية وعمل بجهدٍ كبير ورسم ببطء. ربما رسم ستين لوحة، نجا منها ست وثلاثون. تسعة وعشرون منها كانت بارعة. كانت حياته صعبة، وكان فقيراً، مع أنه عمل أعمالاً أخرى إضافةً إلى الرسم، محاولاً أن يطعم عائلته المؤلفة من خمسة عشر طفلاً. هل يمكنك أن تخيلني مع خمسة عشر شخصاً مثل مالكوم؟ سأصاب بالجنون. ولكن لا، انتظر، إنه أمرٌ غير مسلٍ. في تلك الأيام، في القرن السادس عشر، كان كثيرون يموتون

في الطفولة، وحزن فيرمير على أربعة من أطفاله. وهو نفسه توفي شاباً في الثالثة والأربعين من عمره. أُعجب الفنانون الهولنديون الآخرون بأعماله، ولكنه كان مفلساً وفاشلاً في نظرهم. أما أرملته وأطفالهما الأحد عشر الذين أحبهم كثيراً، فقد تركوا محرومين. نُسيت أعماله لمدة مئي عام... لمدة مئي عام. ولكن تغيرت الأذواق. بالنسبة للأجيال التي لا تقدر الجمال برغبتها، قد يبقى الجمال الحقيقي مخفياً حتى لو كان أمام أعينهم، ولكن الجمال يبرز نفسه عاجلاً أم آجلاً - دائماً، دائماً - ويتم الاعتراف به على الأقل، لأنَّه لا يوجد إلا القليل منه. توفي كنكرة، ولكنه الآن وحتى نهاية الحضارة، سيقى اسمًا يحترمه كثيرون حتى أنه يشكل أسوأ الكوابيس لبعضهم الآخر.

الأطفال - وربما ليس الأطفال فقط - يحبون القصص التي تتحدث عن أحدٍ ما، كان مظلوماً وانتصر في النهاية، حتى لو تحقق انتصاره بعد موته. وفي مير تحول ذلك اليوم إلى بطل بالنسبة إلىِّي. مع مرور الوقت ومشاهدنا لنصل المعرض بدا خوفياً من الاختطاف يتلاشى، ولذلك - لفترة من الوقت - شعرت بالأمان في المدينة.

في الوقت ذاته، في تشارلستون إيلينوي، جلست السيدة سيسوكو نوزاوا في مكتبها الصغير في القسم الخلفي من محل التنظيف الجاف، وكانت تقوم بمراجعة دفتر الشيكات. وفي الوقت الذي نام فيه توشير ويفون عند قدميها، ظهر أحد موظفيها عند الباب المفتوح، وقاطعها ليخبرها أن أحد الأساتذة من جامعة المدينة المدعى جوبال ميس - ماسكيل في الخارج ويريد التحدث معها بشأن أمر طارئ.

وقف رجلٌ عند المنضدة الأمامية؛ طويل ونحيف، أشيب الشعر، ملامح وجهه النحيل كانت حادة، وقد أظهر حاجبه الأبيضان وجهه أكثر لطفاً، أما عيناه الرماديتان المائلتان إلى الأخضر فقد بدتا جامعتين بالنسبة إلى السيدة نوزاوا، مثل عيني مخلوقٍ يجب حبسه في قفصٍ مغلٍ بإحكام.

لم يرق لها منذ النظرة الأولى، ربما بسبب ما يرتديه. في رأيها، أستاذ في الجامعة - بل دكتور - يجب أن لا يظهر في الأماكن العامة وهو يرتدي بنطالاً خاكياً غير مكوي، وقميص تي شيرت عليه الأحرف MYOB - أيًّاً ما كانت ترمز إليه هذه الأحرف - وجاكت خاكية خفيفة بجيوب عديدة ممتلة بأشياء كثيرة قد تلفت اهتمام الشرطة. كانت الجاكت كثيرة الدرزات، وكانت هذه النوعية من الملابس رائجة في تلك الأيام. علمت أنه لم يكن مميزاً. كان هنالك آخرون متمردون في الجامعة، وكان المتمردون في كل مكان تلك الأيام، متशوقين لبناء مستقبلٍ مشرقٍ من خلال رفض الماضي وكل شروره. ولكنها شخصياً تقدر التقاليد كثيراً. كان الماضي إثباتاً للحكمة المكتسبة بجدارة. أيًّا يكن الأمر، ولأن القلب البشري هو ما هو عليه، فمن سيمحو

الماضي سيلغى الحكم فقط ويبقى على الشرور.

سرعان ما قامت السيدة نوزواوا بالتعرف عن نفسها فبدأ الدكتور ميس - ماسكيل بالحديث عن لوکاس دراكمان، أحد طلابه السابقين: كان طالباً ذكيّاً ونزيهاً بشكل مميز، تخصص بالعلوم السياسية. شابٌ حساس جداً وحاد الذكاء ويتمتع بطاقة لا تنضب. وسألها أن كانت تعلم أن لوکاس أتى إلى الجامعة بعد أقل من سنة من مقتل والديه وهما نائمان من قبل مقتاحم خطير؟ وإن كانت تعلم أيضاً أنه وبغض النظر عن حزنه البالغ وخسارته المريرة، التزم لوکاس بتحمل أعبائه الدراسية كما لم يفعل سوى قليلاً غيره؟ وأخبرها أن مستقبله سيكون باهرًا، لأنّه امتلك الشرف والجاذبية، والتواضع والطموح النبيل.

في البداية، أربكها وأبل الكلمات التي سمعتها من البروفسور والتي كانت مثل المياه المتتدقة من خرطوم إطفاء، بعد فترة من الزمن، أدركت السيدة نوزواوا أن هذه الإشادة المفرطة كانت دفاعاً. يبدو أن الدكتور ميس - ماسكيل كان يتحدث معتقداً بشكلٍ خاطئ أنها ذهبت إلى الجامعة وسألت عن دراكمان لأنها تملك اتهاماً ضده.

أخيراً، عندما تمكنت من مقاطعة البروفسور، كررت قصتها عن الشاب الذي قدم خدمة كبيرة لها ولزوجها، خدمة لم يشكراه عليها. إنها لم ترد إلا أن تعتبر للسيد دراكمان عن الامتنان الذي استحقه.

في البداية، أصغى الدكتور إليها باهتمام، قبل أن يبدأ صبره بالنفاد، واكتشفت على الفور عدم تصديقها لها عندما عاد مجدداً إلى مدح طالبه السابق. كلما زادت كلماته تملقاً، تحركت مشاعره، وأصبح غير منطقي. احرز وجهه، وكان اللعاب يتطاير مع كل كلمة يتفوه بها. إذا كانت عيناه تبدوان من قبل وكأنهما عيناً مخلوقٍ يجب حجزه، أصبحتا تشيان بأنه يجب أن يقتل على الفور لأنه مسحور.

تكونت لدى السيدة نوزواوا فناعة أن الدكتور ميس - ماسكيل كان متثلياً بإحدى المواد غير القانونية عندما سمع أنها كانت تستعلم عن شؤون المتخرجين، وأنه أساء فهم ما سمعه، وأنه تعاطى المزيد من ذلك المخدر منذ ذاك الحين وربما تعاطى غيره مع مضادات استطباب، إما بسبب تعاير وجهها المندهشة وإما بسبب يدها التي كانت تلتقط الهاتف عن المنضدة. إلا أنه انتبه حينها أنه لم يكن يقول شيئاً منطقياً، جحظت عيناه، ووضع يده على فمه لسكت نفسه.

بعد أن سمع ما يكفي ليكون مدهوشًا مثل صاحبته، وقف توشير و ميفون ووضع قائمتيه الأماميتين على المنضدة ورفع رأسه الكبير. نظر إلى الدكتور ميس - ماسكيل بعينين شفافتين، لم ينبع، ولم يهره، ولكن عبر عن رأيه وأطلق صوتاً طويلاً كالشخير.

فرز الدكتور؛ ولا توجد كلمة أخرى تصف طريقة مغادرته. ساقان طويلاً  
لدرجة أنها كانتا تبدوان وكأن لهما ركبتين إضافيتين، يدانان تلوّحان في الهواء  
وكأنه أكثر مقاومة من الماء. كانت ملابسه الخاكيّة المجعدة والمرقعة تصدر  
حفيقاً مثل كيسٍ مليء بالجرذان، انحرف إلى اليسار ثم إلى اليمين وكأنه  
يبحث عن مهرب. أصدر أصواتاً منخفضة ناتجة عن القلق، وكأنه دخل إلى  
محل التنظيف العاجف المرعب وتوقع ألا يسمح له بالخروج. اصطدم كتفه  
بالباب الزجاجي، واندفع من خلاله ولاقته أشعة الشمس؛ مغمضاً عينيه وكأنها  
تحرقه، أسرع غريباً على طول رصيف المجمع التجاري واختفى عن الأنظار،  
ليظهر مرةً أخرى متوجهاً هذه المرة نحو الشرق.

خرجت السيدة نوزawa من خلف المنضدة، وتوجهت إلى الباب وخرجت لتشاهد الدكتور المرموق وهو يتجه نحو سيارته الرمادية من نوع فولفو. بدا وكأنه يعاني صعوبةً في تشغيلها، وتخيلت أنه ربما يحاول إدخال المفتاح في مشعلة السجائر. خرج من مكان ركته وتوجه نحو مخرج مرأب المجمع

التجاري، أطلق بوقه على كل راكب دراجة وسائل ظهر أمامه، وكأنه ينبههم بصورة قاطعة أنهم يقودون أو يسرون بطريقة مستهترة، انتظرت السيدة نوزاوا أن تسمع صوت اصطدامٍ لمركبتين تسيران بسرعة عالية الأمر الذي بدا وكأنه أمر محتم.

كونها سيدة أعمال متعرجة وتستطيع قراءة الناس بدقة، ظنت سيسوكو نوزاوا أن أغرب شيء كان في هذا اللقاء هو رد فعل الرجل على قصتها حول لوکاس دراكمان، وكيف قدم خدمة كبيرة لها ولزوجها قبل سنين. لم يصدق ما قالت مع أنه لم يملك أي سبب ليشك في ذلك. بغض النظر عن المديح الكبير الذي عبر عنه بالنسبة إلى طالبه السابق، ربما وجد الدكتور ميس - ماسكيل أنه من المستحيل تخيل لوکاس دراكمان قادرًا على تقديم فعل خير.

بينما انتقلت وأمالي وأملوك من لوحة الفتاة ذات القبعة الحمراء وتابعنا تعمقنا في معرض كالوميراكيس بيناكوني، سألت إذا ما كان بإمكانها أن تخبرني، ليس عن الفنان فقط، بل عن معنى كل لوحة أيضاً، ولمَ قام الفنان برسمنها، وما الذي أراد إيصاله من خلالها.

كنت أضرب رأسي بالكتيب الملفوف الذي حصل كل منا على واحد منه عندما دفعنا سعر تذكرة الدخول في المدخل، قال مالكوم: "هذا سؤالٌ غبيٌ بالنسبة إلى عقري. أخبريه لماذا ذلك غبي يا أمالي".

قالت: "إن كنت أذكر تماماً، عندما أتيت بك إلى هنا للمرة الأولى، سألتني السؤال نفسه".

أجابها مالكوم: "لا أذكر هذا".

"ما الذي تذكره، أخي العزيز؟".

"كنت في مزاج عكر ذاك اليوم".

رفعت حاجبيها وقالت: "عكر؟".

"وكنت تشربين".

"أوه، ما الذي كنت أشربه؟".

"كل شيء، براندي، جعة، فودكا، نيد".

"هل اضطررت أن تحملني على كتفك؟".

"كلا، أبداً. قلت إنك أصبحت بخللٍ في الدماغ عند الولادة، وأعطونا كرسيًّا مدولباً".

"أنت سيء".

قلت لأمالي: "لا أصدق أنك كنتِ ثملةً".  
"شكراً لك، جونة".

قال مالكوم لي: "أنت ساذج للغاية يا فتى. أياً يكن الأمر، دفعتها على الكرسي المدولب من لوحة إلى لوحة.. كانت تشير إلى كل واحدة وتطلب بطريقة ثملة ومحرجة أن تعرف ما عننت الصورة. أختي، هل تذكرين ما قلت لك ذاك اليوم؟ يجب على جونة سماع ذلك".

"لِمَ لَا تُخْبِرُهُ، مَالِكُوم؟".

"لا أعتقد أنني أذكر كل الكلام بدقة". وأضاف: "لا بد أن الفتاة العزيزة تذكر كل شيء، حتى وهي ثملة، تعلق على كل ما أتفوه به".  
قالت أماليا: "تنفوه؟".

"سمعت ممثلاً بريطانياً يقول هذه الكلمة في فيلم. تبدو راقية للغاية. من الآن فصاعداً لن أقول شيء، سأتفوه به".

"تفوه بما تريده، لمن تكون منطقياً على أي حال".

قال لي: "هنا لك دليل على مزاجها المعكر، لا بد أنها تحمل قارورة شرب منها".

"ما قلت لمالكوم ذاك اليوم، جونة، أن هنالك كثيراً لتعلمك حول الفن، عليك أن تدرب عينك. ولكن عندما يدور الأمر حول المعنى، لا يوجد أي خبير متعرج في العالم يستطيع أن يقول لك ما عليك أن تفهمه من اللوحة. الفن موضوعي. ما تشعر به من راحة وفرح بسبب لوحة هو أمرٌ يخصك فقط. ما تقوله اللوحة، تقوله لك فقط. يحول كثير من الخبراء الفن إلى أمرٍ سياسي، لأنهم يعتقدون أن الفنانين العظام يملكون قناعات تتطابق مع قناعاتهم. ولكن يجب على الفن أن لا يكون مسيساً. يا للقرف، أبقِ ذهنك حراً وثق بعينك وبقلبك."

قال مالكوم: "هذا ما قلته لها بالحرف الواحد. من المذهل أنها تذكرته، بما أنها كانت غير واعية ذاك اليوم".

بطريقته الخرقاء، توجه إلى الجبل المحملي الذي كان يحيط بالمعرض من دعامة إلى دعامة، ووقف أمام لوحة اسمها حقول القمح رسمها الفنان جاكوب فان رويسدายل فانضممنا إليه أنا وأمالي.

غطت السماء ثلثي اللوحة الكبيرة، حيث كان يوجد بعض اللون الأزرق ولكن سادت فيها كتل من الغيوم الرمادية الغامقة. الثلث السفلي تضمن مشهدًا واسعًا، ظلامًا داكنة في المقدمة وغابات مظلمة في الخلفية، وفي الوسط بقعة مشمسة على مرجٍ مرّ من خلاله طريقٌ ترابي ملتوٍ. رجلٌ وحيدٌ وامرأةٌ مع طفلٍ مروا عبر الطريق بين الأشجار، ولكن لم يكونوا ظاهرين، وقام راعٍ بقيادة قطيعٍ من الخراف.

قلت: "إن ذلك يشعرني بالحزن والفرح في الوقت نفسه. الناس صغيرون جداً والعالم كبيرٌ للغاية".

قالت أمالي: "الناس في لوحات رويسدายل يكونون صغاراً على الدوام، لماذا تعتقد أنك تشعر بالحزن والفرح في الآن ذاته؟".

"لا أعرف، إنه... إنهم صغيرون للغاية، يمكن سحقهم كالحشرات. قد يقتلهم الرعد كما تعلمين، أو أي شيء آخر. هذا محزن".

قال مالكوم: "إلا إن كانوا أو غادروا، يكون ذلك خلاصاً".

قالت أمالي بلطف: " أخي العزيز، اخرس". أكملت، "ولكن المشاهد حولهم جميلة جداً، أترون، السماء والغابات والمرج وكل شيء. أنا أشعر بالفرح لأنهم في مكانٍ جميلٍ كهذا". ونظرت إلى أمالي، وابتسمت، ثم قلت: "هل كان ما قلته غبياً؟".

"كلاً أبداً، جونة، كلانا يعرف من هو ملك الغباء اليوم".

قال مالكوم: "سأتفوه بشيءٍ خلال دقيقة أو اثنين، وسيكون ذكيًا، ستتصدمان". انتقلنا بعدها إلى لوحةٍ تصاهي تقريراً جمال لوحة الفتاة ذات القبة الحمراء، ولكن حين تفحصتها، تسلل إلى داخلي القلق، وتحول بعدها إلى خوفٍ جعلني أرتعش.

عندما هرب الدكتور جوبال ميس - ماسكيل على ما يبدو دون أن يصطدم بسيارة أخرى، عادت السيدة نوزاوا إلى مكتبها في القسم الخلفي من محل التنظيف الجاف. بعد أن فكرت بمن يمكنها أن تتوصل معه من الأصدقاء للحصول على معلومات، اتصلت بإيرينكا فافيلوف. كان كل من إيرينكا وزوجها آندريه موسيقين في سيمفونية موسكو قبل أن يطلبوا اللجوء بينما كانا في جولة في النروج وفي غضون عام شقا طريقهما إلى الولايات المتحدة. توفي آندريه قبل عام، ولكن إيرينكا، التي تبلغ الآن الخامسة والخمسين من العمر، استمرت بتعليم تاريخ الموسيقى في الجامعة.

تعلمت إيرينكا فن الأوريغامي من ستيتسوكو نوزاوا وكانت مسؤولةً باتصالها. كانت تعرف جوبال ميس - ماسكيل، واعتقدت أنه شخصٌ حقير. عندما أتت للمرة الأولى إلى الجامعة، حاول التقرب منها في حفلات الجامعة، حتى عندما كان آندريه في الغرفة ذاتها، وحتى عندما كانت نورين زوجة جوبال تقف على بعد أمتار.

بعد أن توفي زوجته عام 1962، أصبح أكثر إصراراً، وخلال العامين الماضيين، اتخذ شخصيةً أخرى كلياً، حيث اعتقد أنه كان بمثابة تشبيه غيفارا تشارلسون في إيلينوي، كان من الواضح أنه تعاطى المخدرات وهو الأمر الذي كان سيتسبب بطرده، أو حتى إجباره على التقاعد المبكر. بعض الناس قالوا إنه تدمر نفسياً بعد وفاة نورين، ملاحقاً من قبل الطريقة التي توفيت بها، ولكن لم تصدق إيرينكا أن جوبال كان قادراً على الشعور بالتعاطف العميق، ولا حتى تجاه زوجته.

كيف توفيت نورين؟ بطريقة مفجعة. ذهبت إلى أريزونالتزور شقيقها وعائلته. في إحدى الأمسيات، بعد أن خلد الجميع إلى الفراش، جلست خارجاً لوحدها قرب المسبح، مستمتعة بأمسية في الصحراء. في الصباح التالي، لم يجدها أحد. لم تكن سيارتها مركونة في الممر. وجدتها الشرطة في مرأب مركز تسوق واكتشفت جثة نورين في الصندوق الخلفي. كانت يداها وقدماها مربوطتين وتم ضربها حتى الموت بمطرقة. لم يتم أحد بالجريمة. هل كان لدى جوبال حجة غياب قوية؟ يا له من سؤالٍ غريب. اعتقاد معظم الناس أنه شخصٌ يتظاهر بالذكاء وحقيقةً ميؤوس منه ولم يعتقد أحد أنه قادر على ارتكاب جريمة قتل. كان ضعيفاً للغاية، ولا يملك الجرأة الكافية. عندما حصل ذلك، في الأسبوع الذي ذهبت خلاله نورين إلى أريزونا، كان جوبال يترأس مؤتمراً لثلاثة أيام تحت عنوان "الحرب الباردة: هل هي ضرورة أم وسيلة؟" كان هنالك اثنان وتسعون حاضراً من الجامعات الموجودة في ست عشرة ولاية. كان قد حضر المؤتمر برمته؛ وكان موجوداً خلاله. في الواقع، قُتلت نورين في اليوم الأخير للمؤتمر، والتي انتهت بحفلة استمرت لما بعد الساعة الواحدة في الوقت الذي تم فيه اختطافها وقتلها في سكوتديل البعيدة.

باعتقاد السيدة نوزوا، أن لو كاس دراكمان، ذا النزاهة والذكاء الاستثنائيين، كان عضواً من صف المبتدئين عندما أصبح الدكتور ميس - ماسكيل أرملأ. سيكون مثيراً للاهتمام لو تستطيع معرفة إذا ما كان هناك تأمين كبير على حياة نورين أو إذا كانت تملك ممتلكات باهظة الثمن، منفصلة عن ممتلكات زوجها، وكانت مكتوبةً باسمه في وصيتها.

أملت السيدة نوزوا ألا يطلب منها السيد تاماكي من صحيفة ديلي نيوز أن تحقق بشأن هذين المسؤولين المثيرين للاهتمام. مع أنها استمتعت بهذه المغامرة الصغيرة، لم يكن لديها الرغبة كي تتخلى عن مساعيها الريادية

لتصبح محققة، والتي قد تكون الوظيفة الأكثر كآبة.

عندما قالت السيدة نوزawa وداعاً لإيرينكا وأغلقت السماعة، وضع توشيرو ميفون رأسه الكبير في حضنها، ومسدته وراء أذنه، أخبرته أنه كلب جيد، أفضل الكلاب، وأن العالم سيصبح مكاناً أفضل بكثير لو كان الناس مثل الكلاب. بالنسبة إلى كلاب الlaprador ريتريفر، كان توشيرو من القياس الكبير، ولكن حين يتحمس بما فيه الكفاية، يمكنه أن يهرهـ.

اللوحة التي اقشعر لها بدني حتى النخاع كانت جميلة، وبعد كل هذه السنين ما زلت أعتقد أنها تحفة فنية. قد يكون الفنان الهولندي، كارل فابريتيسوس، أحد تلاميذ رامبرانت، بعمر الثانية والثلاثين انفجر وتطايرت أشلاؤه مع معظم لوحاته، عندما انفجر معمل البارود في ديلت عام 1964 ودمر ثلث المدينة.

كانت هذه اللوحة الصغيرة تدعى عصفور الدوري الذهبي. يُقال إنها اللوحة الأروع التي رسمت لطائر في ذاك القرن بأكمله. كانت الخلفية عبارة عن جدار مضاء بنور الشمس، وصندوق طعام معلق على الجدار، كانت أبعاده عشرة إنشات وستة إنشات، جثم عليه العصفور. كان عصفور الدوري مربوطاً بالصندوق عبر سلسلة صغيرة متصلة بإحدى قدميه، سلسلة طولها قدمان بالأكثر، ما يسمح للعصفوري بالطيران والشعور بجناحيه ليغير مكانه على الصندوق، وكأنه محكوم عليه أن يبقى في حيز وجودي محدود ومحزن أكثر من ببغاء في قفص كبير.

إن قساوة حبس الدوري، وعدم اعتراف صاحبه بطبيعته المجنحة، يعذب قلبك إن كنت تملك قلباً يتعدب. ولكن حياة العصفور كانت فقط أحد أسباب إصابتي بالقشعريرة من اللوحة. كان العصفور متأهلاً، رأسه مرفوع ومتوجه نحو المشاهد (في عالم اللوحة، نحو صاحبه)، شيءٌ ما في وقوته كان يقول إنه كان قابلاً للتقييد ولكن التقييد لن يعيقه، كان موقفه يعبر عن العذاب الرواقي، الذي إذا تعمقت فيه لوقتي طويلاً، قد يجعلني أبكي.

لم تكن ظروف العصفور وموقفه هما ما أثرَ فيَّ. ما جعلني أرتعش هو

عينه اليمنى. في اللوحة، كانت العين اليسرى مظللة، إنما في اليمنى ثلاثة نقاط من الضوء، لمسة بسيطة احترافية أقتنعني أن هذا العصفور المرسوم يمكنه الرؤية بالفعل. كانت نظرته مباشرة ولكن أكثر من مجرد ذلك. كان هنالك عمق في عينه.  
لا، ليس ذلك فقط.

أدركت فجأة ما عنته اللوحة لي حقاً، وظنت أنني عرفت ما عنته للفنان. هنالك كثيرون ممن يؤمنون بالله يعتقدون أنه ليس فقط خالق الطبيعة، بل أنه أيضاً موجود في الطبيعة بأكملها، وأنه معنا في كل مكان، وأنه يتتجاوز حدود فهمنا البسيط، وأنه واع تماماً وعطوف. في عين عصفور الدوري اليمنى، رأيت أن العصفور ينظر إلى صاحبه، وأن الطبيعة نظرت أيضاً، ولكن من خلال تلك العين الرطبة والحساءة، شاهد خالق صاحب العصفور. شاهد ورأى وأحب صاحب العصفور لإمكانياته، لكنه حزن من قساوته. كان وراء تلك العين حبٌ وحزن، والتي حدقـتـ إلـيـ بـنـفـسـ عـزـيمـتـهاـ عـلـىـ التـحـديـقـ إـلـىـ صـاحـبـ العـصـفـورـ، وـرـأـتـ وـعـرـفـتـ مـحـاسـنـيـ وـمـساـوـئـيـ، عـرـفـتـ شـجـاعـتـيـ وـجـبـنـيـ، عـلـمـتـ بـأـمـرـ الأـكـاذـيبـ التـيـ روـيـتـهاـ. ربـماـ لـمـ أـسـتـطـعـ أـعـتـبرـ عـنـ ذـلـكـ بـكـلـمـاتـ حـيـنـهاـ، كـفـتـيـ مـرـتـبـكـ بـعـمـرـ الـحادـيـةـ عـشـرـةـ، وـلـكـنـتـ فـهـمـتـ: كـنـتـ مـقـيـداـ كـالـعـصـفـورـ، وـكـانـتـ حـلـقـاتـ السـلـسـلـةـ هـيـ أـكـاذـيـبـيـ، بـحـيـثـ أـكـوـنـ كـلـاـ مـنـ العـصـفـورـ وـصـاحـبـهـ، مـقـيـدـ وـمـعـرـضـ لـلـخـطـرـ بـسـبـبـ أـفـعـالـيـ.

لاحظت أماليا أنني أرتجف بعنف فقالت: "جونة، ما الخطـبـ؟".  
"لا شيء، لا أعرف. لا شيء، أنا على ما يرام".  
"أنت تترافقـ كـورـقةـ شـجـرـ".

أدركت قبل وهلة أنها كنا مسحورين بسبب المعرض لدرجة أنها لم نذهب لتناول الغداء. نظرت الآن إلى ساعتي وقلت: "نحن لم نأكل، إنها الساعة الثانية. أنا أتضور جوعاً. لنبحث عن أحد الباعة المتجولين. أنا بحاجة

لهوت دوغ".

سألني مالكوم بينما كنت أبتعد عن لوحة عصفور الدوري الذهبي قائلاً:  
"ما الذي عنته اللوحة بالنسبة إليك؟".

"لا أعرف. علي أن أراها مرة أخرى. سأكتشف ذلك لو لم أكن أتضور  
جوعاً هكذا. ألسنت تتضورون جوعاً؟".

غرفة بعد غرفة ذوات أرضيات رخامية بيضاء، نزولاً على درج عريض  
رخامي أيضاً، وعبوراً بالمزيد من الأرضيات اللامعة... لم أتوقع أننا عبرنا  
كل هذه المسافة، وتساءلت إن كنت أماليًا تعرف طريق الخروج من هنا أو  
إن كنا في متاهة، ندور في حلقات مثل إحدى حلقات المسلسل ذا توابلait  
زون. ولكن حينها وصلنا إلى نافذة المحاسب حيث اشترينا تذاكرنا، وكانت  
الأبواب خلفه.

كنت أتعرق قبل مغادرتنا لمعرض بيناكونثيكي، ومع أن الجو كان دافئاً..  
إلا أنه لم يكن حاراً كفاية لتفسير العرق الذي تصيب من وجهي.

بينما كنا نمشي باحثين عن باعة متوجلين في عربات متنقلة، قالت أمالي:  
"هل أنت متأكد أن هذا بسبب الجوع، جونة؟ أنا لست متأكدة من ذلك".

"بل هو كذلك، حقاً، أنا فقط بحاجة إلى أن آكل".

قال مالكوم: "التاريخ مطبوع على تذاكرنا. يمكننا أن نعود بعد تناول  
الطعام".

كنت قد حصلت على ما يكفي من الفن اليوم. ولكني لم أتعرف بذلك.  
وجدنا بائع هوت دوغ وحصلنا على اثنين لكل واحد، مع البيسي. كنا  
حينها قريين للغاية من المحكمة، وكانت هناك حديقة إلى جانبها. جلسنا  
جنباً إلى جنب على مقعد وتناولنا الغداء. تخترت الحمامات في مشيتها جيئة  
وذهاباً على أمل إيجاد بعض الفتات، وكانت تنظر إلينا بأقل حدة من عصفور  
الدوري الذي تفحصني.

اختفت رعشتي وزال تعرقي، وكأن الجوع كان حقاً السبب وراء ذلك، وهذا ما أسعد أمالي.

تظاهرةت بأنني مفتون بالمحكمة وسألت إن كانت مثل تلك التي تظهر على التلفاز. قالت إنها هائلة وتستحق المشاهدة نظراً لجمال فن العمارة فيها. بعد أن استكشفنا جميع المساحات العامة، كان علينا أن نسرع للحاق بحافلة الساعة 3:20 عند زاوية تقاطع الجادة الوطنية مع الشارع .<sup>52</sup> خلال الطريق إلى المنزل، كنت قلقاً وتساءلت متى سيقع الفأس، ولم أقصد بذلك ساكسوفون مالكوم.

اتصلت السيدة نوزاوا بالسيد يابو تامازاكى القيم على مشرحة صحيفة ديلي نيوز، ولكنه لم يكن هنالك ولن يأتي لبقية اليوم. لم ترك له رسالة، لأنه اعتبر أن هذا التحقيق كان ذا طبيعة حساسة. قال سابقاً أنه عندما تتصل، إذا رد عليها شخصٌ غيره، فعليها ألا تترك رسالة. اتصلت به على هاتف شقيقه، وتركت الهاتف يرن، ولكنه لم يُجب ولم يكن يملك مجيئاً آلياً. وردها حينها اتصال حول تعطل إحدى الغلايات في المنزل الذي امتلكته هي وزوجها، وعندما اتصلت بالسيد نوزاوا الموجود في مغسل السيارات، اكتشفت أنها تواجه مشكلة أخرى وهي تتعلق بالبالوعة في المغسلة رقم 2. إلا أن الغلاية كانت أولويتها.

وصل السيد نوزاوا إلى المنزل عند الساعة 9:10، غالباً معه بيتسا متوسطة الحجم بالبieroني والجبن وسلطنة بحجم عائلي من مطعم بيتسا. عندما وصلت السيدة نوزاوا بعد خمس وعشرين دقيقة، قدمت أولاً وجبة العشاء المتأخرة لكلبها الصبور وأخذته إلى الفناء الخلفي ليقضي حاجته. بحلول الوقت الذي قامت فيه بمسح أكفت توشيهرو ميفون بقطعة قماش مبللة قبل إدخاله إلى المنزل، شعرت أنه قد تأخر الوقت للاتصال بالسيد تامازاكى، كما أنها أرادت بعض البيتسا بشدة، وبعض النبيذ الأحمر.

بينما كانا يأكلان على طاولة المطبخ، تبادلا الأخبار عن مستجدات يومهما. واتفق السيد نوزاوا مع زوجته حين قالت إنها ست telefon ابنتهما الصغرى في نورث ويسترن، وابنتهما الكبرى في بيل، وابنهما في جامعة كاليفورنيا - لوس أنجلوس لتصر عليهم أن يتبعوها إذا ما كان لديهم أساتذة يرتدون بناطيل خاكية متعددة مع جاكيتات مرقعة وقمصان تيشيرت عليها أحرف مبهمة لكي يتركوا حصصهم ويجدوا بدائل لها.

منذ انتقالنا للعيش مع الجد تيدي، احتفظت بقلادة القلب البلاستيكية، وريشه الأسرة في علبة اللافلورانتين بدلاً من حملها معي إلى كل مكان في جيوب بنطالي. أعتقد أنني شعرت لفترة بالأمان في منزل جدي أكثر من شقتنا. مررت سابقاً بالتجربة نفسها: عندما بدأت جميع التهديدات بالتلاشي تقرباً، كنت أحتفظ بالقلادة بسبب الفضول، مثل جوهرة لمن يتزين بها فتى أبداً بل يحتفظ بها في جيبي، ولكن عندما شعرت بالخطر الكبير، بدت القلادة سحرية مرة أخرى، وكأنها تمنع حماية مطلقة ضد جميع أنواع الظلام التي قد تصيبنا في هذا العالم.

ليلة الخميس تلك، بعد تجربة الذهاب إلى المعرض، وبالنظر إلى كل ما حصل منذ المظاهرات المناهضة للحرب وعمليات التفجير في جامعة المدينة يوم الاثنين، بما في ذلك زيارة الآنسة بيرل وتحذيرها لي يوم الأربعاء، فكرت بالألبرت سولومون غليغ، سائق سيارة الإجرة والكوميدي الطامح، وبالقلادة التي أعطاها لوالدتي وأعطيتها لي من بعدها، أخذت علبة اللافلورانتين من منضدي وفتحتها وأخذت القلادة من بين باقي الأشياء.

حين أرجحتها من سسلتها الفضية، ظننت أن عيني تخدعني. تحولت الريشة البيضاء الصغيرة إلى اللون البنى المائل إلى الذهبي، بنفس لون الطائر في اللوحة التي أثرت في كثيراً. حاملاً القلب البلاستيكي في كفي، وضعتها تحت نور المصباح الموجود قرب السرير، ولكن ظهرت الريشة تحت الضوء القوي بلون مائل إلى الذهبي ولكن بدت أزهى مما ظهرت عليه مسبقاً. وحين أبعدتها عن النور ورفعتها أمام عيني، عكست لوناً أقوى من ذلك الذي عكسته

تحت النور، بدت حتى أنها تضيء.

وضعت القلادة حول عنقي، متسائلاً إذا ما كانت من مجواهرات الفتيات أم لا. تأرجح القلب على صدرني، كان ثقيلاً ولكن غير مزعج. وضعتها تحت بلوزة ملابس النوم، وأنا شبه متوقع أن يظهر ضوء ذهبي خافت من خلال القماش، ولكن لم يحصل ذلك.

لم أعرف كيف أتعامل مع هذا التطور، ولكن علمت أنه أمر مهم للغاية. لم أفك ملياً باحتمال أن يكون الغراء الذي يثبت نصفي القلب معاً قد أصبح عامقاً بسبب الزمن. لأنه لو كان ذلك السبب، لن يتغير لون الريشة فقط بل ستتصفر كل المساحة بين نصفين القلب، ولكنها لم تكن كذلك. إضافة إلى ذلك، بدت أطراف الريشة التي تنبثق من جهتي العود، بنفس الطراوة التي طالما بدت عليها، وكأنها لم تكن ملصقة بالغراء إنما موجودة في مساحة فارغة في منتصف القلب، حيث لم يكن هنالك غراء.

بدت هدية سائق سيارة الأجرة سحرية في اليوم الذي استلمتها فيه، وفي مناسبات أخرى أيضاً، بما في ذلك اللحظة التي رأيت فيها الريشة تحول إلى اللون الذهبي. ولكن الآن، بعد دقيقتين، وأنا أستمع إلى قلبي ينبض تحت القلب البلاستيكي الساكن والشفاف في سسلته، شعرت أن العالم بأكمله كان سحيرياً، مع أنه ولد أفكار كثيرة عن أشياء مبهرة وغامضة، قد يكون ذلك غير كافٍ أو حتى خاطئ. شعرت أن هذه القلادة لا بد أنها شيء لا أعرفه يتجاوز السحر، مع أنه ليس هنالك شيء آخر يمكن أن تكون عليه. كنت سريع الديهية بالنسبة إلى فتى بعمر العاشرة، ذي فكري نشط، ولكن أربكتني بعض الأمور. القلادة والأنسنة بيرل والكثير من الأحداث التي حصلت خلال العامين السابقين، وتجربة لوحة عصفور الدوري في اليوم ذاته، وحتى إلى حد أدنى لوحة فيرمير الفتاة ذات القبعة الحمراء ولوحة جاكوب فان رويسدايل حقوق القمح، كان كل ذلك يحمل بعض السحر، إنما حمل أيضاً شيئاً أعمق

وأغرب من السحر: حتى اللحظات العادبة مثل تناول الفطور مع أمي في مطعم ذا روיאל ولعبة ورق معها على طاولة المطبخ، الصالة الكبيرة التي كان فيها الخياطون المنشغلون في شركة ميتروبوليتان للبدلات، السيد يوشيوكا وسلسلة الأمان التي أذكر أنها لمعت كالذهب بدلاً من النحاس، الزخارف العاجية لسيدة المحكمة التي كانت ترتدي زي كيمونو ذو تسع عشرة طبقة، الجد تيدي مع علبة اللبان المنكهة بالفواكه بينما تراقصت الغربان على الرصيف...

مع أنني شعرت بمزيدٍ من الأمان وأنا أضع القلادة حول عنقي، ومع أنني علمت يقيناً أنها لم تكن عبارة عن تفاهة سحرية، إلا أنني لمأشعر بالأمان كلياً. لم أستطع سوى التفكير بأن تغير لون الريشة يعني أن هنالك لحظة تقترب، أو حدثاً، أو مصيبة، كنت أقترب منها منذ اليوم الذي منحت فيه ثمانية أسماء - من دون كيرك - لن أستطيع أن أرتفع إليها حتى لو أصبحت بعمر متوا Gallagher.

بالرغم من أن الغرفة الدافئة كانت بحاجة إلى تهوية في ظهرية ذلك اليوم في يوليو، ومع أن ذلك الوجه الشاحب الذي ظنتت أنني رأيته على النافذة في اليوم السابق كان غالباً من نسج خيالي، إلا أنني نهضت من سريري وأغلقت النافذة وأقفلتها وأسدلت ستائر.

قبل الساعة الثانية ظهرة اليوم التالي، وصل السيد يوشيموكا ماسياً من موقف الحافلة على بعد ثلاثة شوارع، كان يرتدي بذلة صيفية مخططة مؤلفة من ثلاث قطع، أحضر معه طبقين ورقيين ملصقين معاً ليشكلاً علبة. قدمها لي ونهضت من الكرسي على الشرفة الأمامية حيث كنت أنتظره.

"أرغب أن أقدم لك ست كعكات بنكهة جوز الهند مع قطع الشوكولا، صنعتها بنفسي وأرجو أن تجدها قابلة للأكل".  
سألته: "هل تقوم بالخبز الآن؟".

"الهمتي ابتكارات والدتك، وأجد بعضاً من الاسترخاء في عملية الخبز".  
"هل تتناول واحدة الآن؟".  
"لا مانع".

وضعت العلبة على طاولة صغيرة بين الكراسي وقلت: "ماذا يمكنني أن أحضر لك لشرب؟ لم أتعلم بعد كيفية تحضير الشاي بطريقة جيدة".  
ابتسم وأومأ برأسه ليشير إلى أن عدم وجود الشاي لم يخيب أمله وقال:  
"أصبحت أيضاً أحب الكوكا كولا، إن كان لديك بعض منها".

أحضرت علبتين من الكولا، وكأسين من الثلج، وبضعة مناديل ورقية على صينية، وجلستنا جنباً إلى جنب، وكانت الطاولة بيننا. عندما نزعت الشريط وفتحت غطاء العلبة، أسالت رائحة الكعك لعابي. "رائحته رائعة".

"ووجدت التعليمات في مجلة قيل لي إنها جيدة. بعد أن خبزت دفتين، قمت بإضافة بعض التغييرات على الوصفة".

كان مذاق الكعك حتى أفضل من رائحته. "إن هذا الكعك رائع، عليك

أن تفتح متجرًا لبيع الكعك أو شيء من ذلك القبيل".

"أنا مجرد خياط، مع أنني فكرت في العمل كاتبًا في المجلة وأن أرسل لهم وصفتي المعدلة. إلا أنني خائف من أنهم لن يقدروها حق قدرها. من الجيد رؤيتك مجددًا، جونة".

"من الجيد رؤيتك أيضًا".

"هذا منزلٌ جميل في شارعٍ جميل مع كل تلك الأشجار. أرجو أن تكون سعيداً هنا".

"أنا كذلك". قلت ذلك ولم أقلقه بمشاكلِي، في الواقع، لم أستطع أن أخبره عن مشاكلِي الأخيرة إلا إذا أخبرته عن السر الأخير الذي أخفيه عنه - وهو الآسْة بيرل. كنت أشعر أنني يجب أن لا أخبر أحداً عنها، وأن زيارتها لي كانت بشكلٍ ما مقدسة.

تحدثنا عن الأمور اليومية ل دقائق عده، وأخبرني بعدها عن اتصال السيد تامازاكى من صحيفة ديلي نيوز بمعبد نيشي هونغوانجي البوذى في لوس أنجلوس وكيف أنه وجد من خلاله سิตسووك نوزاوا في تشارلستون إيلينوي. في اليوم السابق، الخميس، قدم السيد تامازاكى تقريراً مفصلاً عن اكتشافات السيدة نوزاوا للسيد يوشيوكا وانطلق من بعدها متھمساً في عطلة لمدة ثلاثة أيام إلى آسبوري بارك في نيو جيرسي.

أخبرني السيد يوشيوكا أنه وجد آسبوري بارك مكاناً غريباً ليقضي السيد تامازاكى فيه عطلته. كان تامازاكى خجولاً، ولم يكن يهوى السباحة أو التسمس، ولم يكن لديه اهتمام بالفرص العاطفية التي تقدمها مجتمعات المجتمعات البحرية. ولكن بما أن السيد تامازاكى قطع كل المسافة إلى آسبوري بارك خمس مرات في العام السابق، غير مهتم بحالة الطقس، ربما كان من المنطق أن يظن المرء أنه لم يكن منجذباً إلى البلدة إنما إلى تجربة عاطفية فيها.

قال السيد يوشيوكا: "في متصف عمره، أظن أنه نمّي انجذاباً كبيراً للنساء اللواتي يقين على بعد مسافة منه، لسوء حظ الاثنين. ولكن هذه المشكلة مسألة تافهة إن كان قد وجد الحب في عالمٍ لا يوجد فيه سوى القليل من الحب".

شاركتني السيد يوشيوكا بكل ما توصلت إليه سيتسوكي نوزawa. بالطبع، لم يكن يعلم أنها حاولت الوصول إلى يابو تامازاكى مرةً أخرى، وأنها اتصلت به بشكل متكرر خلال الساعات الأربع والعشرين الماضية، بعد أن انطلق القيم على المشرحة إلى آسبوري بارك. لم تستطع أن تخبره عن زيارة الدكتور ميس - ماسكيل الغربية إلى محلها أو عن الدليل العرضي على أنه قام بالتأمر مع لوکاس دراكمان من أجل قتل السيدة ميس - ماسكيل. كنا سنعلم كل ذلك مع مرور الوقت، لأننا لم نعش في زمن الهاتف المحمولة والرسائل النصية. أخبرت كل هذا للسيد ناكاما أوتاني، الذي سينضم إلينا مجدداً. سيقوم بتنسيق الواقع التي حصلنا عليها من السيدة نوزawa مع المعلومات الأخرى التي وجدها مؤخراً والتي لا يزال يجد المزيد منها، وعندما يقنع أنه قام بتجميع قضية مقتعة، سيدهب إلى المسؤولين عنه وسيطلب فتح الملف.

أصابني الاستماع إلى كل هذه التطورات بنوع من الدوار فقلت: "من هم المسؤولون عنه؟ أين يعمل؟".

"السيد أوتاني محقق في جرائم القتل".

"ولكنك لم ترد أن نذهب إلى الشرطة".

بعد أن ارتشف رشفة من الكوكا كولا، قال السيد يوشيوكا: "لم أذهب إلى الشرطة، جونة. ذهبت إلى السيد أوتاني ليس بصفته ضابطاً، بل كأحد زملائي في مانزنار".

"أوه".

"تجربتي في مخيم إعادة التوطين جعلتني لا أثق بالقانون. ولكن السيد

أوتاني تعلم درساً مختلفاً عن تجربتي. لأن النظام القانوني ذاته الذي أساء معاملتنا قام خلال عدة سنوات باسترجاع حقوقنا كمواطنين. أصبح السيد أوتاني يكن الكثير من الاحترام له واختار أن يصبح شرطياً ومحققاً في النهاية. فكرت بهذا لوقتٍ طويلاً، وعليّ أن أعترف أنه رجلٌ أفضل مني".

لم يعجبني سماعي يقول ذلك، في الواقع لم أطق سماعيه. "إنه ليس رجلاً أفضل منك. أنت فقط... حسناً، فقدت أكثر مما فقد".

حدق إليّ بصمت لدقائق، ونظر بعدها إلى أشجار القيقب المتمايلة أفرعها بفعل نسمات الهواء. وقال في النهاية: "أنت تفاجئني كثيراً، جونة. إنها الحقيقة فقط. هل قلت شيئاً خطأ؟".

"لم تقل شيئاً خطأ. نعم إنها الحقيقة. لم يفقد السيد أوتاني أحداً في المخيم، ولكن ذلك لا يبرر فشلي في التمييز بين أفعال القدر - الحرير - وأفعال البشر. لمت البشر على الحرير وعلى خسارتي بشكلٍ متساوٍ، وكان ذلك خطأً غير حياتي منذ ذلك الحين".

"خطأ؟ كلا، لم تكن والدتك وشقيقتك هنالك في المقام الأول لو لم يرسلهما القانون إلى هناك".

"وهذا ما ظننته حتى وقتٍ قريب، ولكنني اكتشفت أنني كنت مخطئاً. يا رجل، أنت تقسو كثيراً على نفسك".

نظر إليّ مجدداً وابتسم قائلاً: "إن لم أكن قاسياً على نفسي، جونة، من سيفعل ذلك؟ إنه ليس بالأمر الجيد أن يكون المرء متواهلاً مع نفسه". لم أعرف ما عليّ قوله. لم يوقفي ذلك عن الثرثرة سابقاً، ولكن هذه المرة جلست بصمت.

قال السيد يوشيوكا: "قام مصور الشرطة بالتقاط المئات من الصور أثناء المظاهرة في جامعة المدينة يوم الاثنين. وقام السيد أوتاني بمراجعتها بدقة وعشرون على الأنسنة ديلفاين ووالدك والسيد سمولر والسيد دراكمان والأنسة

كاسidiي .

"كانت هي هناك أيضاً؟".

"بالطبع، من حقهم التظاهر. إنها حرية التعبير".

"إذن ما الذي يعنيه وجودهم هناك؟".

"يعتقد السيد أوتاني أن لوکاس دراكمان يعيش في المدينة بهوية مزورة. أمانة عائلة دراكمان، المركبة التي منحت من خلالها الملكية من والديه المقتولين إليه، لا زالت موجودة في إيلينوي. وفي الواقع، تملك الأمانة أملاكاً هنا في المدينة. السيد أوتاني يبحث الآن عن العنوان أو العنوانين".

"هل تعتقد أنه يعيش هنا؟".

"ربما يكون ذلك المكان الذي يعيش فيه هو والأنسة كاسidiي وحيث ذهب والدك والأنسة ديلفابين أيضاً، عندما اختفي من شقتهما السابقة. قد يكون أيضاً حيث يعيش السيد سمولر الآن".

"ألا يعيش في البناء؟".

"استقال من عمله يوم الجمعة الماضي، انتقل ولم يترك أي عنوان بديل".  
وضعت كوب الكولا البارد على الطاولة وقلت: "أشعر وكأن رأسي سينفجر".

"لا بد أن ذلك شعور سيئ. بالحديث عن الانفجارات، اكتشف السيد أوتاني أن الأنسة كاسidiي متخرجة من إحدى كليات جامعة المدينة، حيث حصلت على شهادة في الكيمياء".  
"واو".

"كما قلت (واو). يأمل السيد أوتاني أن يُظهر أن خمستهم لم يكونوا في المظاهرة فقط إنما أيضاً يعيشون في المكان ذاته، وأحدهم على الأقل باسم مزيف ولا شك أنه يملك هوية مزيفة. هذا وحده لن يكون كافياً لإقناع المسؤولين بفتح ملف قضية، ولكن مع المعلومات التي وفرها السيد تاما زاكى

من قبل والسيدة نوزاوا مؤخراً، سيكون كافياً، بحسب قوله، (رمية مباشرة)، لا بد أنها أحد مصطلحات كرة القدم".

**Telegram @read4lead** قلت: "كرة السلة".

"آه، شكرأً للتصحيح. وبالتالي، إذا استطاع أن يحصل على مذكرة تفتيش للبحث في البناء عن الآثار المسروقة، قد يتم العثور على أي دليل آخر يمكن من خلاله زج السيد دراكمان والأنسة كاسيدي في السجن ليس من أجل السرقة المسلحة والإرهاب بل أيضاً من أجل القتل".

لو كان ذلك سيحصل، لكن أخيرأً كفت عن القلق عليهم جميعاً، وعلى والدي أيضاً، لأن تيلتون وبالرغم من أنه لم يقتل أحداً ولن يحكم عليه بالسجن مدى الحياة، إلا أنه سيكون خلف القضبان لسنوات.

أعتقد أن جدي تidi وربما والدتي سيدتان أنه علىي أن أغض سقوط والدي وسجنه بدلاً من الاحتفال به. حسناً، حظاً موفقاً في ذلك. أفضل ما يامكانهما توقعه هو أثني قد لا أحفل بنجاحي كثيراً، سيشعران بالحاجة لتلاوة صلواتٍ من أجل خلاص روحي.

"متى سيستطيع السيد أوتاني أن يقنع رئيسه بفتح ملف قضية؟".

"يعتقد أنه سيحصل على كل ما يريد قبل ظهر السبت".  
"غداً".

"سابيك على اطلاع. أرجو أن تفهم ما علينا فعله إذا وافق رؤساء السيد أوتاني على فعل ما يريد".

كانت نظرته مباشرة وتعابير وجهه تنم عن قلق مهذب، وكانت طفيفة مثل معظم تعابيره، ولكنني شعرت أن جملة "ما علينا فعله" ستعني أن هنالك شيئاً ما لن يعجبني القيام به.

عندما لم أستطع أن أعرف ما عنى بكلامه، أوضح قائلاً: "عندما يتم فتح ملف القضية وتذهب الشرطة إلى المحكمة للحصول على مذكرة تفتيش،

عليّ أن أعود إلى هنا لكي أجلس وإياك مع والدتك لتقول لها كل شيء أخفيته عنها وكل ما تأمّنا أنا وأنت على فعله".

فكّرت أن ذاك هو شعور الرجال المحكومين بالإعدام. قلت: "كل شيء؟".

"نعم جونة، هذا هو الخيار الوحيد".

"ربما كان هناك غيره".

"كلا، ليس هناك غيره".

"هل أنت متأكد؟".

"نعم أنا واثق من ذلك. وأنت كذلك".

لم أستطع أن أنظر إلى عينيه وأتظاهر أنه قد يكون هنالك خيار آخر، ولكن حين نظرت بعيداً عنه، لم أستطع أن أستمر بالتظاهر. "حسناً، أنت محق. ولكن... يا رجل، سيكون هذا عبارة عن مجرزة".

عبس وقال: "من المؤكد أنك لا تعتقد أن والدتك، بالنظر إلى طبيتها، ستلجم إلى العنف؟".

"لا سيدي، كنت فقط... أبالغ. أعتقد أن الخوف يحرك مخيلتي. مخيلتي واسعة".

"إذا كان ذلك يريحك، أؤكد لك أنني سأبدل ما في وسعي لكي أساعد والدتك على تفهم أنك كنت تكذب عليها لأسباب شريفة معظم الوقت وبسبب غباء الشباب".

عبست في وجهه في المقابل وقلت: "شكراً على ما أظن".

"عليّ الذهاب الآن". نهض من كرسيه، سوى كمي قميصه، معطفه، ربطة عنقه، منديل الزينة، وعندما بدا وكأنه خارج من إعلان في مجلة، ابتسم لي وقال: "عليّ أن أصارحك، جونة، بغض النظر عن القلق والتوتر اللذين كانوا يمران بي أحياناً، استمتعت بهذه المغامرة التي مررنا فيها سوية".

قلت: "وأنا أيضاً" وعنت ذلك.

انحنى لي وانحنى له.

مد يده وصافحته.

كنت على وشك أن أعنقه بقوه، ولكن لم أعلم ما قد يظنه بخصوص ذلك، إن كان ذلك سيحرجه، ولذا كبحت نفسي. إنه شيء ندمت عليه لاحقاً.  
"سأتصل بك على الأغلب بعض النظر سواء كنت وحدك في المنزل أم لا."

"أجل، أعلم وأتفهم ذلك."

نزل الدرج، وعبر الممر، والتف يساراً على الرصيف، عائداً إلى موقف الحافلات في الجادة الرئيسية.

كما شاهدت الآنسة بيرل يوم الأربعاء، شاهدت الآن السيد يوشيموكا. بينما تقلص في أفق يوم صيفي، أدركت أنه في مرحلة ما خلال الأشهر الماضية، كنت قد توقفت عن ظني بأنه رجل ضئيل، وأنه في كل مرة رأيته فيها، كان يبدو أطول.

نظفت طاولة الشرفة، غسلت الكأسين اللتين استخدمناهما، وضعت الكعكات الأربع التي تبقي في كيس نايلون، وأخفيتها في منضدي لأتجنب الحاجة إلى تفسير كيفية حصولي عليها. كذبةأخيرة.

علمنا لاحقاً، أنه في الساعة نفسها التي قام فيها السيد يوشيوكا بزيارتي، حاولت سิตسووكو نوزاوا الاتصال مجدداً بالسيد تامازاكي من صحيفة ديلي نيوز. علمت أنه كان ذاهباً في عطلة وسيعود يوم الاثنين. اعتقد أن تقريرها له كان كاملاً، وكانت هي تعتقد ذلك أيضاً حتى ظهر الأستاذ المجنون كشخصية سيد سيزر في برنامج يور شو أوف شوز القديم. المعلومات الجديدة التي حصلت عليها كانت توافي أهمية التقرير، لكن، وبما أن كل ما حصل متعلق بأحداث حصلت قبل سنوات، اعتقدت أن الموضوع سيكون بالأهمية نفسها إن أخبرته يوم الاثنين أو الآن.

لم نكن نعرف أن يوم الاثنين المقبل سيغير حياة كثيرين إلى الأبد أو سينهيها.

في مكان آخر في تشارلستون، إيلينوي، في المنزل الجورجي الفخم الخاص بالدكتور جوبال ميس - ماسكيل، البروفسور لم ينهض من فراشه حتى بعد الظهر، مع أنه كان صاحياً إلا أنه شعر بالغثيان، وكأنه تعرض للضرب. لكن تفكيره كان صافياً.

في نهاية المطاف علمنا بتفصيل دقيق كل ما فكر به الدكتور ميس - ماسكيل وكل ما فعله خلال هذه الأيام. بعد فترة، حين حفقت معه الشرطة، لم يأخذ بنصيحة محامية، وأثبتت أنه مدمّر لذاته ومتحدث طليق دفعته لذلك الشفقة على النفس وحسه بأهميته التاريخية للحركات الطوباوية في تلك الأيام.

بعد أن صحا، فكر بالمواد غير القانونية التي تعاطاها قبل يوم، وبعد

التفكير، فهم خطأه، إن خليط المخدرات الذي تعاطاه جعله يغوص في عالم من الارتياب. عندما سمع بزيارة السيدة نوزواوا إلى مكتب شؤون الخريجين، تسرع بالاستنتاج السخيف بأن لوکاس كان سيظهر كقاتل مأجور. في الواقع، كان الفتى قاتلاً فقط، لم يقتل دوماً من أجل المال. في الحقيقة، رفض أن يأخذ مالاً من مدرسه الغالي مقابل قتل نورين وليس ميس - ماسكيل المتعبة، المعروفة سابقاً باسم نورين وليس نورفيل، من عائلة نورفيل في غروس بوينت. "ستدين لي بخدمة"، هذا ما قاله لوکاس عندما رفض المال، وكان جوبال مسروراً بذلك، لكن بعد وقت، بدأ بالتساؤل عن ماهية هذه الخدمة. اعتقد أن لوکاس كان ملتزماً بالقضية - كان جوبال دائماً يكتبها بالخط العريض في ذهنه - ولكن خلال الأعوام الأربعية بعد تخرج الفتى، كان يقضي معظم وقته بلا هدف، مشتتاً بالملذات الشهوانية. بين الحين والآخر، كان لوکاس يهتم بأمور يعتبرها مهمة - إخراج قطار عن مساره، أمور تخريبية أخرى، شرطي غير متتبه قُتل برصاصة - ولكن بالنظر إلى ذكائه الحاد ومقدراته، كان متکاسلاً.

مؤخراً، أصبح الدكتور ميس - ماسكيل قلقاً بشأن عدم اهتمام لوکاس بالقضية وتعریض نفسه لمخاطر كبيرة فقط من أجل الحصول على التشویق. في النهاية، قام بإطلاق النار على شرطي خارج مطعم صيني، في شارع مزدحم، حيث كان هنالك شهود عيان، منتهزاً الفرصة غير المتوقعة. ببراعة مذهلة، قام بحساب مشاكل مجال الرؤية، حدد مكان البقعة العميماء، أطلق النار على الشرطي، وأقحم المسدس في جيب معطف رجل مشرد ذي مظهر رث، وصرخ، "لقد أمسكت به، وجدت القاتل، ساعدوني!" عندما انضم إليه بعض الرجال في محاولة لإخضاع المتشرد المذعور، استغل الفوضى الحاصلة ليبتعد. كان يظن نفسه أرفع مقاماً، من الجنس المسيطربحسب نيته، وبشكل منتظم، كان يبدو أنه بحاجةٍ لإثبات هذا التفوق من خلال المخاطرة بفعلِ

عندما كان لوکاس يقوم بحرف قطار عن مساره، أو بقتل شرطي في شارع عام ليحصل على التشویق ولبيت طبیعته المتفوقة، كان لا يضيع الوقت بالتفكير وبووضع خطة لعملية أكثر دقة يمكن أداؤها بشقة أكبر ودون ترك أي دليل قد يقود إلى الجناة... كان هذا التهور أيضاً يضع البروفسور في خطر. تطلب الأمر منه عدة سنوات ليدرك أنه إذا تم إلقاء القبض على لوکاس وأدین بجريمة قتل واحدة فقط، فقد يقوم بالمفاؤضة على تخفيف حكمه بشرط أن يخبر عن الآخرين والذين سيكون المسؤولون مسؤولين بالقبض عليهم، مثل الدكتور جوبال ميس - ماسكيل. الخدمة التي أدان بها طالبه السابق قد تكون عبارة عن دماره من أجل تخفيف حكم لوکاس بضع سنوات أو من أجل إعطاء الفتى بعض الامتيازات في السجن لن يحصل عليها سوى بتلك الطريقة.

هنا، في ضوء نهارٍ جديد، فهم البروفسور، كما لم يفهم من قبل، أن حريته بحد ذاتها تعتمد على حرية لوکاس، لذلك شعر أن عليه الاتصال بطالبه السابق دون تأخير، وإخباره عن زيارة السيدة نوزاوا إلى مكتب شؤون الخريجين. في كل مرة غير فيها لوکاس رقم هاتفه، كان يعطي معلومات التواصل الجديدة لأستاذة، مع أنه لم يوفر عادةً عنواناً أو صندوق بريد. بعد أن يعلم لوکاس باهتمام السيدة نوزاوا به، سيرغب على الأرجح بالذهاب إلى تشارلستون وأخذ المرأة إلى مكان هادئ ومنعزل ليكتشف نواياها الحقيقة، بما أنه من المؤكد أن الأمر لا علاقة له بشكرها له على خدمة أدتها لها.

حمل البروفسور الهاتف وأدخل رقم لوکاس الجديد مرتين، ولكنه أغلق السماعة في المرتين بعد أن أدخل أقل من نصف الرقم. كان حالياً من المخدرات، ولذا لم يذهب ذهنه في دوامات من الارتياب، لكنه كان ذكيًّا بما فيه الكفاية ليكتشف أنه سيعرض نفسه لخطر حقيقي إذا عاد طالبه إلى تشارلستون ليستحصل على معلومات من سيدة محل التنظيف الجاف. قد لا

يعلم لوکاس فقط السبب وراء اهتمامها به، إنما قد يعلم أيضاً بزيارة أستاذه السابق الغربية لمحلها. عرض الدكتور ميس - ماسكيل نفسه للخطر بعد أن كان في أمان، ولا بد أن ذلك عزز فضول المرأة وشوكوكها حول لوکاس. قد يتحول الأستاذ المحبوب بلمح البصر إلى عبء غير محتمل، وبعد زيارة لوکاس إلى تشارلستون، قد ينخفض عدد سكان البلدة اثنين.

قرر الدكتور أن يكون حذراً، وأن يفكر بالعواقب المحتملة قبل اتصاله بلوکاس. ألغى حصص يوم الجمعة ليمنح نفسه بعض الوقت للتفكير، ليعرف إيجابيات وسلبيات كل خيار، وليحضر دفاعاً مناسباً للخيار الذي سيتلقىه في النهاية.

مع أنه كان متوتراً وقلقاً، منع الدكتور ميس - ماسكيل نفسه من تعاطي أي حبوب أو مسحوق من شأنه أن يهدى أعصابه ويتحول القلق إلى طمأنينة. كان عطشاً، ولكنه تجنب البوربون والبراندي، وترك النبيذ مغلقاً.

حضر آلة صنع القهوة، وبينما كان المزيج يسخن، وضع دفتراً مسطراً. وقلم حبر أزرق، وقلم حبر أحمر على طاولة المطبخ.

كان يجلس متظراً القهوة كي تجهز، حين أدرك أنه لم يرتدي ملابسه. لم يكن يرتدي سوى الشورت الداخلي الذي نام فيه. أزعجه ذلك. إذا كان وجوده بأكمله في خطر، بدا تخطيطه للنجاة وهو يرتدي ملابسه الداخلية بنفس سوء قيامه بذلك وهو عاري تماماً. ذهب إلى غرفة نومه، حيث ارتدى رداءه الحريري الأزرق وانتعل شبشه الجلدي الطري، وعاد إلى المطبخ بذهنٍ أكثر دهاءً وحدقاً.

صباح السبت، كنت ومالكوم جالسين إلى الطاولة الحديدية ذات السطح الزجاجي في الفناء خلف منزل الجد تيدي، كنا نلعب اللعبة التي أثارت حسأً بالطموح للنجاح والاستقلالية لدى الأولاد في ذلك الوقت: مونوبولي. كنا نشتري العقارات ونبني المنازل والفنادق، ونرثي الغرامات غير العادلة والذهاب إلى السجن غير المستحق، عندها رن الهاتف في المطبخ. تركت الباب الخلفي مفتوحاً لكي أسمع الرنين من خلال الباب الثاني، نهضت على الفور وهرعت إلى الداخل، آملاً أن أسمع صوت السيد يوشيوكا عندما أرد. "آلو؟".

قال: "جونة، في طريقي إلى موقف الحافلات البارحة، أدركت أنني نسيت شكرك على الكولا والكعك".  
ذكرته: "أنت من جلب الكعك".  
نعم لكنك شاركتني إيه، وجلبت الكولا، شكرأ لك على الضيافة الحسنة".

"لا داعي للشكر، ولكن أملت أن تحمل لي بعض الأخبار".  
أنا أحمل بعض الأخبار، نعم، بعضها يدعوه إلى الأمل وبعضها الآخر محبط. في وقته الخاص، قام السيد أوتاني بإيجاد ثلاثة مبانٍ في المدينة مملوكة من قبل أمانة عائلة دراكمان. قبل أن يتمكن من الذهاب إلى مسؤوليه بخصوص فتح ملف قضية والحصول على مذكرة، عليه أن يكتشف في أي من المباني الثلاثة يعيش دراكمان حالياً، إن كان يعيش في أي منها. يعتقد السيد أوتاني الآن أنه لن يتمكن من فتح ملف قضية قبل عصر الاثنين".

"حسناً، أظن أنه يعرف ما الذي يفعله غالباً".

"إنه يعرف ذلك جيداً. جونة، لنأخذ عطلة نهاية الأسبوع، سيقوم بمراقبة هذه المبني، كل واحد على حدة، حتى يجد ما قد يساعدة في القضية".

"حسناً، الأمر فقط هو أنني مرعوب، أعني، الأمر بأكمله مرعب أكثر من قبل، لا أعرف لماذا ولكنه كذلك".

"تذكر ما قلته لي مرة".

"هاه؟ ماذ؟".

"أياً يكن ما سيحصل، كل شيء سيكون على ما يرام على المدى البعيد".

يُعْزَفُ فِي كُلِّ مَتَجِّرٍ كَبِيرٍ وَفِنْدَقٍ. لَمْ يَكُنْ  
عَلَى وَالَّذِي يَعْمَلُ بِمَنَاوِيَةِ الْغَدَاءِ؛ وَلَكِنْ كَانَ لَدِيهَا مَوْعِدٌ - تَجَارِبُ أَدَاءِ -  
مَعَ مَنْدُوبِينَ. مَا زَالَتْ تَعْانِي لِتَجَدُّدِ الشَّخْصِ الْمُنَاسِبِ لِيَجْدُ لَهَا عَمَلاً فِي الْغَنَاءِ  
وَطَرِيقًا مَهْنِيًّا مُسْتَقْرًأً، سَتَكُونُ فِي الْخَارِجِ طَوَالِ النَّهَارِ.

بعد تهديده بأخذ الساكسوفون خاصته، كان مالكوم مضطراً لمراقبة والدته لتناول الغداء والذهب في زيارة مطولة مع أختها الكبرى، خالته جودي. كان زواج جوديث ناجحاً وكانت تعيش مع زوجها دانكن وقطة بريطانية بيضاء ذات شعر قصير تدعى سنوبول في منزلٍ أنيق يطل على حديقة غريت بارك في المدينة. فسر مالكوم: "تأمل والدتي أن تشدق الخالة جودي على هوسي المميز وأن تقرر بدء مشروعٍ خاص بي، وأن تطمرني بالأموال خلال ذلك أنا وعائلتي بأكملها، وهذا مستحيل كاستحالة شيئاً سنوبول وتقديمها على العداء".

وحيداً، كنت أملك كتاباً لأقرأها، وبيانو أعزف عليه، وتلفازاً يعرض عليه أفلام نهارية كوميدية أو رومانسية، لم يكن هنالك أفلام رعب عن وحوش تجتاح المدينة تجعلني أختبئ تحت سريري. حاولت أن أستقر وأنشغل بفعل أحد تلك الأشياء، ولكني بقيت أنتقل حول المنزل، مثل الكرة، أتفقد النوافذ عدة مرات لأتتأكد من أنها سليمة، أعدت ترتيب الملابس في خزانة غرفتي ووضعتها مثلما كانت مجدداً، تفحصت السكاكين في درج السكاكين في المطبخ لأقرأ أيّا منها كنت سأستخدم لأدافع عن نفسي في حال اقتحم المنزل حشد من البرابرة - أو فيونا كاسيدى - وهي تنوى قتلى.

عندما رأيت أماليا جرس الباب عند الساعة 3:10 كنت مسروراً للغاية، أملت أن تكون قد جلبت معها الكلارينيت، إلا أنها لم تفعل ذلك، أملت أنها ربما قد جلبت معها كتاباً مليئاً بلوحات فيرمير ورامبرانت، ولكنها لم تفعل.

"لدي حوالي خمس دقائق، جونة. نظفت السجاد، مسحت أرضية المطبخ، أزالت الغبار عن الأثاث، غيرت الورق في قفص توبيتي وأنا أتفادى محاولته الشريرة نقر عيني. إنني أحضر العشاء للعائلة، بينما تجهز أخواتي غير الشقيقات لجذب الأمير في حفلة القصر هذا المساء، ولنضمن عدم حصولي على فرصة مع سموه، قمن بسحق حذائي الزجاجي. أنت تبدو غريباً جونة، هل أنت على ما يرام؟".

"نعم بالطبع، أنا فقط ضجر، هذا كل ما في الأمر". توجهت إلى البيانو وجلست على المقعد ورفعت الغطاء لأكشف عن المفاتيح، فكرت أنني إن عزفت لها، ستبقى لوقتٍ أطول.

اقربت من البيانو ووقفت هناك، ولكنها لم تتوقف عن الحديث لوقتٍ يكفي لي كي أبدأ بالعزف. "أنت لن تعرف الملل الحقيقي إلا إن ذهبت إلى منزل الخالة جودي. مالكوم يا لك من مسكيين. زوج جودي دان肯، أكبر منها بكثير. عندما قام ديكنز بكتابة كتابه إي كريسمس كارول، كان مستنداً إلى بخل الحال دان肯، والذي لا يشعر سوى بالازدراء تجاه من يحمل اسم بوميرانتز، مع بعض التبرير لذلك. عانى مؤخراً من فشل احتقاني في القلب مرتين، لن يبقى طويلاً في عالمنا. لا تستطيع الخالة جودي الإنجاب، ولذا تعيش أمي في وهم أن جودي ستشعر بحب كبير تجاه ابن اختها غير الكفؤ اجتماعياً، وهذا ما لم تشعره اتجاهي. أياً يكن الأمر، تأمل أمي أنه عندما يتوفى دان肯، ستقوم جودي بإنفاق المال لمساعدة ابن اختها المضطرب وعائلته، وهو أمرٌ مستبعد. الحالـة جودي ليست حمقاء. ما أتوقع حصوله - إن لم يذهب الحالـة دانـ肯 إلى الجنة في المرة القادمة التي يتناولون فيها الغداء - هو قيام والدتي بإلهاء

جودي وإرسال مالكوم ليجد خالتنا ويخنقه بوسادة أو يلقيه من الشرفة ليسقط من علو أربعين طابقاً إلى الشارع. هل أنت متأكد من أنك على ما يرام؟".  
"نعم، أنا بخير. لماذا تعاودين السؤال؟".

"لماذا تضع يدك على صدرك طوال الوقت؟".  
"أي يد؟".

"تلك اليد، يدك، لقد فعلتها مرة أخرى، وكأنك مصابٌ بعسر الهضم أو الألم".

نظرت إلى الأسفل، وأدركت أنني كنت أقوم، دون وعي، بفقد القلب البلاستيكي بشكلٍ متكرر تحت قميصي، في سلسلته.  
قلت: "لدي بقعة صغيرة".  
"بقعة؟ بقعة ماذا؟".

"طفح جلدي أو ما شابه ذلك. إنه يحكني قليلاً. أنا أضغط عليه بدلاً من حكه، لا أرغب أن يتشر".

لا أعلم لماذا لم أرها القلادة، ربما قلقت أن تطرح كثيراً من الأسئلة عنها، وهي إذا استدرجتني إلى الحديث، سأقول الكثير. يا لي من كاذبٍ محترف.  
قالت أماليا: "دعني أر".

"أتزحدين؟ محال. لن أدع فتاةً تنظر إلى طفح جلدي على صدري".  
"لا تكون سخيفاً، أنت ما زلت طفلاً، وأنا لست فتاة، أنا... أنا".  
"أنا لست جباناً، كما تعلمين، لن أقلق بشأن قليلٍ من الطفح الجلدي".  
"الكرياء الذكوري. حسناً، دع الفطر الجلدي أو أيّاً يكن ذلك الشيء يأكلك حياً".

"إنه ليس فطر جلدي، ليس هنالك شيءٌ كهذا".  
"بل هنالك، ولكنني لم آتِ إلى هنا لأتحدث عن الفطر. كنت أفك  
أن علينا أنا وأنت ومالكوم أن نأخذ الحافلة إلى وسط المدينة يوم الاثنين،

ونذهب في نزهة جديدة. المسكين يستحق ذلك بعد زيارته لخالة جودي، والصيف على وشك الانتهاء".

في اليوم التالي، الأحد، كان جدي والدتي في المنزل، وكنا سنفعل شيئاً مسليناً سويةً على الأغلب. يوم الاثنين، سيكونان في العمل مجدداً، وسأكون وحدي في المنزل إن لم أذهب مع أمالي وألكوم. لن يسمع السيد يوشيوكا شيئاً على الأغلب من السيد أوتاني حتى بعد ظهر الاثنين. إذا بقىت في المنزل كنت سأصاب بالجنون شيئاً فشيئاً، وأنا أتفقد النوافذ ودرج السكاكين.

سألت: "ما الذي سنفعله؟".

"إنه شيء ما أرخص. بلا تعرفة دخول هذه المرة. فقط أجرة ركوب الحافلة وبعض النقود للغداء. يبدو أنك كنت مسروراً بجولة المحكمة، ولذا فكرت أن يجعله يوماً مخصصاً لفن العمارة، لكل تلك المباني الساحرة القديمة في ذلك الحي. مالكوم يحب فن العمارة".

قلت: "حسناً، أعتقد أن ذلك يبدو ممتعاً".

"مثل المرة الماضية".

"سأكون جاهزاً".

"كورتيد".

"ماذا؟".

قالت: "للطفح الجلدي".

بحلول الساعة الثامنة من مساء السبت، استنجد الدكتور ميس - ماسكيل، كما سيشهد لاحقاً، أن الحل الأفضل يتمثل بعدم إخبار لوکاس أن السيدة نوزاوا تسأل عنه. ربما كانت تقول الحقيقة، وربما قدّم لها لوکاس خدمة، وفي هذه الحال لن يكون قد تعقبها إلى إيلينوي ليقتلها وربما ليقتل البروفيسور أيضاً، ولن يكون هنالك خطر من انتشار حقيقة أن نورين قتلت بناء على طلب. فما لا شك فيه، أن يكون لوکاس قد قتل أحداً من أجلهم. وقد تسأله ضمنياً، أليس من المحتمل أن تكون نوزاوا العاهرة قد كذبت عندما قالت إنها لم تشكر لوکاس بشكل ملائم، وكانت بالمقابل تحاول التواصل معه لأنها تود قتل شخص آخر؟ ففي النهاية كانت سيدة أعمال راقية، تملك أفضل السيارات والثياب، ويعتقد الدكتور أن أصحاب الأعمال هم الأكثر وحشية على هذا الكوكب.

بعد أن سر الدكتور ميس - ماسكيل بطريقة تفكيره الرائعة وبالأسلوب الهادئ الذي توصل به إلى الحل، أعد لنفسه إبريقاً من الشراب. صباح الأحد، بعد أن تدبر آثار ثمله بمهارة عن طريقأخذ جرعة كبيرة من الفيتامين د وتناول بعدها كوب حليب مدعماً بالمغنيزيوم، انتابه القلق، ليس بسبب تساهلاته في الليلة السابقة، بل لأن حدسه أشعره أنه اتخاذ قراراً خطاطئاً. بغض النظر عن السبب الذي جعل سيسوكو نوزاوا ترغب بالتواصل مع لوکاس، لو قامت بذكر ميس - ماسكيل، وكانت قصة لقائهما أول ما سمع به لوکاس، ولكن من الصعب جعل البروفيسور يصدق قصة أكثر إغراءً. بعد محاولة أخرى للتخلص من آثار الثماله عن طريق خليط من ثلاثة

بيضات ورشة من التوباسكو وعصير الليمون، قضى الدكتور ميس - ماسكيل  
الصباح وبداية العصر محاولاً اختلاق قصة عن مواجهته مع سينسو كونوزاوا  
قابلة للحدث في عالم بديل.

استطاع السيد ناكاما أوتاني في عطلة نهاية الأسبوع، مراقبة بناءين من الممتلكات الثلاثة التي تعود ملكيتها لأمانة عائلة دراكمان في شيكاغو: مبني مكاتب مؤلف من تسعة طوابق يعرف بالترابينغل، يستخدمه أطباء العيون، وأطباء الأمراض الجلدية، وأطباء الأسنان، وغيرهم. ومبني سكني مؤلف من ثمانية طوابق في بينغمن هايتس. لقد كانت نتائجه في البناء الثاني أفضل من الأول، بالرغم من أنه لم يلمح في أي منهما أحداً من المشتبه بهم الخمسة، أو يلاحظ تصرفات مريبة.

أخذ يوم الاثنين عطلة، وعند الساعة السابعة صباحاً، بدأ بمراقبة الملكية الثالثة التي هي عبارة عن أحد البيوت القديمة الكبيرة التي تزدحم بها شوارع ريفسايد كومنز، وهو مبني مشيد من الحجر الجيري، يتميز بنوافذه البرونزية وسطح عريض له درابزين. لعل هذا المنزل شهد حفلات رسمية خلال النصف الأول من القرن، حيث كانت النساء يتزين بالمجوهرات ويرتدبن فساتين أنيقة، وكن يحضرن بعربات تجرها الأحصنة ولها مصابيح متوججة يقودها حوذيون يرتدون بدلات رسمية وينتظرون، وبعد ذلك ومع تقدم الأيام حلت السيارات الفاخرة وسيارات لي모زين مكان العربات. ولكن يمكن أن يكون السكان لصوصاً وسفاحين مجانيين.

معظم المراقبة التي قام بها السيد أوتاني خلال عطلة نهاية الأسبوع، تمت بواسطة سيارة ركبت لوقت طويل قبل أن يستعملها، وهذا ليس بالأمر المريح في قيظ شهر تموز. وبما أن هذا المنزل مواجه لревسايد كومنز، فقد استطاع أن يجلس ويتحفظ في أحد المنتزهات مستظلاً شجراً توت ناضجة

الشمار ووارة الأغصان. كان يوجد بجانبه صحيفة مطوية ورواية مجلدة تجليداً فنياً بعنوان غولد بلد لترومان كابوتى، وترمس يحتوي شيئاً مثلجاً، وكيساً قماشياً يحتوى مقرمشاً هشة ولوحين من الحلوى ومسدسه سميث ووسون 0.38 شيف سبيشال داخل قرابه بالإضافة إلى منظار يستخدمه عند الضرورة القصوى.

من خلال جلوسه على وسادة أحضرها معه، وانتعاله حذاء رياضياً دون جورب وارتدائه بنطال بيرمودا وقميصاً ملوناً كقمصان أهل هواي، بدا السيد أوتاني رجلاً يتمتع بعطلته، يجلس باستقرار ليستمتع بصبح مع الطبيعة والأدب.

لم ينظر إليه أحد من السابلة الذين يمررون عبر الممشى حتى جاءت سمراء مشرقة، مهرولة تمارس تمارينها الصباحية مرتدية بنطالاً أبيضاً قصيراً وقميصاً أصفر له رباط خلف الرقبة، وكانت ساقاها طويلتين وبدت بصحة جيدة وتمارس الهرولة بدقة في المكان المناسب. لم ينس السيد أوتاني جوهاً كثيرة وخصوصاً وجهها، حتى بعد مرور ستة أشهر على لقائه بها والتحدث معها في النادي الليلي ليلة رأس السنة، قبل أن ينضم إليهما تيلتون كيرك. وبالطبع كان قد رأى صورتها في مظاهرة جامعة المدينة، إنها أورورا ديلفاین.

رأها تنظر إليه، وكان سيمسك كتابه ويتجاهلها لو لم يرها تنظر إليه مرة أخرى وتفتر ابتسامة من شفتيها. أقل عمل مثير للشك يمكن أن يقوم به هو أن يقوم بالمبادرة، فقام بمناداتها: "مرحباً، أليس اليوم جميلاً؟ أتذكرتني؟". لقد تذكرت السيد أوتاني، ليس لأنه ساحر جداً، بل لأن بنيته تماثل بنية الرجل الياباني الأميركي؛ فهو يبلغ من الطول 185 سنتمراً ويزن 90 كيلوغراماً، ويداه كبيرة كيدي لاعبي كرة السلة المحترفين، يا لحظه فالرغم من استظلاله الشجرة لم يستطع جعل نفسه غير ملحوظ.

وقف مع اقربها من المقعد، فسألته: "هل وجدته ليلة رأس السنة؟".  
"كلا، لم يأتِ".

في ليلة الاحتفال، لم يقترب السيد أوتاني منها، كرجل يود أن يحظى بإعجاب فتاة، فقد كان رجلاً متزوجاً وسعياً بزواجه. بالإضافة إلى ذلك، فأي امرأة تشبه أورورا ديلفاین يتهافت المعجبون بطلب ودها، وترفضهم بدلال. ولذلك وقف كرجل شاذ يتضرر شريكه الذي تأخر على العشاء. لقد استخدم الحيلة ذاتها في ظروف أخرى مشابهة. تميل النساء إلى الإعجاب بالرجال من أمثاله ويسعن بالارتياح معهم.

"لا يفترض بي سؤالك إن حضر صديقك"، قال السيد أوتاني. "فلا جلك يزحف المرء ميلاً على الجمر".

في أثناء حديثهما، واصلت الرقص عبر تحريك قدميها، ربما من أجل أن تحافظ على سرعة نبضات قلبها أو لأنها لم تستطع مقاومة الرغبة بممازحته رغم أنه شاذ. كانت تحب الإطراء وكانت ممازحة اعتيادية.

بعد التكلم عن الطقس لدقائق، عادت إلى مسارها وانطلقت بعيداً.

جلس على المقعد، وأخذ يقرأ بتمعن في كتابه من دون أن ينظر إلى المبني في الجهة المقابلة من الطريق. بعد مرور خمس عشرة دقيقة تقريباً، ظهرت أورورا ديلفاین مجدداً من يساره بعد أن قامت بجولة أخرى. فرفع نظره عن كتابه عندما سمع وقع خطواتها وتبادل التحية مجدداً. ركضت خارج المتنزه إلى الرصيف، قبل أن تقف وتنتظر ذات اليمين وذات اليسار، قبل أن تعبر الطريق، قبل أن تصعد الدرج الجيري المؤدي إلى أمانة عائلة دراكمان. نظر السيد أوتاني إلى ساعة معصميه، وكانت الساعة السابعة وأربع وعشرين دقيقة. لقد مضى على جلوسه أقل من نصف ساعة.

كانت فكرة جمع أشيائه والذهب بعيداً سيئة، فقد كان متخفيّاً كرجل يستجم في يوم من أيام الصيف، يجلس في المتنزه على مقعده المفضل

والظلل، وإلى جانبه كل ما يحتاج إليه في هذا الصباح. لو اشتبهت به المرأة، كانوا سيراقبونه بالمناظير إن كانوا يمتلكونها، ولو شكوا البرهة بأمره كان سيغادرون المنزل إلى وجهة لا يعرفها. بعد ساعتين يستطيع أن يجمع أشياءه ويتجول وكأن الوقت حان لينتبدل مقعده المظلل بمقعد تحت الشمس.

فتح الترمس وصب كوباً من الشاي المثلج.

لقد كان كتاب كابوتي مشوقاً، فتابع القراءة.

كان واثقاً أنه سيستطيع فتح ملف قضية بعد الظهر، فاستمتع بإمكانية أنه سيقوم بالبحث بعد الظهر.

بالرغم من أن الدكتور ميس - ماسكيل لفق قصة وظن أنها مقنعة، فكر بها بتردد خلال مساء يوم الأحد دون أن يتصل بتلميذه الذكي. خلط لنفسه إيريق شراب، ولكنه أدرك خطراً ذلك، فقام بصبه في حوض المطبخ من دون أن يرتشف منه رشفة واحدة.

لم يستطع النوم جيداً، فقد استيقظ عدة مرات وهو يحمل بأمور لا يذكر منها إلا مطارق مغطاة بالدماء ومناجل لقطع الرأس. غادر فراشه قبل الفجر وارتدى رداءه الحريري وانتعل خفه وقصد المطبخ ليعد القهوة.

لأنه شخص يعتقد أنه كان محارباً عظيماً في الحياة السابقة، رفض الاعتراف بأنه خشي الاتصال بتلميذه السابق. ولكن كلما اقترب من الهاتف كانت يداه ترتجفان وفمه يرتعش وكأنه أصيب بمرض الشلل الرعاشي.

في النهاية، طغا الخجل على الخوف، عندما شم البروفيسور نفسه، وأدرك أنه لم يستحمد منذ عودته إلى المنزل من المواجهة التي حدثت في محل التنظيف الجاف عصر الخميس. لقد بقي في منزله ثلاثة أيام ونصف اليوم، ولا يزال يتذكر تلك الأمور الصادمة.

بعد أن تناول نصف كوب من القهوة ومافن مغطاة بزبدة الفول السوداني والهلام، قصد الحمام ونظر إلى المرأة المعلقة خلف الباب. بدا شعره منفوشاً، ولو أراد السفر لما احتاج لحقائب لأن الكيسين المتفخحين أسفل عينيه كانوا كافيين، أما أسنانه فكانت متتسخة، وشعر ذقنه نابت فبدأ رجلاً مشعر وكريه الرائحة أيضاً.

نظف أسنانه مرتين، واستحم وسرح شعره وهو يجففه بعد ارتدائه ملابس

داخلية نظيفة. ارتدى ملابسه، ذهب إلى مكتبه وجلس على كرسيه الجلدي خلف مكتبه الخشبي الذي يعلوه لوح من الغرانيت الأسود، وسر عندما اقترب من الهاتف لاحظ أن يده لم تكن ترتجف. لقد اشتري هاتفاً بلوحة أرقام منذ ثلاث سنوات ولكنه لم يألفه حتى اليوم، فهو لا يبدو هاتفاً حقيقياً كهاتف القرص الدوار، والدكتور ميس ماسكيل يحب كل ما هو حقيقي.

اتصل بالرقم الذي طلبه مؤخراً، وتساءل إن كان لوکاس غير موجود، ولكن رد عليه صوت مألهوف: "من المتصل؟".

"أنا روبيرت دونات" قال البروفيسور، ذاكراً اسم الممثل الذي لعب دوراً مؤثراً في فيلم يدعى غودباي ماستر شيس سنة 1939. تجري أحداث الفيلم في مدرسة إنجليزية للفتيان، وهو يتحدث عن أستاذ لاتيني يبدأ مشروعًا فاشلاً ولكنه يتحول مع مرور العقود إلى مدرسة محبوبة.

"قولي مرحباً لغريب غارسون من أגלי"، قال لوکاس بعد أن شعر بوجوب فعل هذا لأنها كانت قد لعبت دور المرأة البطلة.

ما دامت الإجابة على الاتصال قد تمت، لم يكن هناك فائدة من استخدام اسم غير الاسم الحقيقي، أو التحدث بالرموز، ولكن كان الدكتور ميس - ماسكيل يحب التواصل بهذه الطريقة، لأنها تجعله يشعر بالأمان عكس ما قد يشعر به إذا تواصل بطريقة أخرى.

بدأ مباشرة بإخباره قصته، وكيف كان في مكتب شؤون الخريجين حين دخلت سيسوكو نوزاوا بقوة عبر الباب وهي ثملة بتأثير الكحول أو المخدرات وطلبت عنوان لوکاس دراكمان. لقد كانت تصرفاتها غريبة لدرجة أنه كان من الصعب القول إن كانت حزينة لسبب ما، أو متوتة فقط. فما كان من السكرتيرة الصهباء والصدر الناهدجالسة إلا أن أعلمت نوزاوا بأنها لا تستطيع إعطاءها العنوان لأن الجامعة تحمي خصوصية الخريجين. عندها أصبحت نوزاوا عدائة، خصوصاً مع تأييد الدكتور ميس - ماسكيل ما قالته

الأنسة هالاهان عن سياسة الجامعة، فصبت جام غضبها عليهما، وخرجت غاضبة ومشوهة.

"من هي سيتسوكو نوزاوا بحق الجحيم؟" سأله لوکاس.

"يقولون إنها تعمل في محل للتنظيف الجاف. ظننتك تعرفها."

"لم أسمع قط عن هذه العاهرة المجنونة".

صدقه الدكتور ميس - ماسكيل ما جعله يشعر بالارتياح. فلوکاس لم يقم بأي عمل جيد لصالح نوزاوا ولم يقتل أحداً من أجلها، فكان من الطبيعي أن يصدقه عوضاً عن تصديق امرأة غريبة قامت بإحداث الفوضى في مكتب شؤون الخريجين.

"متى حدث هذا؟" سأله لوکاس.

"منذ خمس عشرة دقيقة. جئت مباشرة من هناك إلى هاتف مكتبي هنا في الكلية".

"لماذا تريد هذه العاهرة عنواني؟".

"لم تصرح بذلك. ولكن كان الأمر غريباً جداً لدرجة أنني ظننت أنك تعلم".

"حسناً، سأفكر بالموضوع وأبحث بخصوصه. لدى أعمال كثيرة الآن ولكن سأتفرغ لاحقاً لهذا الموضوع. من الجيد أن أعلم أنك تقوم بمساندتي".  
بعد أن انهيا الاتصال، ذهب البروفيسور إلى الحمام وجثا أمام المرحاض وتقىأ.

## Telegram @read4lead

وفقاً للشهادة النهائية التي أدلت بها أورورا ديلفاين، بعد أن عادت من المتنزه في ذلك اليوم حيث كانت تمارس الركض، فإنها استحمت وغسلت شعرها وجفنته، وطلت أظافرها ثم نزلت إلى الأسفل فوجدت لوکاس في المطبخ مع رги "الغوريلا" الأصغر وتيلتون وفيونا، حيث كانوا يراجعون، للمرة الأخيرة، تفاصيل العملية القرصية. لم تتحجج أورورا لأن تكون هناك لأنها لم تكن عضواً فعالاً في المخطط. لقد كانت مراقبة ومؤرخة، والشخص الذي قد يكتب يوماً ما عن اكتشافاتهم والفلسفة التي حفزتهم.

أثناء دخول أورورا إلى المطبخ، أغلق لوکاس هاتف الحائط بقوة، واستدار نحو المجموعة وقال: "ما هذا كله؟" وأخبرهم عن فحوى المحادثة مع البروفيسور الذي أشار إليه بقوله: "رجل معته و كان يجدر بي قطع علاقتي معه منذ سنين".

لم يعلم أحد سبب قصة صاحبة محل التنظيف الجاف الغريبة، وسألت أورورا ديلفاين: "ما هذا؟ هل هو عيد اليابان؟". عبس لوکاس وسألها: "ماذا قلت؟".

استدارت فيونا حول الطاولة وهي تحدق بشدة مع كل خطوة وقالت: "أجل، ماذا قلت؟".

أخبرتهم أورورا عن الرجل الشاذ التي قابلته ليلة رأس السنة، والذي كان في تلك اللحظة جالساً في الظل على مقعد المتنزه، في الجهة الأخرى من الشارع. "ولكنه رجل كبير في السن ومخنث وعديم الأهمية. إنه يقرأ كتاباً كابوتي، الكتاب الأكثر مبيعاً والذي قرأه الجميع، ولذلك فهو يعتبر كتاباً

شعر لوکاس بالفضول وأحضر منظاراً من مكتبه، وقصد الجميع الغرفة الأمامية. بعد أن راقب لوکاس الشخص الجالس على المقعد دقيقة، أخذت فيونا المنظر ودقت في الرجل وقالت: "يوشيوكا".

"هل تعنين الخياط؟" سألت أورورا. "الرجل الصغير الجميل في الردهة المجاورة الذي لم يره أحد إلا وهو يرتدي بدلة رسمية؟".

"إنه مخادع وغدار وابن عاهرة"، قالت فيونا كاسيدي.

"نوزawa في إيلينوي، وهذا الرجل في المتنزه وعلى ذلك المقعد من بين كل المقاعد، ويوشيوكا يبحث عن أدلة في الطابق السادس. إنه يوم اليابان بالتأكيد".

بدأت محادثة بعد ذلك، حيث تجادلوا على ما إن كانت فيونا تعاني من جنون العظمة. لقد تقبلوا جميعاً بحكمة وكما ينبغي اضطراب العظمة واعتبروه ضروريًّا من أجل النجاة والنجاح. ولكن بالرغم من أن جنون العظمة قد يكون أمراً جيداً، فمن الممكن أن يكون مبالغًا فيه. فإذا شك أحدهم بأن عضواً من بينهم هو من مجموعة بيلدريرغر ويقوم برصدhem، فيتوجب على الأربعة الآخرين التدخل بلطف لجعله يعود إلى المسار العقلاني. في هذه الحال، أجمع الخمسة على أن فيونا لم تنحرف عن المسار الصحيح وأن هناك ارتباطاً بين يوشيوكا ونوزawa وهذا الرجل الضخم الذي يستظل شجرة التوت. قال تيلتون أنه لم يكن يجدر بهم استخدام الشقة 6 لصناعة القنبلة وأنه كان يجب على فيونا طهو البوذينغ وتعبيته في مستوعبات هنا في المنزل. أغضب هذا التوبيخ لوکاس فذكر تيلتون بأن هذا المنزل ملكية تساوي مليوني دولار وليس مكاناً مناسباً لصنع القنابل أو تجربة قاذفات اللهب. وتتابع قائلاً: لو حصل انفجار وحول فيونا إلى أشلاء سيكون الأمر محزناً بل مأساوياً، ولكن تدمير هذا المنزل شيء آخر. وبالإضافة إلى خسارة ملكية قيمة، إن أمراً

كهذا سيضيع ممتلكات أمانة عائلة دراكمان بالإضافة إلى لوکاس تحت أنظار الأف بي أي. تخيلوا هذه الحماقة حتى الدببة المشهورة بعجائها لا تقوم بمثل هذه الحماقة بالقرب من مساكنها.

كان عليهم الاختيار بين أمرين لا ثالث لهما: أولاً، إلغاء العملية التي خططوا لتنفيذها اليوم وخطف يوشیوکا وتعذيبه حتى يقول كل شيء. ثانياً، المضي قدماً في خطتهم بدل أن يولوا الأدبار كالجبناء، على أن يعودوا لاحقاً وينظرموا في أمر يوشیوکا.

حتى وإن كان الرجل في المتنزه يراقبهم، فيمكنهم أن يغادروا المنزل من الخلف، وأن يحتازوا بضعة شوارع إزاء الحرارة قبل الخروج إلى الشارع الرئيسي، وأن يوقفوا سيارة أجرة ويدهبوا بها إلى الكونيسنست المستأجر، الذي كان يوماً ما مرأياً لإصلاح السيارات في مقاطعة صناعية، والذي قاموا بالتخطيط للعملية في داخله.

هنا قال لوکاس: "إنه أمر غريب وجود كل هؤلاء اليابانيين، ولكن السؤال من هم حقيقة؟ أقصد الخياط وصاحبة محل التنظيف الجاف وشخص مزعج، في الحقيقة لا نعلم ما يقومون به وهل يقومون بفعل شيء أصلاً. إننا لا نتعامل هنا مع إليوت نيس. وأنا أرى أن نمضي قدماً في ما خططنا له ولبيق هذا اليوم في الذاكرة، وبعد أن نفرغ من عملنا نهتم بأمر هذا اليوشیوکا، ولنر كم سيصمد تحت التعذيب".

لطالما حصل لوکاس على ما يريد، ليس لبلاغته في التعبير وليس لأنه يدرك كيف يحفز الناس ويتلاءب بهم بل لأنه رجل مريب وتراه دائماً مستعداً للعنف. وافقه الأربعة وأصبحت العملية قيد التنفيذ.

بعد ساعتين، أي عند العاشرة وعشرين دقائق من صباح ذلك الاثنين، ترجلت وأماليكا ومالكوم من باص المدينة عند نقطة تلاقي شارعي ناشونال أفينيو و52 ستريت كما فعلنا الخميس الماضي، على الجانب الآخر من الشارع كان يقف كالوميراكيس بيناكوثيكي، حيث أنهت مجموعة أوروب إن ذا ايج أوف موناركي جولتها يوم الأحد، وكان مصرف فيرست ناشونال بنك المؤلف من ثلاثة طابقاً خلفنا، وعلى بعد مجموعتين من كل اتجاه كانت تقع مبانٍ تاريخية فخمة.

خلال جولتنا في الجوار، اكتشفت أن أماليكا كانت تعرف عن العمارة بقدر معرفتها بالفنون، وكانت لديها العديد من القصص عن المباني والأشخاص الذين قاموا بتصميمها، لم تتباہ بثقافتها، ولم تجعلني أشعر بالجهل عندها بل على العكس، كانت المعرفة تنبثق من تلك الفتاة كأنها الهواء البارد من المروحة الكهربائية، كلما استمعت إليها، زادت رغبتك بسماع المزيد، لأن الأمور التي تعلمها والكلمات التي تستخدمنها لإيصال المعلومات تجعل العالم من حولك أكثر وضوحاً وأكثر إشراقة.

سألت: "من أين نبدأ؟".

أجابني مالكوم: "من هنا، من المصرف، إنه أثري وستحبه". لم يسبق لي أن دخلت مصرفًا من قبل، وظننت أنهم قد يكونون يمازحونني. ولكن ليس لدينا أي نقود لنودعها أو نسحبها.

شرحـت أماليـا "الردهـة مكان عام، ومكان من أجمل الأماكن، يمكن لأي كان دخـولـه. لقد افتـحـ هذا المـكانـ عام 1931ـ عندما لم تـكنـ الـهـندـسـةـ مجردـ

هندسة، بل كانت فناً يقوم على الإبداع الجمالي. إنه في غاية الزخرفة ودائماً ما يبهري".

قبل أن يُبني البرج فوق الردهة كان طول الواجهة أربعين قدمًا وعرضها أربعة أضعاف عرضها اليوم، وكان الحجر العجيري عند الجهة الأمامية مزخرفًا وكانت تغطيه الأشكال الهندسية - دوائر ومثلثات - المصفوفة بتراتبية معينة وملفتة للنظر. عند أعلى الدرج كان هناك ثمانية أبواب برونزية زجاجها مشطوب عند الجوانب، فدخل عبر الباب الأخير جهة الشمال.

أعلم أن أمالي تحدثت كثيراً عن الردهة الرائعة والضخمة، ولكني لا أذكر أيّاً منها، لقد نسيتها بسبب ما حصل بعد ذلك، آخر ما ذكره ذلك اليوم هو الكلمات التي نطق بها بينما كنت أعبر الباب الضخم خلفها وأنظر إلى الأعمدة التي تدعم السقف ذا القنطرة الأسطوانية، وكانت تتذليل من القنطرة، وعلى علو أربعين قدمًا تقريباً، أحصنة ذات نمط معين، مسبوكة بالفولاذ الذي لا يصدأ.

"أليست عظيمة يا جونة؟" عندما أبعدت نظري عن السقف لأنظر إلى وجهها الجميل، بدت سعيدة جداً عندما قالت: "أليس عظيمًا ما يستطيع البشر فعله، والأشياء الجميلة التي يستطيعون صنعها عندما يمتلكون الوقت الكافي ويؤمنون بأن كل شيء ضروري وله معنى، وعندما يعتقدون أن على ردهة المصرف أن تبهر العين وتفرح القلب؟".

عشرات من الأشخاص كانوا يقومون بمعاملاتهم المصرفية، وكان في خدمتهم حوالي عشرين موظفاً وخلف درابزين مصنوع من الفولاذ كان يجلس موظفون أعلى رتبة إلى طاولاتهم ويعملون على وثائق أو يستخدمون هواتفهم، أو يخدمون زبائن كانوا يجلسون معهم. كان من المفترض أن تكون الردهة مليئة بالضجيج، نظراً لأبعادها الهائلة، حيث ترتد الأصوات من القنطرة إلى الأرض، ثم إلى الأعمدة، وبعد ذلك إلى المركز، ولكن بفضل براعة

المهندسين، كان الهدوء يعم القاعة، وكأنهم كانوا يهمسون بعضهم البعض.  
بالرغم من أنني لا أذكر ما قاله أماليا لي وللمالكوم، أذكر أنني تجولت  
في الردهة وكأنني في فيلم خيالي مبهج، كلما ظنت أنني رأيت أفضل ما  
يمكن رؤيته من الزخارف ذات التفاصيل الدقيقة والطبقات العديدة، كنت أرى  
ما هو أجمل وأكثر سحرًا مما سبق.

كان يحيط نافذة كل أمين صندوق زخرفة فولاذية لامعة تعلوها زخرفة  
فولاذية بشكل رأس تمثال الحرية، وكان كل شعاع موجها نحو نجمة...  
وكانت توجد أربع ثريات ضخمة مصنوعة من الفولاذ وتبعد بالتساوي،  
وكان كل واحدة تحتوي على العديد من المصابيح على كل واحد من أذرعها  
الست، وكانت كل ذراع تنتهي بمنحوتة لسيدة الحرية.

وتوزعت طاولات طويلة من الرخام الأخضر المنحوت في أرجاء الردهة،  
حيث يقف الناس لعد النقود التي سيودعنها ومن أجل تصديق الشيكات قبل  
الذهاب إلى شبابيك أمناء صندوق المصرف، بينما كنت أمر بجانب إحدى  
الطاولات، حلقت ريشة ذهبية من أمام وجهي تمثل الريشة التي يتحول لونها  
من أبيض إلى ذهبي والموجودة في قلاديتي التي أضعها تحت سترتي.  
وقفت بذهول، وحلقت الريشة باتجاه ثابت أمام وجهي على بعد أقل من  
ذراع، وكان النسيم الذي حملها إلى جعلها تتوقف لأنفهصها.

إن كانت الهندسة والزخرفة الرائعة داخل ردهة المصرف جعلتانيأشعر  
بالفرح والسكينة، فالريشة جعلتني أشعر بالإضافة إلى ذلك وكأنني أحلم،  
وخصوصاً الحركة الموحدة في بعض الأحلام، حيث يتحرك الحالم وتجري  
الأحداث معه ببطء.

رفعت يدي إلى حنجرتي، وسحبت السلسلة الفضية وأخرجت القلادة  
من تحت سترتي.

لقد كان الإطار البلاستيكي، والذي يبدو شفافاً تحت ضوء الثريا، سليماً

ولكن الريشة لم تكن موجودة.

بينما انزلقت القلادة من أصابعه وعلقت من طرف السلسلة، بدأ الهواء يحمل الريشة باتجاه جنوب الردهة.

توقفت الأصوات في القاعة الهدئة، وبالرغم من أن الناس تحركوا ببطء حولي، لم تحدث أي خطوة على الأرض الحجرية صوتاً.

لم أسمع سوى صوت قلبي الذي كان ينبض ببطء شديد، كضربات طبل في موكب جنازة، ومن المؤكد أنه كان أبطأ مما ينبغي عليه أن يكون لأبقى على قيد الحياة.

تبعد الريشة بعيداً نحو طرف الردهة الجنوبي، وكأنني غطاس يسبح عكس التيار.

وبالرغم من أنني لم أفهم ما يجري، فقد علمت بأنني كنت أتجه نحو اللحظة التي كنت أنتظراها منذ وقت بعيد.

بدور وكأنني أعموم وأنجرف من دون أن تلامس قدماي الأرض. أصبح الشعور الذي كان يجعلنيأشعر بسعادة قصوى مصدرأً للخوف، وكأنني قد أفلت من قيود الجاذبية ولن أعود إلى الأرض مرة أخرى.

مررتُ بجانب طاولتين من طاولات الرخام، ووقفت الريشة عند الثالثة. وبعد أن أنزلتها النسمة إلى مستوى بصري، حلقت بعيداً، حتى وجدت حقيقة جلدية بنية اللون تحت الطاولة.

كنت لا أزال أسمع صوت نبضات قلبي التي تتزايد.

ارتفعت الريشة أمام عيني، وكانت سأمسك بها لو لم أشعر بأن هذا التصرف سيكون خاطئاً.

وبعد أن تعدى نظري الريشة، رأيتها بمظهر جديد متعلقة حذاء عالي الكعب، وترتدي تنورة وقميصاً وسترة وتضع نظارة، أما شعرها فكان معقوفاً بتسريرحة شينيون.

لقد كانت فيونا كاسيدى.

اتجهت إلى أحد الأبواب المزدوجة البرونزية، ولكنها لم تنظر إليّ، وإنما نظرت نحو الجهة الشمالية.

أدرت رأسى وأنا أتبع نظراتها، ورأيتها بمظهر جديد متullaً حذاء أسود، ومرتديةً بذلة عمل رسمية ذات لون رمادي داكن، وقميصاً أبيض وربطة عنق، ومعتمراً قبعة رسمية عليها شريط أسود وغارزة من الأعلى.  
لقد كان والدي تيلتون.

توجه نحو مخرج غير الذي اقتربت منه فيونا، وكان قد حلق ذقنه. وصل إلى الباب، وفتحت فيونا بابها وخرجت. فتابعت النظر إلى الحقيقة في الأسفل.

بالإضافة إلى صوت نبضات قلبي الصالحة، وجدت نفسي أقول: "قبلة".

في إيلينوي، لم تبدأ السيدة نوزاوا يومها بشكل جيد، فلمَ لم يعد توشير و ميفون إلى المنزل بعد أن تناول فطوره و تنزه. لقد كان قلقاً و يلهث، وبينما كانت تحاول تهدئته، تقأ على العشب.

كان السيد نوزاوا، يشكو بين الحين والأخر، أن زوجته تعامل الكلب أفضلاً مما تعامله، و حينها كانت ترد عليه بتأثر وبساطة بأنه لا يحتاج إلى مساعدتها مثل كلبهما الابرادر. بعد ذلك ساعدت الكلب على الجلوس في المقعد الخلفي في سيارة الكاديلاك التي تمتلكها، ولم تقلق من أن يحدث فوضى في الخلف. فالسيارة كانت مجرد سيارة، ولكن الكلب كان ابنها الرابع. للمرة الأولى في حياتها تتصرف السيدة نوزاوا بطيش، و تتجاوز الحد الأقصى للسرعة و كأن سيارتها سيارة إسعاف. و صلت إلى مركز الطبيب البيطري بعد أن أوقفت السيارة بالدوسر على الفرامل عدة مرات.

قام الدكتور دونوفان بفحص الكلب وإجراء مجموعة من الاختبارات له بينما جلست السيدة نوزاوا في غرفة الانتظار، على حافة مقعدها، و يداها في حجرها، و كأنها أم لرجل مدان بجريمة شائنة، تنتظر خارج غرفة الإعدام في السجن كلمة من المحاكم قد تنقذ حياة ابنها، أو سماع صوت طقطقة كرسي الإعدام الكهربائي.

تبين أن توشير و ميفون مصاب بعدوى وكانت حرارته مرتفعة، ولكن لم يكن هناك أية خطورة. كان سيصبح على ما يرام بعدأخذ المضادات الحيوية والاسترخاء.

قادت السيدة نوزاوا سيارتها إلى المنزل بهدوء، وهي تتحدث بصوت

هادئ إلى الكلب الموجود في المقعد الخلفي. اتصلت بمحل التنظيف الجاف وقالت بأنها ستكون خارج المنزل طوال اليوم.

كانت الوسادة الممحشة الموجودة قرب النافذة مكان الكلب المفضل في المنزل، حيث كان يستطيع أن يرى الحركة في الشارع. وبمجرد أن يستلقى على الوسادة، واضعاً أنفه على الزجاج، كانت تجلس على الكرسي الهزاز المجاور وتقرأ الوصفات من كتاب الطهو لـ "جوليا تشايلدز".

ولما كان السيد تامازاكي الذي يعمل في الصحفة اليومية "دايلي نيوز" قد عاد من عطلته، أرادت السيدة نوزاوا أن تخبره عن مقتل نورين، زوجة السيد ميس - ماسكيل، وعن احتمال أن يكون لوكاس دراكمان قد قتلها بطلب من البروفيسور. لقد أرادت الاتصال عند الساعة التاسعة بحسب توقيته، ولكن الساعة كانت قد تجاوزت العاشرة هناك. كانت ستتصل بالسيد تامازاكي بمجرد أن يغفو توشIRO ميفون، حيث لم تكن على عجلة من أمرها.

بينما كنت أقول "قبلة"، استدرت إلى الطرف الشمالي من الردهة فوجدتني قد ابتعدت كثيراً عن أما lia، التي وقفت مع مالكوم على بعد أربعين قدماً، ينظران بدقة إلى السقف المزخرف، وإلى سلسلة الأحصنة الفولاذية التي تركض من غير توقف. لم يعد أحد يتحرك ببطء، وعادت الأصوات، وأدركت بأنني قلت كلمة "قبلة" بصوت هادئ لدرجة أن أحداً لم يسمعني. تغلبت على الذهول الذي أصابني بسبب الصدمة وصرخت قائلاً: "قبلة! قبلة!" ونظرت إلى أما lia. "أخرجوا! اذهبوا! هناك قبلة!".

بدت مذهولة ومرتبكة، أما Mالكوم فظر إلى غير مصدق، وكأنني أقوم بحيلة.

ولكن بعد ذلك بدأت بالصياح قائلاً: "آه يا رب! آه يا رب! آه يا رب!"، وكان خوفي مقنعاً. ذهل الناس فجأة وبدأوا يصرخون وهم متوجهون نحو الخارج.

بالرغم من شعوري بالذعر، فكرت بأنه سيكون هناك وقت كافٍ ليخرج الجميع، وأن فيينا كاسيدي لم تكن لتجعل وقت انفجار القنابل مبكراً حين تغادر مع والدي، لأنها لم تكن لتعرض حياتهما للخطر.

اكتشفنا لاحقاً أن المصرف لم يكن هدفهم الرئيسي. لقد استخدمو المصرف أداة لصرف الانتباه وللتضليل، لقد كان أسلوباً يعتمد على سفك الدماء، وكان نجاح العملية يعتمد على انفجار القبلة فور وصولها مع والدي إلى أسفل الدرج الخارجي.

كنت أبعد عشرين قدماً عن أما lia ومالكوم عندما انفجرت الحقيقة التي

وضعها أبي. لا أعلم أية شظية تسببت بقتلها، إن كانت المسامير جزءاً من القنبلة ما زاد من قوتها القاتلة، أو قطعة من أجزاء الغرفة المعمارية المفصلة والدقيقة. لا أعلم لماذا أستلقي في بعض الليالي وأفكر بهذا الأمر. أيا كان السبب، فهو لا يغير شيئاً، ولا يقلل من وحشية العمل أو من درجة شعور والدي بالذنب.

في الأيام التالية، تمنيت أن لا يكون والدي قد رأني في المصرف لأن من الرهيب التفكير بأنه قد يكون رأني وأكمل العملية. لقد كان هذا الاحتمال مؤلماً جداً لدرجة أنه كان سيجعلني أتمنى، إن كان صحيحاً، لو أنني لم أولد قط.

بدت أمالياً مندهشة وعيناها مفتوحتين بينما ألقى بها الانفجار على بعد أمتار، ولا أعتقد بأنها بقيت على قيد الحياة وقتاً كافياً لتشعر بالألم. عليّ أن أؤمن بهذا الأمر.

يا لمالكوم المسكين، لقد كان لا يبعد عنها أكثر من قددين. وقع على ركبتيه بسبب الانفجار، وكسرت نظارته، وتشعث شعره، وكان يعاني من جروح سطحية، بينما تمددت أمامه مقتولة، بينه وبيني. في لحظة كانت جميلة، ومليئة بالحيوية، وتحب الحياة، وبعد لحظة أصبحت جثة ملقاة على الأرض، ثيابها ممزقة ومضرجة بالدماء، وعيناها مفتوحتان ولكنهما لا تريان شيئاً.

يقال إن خمس ثوان فصلت بين الانفجار الأول والثاني. كل ما أعلمه أنه كان وقتاً كافياً ليقوم مالكوم برفع نظره من فوق جسدها وليلتقى نظره مع نظري. لقد كان وجهه مليئاً بالجحود والخوف والحزن الشديد.

لا أذكر شيئاً عن الانفجار الثاني. يقول مالكوم إنه ألقى بي بعيداً أكثر مما فعل الانفجار الأول بأماليا، حتى أني أصبحت قربها على الأرض، يداي مفتوحتان وثلاث من أصابعني تعلو يدها اليمنى، وكأنني أتوسلها أن تأخذني معها.

عيناها الخضراوان وغياب تنفسها بالرغم من أن فمهما كان مفتوحاً أكدا  
له أن شقيقته قد ماتت. ولكن عيني كانتا مغمضتين، واعتقد بأنه رأى غباراً  
يتحرك أمام فمي وكأنني أتنفس. اندفع من فوق أماليها واقرب مني وأمسك  
معصمي وجس نبضي. عندما رأى ظهري، علم بأنه لا يجدر به أن يحركني،  
وبأنني لن أستطيع المشي مجدداً.

بحسب تحقيقات الشرطة، انتظرت فيونا وتيلتون لدخول المصرف رسالة من السيد سمولر الذي كان يقف في الحي المجاور، بواسطة الجهاز اللاسلكي تفيد أن السيارة المدرعة عبرت المنعطف نحو ناشونال أفينيو. لقد علموا من خلال مراقبتهم السابقة بأنها ستستغرق من ثلاثة إلى خمس دقائق لتصل أمام المصرف. أشارت حركة المرور ذاك الاثنين للسيد سمولر بأن السيارة المدرعة، والتي هي عبارة عن شاحنة من الأسطول الأمني كولت ثومسون، ستصل في غضون أربع دقائق.

جلس تيلتون على مقعد في محطة انتظار الباصات قرب زاوية الشارع 52 وناشونال أفينيو عندما تلقى تلك الرسالة. وقف فيونا تحت شجرة مواجهة للطرف الجنوبي للمصرف ومعها جهاز اللاسلكي الخاص بها. كانت كل حقيقة تحتوي على قفل مؤلف من أربعة أرقام، والذي قامت بتحویله إلى عداد للتغيير. كان عليهم جعل الصفر يظهر على كل مفتاح، وعند الضغط على المفتاح الرابع، تبدأ ساعة الحقيقة بالعد التنازلي.

دخل المصرف المزدحم من جهتين مختلفتين. وضعـتـ الحـقـيقـةـ عـلـىـ الـأـرـضـ قـرـبـهاـ وـتـحـتـ طـاـوـلـةـ منـ طـاـوـلـاتـ الرـخـامـ الكـبـيرـةـ. وـفـعـلـ هوـ الشـيـ نـفـسـهـ. ثم سـحـبـاـ قـسـيمـتـيـ إـيدـاعـ منـ كـلـ جـهـازـ وـتـظـاهـرـاـ بـمـلـئـهـماـ، وـلـكـنـ بـعـدـ دـقـيـقـتـيـنـ أوـ أـقـلـ، خـرـجـاـ مـنـ الـمـصـرـفـ دونـ الـاقـرـابـ مـنـ أيـ نـافـذـةـ مـنـ نـوـافـذـ أـمـانـ الصـنـدـوقـ. كانتـ السـيـارـةـ الـمـدـرـعـةـ تـقـفـ أـمـامـ حـافـةـ الرـصـيفـ عـنـدـمـاـ خـرـجـاـ مـنـ الـمـصـرـفـ. وـبـسـبـبـ اـنـتـشـارـ أـعـمـالـ الشـغـبـ وـمـظـاهـرـاتـ الشـوـارـعـ العـنـيفـةـ فـيـ الـدـوـلـةـ، فـرـضـتـ مـرـاسـمـ كـوـلـتـ ثـوـمـسـونـ الـأـمـنـيـةـ الـمـعـدـلـةـ بـأـنـ يـتـواـجـدـ ثـلـاثـةـ رـجـالـ،

بدلاً من اثنين بحسب العدد المعتمد، داخل العربية الواحدة في مسالك معينة داخل مدن محددة. يجلس شخصان في الأمام وشخص ثالث في الخلف وبجانبه النقود والعقود وأشياء ثمينة أخرى.

بينما نزل تيلتون وفيونا درج المصرف، فتح باب الشاحنة المواجه للشارع، وكان السائق أول من يخرج من العربية، وهو ما كان جزءاً أساسياً من الخطة. أُغلق الباب بشكل تلقائي بمجرد اغلاقه، وكان مفتاح التشغيل داخل جيب سرواله، موصولاً بسلسلة طويلة مثبتة بحلقة معدنية على قفل حزامه. ارتدى لوکاس دراكمان زي الأطباء الأبيض، وكان يحمل صندوق إسعافات أولية أبيض اللون وعليه صليب أحمر، وكأنه أخصائي في الأمور الطبية وفي مهمة. انعطف إلى الزاوية من الشارع 52 باتجاه شارع ناشونال أفينيو بينما خرج السائق من الشاحنة.

فور خروج السائق، والتأكد من عدم وجود خطر بأن تتعرض الشاحنة للخطف عن طريق هجوم من طرف الشارع، فتح ذلك الباب وخرج السائق الثاني.

انفجرت القنبلة الأولى في المصرف، وتحطم الزجاج بلمح البصر، وتشوه العماد في أحد الأبواب المزدوجة وكأنها مصنوعة من البلاستيك، وانكسر باب وتدى من طرفه وأخذ يطرق بالقسم الأعلى من السلم ويحدث صوتاً، وارتجلت الأرض تحت الأقدام وكأن هناك، في عمق الأرض، شيئاً كبيراً من العصر الجوراسي يمشي بعد سبات دام مئة مليون سنة.

اتجه كل شخص على الطريق نحو المصرف، عدا الذين علموا بأن انفجاراً آخر سيحدث.

مد لوکاس دراكمان يده إلى سترته البيضاء الفضفاضة وسحب مسدساً من القراب القماشى المثبت إلى القسم الداخلى من حزام خاصرته، ثم استدار إلى الحراس المندهش والمشوش وأطلق النار مرتين على صدره، وأعاد وضع

المسدس تحت قميصه مرة أخرى بينما سقط الحراس على الأرض.

بينما كان دراكمان يسحب المسدس، وصل السائق إلى خلف الشاحنة. نزلت فيونا من درج المصرف، بينما انفجرت القنبلة الأولى، واتجهت نحوه ويدها اليمنى تحت سترتها حيث علقت مسدسا على كتفها.

عندئذ، أوقف السيد سمولر عربة نقل رمادية اللون أمام الرصيف وخلف شاحنة كولت ثومسون حيث كان يظهر اسم الشاحنة وشارتها. خرج من السيارة مرتديةً زي كولت ثومسون مزيفاً وتوجه نحو سائق الشاحنة.

بلغت فيونا السائق أولاً، وعندما نظر إليها، اقتربت منه، وهي تحاول جاهدة التظاهر بالخوف، وقالت: "هل يمكنك مساعدتي رجاء؟" وعندما دوى الانفجار الثاني، خاف السائق ونظر بعيدا عنها. فما كان منها إلا أن وضعت فوهة المسدس في أحشائه وأطلقت النار وقتلته، وصل السيد سمولر في الوقت المناسب وساعدها على إخراج الجثة ووضعها على الرصيف، وكأنهما يساعدان زميلاً أصيب.

كان هناك صخب، والناس يصرخون ويركضون، غير واثقين مما قد يحدث لاحقاً، غافلين عن عملية السطو التي تحدث.

جها لوكاس دراكمان بالقرب من الحراس الذي سقط على الرصيف، أمام باب الشاحنة المدرعة المفتوح، وفتح علبة الإسعافات الأولية، وكان الرجل كان على قيد الحياة ويحتاج إلى مساعدة.

جها السيد سمولر على ركبتيه خلف الشاحنة بجانب السائق المقتول، واستخدم قاطعة مسامير لقطع السلسلة التي تربط حلقة حزام الرجل بمفتاح التشغيل الموجود في جيده.

بعد أن أخذت فيونا المفتاح من سمولر، ذهبت إلى دراكمان ورمته إليه، ولحقت به إلى الشاحنة بينما صعد إلى مقعد السائق، وأغلقت الباب خلفها. كانت الشبائك مظللة لأسباب أمنية.

نهض السيد سمولر من أمام جثة الحراس الهمادة وصعد خلف مقود عربة النقل.

كانت الشاحنة مجهرة، لحالات الطوارئ، بأضواء زرقاء متوجبة وبصفارة تختلف عن التي توجد في عربات الشرطة أو عربات قسم الإطفاء. شغل دراكمان الأضواء والصفارة وقاد الشاحنة بعيداً عن الرصيف في حين بدأ الأزدحام بسبب تحديق سائقي الدراجات النارية إلى الدخان المتتصاعد من أبواب المصرف المحطمة.

لحق بهم السيد سمولر بواسطة عربة النقل. انعطفوا يميناً نحو الشارع 52 حيث كان الأزدحام أقل.

عندما لم يتلقّ الحارس الثالث الذي يقف بمفرده في مخزن البضائع ردّاً على اتصاله الداخلي بالعربة، وبسبب الهدوء الذي اعتاد عليه طيلة فترة عمله، ظن أن لا مشكلة. انتابه الفضول ولكنه لم يقلق، وقام بمخالفة القوانين الأساسية وبإزاحة الصفيحة الفولاذية التي كانت تغطي فتحة، أبعادها 3\*2 بوصة، في الحاجز المدرع المتين الذي يفصل بين حصنه والجناح الخارجي، وأخذ ينادي السائق: "مايك، هل أنت هنا؟".

ووجهت فيونا كاسيدي، التي كانت مستعدة لهذا الاحتمال، فوهة مسدسها عبر الفتاحة وأفرغته داخل مخزن البضائع. بعدما لعل صوت طلقة المسدس داخل المساحة المغلقة، لم يصدر أي صوت من الحارس الثالث.

عندما أصبح دراكمان في الشارع الذي يقع شرق المصرف تماماً أطفأ الأضواء والصفارة. وفي آخر الشارع التالي، توقفت الشاحنة ومعها عربة النقل أمام شارة المرور الحمراء، فنهض والدي من مقعد الانتظار في محطة الباص، وانضم إلى السيد سمولر في العربة الثانية.

عندما أنهت السيدة نوزاوا سرد ما حصل خلال مواجهتها مع الدكتور ميس - ماسكيل وصرحت بشكوكها أن لوکاس دراكمان قتل زوجة البروفيسور، تيقن السيد تاماذاكي، الذي أصبحت روحه المعنوية جيدة بعد العطلة، أن لديه أدلة كافية لضمان أن باستطاعة السيد أوتاني أن يقوم بفتح ملف قضيته وأن يحصل على إذن بالتفتيش. لكنه كان قلقاً من أن يخبر ميس - ماسكيل دراكمان عن اهتمام المرأة بالقضية، وفي هذه الحالة تصبح هي والسيد يوشیوكو وربما آخرون في خطر.

قالت السيدة نوزاوا: "أصبح هناك هدف جيد آخر لإفادتي الخطية، والآن أصبح هنالك سبب جيد لتوثيقه حتى يستخدم دليلاً إن حدث لي أي مكرر، مع أنه لن يحصل أي شيء. إنني امرأة قوية".

بعد أن قام بمواساة السيدة نوزاوا بشأن صحة توشيموتو ميفون السيدة، اتصل بالسيد أوتاني عن طريق قسم جرائم القتل في إدارة الشرطة المركزية، ولكنه علم بأن المحقق كان في إجازة اليوم. وعندما حاول الاتصال بمنزل السيد أوتاني، لم يجب أحد.

ارتعش السيد تاماذاكي لأنه شعر بأن هناك مأساة قادمة.

لم أكن واعياً في سيارة الإسعاف التي أقلتني إلى مستشفى سانت كريستوفر تشيلدرن، ولذلك لا أذكر كيف أخذوني لإجراء العملية الجراحية. لا أذكر سوى غرفة الإنعاش بشكل غير واضح تماماً، عندما استيقظت من التخدير، بالرغم من أنني كنت تحت تأثير مسكنات الألم التي تعطى عن طريق الأوردة والتي جعلت عقلي مشوشًا. لا أذكر سوى أن والدتي كانت بجانب السرير المتحرك، تنظر إليّ من الأعلى، وكان مشهداً جميلاً للغاية. لقد بدت وكأنها مضطهدة، ولم أتعود أن أراها بهذا الشكل من قبل. كنت مشوش التفكير، وخفت من اصابتها بمكروه. حاولت أن أتكلّم، ولكن لم يكن لدي طاقة وقدرة على التفكير. أذكر أنني أدرت رأسي باتجاهها، ثم رأيتها تمسك كفي اليسرى بيديها الاثنتين، واستغرقت لأنني لم أشعر بضغط يديها حول يدي، ولكن بعد ذلك، شعرت بهما. لقد كانت أصابعها دافئة. وبالرغم من أنها كانت تمسك يدي اليسرى بإحكام، تبيّن لي أنها كانت ترتعش؛ لم تكن يدها هي التي ترتعش فقط بل كامل جسدها. قالت لي شيئاً، ولكن صوتها كان بعيداً، مثل الأصوات التي تناطينا في الأحلام من بعيد، ولم أستطع فهم ما قالته لي، وعندها استغرقت بالنوم.

بقيت في غرفة العناية المركزية 48 ساعة، إلى أن تأكدوا أن مؤشراتي الحيوية مستقرة، ولكنني بقيت مشوشًا بسبب تأثير مسكن الألم الذي ربما كان نوعاً من أنواع المورفين. قضيت معظم وقتي نائماً، وبالرغم من أنه يفترض ألا أرى غير كوابيس، فقد كانت كل أحلامي سارة، مع أنني بالكاد كنت أتذكرها عندما أستيقظ. وكانت الممرضات يحضرن بين الحين والآخر بالإضافة إلى رجل يرتدي الأبيض ويضع سماعات طبية حول عنقه.

لم يُسمح للأصدقاء وأفراد العائلة بأن يطيلوا الزيارة في غرفة العناية المنشدة، وكان هناك شخص يتواجد دوماً على الكرسي بجانب السرير، عندما كنت أصحو من مستنقع النسيان الذي كان حقيقةً كالفراش الذي أنام عليه. ولقد علمت بالطبع من أنا، وأين يجب أن أكون، وكانت أميز الزوار وأشعر نحوهم بالحب والامتنان، ولكنني لم أعلم سبب وجودي في المستشفى، وربما تجنبت معرفة السبب، واخترت النسيان بدل معرفة الحقيقة التي لا تحتمل. كان بإمكانني الكلام في العناية المركزية، ولم يكن صمتي ناتجاً عن الإصابات التي تعرضت لها أو أثراً من آثار الأدوية. ربما خشيت التكلم لأن الكلمات كانت ذات أهمية في عائلتنا، وبعد التفوه بكلمة، تبدأ محادثة، ومع المحادثة تظهر الحقيقة. كانت والدتي هناك، وكانت تضع أحياناً كمامات باردة على جبيني، أو قطعة ثلج في فمي لتذوب بداخله.

تواجد جدي بعياب والدتي، وبالرغم من أنني لم أتعود أن أراه يحمل مسبحة كجدتي أنيتا، إلا أنها لم تكن تفارق يده الآآن، وكانت أصابعه تتجلو من خرزة إلى أخرى، وشفتها تتحرّك بحسب حركة لسانه. لم يكن من المفترض

أن أتعجب لرؤيه دوناتا لورانزو، التي كانت يوماً من الأيام جارتنا وحاضستي، والتي وقفت أمري إلى جانبها يوم وفاة زوجها. لقد أصبحت حركتها أصعب الآن مما كانت عليه عندما رأيتها آخر مرة، وكانت تمسح عينيها بمنديل قطني مطرز بشكل جميل عند زاويته، أو تقوم بعconde حول أصابعها.

عندما فتحت عيني ورأيت السيد يوشيوكو على الكرسي، تذكرت صور والدته وشقيقته في كتاب يتحدث عن إجبار اليابانيين على العيش في ملاجئ في كاليفورنيا خلال الحرب العالمية الثانية، وتكلمت للمرة الأولى: "أنا متأسف حقاً". لقد أدرك ما أقصده بكلماتي، ولكنه اقترب من السرير، وأمسك بيدي كما فعلت والدتي سابقاً، وقال بهدوء: "عاصفة الصيف، اختبأت في حديقة الباumbo، ورحلت بعيداً". ظنت أنه كان يلقي أبيات من قصيدة يابانية، لأنني فهمت من كلماته بأن الأسوأ قد رحل، وكل شيء سيكون جميلاً من الآن فصاعداً. لقد تعرضت لحادث خطير، ولكنه لم يكن مميتاً.

في بعض الأحيان، وفي الساعات التي تلت العملية، أدركت أنني لا أستطيع تحريك قدمي أو الشعور بهما. وكنت لأصاب بالجنون لو لم أستطع تحريك يدي أو الشعور بهما أيضاً، لكنني تذكرت ما خسره السيد يوشيوكو في حياته، وما خسرته السيدة لورانزو، وحال جدي من دون أنيتا، فأحننت يدي وعزفت ألحانًا على أزرار وهمية على غطاء السرير، وعلمت أنه مهما حدث، فسأكون على ما يرام. وبالرغم من أنني كنت متفائلاً ربما لأنني كنت لا أزال أتلقي مضادات الاكتئاب التي يمكن التحكم بكميتها، والتي جعلتني أتجنب التفكير بأي شيء. فقد كنت حتى ذلك الحين، أتجنب بشدة معرفة سبب وجودي في المستشفى، لربما أتمكن من نسيانه.

راودني الكابوس الوحيد، كما أخبروني، في الساعة التاسعة ليلة اليوم الثاني. واجه عقلي الحقيقة التي لم أستطع الاعتراف بها وأنا مستيقظ: كنت في المصرف، تحت الأحصنة الفولاذية، وكانت ألاحق الريشة الذهبية نحو

المحفظة. اتجهت فيونا نحو مخرج من المخارج، وهرب والدي. استدرت لأرى أمالي وأمالك. "يا إلهي، يا إلهي، يا إلهي"، دوى الانفجار. بدت الفتاة وكأنها ملاك يطير، لكنها لم ترتفع بواسطة أجنهة بيضاء. لم ترتفع، هبطت ولم ترتفع. لم تعد الفتاة بعد الآن، أصبحت طائراً مهيباً، أصبحت كتلة مشابكة من ثياب ممزقة وجسد ممزق وعظام، لا حياة فيها.

استيقظت وأنا أصرخ ولم أستطع التوقف، وهرعت الممرضات إلى غرفتي، وسرعان ما حضرت والدتي. "ماتت أمالي!" هذا ما قلته في الوقت الذي جلست فيه على السرير واحتضنتي بذراعيها. "لقد ماتت أمالي، آه يا ربى، لقد ماتت يا أمى". بالطبع يعلمون بمماتها، وموت أناس آخرين معها. الأمر الوحيد الذي فعلته هو ما قلته لاحقاً بعد ذلك: "لقد قتلتها! أنا، أنا من فعل ذلك، أنا من قتل أمالي!" أمسكت بي أمي، وأكدت لي أنني لم أقتل أحداً، ولكنني رفضت أن أتقبل تبرئة نفسي بسهولة. "إنك لا تعلمين، كان عليّ أن أخبرك. إنك لا تعلمين كل شيء وكان عليّ أن أخبرك". قالت إن السيد يوشيموكا شرح لها كل شيء، وأنني لم أرتكب أي إثم أو عمل خاطئ، وأنني فعلت ما كان سيفعله أي شخص في عمري في ظروف مشابهة، وربما كانت لتقتلني فيونا كاسيديي منذ وقت طويل لو قمت بأي شيء مختلف. ما حدث في المصرف يختلف تماماً عما يحدث عادة، وكان واحداً من الأمور الرهيبة التي يبدو أنها تتزايد سنوياً.

لم أستطع أن أتقبل عذر أنني فعلت ما كان سيفعله أي شخص في مثل سني، لأنني قلت مرة للسيد يوشيموكا: أشعر أنني أكبر مما أنا عليه. ووافقتني الرأي.

فقلت بإصرار: "ولكنك لا تفهمين، وربما السيد يوشيموكو لا يفهم أيضاً. لم يقوموا بسرقة صالة العرض فقط في جامعة المدينة. لقد فعلوا أمراً أسوأ. فيونا وتيتون هما من فجروا المصرف. لقد رأيتهما، كانوا يحملان حقبيتين،

وبعد ذلك غادراً.

ذهلت بشدة بسبب الصدمة، وأعتقد أنها أدركت ما أصبح واضحاً بالنسبة إليّ: لو لم تحمل بي، لو لم يتزوجها والدي وسلك طريقاً آخر في الحياة، لكان أمالي وكل من مات في المصرف، على قيد الحياة الآن. لقد ماتت أمالي لأنني ولدت.

والآن، بعد مرور نصف قرن، أفهم الأخطاء في طريقة التفكير تلك. ولكن بعد التفكير بما حدث في المصرف، الأمر الذي يحزنني كثيراً، هو ثقتي المطلقة بأنني كنت على حق بشكل غير قابل للنقاش.

بعد برهة، عندما لم أستعد هدوئي، حفظتني الممراضة بمهدئ أعصاب عبر جهاز يوصل الدواء إلى دمي، وخلدت إلى النوم بين ذراعي أمي بالرغم من أنني لم أرغب بذلك. تلك الليلة، لم تراودني أية أحلام.

عندما زارتني أمي في الصباح، سألتها إن علم أحد ما حل بقلادي، وفوجئت عندما قالت لي:

"كانت حول رقبتك عندما وجدك رجال الإنقاذ يا عزيزي".

أخرجتها من محفظتها وأعطيتني إياها. كانت الريشة موجودة داخل القلب المميز.

الأربعاء، كانت مؤشرات الجسم الحيوية مستقرة، لذا نقلت من غرفة العناية المشددة إلى غرفة عادية ولم أحتج إلى تقويم للعظام أو مشد. لم تكن حالي ما يمكن تسميتها بـ "إصابة غير مستقرة" والتي تحتاج لوقت كي تشفى. كانت حالي مستقرة وجيدة؛ تضرر عمودي الفقري بشدة، وكانت هذه نهاية القصة. لا يستطيع أي جراح في هذا العالم، الآن أو لاحقاً، أن يصلح المسالك العصبية التالفة.

بقيت في المستشفى لبضعة أيام، و كنت أتلقي العلاج لجروحى البسيطة وأخضع للاختبارات لمعرفة مدى الشلل الذي أصبت به، أكثر ما كان باستطاعة الممرضات فعله هو تحريكى بشكل منتظم في السرير لكي لا أصاب بقرح بسبب عدم الحركة وفقدان الإحساس داخل قدمي.

الخميس بدأ العلاج الفيزيائي، قام المعالج بتحريك قدمي، حيث كان يحرك كاحلي ويشنی ركبتي، الأمر الذي كان على أحد أن يفعله لي يومياً من الآن فصاعداً، كي لا تتكلس مفاصلني ولا تتقلص عضلاتي بسبب الشلل.

لم أحزن بسبب عدم قدرتي على الحركة، ولم أستلق كرباً في فراشي لأنني أصبحت كسيحاً، وهي كلمة كانت تستخدم بشكل عفوي في ذلك الوقت، ولم تكن تعتبر أقل لطفاً من الكلمة "عجز". شعرت أنني نلت ما تستحقه وأن صيري على حالٍ من دون شكوى قد يكون أملبي الوحيد في أن يُغفر لي.

الآن خفضت مسكنات الألم الموصوفة، ولم يعد بإمكاني التذرع بالضبابية التي كانت تسببها لي الأدوية. ولم يعد باستطاعتي أن أبقى في

صمتني المتعلم. تكلمت مع الجميع، بالرغم من أنني لم أتكلم بكثرة كما كنت أفعل في السابق. شعرت بأن كلامي لا يستحق أن يصغي إليه الآخرون بعد المعاناة التي سببها وجودي في هذا العالم. في معظم الأحيان، كنت أقيد نفسي بالإجابة فقط، حيث قلت مناقشاتي. بقيت على علم بأن كآبتي وشعورتي الحاد بالذنب أحزنا أمي وجدي تيدي. ولكنني كنت سأشعر بالاشمئاز من نفسى إن حاولت التظاهر بامتلاك مشاعر غير مشارعي الحقيقة.

عندما كنت في العناية المشددة، كان هناك شخص بالقرب مني على الدوام، وغالباً شخصان أو أكثر. زارني السيد يوشيوكا مراراً، مرتين أو ثلاث مرات في اليوم، لدرجة أنني شعرت بنفسي مرغماً على القول له إنه قد يخسر وظيفته. فاكتفى بالابتسام وقال إنه لم يأخذ أي عطل أو إجازات مرضية لسنوات، وجمع عدداً كبيراً من الإجازات المستحقة.

جاء مرة مع المحقق أوتاني، الذي سألهي عما رأيته في المصرف الوطني، وقام بتسجيل إفادتي المتعلقة بفيونا وتيلتون. تم اعتقال أورورا ديلفافين ولكنها ادعت أنها لم تكن تعلم نوايا زملائها السيئة، حيث قالت: "لقد كنا جماعة صغيرة، نواعد من نشاء، وهذا كل ما كنت أراه". قطعت وعداً بالتعاون مع السلطات، ولكن لم يطلق سبيلها بكفالة حتى الآن، فيما اعتبر الآخرون فارين من العدالة.

يوم الخميس، عندما حل يوشيوكا مكان أمي وجدي تيدي عندما ذهبنا لتناول الغداء، جلس إلى جانب سريري، وأسند ذراعيه إلى يدي الكرسي، وجلس في وضعية الاسترخاء التي يتميز بها، ثم قال: "جونة، هل تذكر عندما لم تكن قد بلغت العاشرة بعد، عندما كنت بالكاد قد تجاوزت التاسعة، وقلت إنك حلمت بالأنسة كاسيدي والسيد دراكمان قبل أن تقابلهما؟".

"بالطبع، وأحضرت لك حلوي مغطاة بالشوكلاته".

"لقد كانت لذيدة للغاية. حدثتك في ذلك اليوم عن رؤية راودتني، حيث

هلكت أمي وشقيقتي في حريق".

قلت له: "لقد رأيت صورهما".

رفع حاجبيه وقال: "هل رأيتهما فعلاً؟".

"ووجدت صورهما في كتاب بالمكتبة وكان يتحدث عن المانزانار. أخذت صورة عن الصفحة لأحتفظ بها".

حدق للحظة إلى يده اليمنى، حيث استلقت على يد الكرسي، وكأنه فضل عدم النظر إليّ، وتساءلت إن كنت قد انتهكت خصوصيته بشكل من الأشكال، ما كان مقدساً بالنسبة إليه، عبر إيجاد صور والدته وشقيقته والاحتفاظ بها.

قال لي عندما نظر إليّ مرة أخرى: "قلت لك في ذلك الوقت إنني أؤمن بأننا نحن الأشخاص الذين نصبر على الكثير من المصائب، قد أعطينا نعمة التنبؤ من وقت لآخر، لكي نتجنب المزيد من العذاب. كنت شاباً حادقاً في تلك الأيام، وكانت غاضباً بشدة بسبب اعتقالنا في مانزانار. كان غضبي شديداً، يا جونة، لدرجة أنه حرق إيماني لفتره؛ إيماني بهذا البلد، إيماني بوالدي، الذي أغضبني بخضوعه، وإيماني بأن للحياة معنى. وبالرغم من أنني حلمت بالحريق قبل سبعة أيام من حصوله، لم أستطع أن أصدق أنه لم يكن أكثر من حلم عادي. لم أستطع أن أقبل أثناء غضبي أن النعم حقيقة، وأنني وهبت ذلك الحلم لكي أتجنب خسارة أمي وأختي العزيزتين. لقد عظمت غضبي بشدة لدرجة أنني لم أستطع أن أتخلى عنه، ولم أستطع أن أتحلى بالإيمان".

قلت له: "لم يكن بإمكانك أن تعلم بأن الحلم كان رؤيا".

"بلى، كان بإمكانني معرفة ذلك لو لم يسيطر الغضب عليّ، ولو سمح لنفسي بأن أتقبل التحولات والتقلبات السيئة بحكمة وبصدر رحب. ما حصل في مانزانار كان خطأناً. ومع ذلك، فقد تم بناء المعتقلات في وقت مليء بالخوف، وكان الخوف منطقياً في ذلك الوقت. ولكن الخوف قد يدفع الناس ليقوموا بأفعال لا يستطيعون التفكير بها في أوقات الاطمئنان. قد يعمي الخوف

بصيرتنا، وكذلك قد يفعل الغضب".

كنت سأقول له شيئاً، كنت سأعيد التأكيد له بأنه لا يلام على احتراق المطبخ. بالحكم على نظره إلى بشكل مباشر، وظهور الشوق عليه، ظنت بأنه بانتظار أن أفك في ما قاله، وأن آخذ الحكم الجوهرية من كلماته.

بعد صمت للحظات، تابع قائلاً: "الاستسلام للخوف يدمر الكثير من الأرواح. والإفراط بالغضب يدمر أكثر من ذلك. والشعور بالذنب، يا جونة، يتسبب بالشيء ذاته. أتكلم معك كخبير بهذه الأمور الثلاثة. يمكن التغلب على الخوف، ويمكن أن يتخلص المرء عن الغضب. ويمكن التخلص من الشعور بالذنب عن طريق مسامحة النفس".

أدربت وجهي بعيداً عنه وقلت: "مسامحة نفسك لا تعني أنه غُفر لك بالفعل. هذا أمر سهل للغاية".

"ولكن بإمكانك وعليك فعل ذلك، وخصوصاً عندما يكون ذنبك بسيطاً. الطريقة لفعل ذلك بسيطة؛ عليك أن تتذكر الحب الذي كنت تكتنه للشخص الذي فقدته. أخبرتني والدتك أنك كنت تعيش أمالياً، وبيدو أن الجميع كانوا يحبونها. تذكر ذلك العشق، لا تسمح لشعورك بالذنب أن يخرجها من قلبك. افتح قلبك لها، أدخلها إليه مجدداً، لكي تكون معك دوماً. سيحول شعورك بالذنب دون دخولها إلى قلبك. سيكون الحزن هدية لها، أسلوباً لتنتمي لها السعادة. صدقني يا جونة، إنني خبير بمسألة الحزن وأعلم قيمته".

في وقت لاحق من ذلك النهار، صحوت من قيلولتي، وسمعت صوت أمي وصوتاً آخر كنت أحتاج إلى وقت لأدرك صاحبه. إنه صوت السيدة ماري أوتول، التي أعطتني دروس البيانو في مركز المدينة. دفعني شيء في أسلوب الحديث لأغمض عيني وأتظاهر بالنوم.

قالت السيدة أوتول: "كان يأتي أحياناً إلى باب المركز الخلفي آخر العصر". وأضافت: "كان يخطو إلى الرواق ويتناول سماع عزف البيانو. كانت غرفة البيانو في الجانب الآخر من مكتبي. إن كان هناك موسيقى، كان يستطيع أن يميز على الفور إن كان جونة هو العازف أم شخص آخر".

قالت أمي: "ولكنه لا يعزف على آلة موسيقية".

"ولكنني أقسم يا سيلفيا أن لديه أذناً موسيقية. كان يفهم على الأقل موسيقى ذاك الشاب. وعندما كان جونة يعزف، كان يذهب إلى غرفة الملفات المجاورة لمكتبي، ويجلس خلف الباب المفتوح نصف فتحة ليستمع إلى العزف".

"ألم يعلم جونة أنه كان هناك؟".

"كلا، لقد أراد أن تسير الأمور بهذا الشكل. كان يغادر قبل انتهاء درس جونة أو بعد رحيله بخمس دقائق. في البداية كان هذا الأمر غريباً بعض الشيء، ولكن لم يلزمني ذلك الشعور لوقت طويل".

خلال تظاهري بالنوم، استنتجت أنهمما كانتا تحدثان عن تيلتون، وأن والدي كان يأتي خفية ليسمع عزفي. لم أفهم معنى ما كان يفعله، ولم أود معرفة معنى ذلك مطلقاً.

قالت ماري أوتول: "دخل إلى مكتبي مرة في نهاية زيارته الثانية أو الثالثة وقال: "هل تشعرين كما أشعر، أن طاقة خفية تدخل الغرفة عندما يعزف جونة؟" أظن أنني أساءت الفهم، لأنني قلت إن جونة فتى رائع ولكنه ليس قديساً. ولذلك قال: "كلا، أعني أن طاقة خفية تدخل الغرفة عندما يعزف. هذا ما أشعر به". وبعد ذلك قال إنه لشرف عظيم له أن يستمع للعزف وغادر".

قالت أمي: "لم أعلم هذا من قبل".

"في يوم من أيام الشتاء الماضي، نظرت إليه عندما كان في غرفة الملفات، وكان يجلس بشكل لائق جداً، مرتدياً معطفه السميك، حاملاً قبعته بين يديه، والدموع تنهر على وجنته. اعتذر لي بسبب انهمار دموعه، من بين كل شيء، وقال إنه جعل حياته معزولة. هذا ما قاله بدقة. لم يتكلم بشكل شخصي، إنه شخص متحفظ. ولكنه قال إنه جعل حياته معزولة، وكان الوقت قد تأخر ليكون أباً. قال لي: "العالم مليء بالجمال، أليس كذلك؟ الحكمة موجودة في كل مكان ولكننا لا نراها". إنه رجل طيب".

بالطبع، لم تكن تتحدث عن والدي. فالسيد يوشيوكا هو من كان يأتي إلى المركز بين العين والأخر ليستمع إلى عزفي، ولم أعلم بهذا.

لا بد أن اليوم المعين الذي أشارت إليه ماري أوتول هو اليوم الذي خرجت فيه عند العصر من المركز، بينما كان الثلج يتتساقط، ووجدته أمامي، يومها بدا أنيقاً جداً وهو يرتدي معطفه ويطوق رقبته بوشاح ويعتمر قبعة رسمية. لقد جعلته في منتهى السعادة ذلك اليوم عندما اكتشفت أنني حفظت قصيدة يابانية لنایتو جوسو.

والآن، في غرفة المستشفى، تظاهرت وكأنني استيقظت حالاً من النوم، وحاولت جاهداً لبعض الوقت أن أتصرف كما اعتدت دوماً مع السيدة أوتول. ولكن عندما حاولت التظاهر بأنني أصبحت بمزاج أفضل مما كنت عليه، راودني قلق بأن السيد يوشيوكا قد يكون في خطير. فلو كاس دراكمان

وفيونا كاسيدى والسيد سمولر وأبى لا يزالون أحراراً، هاربين أو مختبئين في مكان لا يعلمه إلا الله. وإن رأوا المؤتمر الصحفى للشرطة على التلقاء أو قرأوا الجرائد، فسيعلمون بالتأكد أن للسيد يوشيوكا وقوات مانزنار دور فعال في تبييه السلطات. على الأغلب سيختار والدى الفرار والاختباء واللجوء إلى عيش حياة أخرى، ولكن بإمكانى التصور بسهولة بأن الثلاثة الآخرين سيندفعون خلف رغبتهם بالانتقام.

**Telegram @read4lead**

بدأ يوم الجمعة بأخبار كان يأمل سمعها كل من أمي وجدي، دون أن ألاحظ هذا مسبقاً. قال الأطباء إن فقدان القدرة على التحكم بمبولتي لن يكون جزءاً من عجزي. بالرغم من شلل قدمي، ينبغي أن أستطيع التبول والتبرز من دون مساعدة. ولاختبار هذا الاستنتاج للمرة الأولى، نزعت الممرضة قسطرة البول والقارورة التابعة لها، وحثني على شرب قدر كبير من المياه خلال الساعتين التاليتين.

أخيراً، شعرت بالحاجة للذهاب إلى المرحاض. حملني جدي تidi إلى الحمام ووضعني على المرحاض لكي يحميني من الإjection الذي سأشعر به إن قام شخص غريب بمساعدتي في هذه المسألة.

قال جدي لأمي عندما حاولت اللحاق بنا: "فقط نحن الرجال". وأغلق الباب.

بعد الجلوس هناك لبرهة، قلت: "وماذا الآن؟".  
"حاول".

"أحاول ماذا؟".

"افعل كما تفعل دوماً. لقد كنت تفعل هذا العشر سنوات، أليس كذلك؟".  
"أجل، أعتقد هذا".

"تعتقد هذا؟ لا أعتقد أنك كنت تقوم بالظهور كل هذا الوقت".

ضغطت قليلاً، ولكنني توقفت بعد ذلك، وقلت: "حسناً...".  
لم يستطع إخفاء قلقه وقال: "حسناً وماذا؟".  
"لا أعلم".

"ما الذي لا تعلمه يابني؟".

"أشعر بشيء غريب".

"بماذا تشعر؟".

قلت: "إنه شعور مضحك".

حدق إليّ من الأعلى للحظة، كان طويلاً ومهيباً، وكأنه أضخم مني بكثير.

وبعد ذلك فتح عينيه، وقال: "هل تعني أنه أمر غريب أو أنه أمر يدفعك إلى الضحك؟".

بدأت أقهقهه، ظاناً بأنه علم أنني سأفعل ذلك.

قال جدي: "أريد إياضاحاً فقط". وتابع قائلاً: "هل تشعر بشيء غريب لأن سرباً من الطيور المرفرفة قد يخرج طائراً من مؤخرتك؟ أم تشعر أنه أمر مضحك لأنني أبدو مضحكاً وأنا أقف هنا كمدرب للتبول؟".

لم تتوقف القهقهة، ولكنني بدأت بالتبول.

بعد ذلك، ساعدني لأصل إلى المغسلة. غسلت يديّ وسحبت منديلاً ورقياً وجفتهما، ثم حملني بلطاف وحنان بين ذراعيه، وقبل جبيني وقال: "ما دام الرجل يستطيع التبول يا جونة، يستطيع أن يتحمل أي شيء قد يحدث معه في هذا العالم". حملني إلى السرير، قرب المكان الذي كانت تقف فيه أمي مبتسمة. بالرغم من أنها كانت تبكي.

يوم الثلاثاء، بعد ثمانية أيام من حادث المصرف، قرر المعالجون أنني أستطيع الذهاب إلى المنزل يوم الخميس، وكانت هذه طريقة رائعة لبدء النهار. عاملني الممرضون ومساعدوهم والجميع بطيبة شديدة، ولكنني سئمت من المستشفى. لم يعتقل أي من أفراد العصابة التي استولت على شاحنة كولت ثومسون المدرعة، ولم يعثر على عربة النقل المسروقة أو الحارس الثالث، وأدركت أنه ما لم يكن المصرف بأمان فالمستشفى لن يكون كذلك.

عصر ذلك اليوم، كنت أشاهد فيما تافهاً على التلفاز، ولم يكن هناك صوت. كنت قلقاً على السيد يوشيوكا عندما دخلت أمي وقالت: "جاء شخص مميز جداً وهو يريد رؤيتك جونة. قد لا ترغب برؤيته، ولكن عليك فعل ذلك وإن كان الأمر صعباً". سألتها عن هوية الشخص، فقالت: "لقد مر بما مررت به يا عزيزي جونة".

سألتها: "أهو مالكوم؟".

أومأت برأسها، وقالت: "يمكنك أن تكون متamasكاً من أجله، أليس كذلك؟".

"أشعر بالخوف".

"لا داعي لذلك. إنه قلق عليك. ألسنت قلقاً عليه؟".

أغمضت عيني وتنفست بعمق ثم زفرت وفتحت عيني.

علمت الأمر الذي توقعت أمي أن أقوم به، ولماذا توقعت ذلك، ولماذا قد تتوقع ذلك. أطفأت التلفاز الصامت، وقلت: "حسناً".

كان يبدو غليظ المظهر كالعادة، بنطاله مرفوع بحمالات، ويظهر أربع

بوصات من جوربه الأبيض أعلى حذائه، دخل الغرفة، وغادرت أمي وأغلقت الباب وبقينا بمفردنا. لم ينظر إليَّ كثيراً بل توجه إلى النافذة ووقف محدقاً إلى الخارج، كانت الشمس مشرقة وكأنه لم تحدث أية مأساة في المدينة. عندما لم ينبس ببنت شفة، تسأله إن كان عليَّ أن أتكلم أولاً، وما كان ينبغي أن أقوله، ولكنه استطاع التكلم بعد ذلك.

"جئت بمفردي. أعلم كيفية الذهاب بالباصات، ليس أمراً صعباً. كانت إحدى مراحل التحول صعبة قليلاً، وهذا كل شيء". بعد التوقف للحظة، تابع قائلاً: "أتري كيف أني لا أبكي؟ لم أفعل ذلك منذ وقت طويل، ولن أبدأ بذلك الآن. بكاؤك في منزلك يا رجل يعني بأنك سمحت لهم بالفوز. اكتشفت ذلك منذ آلاف السنين. حتى وإن قالوا لك، ابكِ داخل المرأب، فلا يمكنك أن تذهب إلى هناك وتبدأ بالبكاء، لأنهم سيعلمون أنك بكثي. أجهل كيف يعلمون، ولكنهم يعلمون. في بعض الأحيان كانت أمالياً تقول إنها تعتقد أنهم يتغذون على دموعنا لأنه لم يعد باستطاعتهم البكاء. ولكنها كانت تراجع دوماً قائلة إن الذنب لم يكن ذنبهم، وأن أمراً قد حدث لهم وجعلهم بهذا الشكل. ولكني لست متساماً إلى هذا الحد".

ادركت أن كل شيء قد أقوله لن يكون مهمأً في تلك اللحظة. احتاج مالكوم إلى أن يتكلم، وكان بحاجة إلى أن أصغي إليه، مهما كان الإصغاء صعباً.

"ذاك الصباح"، تابع قائلاً، وعلمت الصباح الذي كان يتحدث عنه. "استيقظت باكراً جداً. كان لديها أعمال كثيرة قبل أن تصطحبنا لنمرح قليلاً دون أن يقوما بإزعاجها. كان عليها أن تعد الفطور لهما كل صباح، كانت تعد صنفين مختلفين في وقتين مختلفتين لأنهما نادراً ما كانوا يأكلان سوياً ولا يرغبان بالشيء نفسه. أفرغت منافض السجائر عوضاً عنها، لأنهما لم يفكرا بفعل ذلك، وبدلت أوراق قفص العصفور، وفعلت أشياء أخرى. عندما تناول

الرجل العجوز طعامه وغادر للعمل وتناولت المرأة طعامها في صينية على كرسيها ذي الذراعين أمام التلفاز، كان لا يزال على أماليا أن تقوم بالعديد من الأعمال، لكي تستطيع عندما نعود إلى المنزل من وسط المدينة في أواخر العصر، أن تضع العشاء على الطاولة وعلى صينية التلفاز بحلول موعد عودته إلى المنزل وهو يتذمر بشأن كل ما حدث معه أثناء العمل. إنه يجعلك تعتقد أنه كان عليه أن يعلم كل مغفل كيفية استخدام المخرطة يومياً، وكان الطاقم كله ينسى عمله خلال الليل.

ذاك الصباح، قشرت أماليا الجزر ووضعته في وعاء من الماء، وقشرت البطاطا ووضعتها في وعاء آخر من الماء، وكنا نقوم بإنتهاء المهام حتى يحين وقت البدء بالفطر. يحب السيد والصيادة الفطر. إن كان هناك لحم في الطعام، يجب أن يكون بجانبه صلصة لحم، وعلى صلصة اللحم أن تكون مليئة بالفطر اللعين. وإن كان هناك لازانيا عوضاً عن صلصة اللحم، يجب أن تكون اللازانيا مليئة بالفطر لدرجة أنك قد تختنق حتى الموت بسببه. وبالتالي، تأخذ أماليا أرطاً من الفطر، كمية أجهل مقدارها، وتغسله وتقشره بالطريقة التي يفضلانها، وعليها فعل كل ذلك قبل أن نذهب نحن الثلاثة للحاق بالباص. لم تكن تدعني أساعدها، كانت تقول إنني أقطع الفطر قطعاً كبيرة. حتى وإن كان الفطر داخل اللازانيا أو مغطى بصلصة اللحم، فيستطيع سيد المخرطة وعشيقته معرفة إن كان الفطر مقطعاً قطعاً كبيرة، ويفضل أن تتجنب التذمر والتوبيخ وإزعاجهما المعتاد والمتوافق".

توقف عن الكلام ليأخذ بضعة أنفاس عميقه وليهدا. وكان لا يزال ينظر عبر النافذة بدلاً من النظر إلى.

"وهكذا، أسرعت أماليا لإنتهاء تحضير الفطر، وحاولت الإسراع من دون أن تقطعه قطعاً كبيرة، لا سمح الله، وأنا أشاهد يديها ترتجفان. كانت تقلق بشدة بسبب ذلك الفطر اللعين، ويسبب العمل على تحضيره بشكل صحيح

ومحاولتها للانتهاء من تحضيره في الوقت المناسب، وكان مصير العالم يعتمد على ذلك. نظرت إلى وجهها، وهي مرکزة على ذلك الفطر، وكان تركيزها شديداً يا رجل، لدرجة أنها كانت تقضم شفتها لتركتز بشكل أفضل. كانت شخصاً شديداً الذكاء، لديها معرفة بالفن والهندسة، ومعرفة بالموسيقى والكتب، و تستطيع الكتابة، آه يا رجل كم كانت تستطيع الكتابة، كانت لتصبح أشهر كاتبة في العالم، كان لديها منحة كاملة لأربع سنوات، ولكنهما لم يرياهما ذلك أو لم يهتما، كل ما كانا يريدان فعله هو توبيعها إن لم تعد مقداراً كافياً من الفطر أو إن لم تتعده بحسب معايير عائلة بوميرانتز".

توقف عن الكلام لفترة طويلة، وكان يتنفس بقوة وبسرعة في البداية، ولكنه هدأ مع مرور الوقت.

"إنهما يصدران الأصوات منذ حدوث ذلك الصوت الذي يعلمأن أن عليهما إصداره في وقت مثل هذا. كم كان هذا مروعاً، وغير عادل. كم يشتاقان إليها. كم يبدو المنزل فارغاً الآن. ولكن كل هذا مجرد صوت. لم تدمع أعينهما دمعة واحدة. يطلبان العشاء من ذلك المطعم، ويتدمران منه. يحاولان تجربة العشاء المثلج، ويتدمران منه. إنهما يشاهدان التلفاز كما كانوا يفعلان في السابق. أقسم أنهما يكلمانها بدل التكلم أحدهما مع الآخر. أحزن في المرأب دون أن أؤمر بذلك. الشيء الوحيد الذي تغير بشأنهما، بالإضافة إلى ما يتناولنه من طعام، هو مقدار تدخينهما. إنهما مثل مدخنتين من مداخن المصانع، أصبحا أسوأ مما كانا عليه في السابق، وكأنهما يحاولان ملء المنزل بالدخان كي لا يلاحظا رحيلها".

أخيراً صرف نظره عن النافذة وجاء إلى السرير وحدق إلى قدمي عديمتى الفائدة.

"كما تعلم، كانت على وشك الفرار".  
تجرأت على الكلام وقلت: "أعلم ذلك".

"كان لديها منحة كاملة، وكانت ستبدأ الجامعة في أيلول، وكان من الممكن أن تتحقق نجاحاً. ولهذا السبب أيضاً، لن أبكي، لن أبكي أبداً. كانت تملك كل الصفات المميزة. كانت جميلة وذكية ومرحة ولطيفة. وعاملت الجميع بلطف، وفهمت الحياة وفهمت أموراً عن العالم أكثر مما قد أفهمه طيلة حياتي. كانت حياتها مضغوطة جداً يا رجل، مضغوطة جداً. ما فعلته في سبعة عشر عاماً يفوق ما قد يفعله معظم الناس خلال مئة عام، وهذا ليس سبباً للبكاء. لا يوجد سبب للبكاء، أليس كذلك؟".

أجبته قائلاً: "كلاً".

وأخيراً نظر إلى عيني.

قلت له: "إنني أحبها أيضاً".

لحسن الحظ، كانوا قد نزعوا جهاز التقطير الوريدي وقسطرة البول سابقاً. بعد أن أنزل مالكوم حاجز السلامة، صعد إلى الفراش بجانبي، وكان أخرق كالمعتاد. وضع رأسه على صدري، وكأنه كان أصغر مني حجماً، وأصغر مني سنًا.

ما يدهشني في هذا العالم، هو كيفية تمكّن أي شخص عرفناه حديثاً أن يصبح شخصاً أساسياً في حياتنا بين عشية وضحاها، وبالكاد أقل أهمية من الهواء والماء. بالرغم من أننا جعلنا العالم مليئاً بالحقد والحسد والعدوان، فأرجح الأدلة تشير إلى أن هذا العالم خلق ليحفز الناس على الصداقة والحب والطيبة.

"لا تكره نفسك يا جونة. لست كوالدك، ولا يمكنك أن تكون مثله. عليك أن تتصرف بطبيعتك، علينا أن نتصرف أحدهنا مع الآخر كما اعتدنا من قبل. لم يبق لي سواك، سواك أنت، سواك أنت".

دام تعهده بعدم البكاء حتى تلك اللحظة.

زارني في المستشفى أناس كثُر، ولكن الآنسة بيرل لم تأتِ بالرغم من أنها كانت أكثر شخص توقعت مجئه. قالت إنها ساعدتني أكثر مما ينبغي، وتقع مسؤولية ما يحدث لاحقاً على الأشخاص الذين يعيشون في الأحياء المجاورة لها، ودورِي فيما يحدث لاحقاً يعود إلىي. ما زلت آمل أن أراها مجدداً.

لم أفكِر بكلفة الرعاية الصحية إلى أن كنا في طريقنا إلى المنزل في سيارة الكاديلاك التي يملكها جدي والتي يبلغ عمرها واحداً وعشرين عاماً. علمت بأننا حصلنا على ترخيص من التأمين، ولكنني أدركت فجأة بأن الرعاية التي حصلت عليها كانت مميزة جداً.

بينما كانت أمي تجلس بالقرب مني على المقعد الخلفي قالت: "رفض الأطباء والمستشفى أن ندفع الفاتورة يا عزيزي. ولكننا لا نريد صدقة. اتفقنا معهم بأن يسمحوا لنا بأن ندفع الفاتورة على دفعات، ولكن لم يقبل أي منهم فلساً واحداً. لا أعلم السبب، ربما لأنه مستشفى كاثوليكي، ولأن جدك عمل كل تلك السنين في المراكز الكاثوليكية".

ردت قائلة: "لا بد من وجود أناس طيبين في هذا العالم، أليس كذلك؟". وافقت قائلة: "يوجد بالتأكيد".

قال جدي من خلف المقدمة: "أنا أفخر بعملي اليوم سائقاً لاثنين من أفضل الناس. ما رأيكما بأن توقف أمام باسكين روبيز ونشري ثلاثة ليترات من المثلجات المعبأة لنختم الطعام بها، حيث يقوم كل منا باختيار نكهة؟". ردت أمي قائلة: "لا داعٍ لأن تسألني مرتين".

أعلنت قائلًا: "لم يكن هناك داعٍ لأن تسألني في المرة الأولى".

"لعلمكم فقط، لا يزال هناك قواعد في هذه الأسرة، ونحن لا نقبل النهم في الطعام، لن نأكلها كلها الليلة".

عندما وصلنا المنزل، اكتشفت أنه تم استبدال درجات الرواق الأمامي بمنحدر مديد ومتين، ووسعـت الأبواب الداخلية والخارجية، بحيث تتوافق مع كرسي متحرك. كان الكرسي المتحرك في غرفة الجلوس، ووضعـني جدي عليه، محذراً إيايَ أنه سيفرض حدوداً صارمة للسرعة داخل المنزل. رفعت السجادـات في الغرف الأربع السفلية، ووضـعت بعيداً، وأعيد تنظيم الأثاث لـتمكن من التنقل بحرية، ووضعـ أثاث غرفة الطعام في المخزن ووضعـ مكانـه أثاث غرفة نومـي.

أكثر تغييرـ أدهشـني هو الحمام في الطابق الأرضـي، حيثـ كان يوجد مكتبـ جـدي الصـغير مـسـقاً. أـتـاحت لي قـاعدة المـغـسلـة المـنـخـفـضـةـ بـأنـ أـصـلـ إـلـيـهـا بـسـهـولـةـ. كانـ هـنـاكـ قـضـبـانـ مـتـيـنةـ حـولـ المـرـاحـاضـ لـتـمـكـنـ مـنـ النـهـوضـ عـنـ الـكـرـسـيـ المـتـحـركـ وـالـجـلوـسـ عـلـىـ المـرـاحـاضـ بـسـهـولـةـ وـلـأـعـودـ مـجـدـداًـ إـلـىـ الـكـرـسـيـ، وـذـلـكـ لـلـتـقـلـيلـ مـنـ خـطـرـ سـقوـطـيـ قـدـرـ الإـمـكـانـ، وـكانـ هـنـاكـ قـضـبـانـ سـلامـةـ قـرـبـ حـوضـ الـاستـحـمامـ أـيـضاًـ.

قلـتـ مـنـذـهـلاًـ: "كـيـفـ اـسـتـطـعـتـمـاـ فـعـلـ كـلـ هـذـاـ فـيـ أـحـدـ عـشـرـ يـوـمـاًـ فـقـطـ؟ـ وـيـاـ لـلـهـوـلـ، كـمـ كـانـ التـكـلـفـةـ؟ـ".

أـجـابـ جـديـ: "الـجـوابـ وـاحـدـ لـلـسـؤـالـيـنـ". وـتـابـعـ قـائـلاًـ: "هـنـاكـ كـثـيرـ مـنـ التـجـارـ الطـبـيـيـنـ الـذـيـنـ يـذـهـبـونـ إـلـىـ الـكـنـيـسـةـ الـتـيـ نـذـهـبـ إـلـيـهـاـ أوـ يـعـيـشـونـ فـيـ الـجـوارـ. كـلـ هـذـاـ عـلـمـ كـانـ تـنـطـوـعـيـاًـ. حـتـىـ أـنـهـمـ جـاؤـواـ إـلـيـنـاـ مـنـ دـوـنـ أـنـ نـتـلـبـ مـنـهـمـ ذـلـكـ. بـإـضـافـةـ إـلـىـ ذـلـكـ، أـنـاـ مـاـهـرـ بـاسـتـخـدـامـ فـرـشـةـ الـدـهـانـ، حـتـىـ وـإـنـ كـنـتـ أـنـاـ مـنـ يـقـولـ ذـلـكـ. دـفـعـنـاـ النـقـودـ ثـمـنـاًـ لـلـأـدـوـاتـ فـقـطـ، وـاسـتـطـعـنـاـ الـقـيـامـ بـيـاـقـيـ".

العمل بسهولة كبيرة.

لاحظت تأثره بطيبة الجيران.

ما لم أعلم في ذلك الوقت، ولم أعلمه لسنوات، لأنهم أخفوا الأمر عنِّي، هو أن إحدى صحف المدينة حاولت في بادئ الأمر أن تستفيد من حقيقة أنني كنت في المصرف في الوقت ذاته الذي قام فيه والدي بوضع الحقيقة. وتساءلت عن كيفية علمي بأن الحقيقة كانت تحتوي على قنبلة. حصل هذا الأمر سابقاً قبل بدء الصحافة بالعمل بتنظيم، وحين كانوا يعاملون الناس بقسوة للمتعة فقط؛ ولذلك، لم تحظَ ادعاءات الصحيفة الظالمة بإجماع الناس.

عندما سعى الصحفيون الذين يعملون في الصحفتين الأساسيتين لأنخذ تفاصيل إضافية من الشرطة، علموا بأن والدي هجرنا وطلق أمي، وبأن الشك انتاب عائلتي وصديق للعائلة لوقت طويل بخصوص نشاطات والدي والأشخاص الذين يعاشرهم. أعلن المحقق ناكاما أوتاني، الذي كان موجوداً بين الشرطة الذين شاركوا في المؤتمر الصحفي، بأنه لو لا مساعدة عائلة بلدسو، حيث قامت أمي بإرجاع اسم عائلتها الذي كانت تحمله قبل الزواج، لما كان لديهم حتى هذه اللحظة دليل عن هوية الذين قاموا بارتكاب جريمة مصرف فيرنست ناشونال المرعبة. قال أيضاً بأنني لو لم أكن هناك، ولو لم ألمح والدي، لما حصل الأشخاص الذين كانوا في المصرف على فرصة ليهربوا أو ليحموا أنفسهم، وهذا ما أدى إلى انخفاض عدد القتلى. قال المحقق أوتاني: "كان بإمكان الصبي أن يهرب وينقذ نفسه، ولكنه حاول إنقاذ الآخرين. وتتابع قائلاً: "وبسبب شجاعته، لن يستطيع المشي مجدداً". بعد ذلك، أعلن الجميع، وحتى الصحيفة التي أساءت إلي، بأنني بطل.

أقنعت أمي وجدي جميع الممرضات وأصدقاء العائلة بأن شعوري وحالتي النفسية قد يتدرمان إن علمت بأنه أعلن أنني مجرم قبل أن يُعلن أنني

بطل. كنا عائلة من الموسيقيين والأشخاص الهزليين، ولم نرحب بالحصول على الهافل من أجل القيام بما هو صحيح في لحظة توتر، كما قد يفعل الجميع، بل من أجل الضغط على النوتة الصحيحة في الترتيب الصحيح ومع وجود أسلوب مميز.

تصرفت والدتي وجدي بحكمة كبيرة، بالنظر إلى شعوري بالذنب وبالحزن. لكت اختبات تحت شعار أنني بطل، ولكت شعرت بالرضا، مما هوأسواً من الاختباء. أعلم نفسي بالقدر الكافي لأدرك أن طبيعتي قد تميل لأنخذ مثل هذا الخيار. ولكن شعور الفخر الشديد بالذات قد شوه حياتي بقدر لا يقل عن شلل نصفي الأسف.

عندما عدت إلى المنزل ذاك الخميس، كان البيانو لا يزال في الغرفة الأمامية، بالرغم من صناعة مقعد جديد بمقاس المقعد القديم؛ ولكن أضيف ظهر مبطن له. كما اكتشفت مؤخراً، سأحتاج إلى سنوات لكي أستطيع التحكم بتوازني بشكل كامل عند الجلوس على كرسي بلا ذراعين، وعلى مقعد من دون ذراعين أو ظهر. لحسن الحظ، بعد أن كبرت في السنتين الماضيتين، لم أعد أحتج للجوء إلى حيلتي التي تتضمن الجلوس على حافة المقعد من أجل الوصول إلى لوحة المفاتيح، لأنه لم يعد باستطاعتي تنفيذ هذه الحيلة.

قام جدي بتعديل البيانو المحبوب لديه لدرجة أنه أصبح قبيحاً بعض الشيء، ما جعل قلبي ينفطر. فقد ابتكر بذكاء باهر طريقة تساعدني على الوصول إلى الدواسة التي تمنع اهتزاز الأوتار ودواسة أوناكوردا وسوستينوتو بالرغم من أن قدمي عديمتا الفائدة الآن. أزال غطاء المفاتيح، تاركاً المفاتيح مكسوفة بشكل دائم، وحفر في الغطاء الخلفي لها ليركب ثلاث أجهزة تحكم مشابهة لمقابض السحب، أو أجهزة التوقف، الموجودة على الآلات الموسيقية. تحكم كل واحد بسلك امتد منشداً عبر البكرتين اللتين تقعان خلف الدعامات الخشبية نحو الدواسة التي قام بتمديدها عبر الجهة الخلفية من قاعدة الدعامة

الخشبية. سحب المقابض يؤدي إلى تشغيل الدواسة، ودفعها يؤدي إلى عودة الدواسة إلى مكانها الأساسي. أكمل لي بأنها ليست أنيقة ولا مثالية، ولكنها عملية. حتى وإن أردت عزف مقطوعة تقليدية لموزارت مثلاً، فعلني فعل ذلك بشكل مرتجل، لاستخدام يداً من أجل شد ودفع مقابض السحب عند الحاجة. أو بطريقة أخرى، ربما أستطيع استخدام الإمدادات الموصولة إلى المقابض، التي وضعها على جانب واحد فقط حتى ذلك الوقت. أطلعني عليها بينما كان متوتراً قليلاً وكان صوته وقوتاً كوجهه. امتدت الإمدادات من مقابض السحب نحو لوحة المفاتيح وكانت ترتفع عشر بوصات عنها، وكانت مغطاة بالمطاط، لكي أتمكن من سحب المقابض بأسنانه ودفعه بذقني عندما أقوم بمد رقبتي قليلاً أثناء العزف.

قال جدي بقناعة شديدة: "من الممكن العزف عليها حقاً". وأضاف قائلاً: "ستحتاج بالطبع إلى أن تعتاد على استعمالها، وقد تشعر بالإحباط في البداية. ولكنني تدرّبت عليها، وتوصلت إلى طريقة لاستخدامها، وأظن أنني أستطيع أن أعلمك بسرعة. إنها ليست أنيقة ولا مثالية...".

عندما قاطعته قائلاً: "ولكنها عملية"، بدا حائراً للحظة، ولكن عندما رأى أنني لم أكن قاطعاً، ابتسامة واسعة.

لا بد من أن ابتكر آلية كجهاز التحكم بالدواسات لحفيده العاجز أحزنه كثيراً. لقد عزف، كما قلت سابقاً، بذوق جيد ويتميز، وكان أفضل من عزف بيد يسرى، وكان أسلوبه ساماً. استطاعت التقدم خلال ستين إلى حد كبير للدرجة التي أوضحت على مطابقة أسلوبه، وافتخر بموهبي، وتطلع بلهفة إلى اللحظة التي أتفوق فيها عليه، وأصر على أن اللحظة ستحين خلال بضعة أيام فقط. كان عليه أن يعلم بأنني لن أستطيع التفوق عليه الآن، وستكون معجزة إن استطعت العزف في المستقبل، بواسطة أجهزة التحكم بالمقابض، بأسلوب جيد كأسلوب جدي. ومع ذلك، لا يزال يؤمن بأنني قد أستطيع فعل ذلك،

وأرادني أن أومن بذلك أيضاً. لطالما أحبيت جدي بشدة، ولكنني شعرت في تلك اللحظة بأنني أحبته أكثر من السابق.

لم تقترح أمي وجدي أن أقوم بالعزف، بالرغم من أنني كنت أعلم أنهم توقيعاً أثقل سأقوم بتجربة ذلك. لقد ابتعدت عن لوحة المفاتيح أحد عشر يوماً. في العادة، كنت لأتلهم للاقتراب منها. ولكنني لم أطلب منهمما أن ينقلاني من الكرسي المتحرك إلى المقعد. تدرعت بالشعور بالإرهاق الشديد، وقد كان عذراً منطقياً في تلك الظروف.

صرح الأطباء بأن الجزء الأعلى من جسدي يعمل بشكل تام وأنه بكامل قوته. بعد أول لحظة استيقظت فيها في غرفة الإنعاش بعد العملية، عندما لم أشعر بيد أمي وهي تضغط على إحدى يدي للحظة مليئة بالقلق، لم يكن لدي أي سبب لأن أتوقع أنني كنت أعاني من نقص سسيط في الإحساس بيدتي أو أنني لم أستطع تحريكهما بشكل سليم. في أول يوم عدت فيه إلى المنزل، ومع التحدي الإضافي الذي يتضمن استخدام مقابض السحب، خشيت أن أختبر ما صرحت به الطبيب.

في الصباح، شعرت بشجاعة. إنني أحتاج إليها كثيراً.

في الليلة الأولى لي في غرفة نومي الجديدة، استلقيت في الظلام، وأعدت بهدوء، في مجموعات مؤلفة من عشر، تعويذة محفزة لفتها بمنفسي: "أنا لست كتيلتون كيرك، أنا لست كتيلتون كيرك...".

في المجموعة الثانية، قمت بتأكيد الكلمة الأولى: "أنا لست كتيلتون كيرك، أنا لست كتيلتون كيرك...".

وبعد ذلك أكدت الكلمة الثانية: "أنا لست كتيلتون كيرك...".

في المجموعة الرابعة، قمت بتأكيد الاسم بنبرة ازدراه: "أنا لست كتيلتون كيرك...".

لا أعلمكم من مئات المرات همست تلك الجملة، ولكنني غفوت وأنا أتفوه بها.

لا شك في أن أمي كانت لتشعر بالذعر لو رأتني. في الصباح، كنت أول من ينهض من الفراش. بحلول الوقت الذي نزلت فيه أمي إلى الأسفل، كنت قد ملأت حوض الاستحمام بالمياه الدافئة، واستحممت، وارتدت ملابسي، مع حدوث العديد من الأخطاء أثناء استخدام يدي. وجدتني أمي بجانب البيانو، أحاول العزف واستخدام مقابض السحب.

سألتها: "هل بإمكانك أن تصفعي الوصلات من أجلي؟".

لم تعلق أمي بشأن مواجهتي للتحدي، ولكنني سمعتها لاحقاً تغنى بينما كانت تقوم بتحضير الفطور في المطبخ.

عندما نزل جدي تيدي إلى الأسفل، تناولنا الطعام معاً في حجرة الطعام الصغيرة، وبعد ذلك جلس معي ليريني بعض أساليبه في استخدام وصلات

كان لا يزال في عطلة من عمله، وأظن أنه كان ليجلس معه طيلة الصباح لو لم يكن عليه إحضار السيدة لورانزو مع أمتعتها. لقد قبلت بوظيفة رعايتها، حيث عليها معالجة قدمي عن طريق التمارين التي وصفها المعالج والاهتمام بي في باقي الأوقات. تضمنت الوظيفة الحصول على غرفة نومي القديمة في الطابق العلوي، وعلى راتب أقل مما قد يرغب به البعض للبدء بالعمل.

بعد رحيل جدي، أكملت التمرين وشعرت بقليل من الإحباط إلى حين رأيت مالكوم بالصدفة عندما رفعت رأسي ونظرت من خلال النافذة الأمامية. انتقلت من مقعد البيانو إلى الكرسي المتحرك، وفتحت الباب عندما قرع الجرس.

سألته: "أين فأسك؟".

بينما كان يمشي ببطء وارتباك وينظر إليّ من الأعلى، قال: "أفضل أن أدعوه بالساكسوفون".

"يامكانك فعل هذا بالتأكيد".

"أجل، يامكاني فعل هذا".

من الممكن أنه علم بما فعله جدي بالبيانو، ولكنني أردت أن أمنعه من رؤية التغيرات لبرهة من الوقت إن لم يكن له علم بها. "هيا بنا نجلس على الشرفة".

كان ذاك اليوم، من شهر تموز، حاراً جداً وشديد الرطوبة لدرجة أن الطيور لم تطر والنحلات لم تطن. كنا على وشك سماع صوت الأزيز في الشارع.

سألته: "كيف حالك؟".

"أصبحت أفضل".

"وكيف حال والديك؟".

"والداي؟ إنك تجعلني أبدو وكأنني بيفر كلifer".

"إنه مجرد سؤال".

"يقول أبي طوال الوقت بأنه على وشك الحصول على ترقية في عمله. إلى أي رتبة يتربع المرء بعد كونه رئيس العمال في مخرطة؟ هل هناك ملك للمخرطة؟".

"وماذا عنها؟".

"أصبحت تدخن في السرير. أتوقع أن أقتل في سريري كأضحية، مما لن يزعجني أبداً".

"لا تتكلم بهذا الشكل".

"ولكن الأمر لن يحزنني".

"لا أريدك أن تبقى هنا إن كنت ستتكلم بهذا الشكل".

"ما رأيك أن تلقي بي خارج ممتلكاتك؟".

"ربما قد أفعل ذلك".

بعد هدوء للحظة، قال: "أترى تلك السيارة المركونة قرب منزل جاروزيلسكي؟ أتعلم ما هي؟"

"إنها فورد".

"هل أخبرتك والدتك وجده بأنها عربة فورد؟".

"لا أحتاج إلى أن يقولوا لي إنها عربة فورد".

"إنها سيارة مراقبة خاصة بالشرطة".

"ما الذي يراقبونه؟".

"يراقبون منزلك في حال جاء والدك أو أي من أتباعه".

"كيف علمت بهذا الأمر؟".

"عندما جئت إلى المستشفى ذاك اليوم، سمعت والدتك وهي تتحدث مع شرطي، قبل أن تراني في الرواق. كانت السيارة هناك منذ ذلك الوقت".

تساءلت قائلًا: "لماذا لم يخبراني بهذا الأمر؟".  
"ربما لم يريد إخافتك. أما أنا فلا أكترث بشأن إخافتك".

"لم أعدأشعر بالخوف بسهولة".  
"ولهذا لا أكترث بشأن إخافتك".

لعل أمي شعرت بأنني لا أزال غير راغب برأوية مالكوم للبيانو الآن.  
لذا، أحضرت لنا ثلاثة صغيرة تحتوي على ثلج وأربع زجاجات صغيرة من  
المشروبات الغازية وطبقاً من البسكويت.

جلستنا ننظر إلى العربية، ولكن لم يدخل أو يخرج منها أحد.  
قال مالكوم في النهاية: "لا يمكن أن يكون هناك مرحاض في الداخل".  
"ربما يضعون قساطر التبديل كالتي وضعتم لي في المستشفى".  
"لا أظن أن رجال الشرطة متغانون إلى هذا الحد في عملهم".  
"يمكن أن يكونوا كذلك إن جاءوا من مانزنانار".  
"ما هو المانزنانار؟".

قلت له كل ما علمته عنه من خلال ما قرأته في المكتبة.  
قال: "أعتقد في بعض الأحيان أنه لأمر جيد أن يكون الإنسان أبيض".  
"في بعض الأحيان؟".

"في معظم الأوقات، أفضل أن أكون من الساموين، الأشخاص الذين  
يتمون إلى دولة الساموا كما تعلم".  
"لماذا؟".

"يلغ طول هؤلاء الأشخاص ست أقدام وأربع بوصات تقريباً، ويزنون  
ثلاثمائة رطل، ولكنهم يتحركون بخفة، لدرجة أنك قد تعتقد أنهم راقصون  
في حياة أخرى. أحب أن أكون ضخماً وقوياً، ولطيفاً في الوقت ذاته".  
"لعلك ستكون حصاناً من فصيلة الكليديسدائل في حياتك التالية. أيًّا  
ي肯 الأمر، يبدو لي بأن الساموين يبغض اللون".

"يبدو جميع الناس بيضاً بالنسبة إليك. ما الذي يقوله عنا أولئك الشرطة في السيارة برأيك؟".

"يا لهما من زوج من المهووسين".

"إنني أعتقد بالفعل بأنك تقرأ الأفكار".

بقينا على الشرفة مدة طويلة، وعندما نهض مالكوم ليذهب إلى المنزل، قلت له: "لا تعد قبل الاثنين، وأحضر معك فأسك؟".

"لماذا لا أعود قبل الاثنين؟".

"سأمضي نهاية الأسبوع وأنا أتمرن على البيانو لأعود كما كنت في السابق".

"وأحضر الساكسوفون، أليس كذلك؟".

"أحضر فأسك".

"إنهما كلمتان مختلفتان للمعنى ذاته".

"ارحل من هنا".

نزل المنحدر، ووقف على الرصيف، ثم التفت إليّ وقال: "تسريني عودتك يا رجل".

فقلت: "لم أعد بعد". وأضفت: "ولكنني سأعود".

جلست على الشرفة بمفردي لفترة من الوقت. وبعد ساعة، تقدمت عربة مدرعة إلى المنعطف الذي يقع على الطرف الغربي للشارع ووقفت خلف عربة الفورم ذات اللون البني المصنف أمام منزل جاروزيلسكي. كانت العربتان متطابقتين في الشكل. بعد دقيقة أو اثنتين، رحلت الأولى. كان هناك تغيير في المناوبة.

لعل هناك قانوناً في الطبيعة يفرض وجوب أن تتدحر حياة الإنسان بشكل كبير قبل أن يستطيع العودة إلى حالته الطبيعية. وخير مثال على ذلك أنني عندما لم أمت في الانفجار، وبالرغم من خسارتي القدرة على تحريك قدمي فقط، كنت قد وصلت إلى أسوأ نقطة في حياتي، إلا أن أحوالى وأحوال عائلتى بدأت بالتحسن عندما علمت بأنني لا أزال أستطيع التبول بنفس الأسلوب الذي اعتدت عليه طيلة حياتي، عدا أنني سأتبول وأنا في وضعية الجلوس من الآن فصاعداً. منذ نهار الجمعة، بدأنا بقضاء أوقات جيدة.

تلقت أمي اتصالاً من مندوب ملهمي لم يرد التعامل معها مسبقاً، ولكنه عرض عليها الآن تجربة أداء في مكان يدعى داياموند داست، عند الساعة الرابعة عصرأاليوم التالي. لقد كان أفعمر ناد ليلي في المدينة، وافتراض أنهم أرادوها أن تعمل في الليلتين اللتين يقل فيها الزحام، ربما كل اثنين وثلاثاء. ولكن الرجل قال لها إن العرض المقدم هو لوظيفة مغنية رئيسية، وتتضمن العمل مع فرقة تقوم بالعزف على أربع عشرة آلة موسيقية، لخمسة أيام في الأسبوع. لقد تغير أصحاب النادي، وهم يحاولون أن يظهروا بصورة أرقى مما كانوا عليه في السابق.

قال المندوب: "إن الأسلوب الذي يريدون أن يديروا فيه المكان غير اعتيادي، ولكنني متأكد أنك تستطعين التأقلم. يريدون سماع "إمبرايسابل يو"، و"آتيسكيت، آتاسكيت" ، و"بوغي ووغى باغل بوى".

عندما كنا على طاولة العشاء مساء ذلك اليوم، خطر في بال أمي احتمال محبط. وضع الشوكة على الطاولة وقالت: "آه، ماذا إن كان كل هذا بسبب

تيلتون؟".

رفع جدي نظره عن طبق لازانيا الدجاج اللذيد الذي أحضرته السيدة لورانزو معها عندما جاءت إلى هنا، وقال: "وما علاقة تيلتون بالموضوع؟". هزت السيدة لورانزو رأسها وهي عابسة وقالت: "يا له من رجل". قالت أمي: "لقد انتشرت قصة الانفجار على الصعيد الوطني". وأضافت: إنه هارب من العدالة. ربما قدمت إلى الوظيفة لأنني الزوجة السابقة للهارب من العدالة. ربما يعتقدون بأنني سأجذب العديد من الحمقى الفضوليين الذين يعتقدون بأنني بوني من فيلم بوني تو هيز كلايد".

قالت السيدة لورانزو: "أكره ذلك الفيلم". وأضافت: "باستثناء جين هاكمان، سيصبح شخصاً هاماً في المستقبل". قال جدي بحزن: "دايموند داست ليس مكاناً يقوم بالحيل الإعلامية. إنهم يهتمون بموسيقاهم بشدة. أيًّا يكن الأمر، إن كان هذا هدفهم، فسيرغبون بأن تعتملي في الليالي التي يقل فيها الازدحام".

قالت أمي وقد بدت غير واثقة: "أجل، أعتقد هذا". وأضافت: "كيف يمكن لمكان مثل هذا أن يعلم عني أي شيء؟".

رفع جدي يده وكأنه يشعر بالغضب وقال: "لقد رأوك في سلينكز أو في أي مكان آخر وأدركوا أنك تتفوقين على الآخرين الموجودين في المنطقة نفسها. لا تعدي التفكير في المساعدة التي يقدمها إليك ملائك الحارس". ذهبت يوم السبت إلى تجربة الأداء، وكانت تتوقع ألا ترى غير عازف بيانو، ولكنهم أحضرروا الفرقة كلها باكراً. قدم لها المدير جونسون أوليفر، الذي يمتلك بوضوح خبرة مباشرة بالعمل، ترتيبات الأغاني الثلاث، التي أرادوا منها أن تغنيها، ومنحها الوقت اللازم لتنظر بأمرها بهدوء. "حاولي فهم منهاجنا الموسيقي. ستيكيف الشبان مع أسلوبك في الغناء". غنت، وتأقلموا مع طريقة غنائهما، واعتقدت بأنها غنت بأفضل شكل.

بحلول وقت وصولها إلى أغنية "بوغي ووغي باغل بوبي"، كان قد خرج اثنان عشر شخصاً على الأقل من الطاقم الذي يعمل في المطبخ ليستمعوا إلى غنائهما، وشجعواها عندما كان غناهما مؤثراً جداً، حتى أن أعضاء الفرقة هتفوا لها.

لم يذكر المندوب أنه سيكون هناك، ولكنه حضر، وبعد أن تشاور مع جونسون أوليفر، أدهش أمي بالعرض الذي قدمه لها، في ذلك الحين، حيث عرض عليها أكثر مما توقعت بكثير.

كان قلقها الأخير أن تكون الأفكار التي يفكر بها المالك كأفكار الآخرين الذين قامت بتصديهم. سألت عن الوقت الذي تستطيع أن تلتقي فيه بالمدير، فقال جونسون أوليفر، الذي شعرت بالارتياح معه: "أيتها السيدة الشابة، أنا هو المالك الجديد والمسؤول، وإن عملت معنا، سيكون هذا المكان استثماراً ناجحاً بالنسبة إليّ".

عند العشاء مساء يوم السبت، أمنتتنا أمي بسرد ما جرى معها، وأقسم إنه كان بإمكاننا أن نطفئ الشموع الأربع الموجودة على الطاولة وأن نتناول العشاء على النور المشع منها.

بعد أن تجاوزنا العديد من الأحداث السيئة، كنت سعيداً لأجلها لدرجة لا توصف بالكلمات. لو قلتم لي عندما خلدت إلى الفراش مساء ذلك السبت أنني سأستطيع المشي في الصباح، لصدقكم.

مساء الأحد، بعد مرور أربع وعشرين ساعة على عودتها من المدينة، جلست فيونا كاسidi على حافة سريرها في الفندق، وأخذت الهاتف عن المنضدة، وأجرت مكالمة خارجية.

بعد أن قصت شعرها وصبغته فأصبح أشقر، وتحولت بشرتها إلى سمرة جراء المكوث مطولاً تحت أشعة الشمس وبعد أن كانت بيضاء مع قليل من الأحمرار، أصبحت على ثقة أن أحداً لن يتعرف على أنها صانعة القنبلة التي عممت الشرطة صورها على الصحافة.

استأجرت سيارة، وحجزت غرفة في فندق بسيط بواسطة إحدى البطاقات الشخصية الثلاث التي أعطاها إليها لوکاس منذ شهر.

عندما رفع لوکاس السماعة وهو على بعد ثلاثة ميل، قالت: "أنا متأكدة من أنهم يقومون بالمراقبة".

"وكيف يفعلون ذلك؟".

أخبرته عن عربات الفورد.

**Telegram @read4lead**

صباح الاثنين، أوصل جدي أمي بالسيارة إلى ولورث لكي تعيد زيها الرسمي، لأنها لم تعد بحاجة إلى تلك الوظيفة بعد الآن.

بعد وقت قصير من خضوعي للتمارين اليومية التي قامت بها السيدة لورانزو، وصل مالكوم مع فأسه. أردت منه أن يستمع إلى بعض النotas وأن يشاهدني. بدأت بمعزوفة سهلة الأداء تدعى "ووكيونغ تو نيو أورلينز" لفاتس دومينو، وعزفت بعد ذلك معزوفة فاتس الرائعة "هول لوتا لوفينغ". لم تحتاج أي منها لتحريك الدواسات كثيراً، ولكنني أنهيت العزف بمقاطعة السوينغ "إيزي داز إت".

عندما انتهيت، قلت له دون النظر إليه: "والآن هيا بنا لتعزف بعض النotas سوياً". ذكر اسم معزوفة وعزفناها جيداً، وبعد ذلك ذكرت اسم معزوفة، وعزفناها أيضاً بشكل صحيح.

بعد أن تلاشت آخر الأصوات تجرأت على النظر إليه وسألته: "حسناً، كيف كان أدائي؟".

"أديت بشكل رائع وخيلي".

"لا تجامعني مالكوم يوميرانتز".

"أنا لا أجاملك. أعني أنك ستستغرق وقتاً لتعود إلى سابق عهده، لأنك مررت بمصاعب كثيرة، وابتعدت عن لوحة المفاتيح لفترة طويلة. لم أتوقع أن تكون جيداً إلى هذا الحد، بهذه السرعة، وخصوصاً مع وجود مقابض السحب التي تحتاج إلى السحب والدفع".

أومأت برأسني وقلت له: "ما رأيك بالذهاب إلى المطبخ وإحضار علبة

كولا، ونلتقي على الشرفة؟".

هز رأسه وقال: "لنعرف المزيد هنا".

"سنفعل ذلك. سنعرف المزيد سوياً. ولكن في الوقت الحاضر، قابلني على الشرفة مع علبي الكولا".

عبرت بواسطة الكرسي المتحرك الباب الأمامي. لم تكن عربة الفورم مركونة في الجهة الغربية بالقرب من منزل جاروزيلسكي، بل كانت عند الجهة الشرقية، بالقرب من منزل راكوسكي".

أحضر مالكوم علبي كولا مثلجتين، وكان على وشك أن يسقط إحداهما، ولكنه التققطها بسرعة قبل أن تلامس الأرض، وأعطاني الثانية. جلس وقال: "أظن أن والدي ضربها".  
"من؟ والدتك؟".

"لديها كدمة على فكها. ولكنني أعتقد أنها هي من اعتدت عليه أولاً، وربما ضربته دفاعاً عن نفسها لأن هناك كدمة سوداء حول عينه".  
"متى حصل هذا؟".

"يوم الأحد، عندما كنت في المرأب. إنني أبقي دوماً في المرأب. كنت لأبقي هناك طوال الوقت لو قاما بإخراج السيارة ليصبح هناك مزيد من المساحة من أجلي".

"هل حدث هذا مسبقاً؟".

"لا أعلم إن حدث الأمر مسبقاً. ولكن الأحوال تتغير، تغير الأحوال بشكل دائم، ولكن للأسوأ".

كان ذلك اليوم مثل يوم الجمعة، حاراً جداً لدرجة أن الطيور بقى على الأشجار أو مشت في الفناء تحت ظل شجرة القيقب الكبيرة، ونقرت الأشياء الموجودة على العشب وكأنها لم ترد الأكل بل شعرت أن عليها القيام بتلك الحركات.

قلت له: "لا أزال أستطيع العزف". ثم تابعت قائلاً: "سيصبح عزفي أفضل، ولكنني لن أعزف أمام حشد من الناس".  
"ستعزف أمام حشد بالتأكيد. فالبيانو يقوم على هذا الأمر".  
من الأفضل ألا أعزف، لأنني لن أتابع العزف إن كان على الأداء أمام جمهور من الناس".

"ما الذي تقوله؟ لا أفهم ما تقوله".  
لا تعمل مقابض السحب بشكل كامل عندما أستخدم يدي، ما يجعلني غير قادر على الأداء بشكل صحيح. كيف يبدو مظهرى وأنا أستخدم أسنانى؟".  
"كيف يبدو؟ ما الذي تعنى به؟".

"هل فجأة لم تعدد تفهم الإنكليزية؟".  
قال: "ليس شيئاً". وأضاف قائلاً: "يبدو مظهرك جيداً ومشوقاً".  
"هل هو مشوق كمظهر قرد يقذف الكرات؟".  
حدق إلى بدھشة وقال: "لماذا تقول شيئاً شيئاً كهذا؟".  
لا أريد أن أكون عازفاً مبدعاً. سيعزف اليوم، جونة المقعد العجيب الذي صمد بشجاعة في وجه المصاعب".

أصدر صوت صفير عبر أسنانه، وقال: "لا أحب انتقادك لنفسك يا رجل".  
"حسناً، إنك تعلم أنه يجب على أحد فعل هذا. إن لم أكن قاسياً على نفسي يا مالكوم، فمن سيفعل ذلك؟ ليس من الجيد أن تكون متساهلاً مع نفسك".

"ومن قال لك هذا؟".  
"شخص أذكي منا نحن الاثنين".  
"قد يكون هذا أي شخص".  
"تماماً".

شربنا بصمت ما تبقى من الكولا، وقلت بعد ذلك: "إنه ليس أمراً شيئاً يا

الملوك".

"بالطبع ليس كذلك؟".

"كنت أفكر بغير ميير".

"وماذا عنه؟".

"لقد نُسي لمائتي عام، ويظن الجميع الآن أنه أعظم شخص في العالم".

"هل ستتخلى عن البيانو إذاً وبدأ باستخدام فرشاة الرسم؟".

"لو كان فيرمير عازف بيانو، لو كان فناناً، لما اكتشف مطلقاً بعد مرور قرنين على موته".

"لم أعد أفهم ما تقوله يا رجل".

"لقد اكتشف من جديد لأنه ابتكر شيئاً. أترى ذلك؟ لم يقوموا بالبحث عنه بعد مرور عامين على دفنه، لقد أعيد اكتشاف لوحاته".

"لقد أدركت ذلك سواء صدقت أم لا".

"لربما هو أمر جيد إن لم أستطع أن أكون عازفاً يعزف على مسرح وأمام الناس، لأنه لربما باستطاعتي كتابة الموسيقى، وأن أبتكر".

"هل تعني أنك تريدين كتابة الأغاني؟".

"أن أكتب الألحان على الأقل. لا أعلم بشأن الكلمات".

"إنك في العاشرة من العمر".

"سأصبح في الحادية عشرة. ولا أتوقع أن أحرز نجاحاً غداً. سأحتاج إلى سنتين لأتعلم ذلك".

"أي نوع من الأغاني؟".

"أغاني الروك أند رول على ما أعتقد".

"هذا ما يُباع في الأسواق. لا يشتري أحد أغاني السوينغ الجديدة".

"ستكون موسيقى الروك أند رول نقطة البداية".

اقتراح قائلًا: "بإمكانك كتابة القصائد التثريبة وأغاني الحب"، وأضاف

قائلاً: "وربما الأغاني الكئيبة".  
"بالتأكيد، لم لا".

"ما رأيك بالأغاني الوطنية والغربية؟".

هززت كتفي وقلت: "لا مانع لدى".

"الموسيقى الخلفية للعرض المسرحية؟".

"قد يكون ذلك مشوقاً".

"السيمفونيات؟".

"حسناً، ربما لن أؤلف السيمفونيات".

"أياً يكن الأمر، لا يمكنك فعل هذا حتى تبلغ الثانية عشرة".

قلت: "لست موزارت".

"أتساءل متى أصبحت قاسياً على نفسك".

"ربما لست شخصاً مهماً، لست موزارت، ولا كول بورتير أو دوك بوموس أو أي شخص باستطاعته كتابة موسيقى جيدة. ولكن على المحاولة، أليس كذلك؟".

وافقني قائلاً: "عليك المحاولة"، وأضاف: "وأنت شخص مهم".  
بقينا على هذه الحال مدة من الوقت، وعندما كان على وشك الذهاب إلى المنزل، قلت له: "هل أجد معك مصباحاً يدوياً؟".

"ولماذا تحتاج إليه؟".

"سأخبرك لاحقاً. أنا بحاجة إلى واحد".

"أستطيع أن أحضر لك واحداً".

"سيكون هذا رائعاً. هل بإمكانك إحضاره غداً؟".

"أجل".

في اليوم التالي، تألمت عند نزع الغرز من ظهري، ولكن ليس بالقدر الذي تألمت فيه عندما دفعت بسبب القبلة. قال الطبيب إنه مسرور بتحسن صحتي، وقلت إنني مسرور أيضاً، بالرغم من أنني لم أكن أعتقد أنني تحسنت، ولم أتوقع أن أتحسن مطلقاً، ولم أتوقع أن تحسن قدماي على وجه التحديد. لم يرغب جدي أن تستقل أمي الحافلة عند ذهابها إلى العمل، ولم يرغب بذهابها إلى أي مكان سيراً على القدمين طالما أن والدي حزير طليق، ولم يشق بسائق سيارات الأجرة. في ذلك اليوم، دفع أول دفعه لشراء سيارة مستعملة لأمي، سيارة بويك ستيشن من طراز 1961 ذات لونبني فاتح يشبه لون رقائق نويكوب بنكهة الشوكولاتة. كان هيكل السيارة ممتازاً، ولأن كرسبي المتحرك كان قابلاً للطي، فباستطاعة أمي أن تضعه في القسم الخلفي من العربة وتأخذني إلى أماكن مختلفة.

جاء السيد يوشيموكا لتناول العشاء مساء ذلك اليوم، بعد أن تلقى دعوة في الأسبوع السابق، وكان يحمل باقة أزهار كبيرة لدرجة أظن أنه واجه صعوبات معها في الحافلة. أُعجب بعربة البيويك، التي كانت من الطراز الأول بالرغم من أن مالكيها السابق قادها ستين ألف ميل. خلال العشاء، عندما اقتربت أن يشتري سيارة، قال: "لا وقت لدى لأخذ دروس قيادة". وأضاف: "قد أشتاق للذهاب سيراً على الأقدام إلى العمل. لقد مررت في الطريق ذاته لسنوات عدّة لدرجة أن كل بناء وكل شق في الرصيف وكل جزء من التفاصيل الموجودة على الطريق أصبح بمثابة صديق لي".

فقلت له: "ولكنك لن تبتل عندما تمطر".

"بالطبع، ولكن الشتاء صديق مميز يا جونة. لديه صوت ناعم، وهو

يوفقك الرأي على أي شيء تقوله إن تكلمت معه". أصدر صوت هسهسة كصوت تساقط الأمطار، ولكنه نطق بكلمات أثناء ذلك: "أجل، أجل، أجل، لا تستطيع الأمطار أن تصدر صوتاً يشبه لفظ الكلمة كلا. الشتاء هو أكثر أجل. صديق تسعد برفقته".

فما كان من السيدة لورانزو إلا أن صفت بيديها المكتنزيين، كما قد تفعل فتاة صغيرة جذلانية، وقالت: "إنه تفكير جميل".

تحمس السيد يوشيوكا لسماع الأخبار عن عمل أمي الجديد، وقال إنه يود أن يرى أداءها الليلي الأول.

قالت له والدتي: "من الأفضل أن تنتظر أسبوعاً، ثم أضافت: "سأتمنى مع الفرقة غداً. وسنختبر في بداية الأسبوع الطبة المناسبة".

بعد العشاء، تمنى السيد يوشيوكا أن أعزف على البيانو، ولكنني تدرعت بالانزعاج الناجم عن إزالة الغرز وهذا ما سيحول دون أن أعزف بشكل جيد يظهر براعتي.

عزف جدي ثلاثة من الحان جيمي ماكهيو المفضلة لديه، وعملت الدواسات بشكل جيد باستخدام القدم كالمعتاد، بينما غنت أمري وهي تقف إلى جانبه "أون ذا ساني سايد أوفر ذا ستريت" وأي فيل أ سونغ كومينغ أون" وأخيراً "أيم إن ذا موود فور لوف"، وكانت كلمات جميع الأغاني من كتابة دوروثي فيلدز.

جلس السيد يوشيوكا والسيدة لورانزو على الأريكة، وبدت عينا الخياط السوداوان مشرقتين من شدة انبهاره.

بعدما أنهى جدي عزفه لثالث أغنية قال السيد يوشيوكا: "إن لم يكن بإمكانني حضور غناء ابنتك مساء الغد، فيجب أن أحضر عزفك في الغد". فأجابه جدي: "يسريني أن تكون ضيفي"، ثم أضاف قائلاً: "ولكن تعال في الأسبوع القادم أو الذي يليه. هناك مؤتمر كبير هذا الأسبوع، وسيكون الفندق مزدحماً بشدة حتى الأحد. لقد حجز المطعم الذي أعزف فيه منذ شهر بشكل

كامل".

في وقت لاحق، بعد أن ارتدت ملابس النوم وخلدت إلى الفراش، جاءت أمي وتمنت لي ليلة سعيدة، وقالت: "لقد كانت أمسية جميلة. بت معجبة بصديقك يا جونة".  
"إنه طيب".

"وأنت شجاع. أتأسف لأن الغرز تؤلمك".

"حسناً، لقد أزيلت. إن مكانها حساس قليلاً، ولكنني سأكون بخير".  
وافقتني قائلة: "ستكون بخير"، ثم أضافت: "ستكون دوماً بخير".  
"هل يمكننا أن نذهب إلى مكان ما بعربة الستيشن في أول يوم عطلة لك؟".  
"الاثنين هو أول يوم عطلة لي. إلى أين تود الذهاب؟".  
"إلى مكان بارد".

ابتسمت وقالت: "سيكون شديد البرودة لدرجة أن أنفاسك ستتصبح كالضباب". انحنت وقبلت جبيني وقالت: "أحلاماً سعيدة".  
بعد مغادرتها أطفأت المصباح، واستلقيت على الفراش، وسحبت المصباح اليدوي من تحت وسادي.

وتجده مالكوم في مكان يدعى "فايف آند دائم". لم يرغب بإخباري كم كان ثمنه، وقال: "ربما سرقته ولم أدفع ثمنه ما أدراك؟ إن كنت ستستضيفه بعد أن تطفيء أمك الأنوار وتبدأ بكتابة الألحان بدلاً من النوم، فلا تخبرها من أين حصلت عليه".

يمكن أن يتحقق حلمي بأنني محاصر في مكان ما مع سيدة ميتة، ويمكن ألا يتحقق. لكن لا رغبة لدى أن يكون معي مصدر للإضاءة إن استيقظت في ظلام تام وحولي أصوات مياه مندفعة.

عندما جربت المصباح، لم يقطع الشعاع مسافة طويلة، ولكنه قطع مسافة أكبر مما توقعت. رسم المصباح حلقة من النور على السقف، وكان مركز الحلقة أكثر ظلاماً من الأطراف. بدت كعين تحدق إليّ من الأعلى.

قضى جو تورتيللي أسبوعاً في لاس فيغاس، في جناح كبير بأحد الفنادق، حيث كان يعد حوتاً قيماً لأنه كان يقامر بكمية كبيرة من الأموال. في ذلك الأسبوع، انفجر مصرف فيرنست ناشونال. بعد انتهاء إقامته في لاس فيغاس، اصطحب فتاة استعراض إلى سان فرانسيسكو إلى الجنوب حيث ذهبا إلى متاجع في نيويورك بيتش، وأمضيا شهر عسل من غير زواج. خلال هذه الفترة، لم يكن لديه أي اهتمام بالأخبار.

عاد إلى مدينتنا، من دون الفتاة، في اليوم الذي أزلت فيه الغرز. علم مساعدته، توني أركيل، بأنه لا يمكنه إزعاج تورتيللي أثناء انشغاله بمحاجاته الرومانسية. ولكن أركيل أعلم رئيسه، فور عودته من الرحلة، بأنه يعتقد أن مدير مجموعة من ممتلكات تورتيللي أجر مبني إلى أحد الرجال المطلوبين بتهمة تفجير المصرف وسرقة عربات كولت ثومسون.

امتلك جو تورتيللي عدداً كبيراً من العقارات في مدينتنا كالمباني السكنية، ومباني المكاتب، ومرائب السيارات وغيرها. من بين الأشياء التي امتلكها، كان هناك، في منطقة صناعية قديمة، العديد من أكواخ كونسيت الكبيرة الصدائة، معظمها غير مؤجر، وتمت إعادة بنائتها عن طريق تغطيتها باللواح صخرية. كان مشكوكاً بأمر أحد أكواخ كونسيت، وهو المبني الذي تم تأجيره لستة أشهر، لأنه كان من المفترض أن يزود الشخص الذي استأجره بمخزون مؤقت كان بحاجة إليه.

لم يقم أركيل بأي تصرف عندما راوه الشك حيال المدير لأن سياسة جو تورتيللي كانت تعتبر أن الشرطة أعداء وبأنه يجب تفادى إعطائهم أي سبب

قد يشير شكوكهم تجاه أي من مشاريعه، بالرغم من أن معظمها كان شرعاً في تلك الأيام. وعند عودة تورتيلي إلى المقر الرئيسي، أبلغه أركيل بأنباء التي تخص المدير وأراد أن يعلم ما الذي عليه فعله تجاه الأمر.

قال تورتيلي: "اذهب وألق نظرة"، ثم أضاف: "اصطحب بعض الرجال معك. حتى وإن قام مجررو القنابل المتهورين بالعمل في ذلك المكان، فلن يكونوا هناك الآن، وعلينا أن نكتشف الأمر برمته".

وجد أركيل والرجال الثلاثة الذين ذهبوا معه سيارة مدرعة، والعربة التي تم طلاؤها لتبدو مثل عربة كولت تومسون المدرعة، وجثة الحراس الثالث المنتفخة بشدة، والتي مضى خمسة عشر يوماً على فقدانها.

في صباح يوم الأربعاء، عادت قصة الانفجار والسرقة لتصدر الأنباء مرة أخرى بعد أن تلاشت قليلاً من الأخبار.

اختباً لوكس دراكمان، وسمولر، وتيلتون في منزل مريح يقع في مزرعة قديمة تبلغ مساحتها 210 فدادين، في ولاية مجاورة تبعد ثلاثة ميل عن المدينة، وكان قد اشتري المزرعة منذ سنوات في حال احتاجها للاختباء.

لو تمت العملية الأساسية كما خطط لها، لما غادروا المدينة، ولما كان لدى الشرطة أي دليل يشير إلى هوية المجرمين. كان بإمكانهم العودة مباشرة إلى المنزل الذي يطل على ريفسايد كومنز فور قيام السيد سمولر بفتح باب العربية المدرعة بواسطة المشعل القاطع وحصولهم على الأوراق النقدية.

كان من المفترض أن يوحى طبق الحساء الياباني الموجود على مقعد المنتزه إلى دراكمان بأن مكيدتهم قد لا تسير كما خطط لها. ولكنهم كانوا قد وصلوا إلى نهاية العملية في ذلك الوقت، وكان دراكمان يؤمن بأن المتردد لا يحقق انتصاراً.

كان لديهم داخل الكونسيت، الذي ذهبوا إليه بعد إتمام السرقة، جهاز لاسلكي يعود للشرطة، وأخر عادي، وتلفاز لتتابع الأخبار العاجلة. لم يكن سمولر قد اخترق الباب السميكة عندما لفتت فيونا نظرهم إلى التلفاز. كان هناك مراسل صحفي يقف خارج المصرف، وكان يتكلم مع امرأة تبدو بمظهر فوضوي ويملاً شعرها الحطام، كانت أمينة صندوق وكانت تعمل وقت انفجار القنبلة.

قالت: "كان هناك صبي، صبي أسود صغير"، ثم أضافت: "أخذ يصرخ قائلاً بأن هناك قبلة، وأنه علينا المغادرة. ظننت أن الأمر مقلباً، وعلمت بعد ذلك بأنه لم يكن كذلك. لقد أنقذ حياتي. انخفضت أرضاً خلف نافذتي، نافذة

أمين الصندوق، ولذلك كتبت محمية".

قام المراسل الصحفي بالتشديد على كلامها قائلاً: "صبي؟"، ثم أضاف: "هل هو هنا الآن، هل ترين هذا الصبي الآن؟".

هزمت رأسها وارتجمف صوتها من شدة الانفعال، وقالت: "كلا، فلقد أصيب بشدة. ظنت أنه مات كما ماتت الفتاة. لقد ماتت الفتاة وكان الأمر مريعاً. كان هناك صبي جائياً إلى جانبه. حاولت إخراج الصبي الأبيض من هناك برفقتي، ولكنه قال إن صديقه كان لا يزال على قيد الحياة ولم يكن باستطاعته تركه".

سؤال المراسل الصحفي: "صديقه؟".

"إنه صديق الصبي الأسود جونة. قال الصبي الآخر: لا يزال جونة على قيد الحياة، لا أستطيع تركه".

كان من الممكن أن يقوم دراكمان بقتل تيلتون داخل الكونسيت. ولكنه رأى صدمة صادقة على وجه أبي عندما نظر إليه، ما جعله يتتجنب القيام بعملية إعدام متهورة.

قالت فيونا بشكل مشؤوم وهي تقف بجانب دراكمان: "جوجو".  
آثار الغموض فضول لوكاس دراكمان فسأل: "جوجو؟ ما الذي تتحدثين عنه؟".

إنه جونة، جونة كيرك. كان علي أن أحطم وجهه الذي يشبه وجوه القردة في أول يوم رأيته فيه. إنه مسخ صغير وغريب الأطوار. إنه يؤمن بالسحر، ولديه علبة معدنية مليئة بالوانغا". عندما لاحظت أن دراكمان لم يفهم معنى الكلمة، قامت بوصف مجموعة الخردة المشوقة التي أمتلكتها بشكل لم يكن ليطرأ على بالي: "الوانغا ارتبط بالسحر. إنها أصنام تبعد لأنه يزعم بأنها تستحوذ على قدرات خارقة للطبيعة".

صباح يوم الأربعاء، بعد مرور ستة عشر يوماً، كان دراكمان وسمولر

وأبي يجلسون حول طاولة المطبخ في البيت الريفي، وكانوا يتكلمون عن الثورة التي ستحدث، عندما أعلنت نشرة الأخبار التلفازية أنه تم العثور على عربة كولت ثومسون وعلى جثة الحارس المفقودة، وبالطبع لم يتم العثور على الأموال البالغة مليوناً وستمائة ألف.

عارض تيلتون لعدة أيام فكرة العودة إلى المدينة. أصر دراكمان وقال: " علينا الانتقام، إلا إن لم تكن لديك الجرأة على فعل ذلك. لا يستطيع الإنسان العيش بأمان ما دام فاراً من القانون". كان سمولر متربداً، ولكنه مال إلى تأييد دراكمان لأنّه كان يعاني من الاضطراب منذ فترة طويلة. وفي النهاية، قبل تيلتون المجازفة التي لا مفر منها.

بالرغم من أنهم صمموا على العودة يوم الجمعة، إلا أن دراكمان شعر أنه يجدر بهم تعديل جدولهم الزمني بعد أن تم العثور على العربة المدرعة. كان دراكمان من كبار المؤمنين بالأعمال الجريئة وكان يؤمن بالقدرة التنبؤية لبطاقات التاروت. كان أيضاً من كبار المؤمنين بهتلر وستالين، ولكن لم يكن بإمكانهما نصحه لأنهما كانا ميتين. بعد استشارة بطاقات التاروت، أرسل فيونا كاسيدي لتجسس علينا. فتح حزمة الأوراق مرة أخرى وخلط البطاقات التي يبلغ عددها سبعاً وثمانين بطاقة ووضع خمساً منها على طاولة المطبخ بشكل متusalب. وبعد أن كشف عنها دفعة واحدة، فكر بعمق ثم قال: "لم تخبرني بطاقات بوجوب التراجع وتأخير العملية، بل أشارت إلى ضرورة التقدم وبسرعة أكبر".

كما أخبر دراكمان الشرطة لاحقاً، إن إحدى ميزات امتلاكه مقدار كبير من النقود هي عدم الاكتثار للقانون والاقتناع بقدرتك على الحصول على أي شيء تريده، وبسرعة. بما أنه رجل ثري، فهو لم يكن بحاجة إلى النقود التي قام بسرقتها مع طاقمه من عربة كولت ثومسون. ولكن إن كنت تود أن تتعادي القانون، وإن كنت تود أن تقوم بالانقلاب، فعليك إفساد النظام بواسطة

أموال الدولة التي تحكم به، وليس بأموالك الشخصية. بعد أن اتصلت به فيونا يوم السبت لتبلغه أن منزلنا تحت المراقبة، عقد دراكمان اتفاقاً مع أشخاص من مدينة غير مدينتنا كان يعرفهم منذ فترة طيلة، وكانت تجمعهم ب德拉كمان طريقة التفكير ذاتها. وافقوا مقابل مبلغ من المال على تزويده بعربية فورد مطابقة لعربات الشرطة، الموجودة في شارعنا، من حيث سنة الإنتاج والنموذج واللون، بالإضافة إلى ترخيص مصدق وبطاقة إثبات تحمل اسماء إلحدى هوياته المزيفة. سعى المورد إلى تسليمها عصر يوم الخميس.

عزم دراكمان على الاجتماع بفيونا يوم الجمعة لكي يقوما بمقارنة الملاحظات، ولكي يدخلان إلى منزل بلدسو تلك الليلة. ولكنه قال وهو يثق بحدسه وبينوءة بطاقات التاروت: "سنعود غداً، وسندخل إلى ذلك المنزل مساء الغد".

عندما أظهرت خريطة الطقس على شاشة التلفاز أن هناك احتمال تساقط غزير للأمطار في جميع أنحاء المنطقة بدءاً من عصر الخميس، علم دراكمان أنه كان على صواب عندما قرر التحرك بسرعة. ستتحجب الأمطار الأنظار عنهمما بشكل جيد أثناء تنفيذهما المهمة.

عندما نزلت أمي قرابة الساعة الحادية عشرة صباح الخميس، كنت جالساً إلى طاولة المطبخ على الكرسي المتحرك، أقرأ كتاباً من كتب جدي، وكان عبارة عن مذكرة باسم "تين بان آلي"، وهو لقب أحد الأحياء في مدينة نيويورك، وكان يمتد على طول الشارع 28 بين برودواي وسيكس أفينيو، حيث ازدهر ناشرو الموسيقى والملحنون الغنائيون منذ سنة 1886 إلى أواخر خمسينيات القرن العشرين عندما اشتهرت أغاني الروك أند رول. اكتشفت أن أول خطوة لأصبح ملحناً غنائياً تمثل بالقراءة عن الملحنين الناجحين، الأشخاص الذين جعلوا من "تين بان آلي" حياً مشهوراً، وهم: ويليام كريستوفير هاندي، وهاري وارين، وإيرفينغ بيرلين، وكول بورتير، وجيمي فان هيوسن، وليرنر، ولوبي وغيرهم.

كانت السيدة لورانزو تقطع البطاطا شرائط رفيعة على اللوح الخشبي بجانب الحوض، لتقدمها إلى جانب عجة البيض كوجبة فطور لي وغداء لأمي.

عندما دخلت أمي المطبخ، فكرت أنها أصبحت شخصاً يهرب الناس بحضورها كجدي وجدتي أنيتا. إنها تشعرك أن عليك النظر إليها، ليس لأنها جميلة فقط، بل لأن طريقة سيرها وثقتها بنفسها وابتسامتها الباهرة وعيونها اللامعتين يجعلك تخاطب نفسك قائلاً إن الشخص الذي يمر أمامك مختلف عن باقي الناس وهو شخص مهم.

حققت ليتها الأولى في دايموند داست نجاحاً باهراً، ولقد فاجأها هذا الأمر، ولكنه لم يفاجئني بالطبع. لقد أحببت كل فرد عملت معه، ويبعدو أنهم

أحبوها بدورهم. تكلم بعض الرعاة أثناء الوصلات الموسيقية، ولكن بالطبع، قلة هم الذين تكلموا أثناء غنائهما، وبصورة عامة، فلقد ذهب الزبائن إلى هناك لأنهم أحبوا السوينغ والجاز والبلوز؛ ولذلك كانوا يقدرون الموسيقيين. وإن كان هناك بعض المغفلين الذين حضروا لأنهم جذبوا بحقيقة أن زوجها السابق كان مطلوباً للعدالة لارتكابه جريمة مثيرة للاهتمام، فلم يكن بإمكانها تمييزهم عن الأشخاص الذين حضروا من أجل الموسيقى والطعام والخمر. بعد انتهاء من تناول الطعام، هبت العاصفة وبدأ البرق والرعد. أسرعت أمي والسيدة لورانزو لإغلاق النوافذ، كي لا تتسرّب مياه الأمطار إلى داخل المنزل.

بعد أن انتهت السيدة لورانزو من تمرين مفاصل قدمي، جاء مالكوم لزيارتني عند العصر مرتدياً معطفاً ضخماً أصفر اللون، وضعه على الشرفة. كان يوم مالكوم عصيّاً فهو لم يكف عن التفكير بأماليا، كنت أقدر ما يشعر به، فقد سبق لي أن مررت بأوقات عصيبة، وأيام مليئة بالحزن، وساعات من اليأس الشديد، وخصوصاً في الليلة التي استيقظت فيها، وأخذت أفكر، ولم تستطع العودة إلى النوم بعد ذلك.

لم يرد مالكوم التحدث. كل ما أراده أن يذهب إلى مكان غير المرأب ولا تفوح منه رائحة سجائر مزعجة. جلسنا في غرفة الجلوس، وقرأت له بصوت مرتفع عن "تين بان آلي"، وعن كيفية قيام هاري وارين وآل دوبن، الملحنين الغنائيين، بكتابه "لولابي أو برودواي" بالإضافة إلى جميع الأغاني الرائعة في فيلم 24 ستريت. استدار لفترة من الوقت، وظاهرة أنني لم أسمع الأصوات المتقطعة والحزينة التي أصدرها والتي كانت تشبه صوت شخص يختنق.

جلس تيلتون في القسم الأمامي من العربية بجانب دراكمان، بينما تمدد سمولر على كومة من البطانيات في القسم الخلفي منها، وقضى الجزء الأكبر من الرحلة نائماً.

كانت شعور أعضاء العصابة أخف من العادة. فسمولر غير من مظهره بحلاقة شعر رأسه، إلا أنه قام بإطلاق شاربه، الذي نما وأصبح كفرشاة كثيفة في وقت قصير. بالرغم من أنه لم يستطع أن يفقد من وزنه سابقاً، فقد فقد عشرة أرطال في ستة عشر يوماً، ولقد نسب هذا الأمر إلى حقيقة أنه "يقوم بفعل شيء ذي أهمية" للمرة الأولى في حياته. لقد سرق مصرفاً وحصل على ثروة كبيرة، وبالتالي فإن تحدي السلطات زاد من ثقته بنفسه، ما جعله يرغب بتحسين مظهره.

قام دراكمان بصبغ شعره الأشقر بالأسود وبدأ بتشذيب لحيته التي اضطر إلى صبغها أيضاً. بالرغم من أن صبغ شعره كان ضرورياً، إلا أنه ندم على فعل ذلك لأنه كان دائماً راضياً عن مظهره الطبيعي..

حلق تيلتون شعر رأسه، وبدأ بإطلاق شاربه كما فعل السيد سمولر. لم يعتقد بأنه غير مظهره بشكل كافٍ لدرجة أن باستطاعته أن يكون بين عامة الشعب في الوقت الذي كانت الشرطة ومكتب التحقيقات الفيدرالي وكل الناس يبحثون عنه. لم يرغب تيلتون بالعودة إلى المدينة، ولم يكن راضياً على كل ما عزم لو كاس على فعله. ولكن لو كاس أرهبه بالإضافة إلى أنه كان يعلم أنه لا يستطيع أن ينفصل عن المجموعة وأن ينجو ويعيش حراً بمفرده لأنه كان في مأزق كبير.

اشتاق إلى أورورا، فلقد كانت تعلم كيف تهديء من توتر الرجل الذي بجانبها. لقد أقحمته في هذا المأزق، تماماً كما أقحمت سمولر فيه. أثار التمرد على السلطات حماس تلك المرأة، فقد كان الأمر بالنسبة إليها رواية رومانسية يحملها العنف. كانت شخصية عصبية ولم يكن على علم بذلك في البداية، وأراد الرجال لسبب ما أن يواجهوا غضبها. لقد ظن أنها عبقرية قبل أن يمضي وقتاً معها؛ أما الآن فهو على يقين من أنها لا تفكر بأي شيء معقد. أخذت ماسحات الزجاج الأمامي ترتطم بالزجاج بشدة مثل مطرقة تضرب شيئاً ليناً بشكل متواتر. وكانت الشفرات المطاطية تصدر من وقت إلى آخر صوتاً ناعماً، كصوت أنين حيوان يتعرض للضرب، عند اصطدامها بالزجاج..

تناول مالكوم العشاء معه بحضور جدي والستة لورانزو. أما أمي فقد ذهبت إلى دايموند داست. تناولنا السلطة المقطعة، وشرائح اللحم السويسرية المدمسة، والجزر مع الطرخون، والبازيلاء مع بصل مفروم.

قال جدي إنه لن يستطيع تناول قطعة من فطيرة الدراق في ذلك الحين، ولكنه قد يستمتع بتناولها لاحقاً عندما يعود إلى المنزل بعد أن ينهي عمله في المطعم. غادر مبكراً بسبب سوء الأحوال الجوية بعد أن تأكد من أن السيدة لورانزو أقفلت قفلية الباب الأمامي.

تحسن مزاج مالكوم قليلاً خلال العشاء. وسكب المثلجات التي كانت بنكهة الفانيлиيا بالمعرفة بينما قامت السيدة لورانزو بتوزيع ثلاث قطع من فطيرة الدراق على ثلاثة أطباق.

سألني عندما وضع الحلوى على الطاولة الموجودة أمامي: "هل أنت بخير؟".

"بالطبع. إنني بخير، لماذا تسأل؟".

"هل تعاني من سوء هضم أو ما شابه؟".

"سوء هضم؟".

"إنك تلمس صدرك بشكل متواصل".

كنت أتحسس القلادة البلاستيكية لأنأتأكد من أنها لا تزال في مكانها، وكان لصاً متسللاً قام بسحبها من السلسلة وهرب بها.

وصل الثلاثة إلى المدينة مع بدء تلاشي ضوء النهار، ومع اشتداد العاصفة توقف البرق، ولكن الأمطار كانت تهطل بغزارة، ما سبب سيولاً وفيضانات في المقاطعات.

بالحكم على عدد السيارات القليل في المرأب، علمت أن هناك العديد من الغرف الشاغرة في الفندق. لقد كان فندقاً متوسط المستوى وفي منطقة متوسطة المستوى أيضاً.

ركن دراكمان السيارة بالقرب من الغرفة 14، لم ير أحداً، فطرق الباب. فتحته فيونا، وبعد أن دخلوا نظرت ذات اليمين ذات الشمال وبدورها لم تر أحداً.

كان لديها شطائر وأكياس من البطاطس كانت قد ابتاعتها من متجر للبقاء.

جلسا اثنان على كرسيين بينما جلس آخران على حافة السرير، وتحدثوا بهدوء وبصوت منخفض لأن الجدران الفاصلة بين الغرف كانت قليلة السماكة، وبعد ذلك أمضوا الوقت وهم يأكلون بصمت.

لاحظ دراكمان توتر فيونا الشديد. لقد شربت علبة من الماونتين ديو بدلاً من البيرة، ولم يكن المشروب الغازي السبب الذي دفعها للتتوتر. أياً كان الشيء الذي قامت بتناوله، إن تناولت أي شيء، فهو لم يكن ليوترها. يحتمل أن يكون توترها ناجماً عن ترقبها للعملية التي كانت قيد التنفيذ، لا بسبب المخدرات، كانت متحمسة ومستعدة. لقد أحبت تنفيذ العمليات، وخاصة تلك الموجهة ضد عائلة بلدسو.

قال دراكمان، ليذكرهم بأنهم شركاء في شيء رائع: "هناك كثير من الشغب يا رجل، أليس كذلك؟ نيويورك وتوليدو وغراند رابيدز. أعني أن الشغب في غراند رابيدز يشير إلى أن الشغب أمر جذري". علّق تيلتون: "لقد أحرق نصف ديترويت حتى الآن". بدورها علّقت فيونا: "كارل سانديبرغ يحضر". عبس سمولر وسأل: "ومن هذا بحق الجحيم؟". "إنه شاعر".

"آه، كل تلك القوافي والأشياء عبارة عن هراء".  
"لا يوجد تناغم في قصائد سانديبرغ".  
"لا يصح هذا. كيف أصبح شاعراً إذا؟".  
"لأنه يقول إنه كذلك".

أعلن سمولر: "إذاً فأنا شاعر".  
علّق دراكمان: "كلنا شعراء".  
قال تيلتون: "كلنا أشخاص مميزون".  
حدّقت فيونا إليه بتمعن وسألته: "هل أنت مستعد؟".  
"إنني هنا، أليس كذلك؟".  
"من الأفضل أن تكون مستعداً".  
"إنني هنا، حسناً؟ إنني هنا".

لم يخططوا للذهاب إلى منزل بلدسو قبل حلول الحادية عشرة. نظر دراكمان إلى ساعته، ستكون ليلة طويلة.

بعد ذهاب مالكوم إلى منزله، أرادت السيدة لورانزو التحدث بينما كانت تشرب القهوة في المطبخ، فشربت فنجاناً أيضاً.

لقد كانت سعيدة بالعيش معنا، ولم تبكِ كلما ذكرت زوجها، فظننت أنها بدأت تشفى من ألم تلك الخسارة. لقد مضى على الأمر سنة عاشت فيها بمفردها، وهذا ما منحها وقتاً طويلاً للتفكير، أعتقد أنها رغبت بمشاركة بعض الأفكار التي راودتها عندما كانت بمفردها مع شخص آخر.

بينما كنا نشرب القهوة، قالت لي إن أكثر أربعة أشياء أحبتها بشدة كانت والدها وزوجها والخالق والطعام. مات والدها شاباً، وكذلك زوجها، وأرددت قائلة إنها لا تزال تحب الخالق بالرغم من دأبه حرمانها من الأشخاص الذين أحبتهم بشدة. وشرحـت أنه مهما كان حبها لخالقها كبيراً إلا أنه يبقى غير مرئي، والطريقة الوحيدة التي تعبـر فيها عن هذا الحب تمثل في قراءة الكتاب المقدس، الذي كان يستعصي عليها فهمه في بعض الأحيان. ولكنها بالرغم من كل ذلك لا تزال تشعر بالحب عندما تطهو وذلك من خلال طعم ونكهة ما تضعه في طبقها.

كانت تعلم أن الإفراط في الطعام خطيئة كبيرة، ولكن كان هناك ثلاثة أسباب لعدم قلقها بشأن ذلك. أولاً، التعريف الاصطلاحي للإفراط هو الأكل والشرب بشكل زائد، والسيدة لورانزو لم تكن تشرب. ثانياً، لأنها كانت تصلي وتشكر الخالق على نعمـه قبل تناول وجباتها، لذا فإنـ لم يكن راضياً عن حجم وجباتها، فـكان ليجعلـها أفقـر وبالتالي تعـجز عن شراء كثير من الطعام. أو يحرـمـها من موهـبـتها بالـطبـخـ التي منـحـها إـيـاهـاـ هـبـةـ، وبـذـلـكـ تعـجزـ عنـ طـهـوـ.

طعام لذيد يستحق الإفراط في تناوله. وثالثاً، لأنها كانت تحتفظ بقائمة تدون فيها كل ما تأكله وتفكر فيه لتعرف إن كانت قد أفرطت أم لا. وتتلن القائمة أسبوعياً أمام الكاهن خلال اعترافها وبالتالي وحسب قولها "كل وزن أكسبه يا جونة عبارة عن شحم طاهر".

قلت لها: "أتمنى بكل تأكيد أن أكسب شحاماً طاهراً". ثم أضفت: "فأنا نحيف جداً".

"إن طهوت لك لفترة طويلة بما يكفي يابني، فستصبح مثل غودفري كامبريدج ولكن سيكون حجمك طبيعياً".

كان غودفري كوميدياً رائعًا وممثلاً في الماضي، وكان بديناً بعض الشيء. وكنت لأتخلى عن الموسيقى لأكون مهرجاً مثله.

أياً يكن الأمر، بعد برهة قررت السيدة لورانزو الصعود إلى الأعلى والقراءة في سريرها؛ كانت ستقرأ إما الكتاب المقدس وإما وصفات للطهو، حيث إنها لم تستطع تحديد ما أرادت قراءته. تفحصت الأففالم الموجودة على جميع الأبواب والنواخذ قبل أن تتركي بمفردي في الطابق السفلي.

بعد أن نظفت أسناني، وأنهيت أموراً أخرى في الحمام، ارتديت سترة النوم، وتصارعت مع قدمي المشلوتين لأستطيع إدخالهما في بنطال بيجامتي. جلست أقرأ في السرير عن تين بان آلي، وفاتس وولر الأسطوري، وجالي رول مورتون، وجيريمي كيم، وجورج غيرشون الذي بدأ بكتابة أغنية لسوفي تاكير كي وتابع الكتابة حتى أصبح أكبر كاتب في القرن.

كان كل ذلك مشوقاً ومثيراً، ولكني لم أستطع رؤية نفسي كهؤلاء الذين قرأت عنهم. ومع ذلك، نويت الاستمرار بالقراءة وقراءة كثير من الكتب المشابهة إن وجدت ضرورة لذلك، إلى أن أستنتاج كيف فعلوا ما فعلوه.

عند الساعة العاشرة، أخذت المصباح اليدوي من درج المنضدة، وأطفأته. بينما كنت مستلقياً، أصغيت لصوت العاصفة لفترة قصيرة، وأزعنني

كيف حجب صوت الأمطار سائر الأصوات.

في النهاية، أضأت المصباح اليدوي، ومررت الضوء في جميع أنحاء الغرفة، واكتشفت أن ما من أموات عادوا إلى الحياة من جديد، أو أشخاص من الفضاء الخارجي، أو أي نوع من الوحوش، وقررت أن أبقي المصباح مضاءً لدقائق معدودة.

في ذلك اليوم، استأجرت فيونا سيارة أخرى من نوع شيفرولي مستخدمة هويتها الثانية المزيفة، وقامت بركنها بجانب الفندق، بناء على طلب لوكاس، وأعطت مفاتيحيها للسيد سمولر قبل أن يغادر الغرفة 14 وقالت: "لا تجعل عقاب ذلك النذل المخادع بسيطاً. فنحن في هذا المأزق بسببه".

"هل أنت متأكدة أنه ليس تحت المراقبة؟".

"إن كانوا يراقبونه، فلن يكونوا ظاهرين".

غادر السيد سمولر راكباً سيارة الشيفرولي، بينما غادر دراكمان وتيلتون راكبين الشاحنة المدرعة، ولحقت بهما فيونا بواسطة العربة التي استأجرتها عندما عادت من البيت الريفي حيث كانوا يختبئون.

تلألأت العاصمة أثناء العاصفة، وساد اللون الأسود والرمادي كل المكان، وتلوت المصايب والأمامية كالأفاعي الساطعة عبر الطرق التي تساب فيها المياه، وانعكس ضوء كل مصباح على سطح مبلل أو أكثر، وعلى الرغم من هذا، اعتقاد دراكمان أن المدينة بدت مظلمة أكثر من المعتاد، حيث كانت تغطيها وتملؤها الألغاز. لعل التناقض الشديد لللون الإسفلت مع الأضواء المنعكسة جعل المدينة تبدو مظلمة أكثر من المعتاد، بل أظلم من السوداء. كان هناك مشاهد ومناظر ولحظات بدت فيها المباني والأنفاق وكل شيء صورة وهمية معروضة على شاشة المطر، حيث لم يكن هناك في الحقيقة سوى الضوء الذي عكسه الأمطار والفراغ المخيف الموجود خلفه، المشابه لهاوية سفلية. تحدثت إليه المدينة التي تتلألأً بالأضواء العابرة والتي كمن فيها الظلام، وشعر بأنه في موطنه.

عندما انعطف دراكمان نحو شارع بلدسو، كانت تقف عربة المراقبة، المطابقة للعربة التي كان يقودها، عند الناصية تماماً كما قيل له. غالباً ما انقسمت فترة المراقبة التي أجرتها الشرطة إلى ثلاث مناوبات، وكانت مدة كل مناوبة ثمانى ساعات، ولكن في أغلب الأوقات أيضاً، كما في هذه الحالة، انقسمت فترة المراقبة إلى مناوبتين وتألفت كل مناوبة من اثنى عشرة ساعة. ربما كان السبب هو أن رجال الشرطة يكسبون ضعف ما يتلقونه على الساعة الواحدة عندما يعملون لساعات إضافية، وربما لأن القسم كان يعاني من نقص في الموظفين في ذلك الوقت. كان من الخطأ الكبير أن تتألف مدة مناوبة الشرطة من اثنى عشرة ساعة يوماً بعد يوم، لأن هذا الأمر يجعل الشرطي يشعر بالملل والتعب، ويقل انتباذه ورد فعله، وكانت التأثيرات تتزايد إن عادوا إلى الخدمة كل اثنى عشرة ساعة.

لاحظت فيينا أن المناوبة تغيرت عند الساعة الرابعة فجراً وعند الساعة الرابعة عصراً. عندما ركز دراكمان العربة خلف العربة الأولى، قبل موعد تغير المناوبة بخمس ساعات تقريباً، كان من الممكن أن يظن الشرطي الذي يؤدي عمله إما أن أحد المسؤولين في مركز الشرطة غير موعد تبديل المناوبات، أو أن أحد المرسلين المسؤولين أرسل المجموعة الجديدة إلى الموقع الخاطئ، أو أن هؤلاء الأشخاص أفراد عصابة جاؤوا لافتعال المشاكل.

إن توصل الشرطي إلى الاستنتاج الأخير بسرعة كافية، فكان دراكمان سيواجه مشكلة. لكن الجرأة كانت ميزة أسلوبه، حيث غطى رأسه بقبعة سترته، وخرج من العربية، وأسرع إلى الأمام تحت الأمطار الغزيرة، كي لا يعطيهم وقتاً كافياً للتفكير، كان التوقيت مثالياً. لم يكن هناك ازدحام في الشارع في ذلك الوقت. فقد فضل الجميع الجلوس في منازلهم بالقرب من الموقد أثناء العاصفة.

لم يعلم إن كان هناك طريقة تواصل بين أفراد المناوبة الجديدة وأفراد

المناوية السابقة من داخل العربات، بواسطة المذيع أو الجهاز اللاسلكي. لم يكن لديه مذيع أو جهاز لاسلكي، ولم يود التحدث معهم على أي حال، لأنهم قد يكتشفون أمره في اللحظة التي يقول فيها شيئاً خطأ، أو يعجز عن قول الشيء الصحيح الذي ينبغي قوله.

كان يمتلك شارة ودرعاً حقيقين. كان الدرع عبارة عن قطعة ثقيلة من البرونز مطلية بالذهب وكان قد أخذه من شرطي قتله منذ ثمانية عشر شهراً. عندما وصل إلى باب عربة المراقبة، انحنى إلى الأسفل ووضع الدرع بواسطة يده اليسرى أمام النافذة. أتاح الزجاج الملون لمن يجلس داخل العربة أن يرى بوضوح خارجها، ولكن كان من الصعب رؤية ما في داخل العربة من الخارج. استطاع أن يرى في الداخل، وجهاً شاحباً، وكان الرجل الذي يجلس في الداخل يتفحص الدرع، الذي بدا له حقيقياً، ولكن كانت ستسوء الأمور بشدة في أية لحظة.

بدأ السائق بإنزال زجاج النافذة، وهو علامة جيدة، ولكن السؤال الذي كان يحتاج إلى إجابة هل يجلس الشرطيان في الأمام أم أن أحدهما يجلس في الخلف. لقد راقبوهما ليومين حتى يتبيّنا أمر الجلوس ولم يجد الأمر نفعاً. وبقي احتمال نوم أحد الرجلين، أو تبوله في الخلف وارداً وربما قد يكون يقوم بأي شيء آخر؛ بالرغم من أن هذا الأمر يعد انتهاكاً لسياسة قسم الشرطة. انخفضت النافذة بشكل كافٍ ما أتاح للوكاس رؤية الشرطيين يجلسان في الأمام، وهو وضع مثالى، لأن لو كاس كان يحمل في يده اليمنى مسدساً مزوداً بكامن للصوت. عندما بدأ الشرطي الذي يخفض زجاج النافذة بقول شيء وهو يرفع صوته ليصبح أعلى من صوت الأمطار التي تنهمر بلا توقف، أطلق لو كاس دراكمان ست طلقات داخل العربة، موجهاً المسدس إلى الأسفل ليتجنب إصابة النوافذ، لأن نافذة محطمة تلفت أنظار المارة بمقدار الصراخ تماماً.

علم دراكمان أن السائق قد لقي حتفه، ولكنه لم يكن على يقين عما حل بالأخر. لذا، فتح الباب فأضيء الضوء الموجود في سقف العربية، وفي اللحظة التي رأى فيها وجه الشرطي المشوه، علم أن الشرطيين قد فارقا الحياة.

بعد أن رفع زجاج النافذة، أغلق الباب، ولوخ للسيارة التي كان يقودها فأتى تيلتون واضعاً قبعة سترته على رأسه - ما جعل دراكمان يتذكر الراهب الذي رآه ذات مرة في فيلم - وحملأ طقم أدوات صغير يحتوي على قاطع زجاج وجهاز شفط ليمנע القطعة التي سيقطعها من السقوط إلى الداخل، بالإضافة إلى العديد من معدات السطو التي قد يحتاجون إليها.

عبرت فيونا المنعطف، وتجاوزتهما راكبة سيارة الدودج المستأجرة، وركتها على بعد مترين من منزل بلدسو. لقد قضت خطتهما بالتخلص من العربية وسيارة فيونا ما أن ينجزوا المهمة.

عبرت عربتان الشارع، ولكن لم تبطئ أي منهما. فأدرك دراكمان أن أحداً لم يظن بهم سوءاً، كانوا يستطيعون التسلل عبر الحدائق محتمين بالأشجار وذلك بقفزهم فوق السور، ولكن دراكمان رأى بأن هذا التصرف سيكون أخطر من السير نحو الباب الأمامي مباشرة. حتى في تلك الساعة، هناك احتمال بأن يكون أحدهم واقفاً خلف نافذة بيته وينظر إلى الطريق. وإن رأهم يمرون حيث لا يجرد بهم المرور محاولين الاختباء، فسيتيقن أنهم خططaron ويسعون إلى أمر سئ. لذلك فالأكثر أمناً هو التوجه إلى المنزل بشكل مباشر وبذلك لن يثروا ريبة أحد.

بحسب ما قاله فيونا، كانت علب الهاتف التي تحتوي الأشرطة الموصولة بالسترال على الطرف الأيمن من الجهة الأمامية من كل منزل. عندما خرجت من العربية، من دون سترة، وبدت عنيفة كال العاصفة، اتجهت مباشرة نحو منزل بلدسو، وفجأة هطلت عليها الأمطار وصفعتها الرياح وكأنها انبعثت لكي ترحب بها. جثمت أمام المنزل لتتمكن من إيجاد خط الهاتف وقطعه. بينما

صعد دراكمان وتيلتون على درج الشرفة، وبعد أن أنهت فيونا مهمتها بعثهما لتنضم إليهما.

كان المطر لا يزال يتتساقط وبشكل أكثر غزارة من السابق، فبدت الأمطار كالشلالات المدارية؛ في تلك الأثناء شكر دراكمان مبتكر بطاقة التاروت في القرن الثالث عشر، ففي تلك الليلة كان السحر والنجوم والتاريخ وطاقة التقدم تتبع التاروت، ولم يكن لوکاس يحلم بأفضل من انسجام كهذا يسهل مهمتهم.

تجاوز السيد سمولر، الذي كان وزنه أقل بعشرة أرطال عما كان عليه قبل ترك وظيفته، المبني السكنى متخصصاً إن كان هناك عربات مراقبة، وكان متأكداً من أنه سيتعرف إليها إن رأها، وبالرغم من شكه باحتمال وجود أي منها إلا أنه بدا مضطرباً من دون أي سبب.

عند الناصية انعطف يساراً، وغادر عند الزقاق مرة أخرى، وعندما أصبح خلف المبنى لم يجد شيئاً مثيراً للريبة. بعد أن ركز العربة على جانب الطريق على بعد حي من المبنى، عاد إلى الرزاق سيراً على الأقدام، حانياً كفيه وخافضاً رأسه، متذمراً من العاصفة التي صفعته رياحها وقدفت بأمطارها نحو وجهه وأسفل قبة سترته.

قبل أن يترك وظيفته في البناء، نسخ المفتاح الذي يفتح جميع الأقفال، ولم يكن لديه شك أنه لا يزال يعمل. يفضل الحقراء الذين يمتلكون إمبراطورية المنازل والعمال القساة في تلك الشركة الذين يقومون بتنفيذ جميع أوامرهم أن يشقولوا معصمهم على أن يعينوا حداداً ليغير جميع الأقفال في تلك البناء العفنة.

بينما فتح السيد سمولر الباب الذي يؤدي إلى الأدراج الخلفية في القسم الخلفي من المبنى، شعر بتراجع المزلاج عن اللوحة الموجودة على عضادة الباب، فابتسم وقال: "يا لهم من بخلاء حقراء".

أغلق الباب خلفه بهدوء. وقف هناك والمياه تقطر منه، وأخذ يصغي، فسمع صوت تلفاز آتٍ من بعيد، وصوت مياه تتدفق عبر الأنابيب القديمة، وكأن أحدهم يستحم في وقت متأخر.

كانت أولى مهامه الوصول إلى الطابق الخامس، وبعدها يتعين عليه الإلتحاق على المخادع الصغير المخيف، وجعله يعيش كارثة بيرل هاربور، ثم يغادر من دون أن يراه أحد. كان مطلوباً للإعدام بسبب تفجير المصرف والسرقة، ولذلك لم يهتم لأي تهمة إضافية توجه إليه. ولكن إن رأاه أحد المستأجرين، فسيميزه بالتأكيد بالرغم من حلاقته شعر رأسه وإطلاق شاربه وتخفيف وزنه، وعندها سيضطر للقتل مجدداً، لكي يتتأكد فقط من أنه سيسنني له الوقت ليخرج من المدينة قبل أن تعلم الشرطة بأنه كان هناك.

بدأ صعود الأدراج.

في سقيفة التخزين جلس الجد تيدي على كرسي في الظلام، تاركاً الباب مفتوحاً بضعة إنشات، وهو يشاهد المنزل المظلم. قام العمال بعملٍ جيد عندما بنوا السقيفة، التي خدمته لسنوات من دون أي مشكلة. ولكنه كان ليلعنها الآن لو كان رجلاً يستخدم ألفاظاً نابية، لأن المطر الهائل على السقف المعدني أصمه، وكأنه كان يقف داخل طبلٍ هائل الحجم داخل طبلٍ أكبر حجماً.

كان في إجازة من عمله في الحفلات الموسيقية الليلية لمدة أسبوع، منذ أن عاد جونة إلى المنزل، وهذا السبب كان وراء إخباره لجورج يوشيوكا الأذويبة عن عدم وجود حجوزات في المطاعم، لكيلاً يأتي الخياط لرؤيته يعزف ويكتشف أنه ليس هنالك. بدأ الجد تيدي يعتقد أنه قد يكون أحمق. حسناً، كان الجميع حمقى - -كيف يكون الأمر غير ذلك في عالمٍ منها؟ - ولكن تيدي بلدسو ظن أنه أحمق أكثر مما تخيل سابقاً. كان يثق بالشرطة، كان حقاً يثق بهم. إلى حد معين، مع بعض التحفظات. لا يمكن أن تكون قد عشت أكثر من نصف قرن كرجل أسود في هذا العالم وأن ثق بالسلطات تماماً. كان هذا منزله، عائلته؛ وإذا ارتكبت الشرطة خطأ، سيعاني هو من الخسائر. كان هنالك ما يكفي من الخسائر مؤخراً. لم يعتقد أنه يستطيع التعرض لخسارة جديدة ويعيش أيامه القادمة بالحماسة نفسها. ولكن في اليوم الثامن من يقظته، فكر أنه ربما أخطأ الشرطة حين تبأت بشخصية دراكمان، بعد أن أصبحت حياته غير المهمة معروفة، قد يقتحم المكان قريباً. كانوا قد وضعوا ملفاً نفسياً خاصاً وأقسموا عليه كما كان الجد تيدي سيقسم على إنجيل في المحكمة. ولكن هذا الملف كان عبارة عن تخمين، مجموعة من التخمينات. وبدا الأمر

الآن وكان كل تخمين من هذه التخمينات خاطئ.

حسناً، إذا استسلم بعد هذه الليلة، لن يعلم أحد على الأقل بأنه كان يلعب دور المحقق أو الحراس، أو أيّاً يكن الذي يعتقد أنه يفعله. كان يترك المنزل كل أمسية مرتدياً بذلة أدائه. ويقود السيارة إلى محطة خدمات ويبدل ملابسه لتكون ملائمة أكثر لسقية التخزين وللحذر الصعب والمتعب الذي كان يتوقع حدوثه، ويعود من خلال قطعة الأرض الفارغة المليئة بالأعشاب خلف منزله، ويسلق السياج وكأنه لا يزال شاباً، ويدخل إلى السقية ليحرس المكان حتى يأتي وقت تبديل ملابسه ليرتدي البدلة ويتظاهر أنه عائد إلى المنزل بعد عمله مع الفرقة.

ربما حصل أمرٌ ما داخل رأسه. لا يستطيع الإنسان تحمل كل شيء. عندما تفقد زوجتك التي كانت كالملاك، وعندما يصبح حفيذك الذي كان يمشي على الطريق إلى مستقبل باهر لا يستطيع المشي على قدميه، عندما يكون أقرب الناس إليك مهددين بالخطر، لا بد أن يجنّ المرء قليلاً، مثل أن يبدل ملابسه كما يفعل كلارك كينت ليتحول إلى سوبرمان، وأن يتسلل من خلال القمامه والأشجار في قطعة أرض فارغة، وأن يختبئ في سقية مع سلاحٍ كان متعددًا في استخدامه.

نهد وقال بهدوء: "أيها الرجل العجوز، أنت عازف، ولست بطلاً".

يا رجل، استيقظت من حلم، ولكن بدا الأمر وكأن الكلمة لم تُقل في عالم الأحلام، بل أن أحداً ما قد همسها في أذني.

أدركت أنني لم أطفي المصباح عندما نمت. اخترق النور الخافت الشرافش... على يمين شيء لم أستطع معرفة ماهيته، كان يوجد ظل مستدير على طرف الضوء.

اتكأت على ذراعي اليسرى ورفعت نفسي عن الوسادة، ومددت يدي لأخذ الشيء الذي كان هناك. التقطته عن الشرشف وعلمت على الفور ما هو حتى قبل أن أضعه أمام الضوء: العين القماشية.

قالت فيونا كاسيدي: "جاسوس وكاذب".

حاولت أن أصرخ بأعلى صوتي ولكني لم أستطع، كان حلقي كأنبوب أرغن مسدود، لا يمر من خلاله الهواء ولا يصدر صوتاً.

ظهرت من خلال الظلام، أشعلت المصباح الذي بجانب السرير وابتسمت لي. لم يكن خلف ابتسامتها عطفٌ ولا دعاية.

كانت قد قصت شعرها وصبغته وحصلت على سمرة، ولكني سأتعرف إليها ولو قامت بضعف التغييرات التي قامت بها. لمع طرف السكين التي حملتها في الضوء.

"أحضر كرسيك المدولب يا معاق".

عندما لم أطعها على الفور، لوحظ بالسكين في الهواء أمام وجهي، فابعدت عن السكين اللامعة.

قالت بازدراة: "ليس هنالك سحرٌ فيك يا فتى، لم يكن هنالك سحرٌ.

وليس هنالك سحر في الأوثان التي تحفظ بها في علبة الحلوى تلك".  
كدت أحاول لمس القلب البلاستيكي الذي وضعته تحت ملابس نومي،  
ولكنني منعت نفسي، لأنني علمت أنها ستفهم وتتجد القلادة وتأخذها مني.  
"أحضر كرسيك يا معاق!".

وصل السيد سمولر إلى الطابق الخامس دون أن يلتقي بأحد. فتح المفتاح الخاص الأقال بسهولة.

كان همه الباقي أن لا تكون سلسلة الأمان مغلقة. قد يتمكن باستخدام أصابعه من الوصول إليها من خلال الفتحة للداخل، ومع ما يكفي من الوقت والصبر، سيستطيع إزالة القفل من لوحة الباب، ولكن كان ذلك سيصدر ضجيجاً. ابتسם حين رأى أن السلسلة تتدلى حرّةً من القفل. كم هو غير مبالٍ، فتح الباب على مصراعيه.

كان يعلم أن يوشيوكا يغادر باكراً إلى العمل، حتى قبل شروق الشمس في الشتاء، وأنه سيكون نائماً في مثل هذا الوقت. أتى سمولر حاملاً مصباحاً لأنّه توقع الظلام في الداخل، ولكن في غرفة الجلوس، كان تمثّال سيدة البلاط العاجي مرتدية زي الكيمونو مناراً من الأعلى. كان التمثّال العاجي على الأغلب شيئاً مقدساً يجب إضاءته على مدار الساعة، وفقاً للدين الغريب الذي اعتقده الخياط العجيب.

أتى ضوء خافت من المطبخ أيضاً، ولكن لم يصدر أي صوت من هناك، لم يوجد دليل على أن يوشيوكا قد يكون منهمكاً بتحضير وجبة خفيفة متاخرة. حمل المسدس المجهز بكاتم صوت في يده اليمنى، والمصباح في يده اليسرى واضعاً إصبعين فوق العدسة ليخفّت نوره، عبر سمولر غرفة الجلوسوصولاً إلى الرواق. كان قد دخل إلى هنالك سابقاً عدة مرات ليعالج مشاكل التمددات الصحية أو يصلح نافذة عالقة... كانت غرفة يوشيوكا خلف الباب الأولى على اليمين، وكانت مفتوحة.

وَجَدْ مَصْبَاحاً ارْتِفَاعَهُ خَمْسَةٌ وَعَشْرُونَ سَنِيْمَتِرًا مَعَ غَطَاءِ مِنَ الزَّجاجِ  
الْكَهْرَمَانِيِّ، عَلَى طَاولةِ مَذْبُحٍ بِالْقَرْبِ مِنْ أَحَدِ الْجَدْرَانِ، حَرْكَةً أُخْرَى عَلَى  
مَدَارِ السَّاعَةِ لِإِنَارَةِ الصُّورِ الَّتِي ظَهَرَ فِيهَا رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ يَابَانِيَانَ بِمَنْصَفِ الْعُمَرِ،  
وَصُورَةً أُخْرَى لِفَتَاهَةِ مَراهِقَةٍ. عِنْدَمَا رَأَاهُمَا سَمْوُلَرُ مِنْ قَبْلِهِ، افْتَرَضَ أَنَّهَا صُورَ  
الْأَقْارَبِ وَلَكِنْ لَمْ يَهْمِهِ الْأَمْرُ كَفَايَةً لِيَسْأَلُ.  
كَانَ الْخِيَاطُ مُسْتَغْرِقًا بِالنَّوْمِ.

قالت فيونا كاسidi: "ها هو البطل" بينما دفعتني بسرعة إلى خارج غرفة النوم التي كانت غرفة الطعام. "منفذ المصرفين والوضيعين". دفعتني إلى غرفة المعيشة، حيث ارتسمت الظلال على النوافذ. كان هنالك مصباحٌ وحيد مضاءً، بجانب كرسي جدي، ونوره يتلألأً في برك من مياه المطر على الأرضية الخشبية.

ارتاحت عندما رأيت السيدة لورانزو على قيد الحياة، كانت جالسة على الأريكة مرتدية فستانًا كان من الواضح أنها ارتدته للنوم. بدت مرعوبة ومحرجة في الوقت نفسه.

كان لوکاس دراكمان واقفًا بالقرب منها، استطاعت التعرف إليه بالرغم من شعره الأسود الفاحم. وكان والدي واقفًا بالقرب من البيانو.

قال دراكمان لي: "إنك فتى مثير للمشاكل، كيف لغبيٍّ نحيف وضئيل مثلك أن يكون مثيراً للمشاكل؟".

استطاعت التنفس من جديد، ولكن لم أستطع التحدث. ظنت أن الصمت هو الرد الأفضل على أي حال.

"لا بد أن صديقك الياباني ميت الآن، أيها الضئيل. مارأيك بذلك؟".

شعرت بالمرض والضعف والهزيمة، ولكنني عضضت لساني لأمنع نفسي من البكاء. لن أمنحه متعة رؤية دموعي.

قال دراكمان لوالدي: "أعتقد أن عليك فعلها" وأشار إلى المسدس الذي وضعه تيلتون على جنبه وفوهته موجهة نحو الأرض.

أياً تكون حقيقة الشخص الذي كان عليه أو الذي تحول إليه، وعلى الرغم

من كل المرات التي هجرنا فيها أنا وأمي، وحتى إن لم يستطع سوى أن يحب نفسه، اعتقدت أنه سيطلق النار على دراكمان. علمت أنه سيفعل ذلك.

بدلاً من ذلك، قال تيلتون وهو يتفادى النظر إلى عيني: "هل علينا القيام بذلك؟ لماذا علينا أن نفعل ذلك؟".

رد دراكمان: "أصبحنا معروفيين، بسبب هذا الفتى الصغير، أصبحنا معروفيين، ونحن ملاحقون، ولن نخسر شيئاً. الأفضلية الوحيدة التي نملكها هي الإرهاب. على الجميع أن يكونوا خائفين منا، خائفين أن يقولوا شيئاً ضدنا، لأننا قادرون على فعل كل شيء. علينا أن نبقيهم خائفين لدرجة أنهم حين سيأتون للبحث عنا سيكونون متواترين وفاقدون السيطرة على أنفسهم، ولذا ربما لن يبحثوا عنا بجدية. الإرهاب يا رجل، هو صديقنا. أنت من جلب هذا الفتى للعالم، وعليك أن تمحي وجوده".

هزّ والدي رأسه. فكرت مجدداً أنه قد يطلق النار على دراكمان. هز رأسه مرة أخرى.

قال دراكمان: "لقد أردت أن تخلص منه قبل أن يولد، وزوجتك لم تقبل، ولكنك أردت ذلك. إذا أردت أن تخلص من هذا السافل الصغير قبل أن يولد، لم أنت متعدد من التخلص منه الآن؟".

لم ينظر والدي إلى، لم يفعل، وعلمت حينها أنه لن يطلق النار على أبداً، ولا على دراكمان. بعض النظر عن كل كلامه حول امتلاكه لسلسلة من المطاعم وإدارته لجيش من الموظفين يوماً ما، لم يكن يملك القدرة الكافية. لم يكن قائداً، وكان هذا السبب وراء كون أحلامه بعيدة عن متناوله. كان تابعاً، وكان سيتبع أي أحد يجعله يشعر بأنه مفید ويعلم كيف يتلاعب به.

عندما وضع تيلتون المسدس على غطاء البيانو وجلس على المقعد، لم تكن جلسته جلسة انهزام، بل كانت جلسة رجل متعب أراد لهذه اللحظة أن تنتهي لكي ينتقل لفعل شيء أفضل.

اقرب لوكاس دراكمان وجعلني أحدق بالأبوبية الطويلة للمسدس  
**Telegram @read4lead** المجهز بكاتم صوت.

أجهشت السيدة لورانزو بالبكاء ورجتهم وصلت في الوقت ذاته. مع أنني كنت خائفاً، إلا أنني تخيلتكم هو أمر مروع بالنسبة إليها أن تراني أصاب بطلقة في رأسي.

أردت أن أغمض عيني، ولكنني لم أفعل. لأنه سيدعوني الفتى الضئيل مرة أخرى أو شيئاً أسوأ من ذلك.

مشى خلف الكرسي المدولب، وتساءلت عما كان يفعل، ثم وضع فوهة المسدس على خلفية رأسي.

عندما نظرت إلى فيونا كاسيدي، أخافني ما رأيته كثيراً لدرجة أنني نظرت بعيداً. في ملامحها الشريرة والمسعورة، لمحت شيئاً غير المرأة بحد ذاتها، شيئاً كان يعيش في داخلها لوقتٍ طويلاً وابتلق الآن مثل وحشٍ يخرج من المياه العميقة والمظلمة.

ليسخر مني أكثر، أبعد دراكمان المسدس عن رأسي، أمسك الكرسي المدولب وأدارني، تمنيت لو كان المسدس الذي وضعه والدي على البيانو معي.

زار المسدس، وكنت أتعرض للركل من الجانب في كرسيي، وشعرت بألمٍ شديد. رأيت سواداً أمامي، ووقيت، وكأنني وقعت عن جرف صخري، تزايدت سرعتي كل ثانية، لم أستطع التنفس وأنا أهوي، حتى بدا الأمر وكأن أحد ما أمسكتني، وسمعت صوتاً يقول "ليس بعد، داكس، ليس قدرك أن تموت وتُرمى في صندوق سيارة مع تلك المرأة". بينما كنت أرفع للأعلى، تكون نوراً حولنا. تجسدت بجانبي. كانت ترتدي فستانًا أبيض مذهلاً له طبقات أكثر من تلك الموجودة في كيمونو سيدة البلاط في غرفة جلوس السيد يوشيوكا. وتطاير الفستان في جميع الاتجاهات، في كل الأفاق، حيث

كانت يخيم الظلام، وكان الفستان هو النور. التقت أعيننا فاقشعر بدني. نفخت في وجهي. كانت أنفاسها معطرة بالورد، أنفاس جميلة جعلتنيأغلق عيني. حين فتحتها مجدداً كنت في كرسي المدولب، دون الشعور بالألم، وعلى ما يبدو لم يطلق دراكمان الرصاصية التي ستركتلي. أياً يكن رأيك بما حصل، على التحدث أكثر عنه لاحقاً.

بالغريزة، وضعت يدي اليمنى على قلادة القلب البلاستيكي. لا أعرف لماذا التققطتها من بلوزة ملابس نومي، ربما ظنت أنه سيكون فيها سحر في الوقت الذي أحتجه أمس الحاجة. ولكن كان ذلك طلباً كبيراً للغاية بعد إعادة إحيائي، كبيراً للغاية.

لم يحصل في حياتي حتى وقتها أن سمعت جدي يرفع صوته بغضب، ولكن حين اقتحم الغرفة، وهو يلوح بمضرب يسبول بشكلٍ أفضل من اللاعب بيب روث، رفع صوته مثل ثور هائج، دب غاضب، التفت دراكمان وأطلق النار لكنه لم يصبه. كسر الجد تيدي يد التافه اليمنى، ووقع المسدس الذي كان سيقتلوني على الأرض، متزلقاً ليقف عند دولاب الكرسي الأيسر. تزحلق دراكمان وهو يصرخ من شدة الألم على الأرض الرطبة ووقع، بالرغم من حالة يده، حاول أن يصل إلى المسدس.

المشلول في كرسي مدولب لا يستطيع الوصول إلى الأشياء الموجودة على الأرض ليلتقطها، ولذلك نحن بحاجة إلى كلاب مساعدة، ليس فقط من أجل الرفقة بل أيضاً لالتقاط الأشياء التي وقعت منا على الأرض وطلب المصعد لنا، وفتح الأبواب. لم أكن أستطيع الوصول إلى المسدس، لكنني تركت القلب البلاستيكي وأدرت كرسي 180 درجة، بحيث أصبح المسدس خلف الدولاب الأيمن وتحت الكرسي حين حاول دراكمان الوصول إليه، حاولت أن أحركه معي وأن أبقيه بعيداً عن متناوله.

أرجح جدي المضرب وصوب على اليد السليمة التي مدها دراكمان

لالتقاط المسدس، لم يصبه لأن القاتل سحب يده بسرعة، وضرب الأرض ضربةً قوية لدرجة أنها مرت عبر المضرب وخدرت يديه، ما أضعف مسكنته. فتحت المدية، هجمت فيونا على جدي في لحظة ضعف. أمسكت قلادة القلب مجدداً، سحبتها بقوة لتنقطع السلسلة الفضية التي كانت حول عنقي، ورميته على وجهها. كان الشيء الوحيد الذي كان معه لأرميه، لا شيء أكثر من البلاستيك، وزنه بعض أونصات، ولكنه أصابها في عينها، تهاوت بجانب جدي ولم تصبه السكين، صاحت ولكن ربما ليس من الألم بل من المفاجأة.

لوح جدي بالمضرب مجدداً وكسر يد دراكمان الثانية، واتجه نحو فيونا. أعتقد أنه كان أمراً وشيكاً حيث حاولت طعن جدي مجدداً ولكن سكينها لم تصبه وكان حاملاً مضربه. فجأة أصبحت أصابعها مكسرة وتنزف، كان الألم رهياً على ما يبدو حتى أنها ترتعشت نحو الباب الأمامي وسقطت وتقيأت.

للحظة، كان وجه جدي عبارة عن قناع من الغضب لدرجة أنني ظنت أنه سيستمر بتلويح ذاك المضرب حتى يكسر عظام فيونا ولو كاس كلباً ويتسبب في عدم مشيهما مجدداً أو في أن يفقدا القدرة على حمل مسدس. بدلاً من ذلك، وضع المضرب جانباً. حمل السكين وثنى الشفرة لتدخل في المسكة، ووضعها في جيب بنطاله، أخذ مسدس تيلتون الذي كان على البيانو ووضعه على خصره، وأخذ مسدس دراكمان عن الأرض وأمسكه.

سألني: "هل أنت بخير، بني؟".

تنهدت وأومأت برأسني.

قال: "سيدة لورانزو، تم قطع خطوط الهاتف لدينا. هل يمكنك أن تذهب إلى الجيران وتبقظي عائلة فيلاكوفسكيس وتستخدمي هاتفهم للاتصال بالشرطة؟".

متكورةً على نفسها، أجهشت فيونا بالبكاء ورجت أن يساعدها أحد، كانت يدها كتلة من العظام المكسورة والمتكسرة والتي لن تعود على الأغلب

إلى ما كانت عليه من قبل. أما لو كان دراكمان فكان لوحة كثيبة أخرى، كانت كلتا يديه مشلولة.

بدت السيدة لورانزو متحيرة، وكانت ترتجف بشدة، نهضت عن الأريكة ووقفت هناك وكأنها غير متأكدة مما طلب منها للتو.

قال جدي: "هل يمكنك فعل ذلك من أجلي دونات؟ أن تذهب إلى منزل الجيران؟ سأكون ممتنًا كثيراً".

قالت: "بالطبع، سأقوم بذلك حالاً".

قال: "من الأفضل أن ترتدي معطفك، إنها تمطر بغزاره في الخارج".  
مرت من فوق بركة بحذر، أخذت معطفها المطري من الخزانة الموجودة قرب الباب الأمامي، وذهبت إلى الخارج حيث العاصفة.

نهض تيلتون عن مقعد البيانو وقال: "سيد بلدسو، أنا لاأشكل تهديداً لك أو لأي أحد. دعني أذهب، لن تراني مجدداً. أقسم. تعلم أنني لن أعود. أنت تعلم".

بعد النظر إلى تيلتون بصمت مدة طويلة، قال جدي: "أجلس". فجلس.

عندما وقف السيد سمولر بالقرب من السرير وأطلق النار على السيد يوشيوكا، كان هنالك أمر غريب بخصوص حركة الجثة. أزال بطانية الخفيفة، ولم يجد سوى المزيد من البطانيات الموضوعة على شكل رجل.

لم أعلم أنه إلى جانب الحياكة والفن الآسيوي وشعر الهايكو كان السيد يوشيوكا مهتماً بالفنون القتالية. ولم يعلم السيد سمولر بذلك أيضاً. لاحقاً، فسر ذلك لي صديق: "رحبـت بالسيد سمولـر في شقـتي. عـرفـته على جـدار وـمن ثم على آخر. أـريـته الـبـاب ثـم بـابـاً آخـر وـمن ثـم الأـرضـية. قـمنـا بـجـولـة، كـان يـعـرـف الشـقة بـسـبـب عملـه في الـبـناـيـة لـسـنـوـات وـمع ذـلـك بـدا وـكـأنـه مـتـفـاجـعـ من كل ما رـآـه".

في المنزل المجاور عند جيراننا، بعد أن اتصلت السيدة لورانزو بالشرطة، كانت متزنة بما فيه الكفاية للاتصال بذايموند داست حيث طلبت أن تأتي والدتي إلى الهاتف فوراً في نهاية العرض الذي كانت تؤديه. في الوقت الذي استطاعت فيه أمي أن تصلك إلى المنزل خلال العاصفة التي ضربت المدينة، كانت سيارات الشرطة تضج في شارعنا، وأضواؤها تلمع باللونين الأحمر والأزرق، حيث بدت قطرات المطر وكأنها ترتر متساقط. نُقل دراكمان بسيارة إسعاف. نجح رجال الشرطة في إخضاع فيونا التي أصبحت خطيرة مجدداً عندما رأتهم قادمين؛ مع أنها كانت تشعر بألمٍ رهيب وكانت يدها المكسرة تنزف، إلا أنها صرخت وركلت وعضت بضراوة قطة ببرية. أسرعت والدتي في الممر، بينما كان المسعفون يأخذون فيونا المقيدة والممضطبة إلى سيارة الإسعاف.

في غرفة الجلوس، قام محققان بملابس مدنية بتسوية الوضع مع تيلتون الذي بقي منصاعاً على عكس فيونا كاسidi التي كانت عنيدة. كيلا يديه ورفقه ضابط بالزي الرسمي إلى الباب الأمامي. في الوقت نفسه دخلت أمي منظر مذهل، كان شعرها مزيناً ب قطرات المطر، كانت بجمال أميرة في قصة خيالية، وتألق معطفها كمعطف ملكي. نظر تيلتون إليها والتقت أعينهما، بدا متفاجئاً، ولكن ليس لأنهما التقى في هذه اللحظة الأخيرة، بل لأنه شعر بأنه يعرفها ولا يعرفها في آن، وكأنه رأى سيلفيا بدسوا الحقيقة وال الكاملة للمرة الأولى، لأنه من بين التعبيرات التي ارتسمت على وجهه، كانت نظرة الانصاد الأكثـر وضوحاً ولم يكن على وجهها أي غضب أو شفقة، ولا حتى ازدراء؛

لن تمنحه رضا أن يراها متأثرة، بل نظرت إليه وكأنه قطعة أثاث، وبعد لحظة ابتعدت عن الطريق لكي تتيح لهم نقله إلى مكان آخر.

أنت إلى وركعت على ركبتيها ووضعت وجهي بين يديها وقبلت جبيني. تبادلنا النظارات مدة طويلة، لم نكن قادرين على التحدث حتى لو كان علينا أن نقول شيئاً. وقف جدي بالقرب منا وكان يتسم، وكما أعتقد، كان متخيلاً مما حصل وما اضطر لفعله للتو. قالت أخيراً: "أنت تعلم أنك مستيقظ بعد موعد نومك بكثير"، فقلت: "نعم سيدتي، ولكن لن يحصل ذلك مجدداً". قالت: "من الأفضل ألا يحصل ذلك". وعلمت أنها آمنون أخيراً.

مررنا بسنوات سعيدة بعد ذلك. أوه، أما في العالم الخارجي، فكان هنالك كثير من الحروب، أعمال شغب في كل مكان، جرائم قتل وفوضى وكثير من الكراهية وتهديد بالإبادة النووية. ولكن في عالم عائلة بلدسو الألطف والأهداً، كنا نملك الكثير من الأشياء التي علينا أن تكون شاكرين لوجودها.

اشترى السيد يوشيوكا سيارة، باكار إكسكيوتيف، لونها أصفر وأبيض وبحالة جيدة، وعلمه الجد تيدي كيفية قيادتها، حيث كان يأتي بعدها لتناول العشاء. بقيت السيدة لورانزو معنا، ولم تستطع السيطرة على وزنها، ولكن كانت تلك الشحوم مقدسة. كانت أمي تؤدي عرضها في دايموند داست، وحصلت على عرض للغناء كمغنية مساعدة في أغاني لمطربين معروفين من قبل الجميع. استمررت بكتابة الأغاني، وعندما أصبحت بعمر الخامسة عشرة، أعجبت والدتي بإحدى الأغاني كثيراً - سميتها "ون سويت فوريفر" وقامت بأدائها مع فرقة دايموند داست، وقاموا بعزفها بشكلٍ متكرر. في إحدى الليالي، حضر مدير إحدى شركات التسجيل ليتناول العشاء هناك مع أصدقائه، أعجب كثيراً بالأغنية. تمنيت لو أنه وقع عقداً مع والدتي، لكنه لم يفعل ذلك. إن لم تكن من متابعي موسيقى البوب لتعرف، سأقول فقط أنه قام بتوقيع عقد معه، وأعطى الأغنية لنجم معروف، ووصلت للمرتبة الرابعة في قائمة بيلبورد. حرر ذلك شيئاً في داخلي، وما كان صعباً سابقاً أصبح الآن سهلاً. كما يُقال.

استمرت الضربات الناجحة، تمكنا في النهاية من شراء منزل أفضل،

ولكتنا لم نر غب بمعادرة الحي، الذي كان لا يشبه بيفولي هيلز بأي شكل، ولكنه كان مناسباً لنا. عندما عرض المنزل المجاور للبيع، اشتريناه، وعدلناه ليناسب كرسبي المدولب.

أما صديقي عازف الساكسوفون الأخرق، فعندما أصبح بعمر الثامنة عشرة وذهب للعمل في فرقة دايموند داست، انتقل من المنزل المقابل للعيش معه ولم يضطر للبقاء في المرأب مجدداً. لطالما طارده ذكرى أمالي، ولكنه ترك اليأس يقوده مرة واحدة، عندما كان بعمر الثانية والعشرين ترك المدينة وأنقذ نفسه بموسيقى طرد الشيطان. لن أقرأ هذه الجملة له، في حال لم يكن يعرف السبب وراء بعض تصرفاته التي تنم عن إصابته بالوسواس القهري، لو فهم ذلك لجرده من قوة هذه الطقوس التي تخفف حزنه، ولكن الأمر الواضح بالنسبة إلى هو أنه يكره الفطر، سيفعل أي شيء لكي لا يراه، السبب في ذلك هو أنه في الصباح الذي توفيت فيه أمالي، شاهدتها تنظف كومة كبيرة من الفطر، حيث تحولت إلى خادمة للتنظيف من قبل والديهما؛ لن يقوم بشراء أو استئجار صحيفة يوم الثلاثاء لأنها توفيت يوم الاثنين وامتلأت الصحف بالخبر يوم الثلاثاء؛ كان القمر بدراً في ليلة اليوم الذي توفيت فيه، ولذا يذهب إلى الكنيسة في الليلة الأولى من كل قمر مكتمل ويقضي سبع عشرة شمعة، واحدة لكل سنة عاشتها. أحبك مالكوم.

والآن بالعودة إلى لوکاس دراكمان. كانت يداه موضوعتين داخل جبيرة، تحدث دون توقف مع الشرطة، حيث سرد كل فعل قام به وكل فكرة وكل شعور، وكأنه كان يعتقد أنه انتصر وأنهم كانوا تلاميذ يستمعون لقصة مجده؛ أدين هو والدي وفيونا وسمولر بجرائمهم العديدة وحكم عليهم بالحبس لمدى الحياة. أورورا ديلفاين؟ شهدت ضد رفاقها وحصلت على حكم بالسجن لمدة ستين. كتبت رواية في السجن ولكنها لم تُبع. في بداية هذه الرواية قلت إن اسمي الأول وكنائي هما جونة كيرك، مع

سبعة أسماء أخرى. ولكن إن كنت تعرف موسقياً، ستعرف اسمي الرسمي، منذ كنت في العادية عشرة من عمري كان اسمي جونة بلسسو، مع ثمانية أسماء أخرى. أبقيت اسم كيرك بينها لأنه كان والدي، حتى لو لم يرد ذلك، حتى لو لم يكن معني؛ أحبته أمي ذات مرة، وفي النهاية، كانت شابة وساذجة حينها، ولو لا ذاك الحب، لم أكن موجوداً.

بعد تسعه أعوام من الأوقات السعيدة، حصل أمر سئ. لا تجري الأمور بطريقة سلسة طوال حياتك، لا يستطيع أحد أن يعد بذلك. في أحد الأيام، شعر السيد يوشيوكا بتوعك، وتبين بعدها أن السبب كان السرطان، سرطان سريع الانتشار. في الشهرين الأخيرين، عندما كان ضعيفاً للغاية ولم يستطع المشفى أن يفعل له شيئاً، نقلناه للعيش مع الجد تيدي، بحيث نستطيع جميعاً أن نبقى بجانبه ونهتم به. في الليلة التي توفي فيها، كنت أجلس بالقرب من السرير، قرأت له شعر الهایکو وكان أحياناً يردده من بعدي باليابانية. في النهاية، طلب مني أن أضع كتاب الشعر جانباً وأستمع بانتباه إلى ما سيقوله. أخبرني أنه معجب بأغانيي، كان قد أخبرني بذلك من قبل، ولكنه اعتقاد أن أمامي مستقبلاً باهراً. أخبرني أنه قال ذات مرة لماري أوتول، أنه عندما كنت أعزف على البيانو بكامل قواي، كان يشعر بوجود شيء مقدس. قال السيد يوشيوكا أنتي كنت أكسب جيداً في عمر صغير، ولكن هنالك المزيد لفعله في الحياة عدا كسب الرزق. بطريقته اللطيفة، أصرّ عليّ أنه يجدر بي أن أكرس نفسي لكتابة أشياء أكبر بأقرب فرصة، لكي يوجد شيء مقدس كلما عزف الناس موسقياً. كنت أمسك بيده عندما توفي، ولم أستطع إفلاتها لوقت طويل. تفاجأنا بعدد الناس الذين أتوا للمشاركة في جنازته، أتى الجميع من شركة بدلات ميتروبوليتان بالتأكيد ولكن أتى الكثير غيرهم أيضاً، عندما أصررت أنه عليّ الذهاب إلى القبر وليس إلى الكنيسة فقط، في أرض مقبرة لن يسير عليها كرسي مدولب، تناوب جدي ومالكوم على حملي، وأنا مسرور الآن بالقول

إنني لم أتسبب بإصابة جدي بنوبة قلبية ولم يوقيعني مالكوم.

بعد يومين من الجنازة، حين زارنا أومي كوباياشي، محامي السيد يوشيوكا، اكتشفت أنه ترك كل شيء لي في وصيته. لوحظ النمر كانتا نسختين عن لوحتي معلم الميجي تاكويشي سيهو. لم يكن قادرًا على شراء اللوحتين الأصليتين ولذا طلب النسختين كهدية لوالده، الذي كان يملك اللوحتين الأصليتين قبل مانزنانار. عاش والده مع اللوحتين لمدة سبعة أعوام قبل أن يتوفى. كما منحت تمثال سيدة البلاط العاجي، والذي كان يعود لعام 1898 وعليه توقيع معلم الميجي آساهي جيوكوسان وقال السيد كوباياشي إن قيمته كبيرة جداً. كان والد السيد يوشيوكا يملك هذه القطعة أيضًا، قبل مانزنانار؛ حيث تلقى ابنه أثراها واستطاع أن يدفع ثمنها بعد سنين من مانزنانار، كان والده سعيداً جداً. ولكن بعد وفاة والده لم يعد السيد يوشيوكا متخصصاً للبحث عن باقي الأشياء التي امتلكتها عائلته سابقاً. تفاجأت أنني قد ورثت أيضاً دايموند داست، الذي ادعى جونسون أوليفر أنه مالكه بناءً لتوجيهات رئيسه السيد يوشيوكا، كذلك ورثت أيضاً شركة بذلات ميتروبوليتان، التي كانت ملك السيد يوشيوكا الذي كان يعمل فيها كباقي موظفيه.

في حياتنا، نصل إلى لحظاتٍ بالغة الأهمية لدرجة أننا نفشل في الانتباها، ولا يخطر لنا معناها لسنين عديدة. لدى كل منا مخطط نركز عليه، ولذلك نحن عادةً لا نرى ما هو أمام أعيننا. في ذلك اليوم عندما فتح السيد يوشيوكا بابه ووجدني متظراً مع صحنٍ من الكعك، كل ما رأيته كان جاراً، رجلاً خجولاً، وكان يرتدي بذلة وربطة عنق حتى في منزله.

في عمر العشرين الحساس، لم أعد بحاجة إلى العمل لكي أكسب رزقي. كان يمكنني أن أكرس نفسي للإبداع الذي طلب مني أن أتابقه. بدا طلبه الآن وكأنه واجب مقدس. بينما مر الوقت، كان هنالك أعوام شعرت فيها أنه بالغ في تقديرني وأنني سأخيب ظنه في النهاية. ولكن بعدها ظهرت إحصائيات

الأفلام، وحفل توزيع جوائز الأوسكار، وحفل ثانٍ لتوزيع جوائز الأوسكار وثالث. برودواي وجوائز تونى، برودواي مرة تلو الأخرى. وقالوا إنه سيكون هنالك جوائز بوليتزر هذا العام لكلمات الأغاني والنص الأوبراى للمسرحية الحالية، ولكنني لا أعتقد ذلك. سيكون ذلك أمراً صعباً. الشيء المضحك هو أن هذه الجوائز ليس لها قيمة عدا المال. ولكنني سأخذ الاثنين، شكرأً.

أما بالنسبة إلى الموسيقى بحد ذاتها، في تلك اللحظة التي أسمعها داخل رأسى للمرة الأولى، وأنا أحاول كتابتها على الورق، تبدو وكأنها قادمة من عالمٍ مختلف، عالم أفضل. يدور الأمر حول الموسيقى والناس، والشارع الذي نعيش فيه الآن حتى بعد أن غادرنا جدي تيدي منذ زمن، الشارع الذي اشترينا فيه كل منزل وجددناه على جهتي الحي المميز، تلك القطعة المقدسة من الأرض حيث مشت أماليا وعاشت آيتها، وحيث لا تزال تعيش والدتي، التي تبلغ الآن الخامسة والسبعين من العمر، على بُعد ثلاثة منازل مني، وكذلك السيدة لورانزو في منزلها الخاص مع زوجها الثاني، والعديد غيرهم. وهذا هو الشارع الذي تعيش فيه زوجتي، ياسمين، معي ومع ثلاثة أولاد. حيث تسبق القدرة على التبول القدرة على الأداء.

السيدة بيرل، التي قالت إنها المدينة، روح المدينة، أعطتني بيانو عندما كنت بحاجة ماسة إليه، وأعطتني تحذيرات ونصائح اتضحت لاحقاً أنها ذات أهمية كبيرة. أعادت لي الحياة أيضاً بعد أن سلبها مني لوکاس دراكمان، بعد أن أطلق النار على تلك الليلة ووّقعت على الأرض لأنقى حتفي. بصورة مختلفة، كانت الأمور لتجري بطريقة مختلفة جداً عما حصل، وكانت فيونا ستقتل أيضاً، ربما من قبل دراكمان، وكانت جثتي وجثتها سترميان في صندوق سيارتها، التي سيقودها في المطر ويتركها ربما في مرأب فارغ ليتم إيجادها كما حصل مع جثة زوجة الدكتور ميس - ماسكيل. الحلم الذي جاءني لم يكن تنبؤياً؛ كان فقط يعبر عن الطريقة التي كانت الأمور لتجري بها، تحذير. هذارأيي على أي حال. قالت الآنسة بيرل إننا نملك الإرادة الحرة، وإن ما يحصل لاحقاً متترك للناس الذين يعيشون في شوارعها، وإن جزءاً من ذلك يعود إلي. في المرة قبل الأخيرة التي رأيتها فيها، قالت إنها قدمت لي بالفعل أكثر مما عليها أن تفعل، وإنني كنت لوحدي بعدها، ومع ذلك عادت في ذلك الخريف الطويل المظلم وأعادتني إلى العالم، من الموت إلى الحياة. كما يمكنكم التخيّل، فكرت بالأمر كثيراً على مدى الأعوام، وفكرةت بداعاتها بأنها المدينة.

عندما كنت بعمر الثانية والعشرين، بحثت عن ألبرت سولومون غليغ، سائق سيارة الأجرة الذي أعطى والدتي القلب البلاستيكي عندما كنت في الثامنة من عمري. لم يصبح ممثلاً كوميدياً مشهوراً. كان لا يزال يقود سيارة الأجرة عندما وجدته، وانتقل بعد فترة قصيرة إلى منزل في حينا وأصبح سائقي

الخاص. في الماضي، أكد لنا أن إحدى الراكيبات كانت قد أعطته القلاة قبل ستة أشهر وأخبرته أنها ترغب منه إعطاءها لأحد ما. عندما سألها من، قالت إنه سيعرف حين سيلتقي بذاك الشخص. في المرة الثانية التي رأيت فيها ألبرت، بعد ثلاثة عشر عاماً من لقائنا الأول، أخبرني المزيد حول تلك المرأة. تذكرها بوضوح. كانت طويلة وجميلة وتحرك برشاقة راقصة. لم تكن ملابسها تشبه ملابس الآنسة بيرل، ولكنها اشتغلت على قبعة ذات ريش. كانت تضع عطرًا خفيفاً برائحة الورود. كانت تدعوه داكس. ولكن ما في الأمر هو أن جلدتها لم يكن بلون خشب الماهوغاني، ولا أي درجة من اللونين الأسود أو البني. كانت سيدة يهودية، لم يكن يعرفها ولكنها ذكرت بعض النساء في عائلته حتى شعر أنه قريب منها في اللحظة التي ركبت فيها سيارته.

إن كنتم تذكرون، عندما كنت واقعاً على الأرض أحضر ورفعتي هي، قبل أن تنفح في وجهي وتعيدني إلى الحياة، التقت أعيننا، وشعرت بقشعريرة مثل تلك التي شعرت بها عندما كنت في متحف كالوميراكيس بيناكوثيكي، عندما وقفت أمام اللوحة التي رسماها فابريتيوس عصفور الدوري الذهبي، ونظرت إلى عين العصفور الصغير المضاء باحترافية وفهمت ما قد عناه الفنان، وفهمت أنه لم يكن فقط العصفور المظلوم من ينظر إلى من خلال تلك العين، بل أن كل الطبيعة كانت تنظر، وليس فقط الطبيعة بأكملها. عندما نظرت في عيني الآنسة بيرل قبل أن أعود من الموت إلى الحياة، رأيت مشهدأً سريعاً من الصور، أكثر مما أستطيع عده، مرت بيضع ثوانٍ، كان بعضها: والدتي العزيزة وهي تقبل أصابعه، واحداً تلو الآخر، كما فعلت في تلك الليلة بعد أن انتقلنا للعيش مع الجد تيدي؛ وجدي جالساً بقرب السرير في المشفى، وكانت أصابعه تتنقل بين خرز المسجدة بينما كان يراقبني؛ الجدة آنيتا وهي تعطيني الدولار الفضي؛ وجها والدة وشقيقة السيد يوشيوكا، ولكن ليس في صور مخيم إعادة التوطين الموجودة في الكتب إنما في الصور المؤطرة

بالفضة، التي أبقاها مضاءً دوماً، والتي تركها لي أيضاً، وطلب مني أن أبقيها مضاءً أيضاً؛ والعدد الالاهائي من الشموع، وأنوارها الصغيرة المتلاة والتي كانت جزءاً مما رأيت في الحقيقة السوداء الكبيرة... حين ارتفعت مع الآنسة بيرل وعدت إلى الحياة، علمت أنها لم تكن روح المدينة التي تحولت بشراً، أو على الأقل لم تكن المدينة فحسب، لم تكن سوداء فقط، كما تراءت لي، بل كانت من جميع الأعراق والقارات والأزمان، ولم تكن تضع عطر الورود بل كانت هي نفسها تجسداً للورود، وكانت أم القصص القديمة، ولم أعرفها فقط عندما كنت في الثامنة من عمري، بل عرفتها منذ الأزل.

الحقيقة. قرب وجهك منها، داكس، اقترب بما فيه الكفاية وسترى. في البداية رأيت تكتلاً من الأشكال الهندسية التي تندفع في وجهي، ولكنها تحولت بعدها إلى ناطحات سحاب في مدينة صغيرة، وكنت أنظر إلى الأسفل إلى تلك المبني التي كانت حولها متاهة من الشوارع المزدحمة. نظرت إلى الأسفل بينما كنت أقع، لم أكن خائفاً بل كنت متشوقاً، كنت أنطلق بين هذه الأبراج اللامعة، كنت أطير كما طرت سابقاً في أحلامي الجميلة. لم تعد المدينة صغيرة بل أصبحت واقعية وواسعة، من دون حدود، امتدت حتى الالاهية، وامتلأت بالأنوار الساحرة والغامضة. شعرت أنني منخفض، بقرب مستوى الشارع، في جادة تلو أخرى تفيض بالناس المنشغلين، وبدأت أدرك أن النور الغامض أتى منهم، وأتى مني أيضاً، وأتنا كنا ناس المدينة ونور المدينة، برافقين مثل الشموع الالاهية في الأكواب الالاهية. وفجأة رأيت المدينة في وقت ما، عدت إلى أصولها وانتقلت إلى المستقبل بعد قرون، رأيتها كما كانت من قبل وكما ستصبح لاحقاً، جميع الموجودين الآن؛ من جميع الأعمار، الناس القدماء وناس المستقبل، أشرق النور الجميل، نورنا. يا لها من حقيقة.

فكرت كثيراً بما أرتني إياه هنالك على درج الشرفة في منزل جدي.

والآن بعد أن عشت بما فيه الكفاية، فهمت جوهره، ولكنني لم أفهمه كلياً.  
ليس عليَّ أن أعايني من أجل ذلك، ما يهم هو اليوم الحالي وما نفعله، كل يومٍ  
على حدة، بعض الأيام المزعجة وبعضها الآخر اللطيف. وماذا علينا أن نفعل  
بيومنا؟ ما هو الاتجاه الصحيح، ما هو الخيار الخاطئ؟ عندما أكون مرتباً،  
أذكر ما قالته لي في ذلك اليوم، وما زلت أستطيع سماع صوتها الذي أذكره  
بوضوح كما أذكر أي موسيقى أسمعها. مهما حصل، ما من شيء خطير بعد،  
كل شيء سيكون على ما يرام على المدى البعيد.

**Telegram @read4lead**

تمت

# المدينة

دين كونترز



عندما كنت واقعاً على الأرض أحضرت ورفعتني هي، قبل أن تنفع في وجهي، التقت أعيننا، وشعرت بفمشيرة مثل تلك التي شعرت بها عندما كنت في متحف كالوميراكيس بيناكوثيكي، عندما وقفت أمام اللوحة التي رسمها فابريتيوس عصفور الدوري الذهبي، ونظرت إلى عين العصفور الصغير المضاءة باحترافية وفهمت ما قد عناء الفنان، وفهمت أنه لم يكن فقط العصفور المظلوم من ينظر إلىَّ من خلال تلك العين، بل أن كل الطبيعة كانت تنظر، وليس فقط الطبيعة بأكملها. عندما نظرت في عيني الآنسة بيرل قبل أن أعود من الموت إلى الحياة، رأيت مشهداً سريعاً من الصور، أكثر مما أستطيع عده، مررت ببعض ثوانٍ، كان بعضها: والدتي العزيزة وهي تقيل أصبابعي، واحداً تلو الآخر، كما فعلت في تلك الليلة بعد أن انتقلنا للعيش مع الجد تيدي؛ وجدي جالساً بقرب السرير في المشفى، وكانت أصابعه تتنقل بين خرز المساحة بينما كان يراقبني: الجدة آنيتا وهي تعطيني الدولار القضي: وجهاً والدة وشقيقة السيد يوشيموكا، ولكن ليس في صور مخيم إعادة التوطين الموجودة في الكتب إنما في الصور المؤطرة بالفضة، التي أتقاها مضاءة دوماً، والتي تركها لي أيضاً، وطلب مني أن أبقيها مضاءة أيضاً؛ والعدد اللاهلي من الشموع، وأنوارها الصغيرة المتلاصنة والتي كانت جزءاً مما رأيت في الحقيقة السوداء الكبيرة... حين ارتفعت مع الآنسة بيرل وعادت الروح إلىِّي، علمت أنها لم تكن روح المدينة التي تحولت بشراً، أو على الأقل لم تكن المدينة فحسب، لم تكن سوداء فقط، كما تراءت لي، بل كانت من جميع الأعراق والقارب والأزمان، ولم تكن تضع عطر الورود بل كانت هي نفسها تجسيداً للورد، وكانت أم القصص القديمة، ولم أعرفها فقط عندما كنت في الثامنة من عمري، بل عرفتها منذ الأزل.

t.me/read4lead

ISBN: 978-614-01-2340-3



9 786140 123403

جميع كتبنا متوفرة على الانترنت  
في مكتبة بنل وغرات كيه  
[www.nwf.com](http://www.nwf.com)



الدار العربية للعلوم ناشرون  
Arab Scientific Publishers, Inc.  
[www.asp.com.lb](http://www.asp.com.lb) - [www.aspbooks.com](http://www.aspbooks.com)

